

نألیف المرحوم التّستداً جمد المعاشی مدیر مدارس فؤاد الأول ومراقب مدارس فیکتوریا سابقا

الجئزء إلأول

یطلب من المکت برالقرص اریزالکٹ ری جعرص ب ۲۰۰ مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة والاعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه وولده الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف وقرظه أيضا كثير من فضلاء وزارة التربية والتعليم

بسمانتي الرحم الرحيم

أحلى ما سجعتْ به بلابلُ الأقلام ، وأغلى ما انتظمت فيه عقودُ البلاغة والأنسِجام ، وأشهى ما ينعت به (جَوَاهر الأدب) حمدُ مولانا الذى شَرَّف لغة العرب ، وأرسل لنا نبيًّا عربِيًّا منزهًا عن جميع الرِّيب ، سيدنا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله ومَنْ صَحَب .

(أُمَّا بعْدُ) فهذا كتاب سميتُهُ «جَواهر الأدب ، في أدبيَّات وإنشاء لغة العرب» أودعته ما وقع عليه اختياري ، لا من نثري وأشعاري ، فليس لى في تـأليفه من الافتخار ، أكثرُ من الاختيار ، واختيار المرءِ قطْعَةُ من عقله ، تـدلُّ على تخلُّقِه وفضله . وفضيلة هذا التأليف هي جمع ما افترق ، مما تَنَاسَبَ وَٱتَّسَقَ ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديث نبوية ، ومكاتبات أَدبيَّة ، وحِكم باهِرَة ، وأبياتٍ نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار واردة ، ووصايا نافعة ، ومَوَاعِظ جامعة ، ومُنَاظَرات مستظرفة ، ومقامات مستطرفة ، وأوصاف عَلِيَّة ، وخُطب اجتماعية ، لينتفع به مُقتنيه ، ويستغني عن غيره الرَّاغبُ فيه ، إِذْ كَانَ أَحْسَنَ مِن الزهر والرياض ، والحدائق والغياض ، والزبرجد والمرجان ، والدُّرُّ والعقيان ، والأَكاليلوالتيجان، والنزهوالبستان ، إِن دُعِيَ أَسرع، وإِن تحدث أمتع، وإن سُئلَ أجاب، وإن حكم أصاب، جليس لصاحبه في الحضر وأنيس له في السفر ، نديم ظريف ، وسمير حصيف ، بالغتُ في تهذيبه ، وبذلت مجهودًا في حسن ترتيبه ، وأجزلتُ التُّحفة ، وانتقيت الطرفة ؛ وبالله نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

١ - كتب إلى صاحب الفضيلة أستاذى الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي عَلَم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب أما بعد ، فقد اطلعت على الكتاب المسمّى «بجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب » لمؤلفه الألمى ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى ، فألفَيْتُه ، مشتملاً على فن الإنشاء والأمثال وافياً بالمقصود ، واسع المجال ، صحيح العبارة ، واضح الإشارة ، نافعاً في بابه ، مفيداً لمطالعيه وطلابه ؛ نفع الله به وبمؤلفه ومحبيه بجاه نبيه و آله وصحبه وتابعيه .

٢ ــ وكتب إلى أستاذى الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ
 محمد عبده مفتى الديار المصرية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه . وبعد ، فقد اطلعت على مجموع كتاب «جواهر الأدب» المنتخب من حدائق العرب ، فإذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها :

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعُجْمُ الطير فيها تُغَرِّدُ فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ مايحتذون حذوه ، وينسجون على منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها ، وبُعَيْدَ أن يصل من يحاول صناعة الإنشاء إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف في كثير من كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط. بشيء عظيم من

أساليب الكتاب حتى يتشبّع من كلامهم، وتنطبع فيه صورة من مجموع صورهم ولم يكن فيا بين أيديهم من الكتب ما ينى لهم بهذا الغرض، حتى وُفِّقَ حضرة وللدنا الأستاذ الهاشمي لسد هذه الثلمة بما كابده من التعليم زمناً كبيراً. ولابدع فخير الأطباء من عرف حقيقة الداء، فيصف له أنجع الدواء، ولقد عرف هذا الأستاذ العصامي حاجة العصر وناشئته إلى كتاب موضوع على أسلوب عصرى يلائم أذواق بني العصر من معلمين ومتعلمين، فإذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيا وطلبوا خطيراً، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله، فالعمل أعرف شيء بجميل عامله، وفقنا الله وإياه لما يُحبّه ويرضاه، وأساله أن ينفع به الطلاب، ويجزل فيه الثواب.

٣ - وكتب شيخ الإسلام صاحب الفضيلة أُستاذى الأُكبر المرحوم الشيخ سلم البشرى شيخ الجامع الأَزهر:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبدع مثال ، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال ، ونثر عجائب المعارف في أرجائه ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم أرجائه ، وغرائب العوارف في أنحائه ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم وجواهر الأدب سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب ، وعلى آله وصحبه ذوى المناصب والرتب . أما بعد ، فقد تناولت كتاب «جواهر الأدب في إنشاء لغة العرب » كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم ، واطلعت عليه فوجدته حوى من المباني أدقها ، ومن المعاني أرقها ، ومن المناني أحقه ، ومن النظم أحلاه ؛ ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، إذ قد جمع فيه الأجناس ومما لايستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس ؛ فلو شامه «البهائي » قبل تأليف «مخلاته وكشكوله » لاعترف لهذا المولف وارعوى من فضوله ، وهو حضرة العالم الهمام اللوذعي ، الإمام ولدنا السيد أحمه من فضوله ، وهو حضرة العالم الهمام اللوذعي ، الإمام ولدنا السيد أحمه الهاشعي ، أكثر الله من أمثاله ، بحاه النبي وآله .

٤ ــ وكتب إلى فضيلة أستاذى المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش
 الأول بوزارة المعارف العمومية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أى بنى الجهبذ النحرير والفذ العبقرى «السيد أحمد الهاشمى » قد تصفَّحْت مجموعتك المختارة التي سميتها «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب » فإذا هي دائرة معارف كبرى لا يستغني عنها أدبب ، كلها صحاح وعلم صراح :

وما عسى أن يقال فى وصف صحاح الجوهرى إى وربِّى إنه لكتاب صَرَّح على المخض زبده ، وأسفر عن الأدب ، فلم تتلفع بفضل مئزرها دعد ، وانفردت سطوره عن فضل اختيار ، وتعرَّى ليل عن بياض نهار ، جلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس .

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشنى الغلة ، ويروى الصدى ، ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الشمين بيوت الكلام من أبوابها ، وميّز أبكارها من أترابها ، وأهدى إلى هولاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ، ويسيل كالماء عذوبة ، يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلاسته : أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشي أو شُمَّت لأغنت عن المسك وبعد ، فإن سنن مؤلفك العظيم القويم ، ما منى بشين ، فخشيت عليه لعين ، وما أطيب الخزامي في قول بعض القدامى :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين كيف لا ، وقدعرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفل الحز ، ويطبق المفصل ، له حلى من البلاغة يتقلدها فيكاد السحر يحسدها ، يدل عليه بيانه كما يدل على الجوادعنانه ، فمن عرفه فقد اكتنى ، ومن قصر فلينشد : قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال فى المجالس ، وخفة المدار فى المدارس

بل إن (هذا الكتاب يهدى التي هي أقوم) جزى الله مولفه خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة ، وأكثر في الأُمة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال .

۵ ــ وكتب إلى صديق المرحوم حسن أفندى توفيق العدل المدرس بكلية
 كمبردج ــ بانجلترا :

عزيزى حضرة الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمي

تشرفت بكتابك المسمى « جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب » فوجدت بين اسمه ومساه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم ؛ فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفصح مقاله ، وأفسح مجاله . صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ؛ فأكرم به من كتاب «جواهر» تكونت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب . إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين عن نغمات يرزق من يشاء بغير حساب . إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين عن نغمات من البديع باب ، لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب ، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب .

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زُغلول مخاطباً لى :

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة » ، «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم » .

وإنه لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف ق اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة «ومن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً».

معد زغلول

اليكم معشر الكتاب

أما بعد - حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرّفهم في صنوف الصناعات وضُروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم . في صنوف الصناعات وضُروب المجاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم . فجعلكم معشر الكُتّاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية بحم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يُصْلح الله للخلق سلطانهم ويَعْمُرُ بُلدانهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يُوجد كاف إلا منكم . فموقعكم من الملوك موقع أساعهم التي بها يُسْمَعُون ، وأبصارهم التي بها يُبْصِرون ، وألسنتهم التي بها يَسْمَعُون ، وأبصارهم التي بها يُبْطورون ، وألسنتهم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضْفاه (٣) من النعمة عليكم ، وليس أحدً من أهل الصناعات كلها أحْوَج إلى اجتاع خلال الخير المحمودة وخصال من أهل المناعات كلها أحْوَج إلى اجتاع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم .

أَيها الكُتَّاب: إذا كُنْتم على ما يبأتى فى هذا الكتاب مِنْ صِفَتِكم ، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج مِنْهُ صاحبُه الذى يثقُ به فى مُهمَّاتِ أُمُورِه أَن يكون حليا فى موضع الحلم فَهيماً فى موضع الحُكم ، مِقْدَاماً فى موضع الإقدام محجاماً فى موضع الإحجام(٤) ، مُؤثراً (٥) للعفاف والعدل والإنصاف ، كَتُوماً للأَسرار ، وفيًّا عند الشدائد ، عالماً بما يأتى من النَّوازل ، يضع الأُمور مواضعها

⁽۱) يدافعون (۲) انقاكم (۳) أفاضه

⁽٤) التأخر (٥) مختارا له

والطَّوَارِقَ أَماكنها . قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه فإن لم يُحْكِمه أَخذ منه بمقدار ما يكتنى به ، يَعْرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يُرِدُ عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعدُّ لكل أمر عُدَّته (١) وعتاده (٢) ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب صنوف الآداب ، وتفقُّهُوا في الدين وابدُّوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية ، فإنها ثِقَاف(٣) أَلسنتكم ، ثم أجيدوا الخط. فإنه حلية كُتبكم ، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم ما تسمو إليه هممكم ، ولا تُضَيِّعُوا النظر في الحساب فإِنه قَوَامُ (٤) كُتَّابِ الخراج، وارغبوا بأُنفسكم عن المطامع سَنيَّهَا(٥) ودنيِّها ، وسفساف(٦) الأُمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتَّاب، ونزِّهوا صناعنكم عن الدناءة وارْبِأُوا(٧) بِأَنفسكم عن السِّعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات. وإياكم والكِبْرَ والصلَفَ والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إِحْنَة(٨) وتحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليه بالذي هو أُليق بـأهل الفضل والعدل والنُّبْل(٩) من سلفكم ، وإِن نَبَا (١٠) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وَوَاسُوه حتى يرجع إليه حاله ، ويَثُوبَ (١١) إليه أمره ، وإن أَقْعَدَ أُحدًا منكم الكِبَر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظِّمُوهُ وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ. منه على ولده وأخيه ، فإن عَرَضَت في الشغل محمدة فلا يصرفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرضت مذمة فيحملها هو من دونه ، وليحذر

⁽١) ما أعددته لحوادث الدهر (٢) العدة (٣) تعديلها (٤) نظام

⁽٥) رفعها (٦) الردىء من كل شيء (٧) أعرضوا وفروا

⁽٨) اضمار حقلا (٩) الرفعة والسمو (١٠) قصر ونفر (١١) يرجع

السقطة والزلة والملل عند تغير الحال ، فإن العيب إليكم معشر الكُتّاب أسرعُ منه إلى الفيراء (١) وهو لكم أفسد منه لها ، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره ، واحتاله وخيره ونصيحته وكتان سِرَّه وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويُصْدِقُ ذلك فعله له عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالتي الشدة والرخاء والحرمان والمواساة والإحسان والسَّرَاء (٢) والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة المنيفة .

وإذا وَلِى الرجل منكم أو صُيِّر إليه من أمر خلق الله أمر فليرقب الله عز وجل وليوثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم مُنْصِفاً ، فإن الخلق عِيَالُ الله وأحبيهم إليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللاشراف مُكْرماً ، وللفي و (٢) مُوفِّراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعيَّة متألفاً ، وعن أذاهم مُتخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه دقيقاً ، وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حَسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف عيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت شَبُوباً اتَّقاها من بين يديها ، وإن خاف منها شُرُوداً تَوقاها من ناحية رأسها ، وإن كانت حُرُوناً قمع هواها برفق في طريقها (٣) فإن استمرَّت عطفها يسيراً فَيُسلس (٤) له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لن ساس الناس وعاملهم وجربهم و داخلهم.

 ⁽۱) الجلد ، لأنه سريع العطب (۲) الغنيمة والخراج
 (۳) في مرة من المرات (٤) وفي نسخة يسلس أي ينقاد ويسهل

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ، ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تفقه جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يُصَيرها إليه صاحبها الراكب عليها ؛ ألا فَامْعِنُوا رحمكم الله في النظر ، واعملوا فيه ما أمكنكم من الرَّوِيَّة والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتُمُوهُ النَّبُوَة (١) والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى الموافقة وتصيروا

ولا يُجَاوِزَنَّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ، فإنكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خَدَمَةٌ لا تُحْمَلُونَ في خدمتكم على التقصير ، وحَمَظة لا تحتمل منكم أفعال التَّضييع والتبذير . واستعينوا على أفعالكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم ، واحذروا متالف السَّرف وسوء عاقبة الترف (٢) فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولاسِيَّما الكُتَّاب وأرباب الآداب وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مُوتنف (٣) أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها مَحَجَّة وأصدقها حُجَّة وأحمدها عاقبة ، واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورُويَتِه ، فليقصد الرجل في مجلسه قصد الكافي من منطقه ، وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حُججه ، فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من إكثاره .

وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر بردنه وعقله وأدبه ، فإنه إن ظن مذكم ظانٌ أو قال قائل إن الذي بَرَزَ من جميل

⁽۱) القبح (۲) التنعم (۳) مبدأ

صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره، فقد نعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمَّله غير خافٍ.

ولايقُلْ أَحدُ منكم إنه أبصر بالأُمور ، وأحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوى الأَلباب من رَمَى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن صاحبه أعقلُ منه وأجمل في طريقته .

وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله عليه جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره . وحمدُ الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل «مَنْ تَلْزَمَهُ النَّصِيحة يلزمه العَمَل » وهو «جواهر» هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله جلَّ جلاله ، فلذلك جعلته آخره وتممته به ، تَولَّانا الله وإياكم يامعشر الكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ه ه(١))

⁽۱) هو عبد الحميد بن يحيى العامري ، كاتب دولة مروان بن محمسد آخر خلفاء الأمويين ـ قتله السفاح ۱۳۲ هـ .

تمهيد في مبادىء علم الأدب

الأدب عبارة عن معرفة ما يُحْترزبه من جميع أنواع الخطأ وهو قسمان : طبعى كسبى ؛ فالطبعى ما فُطِرَ عليه الإنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم . والكسبى ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر ، وهو المقصود لذا في هذا الكتاب ، وحينتذيعرَّفُ بأنه علم صناعى تُعْرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله ، وهو المدعو «علم الأدب» ،

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته .

وغايته الإِجادة في فنَّى المنظوم والمنثور على أَساليب العرب ، وتهذيب العقل وتذكية الْجَنان .

وفائدته: أنه يعصم صاحبه من زلّة الجهل، وأنه يُرَوِّض الأَخلاق ويلين الطبائع، وأَنه يعين على المروءة، وينهض بالهمم إلى طلب المعالى والأُمور الشريفة. وأركانه أربعة، الأول: قوى العقل الغريزية، وهي خمسة: الذكاءُ (١) والخيال (٢). والحافظة (٣)، والحس(٤)، والذَّوْق (٥).

الثانى : معرفة الأصول وهى مجموع قوانين الكتابة ، وفيها طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة .

⁽۱) الاستعداد التام لادراك العاوم والمعارف بالفكر وفى كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (۲) باطنة تحفظ صحور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح فى فن الكتابة (۳) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعانى فتذكره عند الحاجة ولذلك سحيت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاالذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب مما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسما محكما فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستحمالة القلوب ، الا ترى أن الكلام العذب اذا حل فى القلب احدث فيه حركة وهزة ؟

⁽٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالثابرة على الدرس وبالمارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقاب عما يفسد الأخلاق والآداب .

وتنقسم هذه الأُصول إلى قسمين: عامَّة ، وخاصَّة . فالعامة : كالتآليف الأُدبية من منظوم ومنثور فى أُغراض شتى . والخاصة : كالتآليف المفردة بالرسائل أو بالأَمثال .

الثالث _ مطالعة تصانيف البُلغاءِ بالتأنى والتَّبَصر فيها ، ليدَّخِر الكاتبُ كل لفظ. مؤذق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة .

وشروطها ثلاثة ، الأول: أن يستقلَّ المطالع بعض علماء اللغة وأَمَّة الأَدب فيقتصر على درسهم حتى ينسج على منوالهم . الثانى: أن يُطيل النظر في هذه المطالعة ويُرَدِّدُ مراراً ما استحسنه من تصانيفهم كى يروض الذهن في حلبة (١) سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تراكيبهم . الثالث: أن ينتقى منها شيئاً مما استجاده (٢) من اللفظ . الحر والتراكب الصحيحة والمعانى البليغة ذُخراً لذاكرته وَمِهْمازاً (٣) لقريحته .

الرابع – الأرتياض ، وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع في شرح بعض المعانى فتبينه بأوجه شتى وتُنَمِّقُهُ بأشكال البديع ، وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة ، وأخرى تسرد مشلا أو تسبك رواية إلى غير ذلك . وأن تحذُو حذو المتقدمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم ، وبأن تحلَّ النظم فتأتى به نشراً أنيقاً (٤) وتعقد النشر فتصوغه صوغاً رشيقاً (٥) .

مقدمة في علم الانشياء

الإِنشاءُ لغة : الشَّرْعُ والإِيجادُ والوضع ، تقول : أَنشأَ الغلام بمشى إِذَا شَرَعَ فِي الْمَشِي ، وأَنشأَ الله العالم : أُوجدهم ، وأَنشأَ فلان الحديث : وَضَعَه .

⁽۱) الميدان (۲) وجده جيدا (۳) حديدة تكون في مؤخر خف الرائد للمهسر (٤) معجبا (٥) حسنا

واصطلاحاً علم يُعْرفبه كيفية استنباط المعانى وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ الاثق بالمقام . وهو مُستمد من جميع العلوم وذلك الأن الكاتب الايستثنى صِنْفاً من الكتابة فيخوضُ فى كل المباحث ويتعمّد الإنشاء فى كل المعارف البشرية . وينحصر المقصود منه فى ثلاثة أبواب وخاتمة ومُلحق .

الباب الأول: في أصول الأنشاء

وهي أربعة : موادُّهُ وخواصُّه وطبقاتُهُ ومحاسِنُهُ .

أما مواده فثلاث: الأُولى الأَلفاظ الفصيحة (١) الصريحة (٢) الثانية المعانى (٣) الثالثة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ومرجعها إلى الفصاحة وعلمى المعانى والبيان.

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسينها .

(٢) الألفاظ التي تدل على نفس المطـــــلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال .

(٣) بحيث يكون المعنى واضحا ، أي سهل المأخـــ خاليا من اللبس والاشكال كقول الأخطل:

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال وأن يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد:

الاكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا مصالة زائل

وأن يكون مطابقا لمقتضى الحال كقول أبي العتاهية:

أذا الت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر ولهذا قال أبو الفتح البستى:

تكلم وسدد ما استطعت فانها كلامك حى والسكوت جماد فان لم تجد قولا سديدا تقبوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الأمر الذي يقتضيه الداعى الى المتكلم على وجه مخصوص الناشئ عن مراعاة احوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام ، والمعنى أما أن يكون مبتكرا أي مخترعا كقول ابن النبيه:

الناس للموت كخيل الطـــراد وكقول آخر في وصف الشتاء:

النار فاكهة الشيتاء فمسن يرد

فالسابق السابق منها الجواد

فالسنابق السنابق منها الجنواد

اكل الفواكه شاتيا فليصطل _

_ أو دقيقا فهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازى وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارب بحجرته:

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمح في جناحي خاطف من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم ، وأنك ملجاً للخائف

أو قطريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا أعمال روية ودل على بعض السداجة في قائله ، كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا افانشد:

لا أركب البحسر أخشى عسلى منه المساطب طين أنا ، وهسو مساء ، والطين في المساء ذائب

وكقول الصياد:

سبحان ربى يعطى ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله:

أن السماء اذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القاب كقول عنترة:

وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان او جامعا وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبى تمام فى المعنصم :

تراه اذا ما جئت مته للا كأنك تعطيه الذى أنت سائله تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطعه أنامله وكقول المتنبى:

وقد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي المتاهيسة:

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب والموغل أو الايغال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل على لسان ربه:

(٢ _ جواهر الادب جا)

وأما خواصّه فَهى محاسنهُ السبعة ، وهى ؛ أولاً : الوُضُوح (١) بأن يختارَ المفردَات البيِّنة الدالة على المقصود وأن يَعدل عن كثرة العَوَامل (٢) في الجملة الواحدة ، وأن يتحاشى الالتباس في استعمال الضائر ، وأن يَسْبك الجمل سبكا جلياً بدون تعقيد والتباس ، وأن يتحاشى كثرة الْجُمل الاعتراضية .

وثانيًا: الصَّرَاحة بأَن يكون الإِنشاءُ سالماً من ضعف التأليف وغرابة التَّعبير بحيث يكون الكلام حُرًّا مهذَّباً تناسب أَلفاظُه المعانى المقصودة كما قيل:

تَزِينُ مَعَانيه أَلفَاظُهُ وأَلفاظُهُ زائِناتُ المعانى

ويكون الكلام صريحًا بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمُفردات الْحُرَّة الكريمة وكذا بإصابة المعانى وتَنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه ، وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية إيقاف حروف العطف في مواقعها .

وثالثاً: الضبط وهو حذف فُضُول الكلام وإسقاط مشتركات الأَلفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢م:

= سألت عبدى وانت فى كنفى وكل ما قلت قد سمعناه سانى بلا خشدية ولا رهب ولا تخف ، انى أنسالله

ان الجمال جمال العلم والأدب بل اليتيم يتيم العلم والحسب ليس الجمال بأثواب تزيننـــا ليس اليتيم الذي قد مات والده

واعلم أنه ليس لهذه المعانى مصدر خاص ، وأنما يحصل عليها الاديب من مطالعة كتب البلغاء وأعمال الفكرة الطويلة والتبصر فى الموضوع الذى يقصد وصفه ليست منه المعانى اللائقة به ، وأنما يلتجىء الأديب الى هذه المعانى عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ، ومقام المخاطب ومواقع الكلام .

⁽١) كقـوله:

⁽٢) كقول بعضهم :

^{*} اقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم *

أَرَى الْمَوْت لا يَرْعَى على ذى قرابة وإن كان فى الدنيا عزيزًا بمقعَدِ لَعَمرك ما الأَيام إلَّا مُعارَة فما اسطعْت من معرُوفها فتزوَّد ورابعاً: الطبعيَّة بأن يَخْلو الكلام من التكلُّف والتَّصنُّع كما قال فى رثاء ابنِهِ أَبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ه:

بكيتك يا بُنَىَّ بدمع عَيْنى فلم يُغْنَ البكاءُ عليك شيّا وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا وذلك لأن من تطبَّع بغيرطبعه نَزَعَتْهُ العادة حتى تردّه إلى طبعه كما أن الماء إذا أسخنته وتركته عاد إلى طبعه من البرودة وحينئذ فالطبع أملك.

وخامساً: السهولة بأن يَخْلُصَ الكلام من التعسف في السبك وأن يختار ما لان منها كما قال في الأَشواق بَهَاءُ الدين زهير المتوفى سنة ٢٥٦ه:

شُوْق إِلَيك شديدٌ كما علمتَ وأزيدٌ فكيف تنكرُ حبًا به ضميرُك يشهد فكيف تنكرُ حبًا به ضميرُك يشهد وأن تُهذّب الْجُمل وأن يأتكف اللفظ مع مُرَاعاة النظير كما قال الشاعر في الودَاع :

فى كنفُ الله ظَاعِنٌ ظَعَنَا أُودَع قلبى ودَاعه حَزَنَا لا أَبصرتُ مُقلتى محاسنه إن كنتُ أَبصرْتُبعده حَسَنَا قال بعض البُلَغَاء: أحذركم من التقعير والتَّعَمُّق فى القول وعليكم بمحاسن الأَلفاظ والمعانى المُستخفّة المُستملحة فإن المعنى المليح إذا كُبيى لفظًا حسناً وأعاره البليغ مخرجًا سهلاكان فى قلب السامع أحلى ولصدره أملاً _ قال البستى: إذا انقادَ الكلام فقدهُ عفوًا إلى ما تشتهيه من المعانى ولا تُكْرهُ بَيَانَك إن تأبّى فلا إكراه فى دين البيان

وسادساً: الاتساق بأن تتناسب المعانى كقول المتبنى المتوفى سنة

وما زلت حتى قادنى الشوقُ نحوه يُسايرنى فى كلِّ ركب له ذكر(١) وأستكبرُ الأُخبار قبل لِقَائِهِ فلما التقينا صغر الخبر الْخُبْر وسابعاً : الجزالة وهى إبرازُ المعانى الشريفة فى معارض من الأَلفاظ. الأَنيقة (٢) اللطيفة كقول الصّابئ المتوفى سنة ٣٨٤ه :

لك في المحافل منطقٌ يشفى الْجَوَى (٣) ويسوغُ في أُذُن الأديب سُلافُهُ (٤) فكأنَّ لفظكَ لُؤلُو مَننَخلٌ (٥) وكأنَّمَا آذننا أصدافه فكأنَّ لفظكَ لُؤلُو مَننَخلٌ (٥) وكأنَّمَا آذننا أصدافه وأما عُيوبه فسبعة: الهُجنة بأن يكون اللفظ سخيفاً والمعنى مُسْتَقْبحاً كقوله: وإذا أدنيت منه بصلاً غلَبَ المسكُ على ريح البصل والوحشية: كون الكلام غليظاً تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع كقوله: وما أرضى لِمقْلته بحُلم إذا انتبهت توهَّمه ابتشاكا (٦) والركاكة أى ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٥ه: إن كان مِثلك كان أو هُوكائنٌ فبرئتُ حينئذ من الإسلام والسّهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبى يُشبّه والسّهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبّى يُشبّه

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مِثلُ اللّذي الأفلاكُ مِنه والدني(٧) والإسهاب أى الإطالة الزائدة المُمِلَّة في شرح المادة والعدول إلى الحشوكقوله: وأعنى فتى لم تذر الشمس طالعة يوماً من الدهر إلا ضَرَّ أو نفعا

⁽۱) خبر زلت يسايرنى ، والركب: جماعة الراكبين ، اى مازلت أسمع ذكره فى كل ركب صحبته حتى قادنى الشوق الى زيارته ، والمتيبى يمدح عليا الأنطاكى ، ومعنى البيت الثانى : انى مازلت استعظم ما يذكر لى من أخبار حتى لقيته فصغرت عندى تلك الإخبار بالنسبة اليه لأنى وجدته أعظم مما وصفوا (٢) المعجبة .

⁽٣) الحرقة . (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار (٣) يقول : وان حدثه حلم فى نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعسله سوهمه كذبا (٧) الدنيا .

وألجفاف : الإيجاز والاختصار المخل كقول الحارث بن حِلِّزةً المتوفى سنة ٢٣٢ ه : والعيش حيرٌ في ظلال النـــوك (١) ممن عاش كدّا (٢) ووحدَةُ السياقُ التزام أُسلوب واحد من التعبير وُطريقة واحِدةُ من التركيب يحيث تكون للأذهان كلالا (٣) وللقلوب ملالا (٤). وللكلام عيوبٌ كثيرةٌ منها اللَّحنُ ومخالفة القياس الصُّرْفي وضعف التُّأليف والتعقيدُ اللفظى وَالمَعنوى والتِّكرار وَتَتَابُعُ الإضافات إلى غير ذلك من الأَشياء التي تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق وَالْعُرْفِ غُرِيبَة على السَّمَعِ(٩).. وأما طبقاته فثلاث (الأولى الطبقة السُّفلي) ومَرْجعُها إلى الإنشاء الساذج وهُوَ ما عرى عن رقة المعاني وجزالة الألفاظ والتأنق في التّعبير فهو بالكلام العادي أَشْبِهِ لسُهُولة مأخذهِ وقُرْبِ مورده ، ويُستعمل في المحافل العمومية ليقرّب مثال المعاني على جُمْهور السامعين وفي المقالات والتآليف العلمية لينصرف الذهن إِلَى أَخِذَ المعنى وَليس دُونِهِ حَائِلٌ مِن جَهَّةِ العَبَّارَةُ ، وَفَى المُكاتِبَاتِ الأَهْلِيُّة والرحلات والأسفار والأخيار وما شابه ذلك. (الثانية الطبقة العلياً) ومرجعها إلى الإنشاء العالى ، وهو ما شُحن بغُرر الأَلفاظ ، وتعلُّق بأُهداب المجاز ولطائف التَّخيلات وبدائع التشابيه فيفتِنُ ببراعتَه العُقُولَ ويَسْحَر الألباب ويصلُّح في التّرَسُّل بين بُلغاءِ الكتَّاب وفي المجالس الأَدبيَّة وديباجة بعض التَّصانيف إِلَى غَيْرَ ذَلَكَ مِنَ المُواضَعِ التِّي مِن شَأْلُهَا الزَّجْرُ وتَحْرَيْكُ العُواطَفُ والحَمَاسَة .

⁽۱) بفتح النون وضمها الحمق (۲) تعبا (۳) سيئة (۱) سآمه . (۵) حكى عن الصغى الحلى أن بعض الفضلاء بلغه أنه طلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى أنه خال من الالفاظ العربيسة فأجابه الصغى :

انما الحسيزبون والدرديس والطخا والنقساخ والعلطبيس الفسة تنفر للسيامع منها حين تروى وتشمئز النفوس وقبيسح أن يسسلك النافر الوحشى منهسا ويتسرك المأسوس أن خير الألفاظ ما طسرب السسامع منه وطاب قيسة الجايس ولذبذ الألفاظ مغناطيس

(الثالثة الطبقة الوسطى) ومَرْجِعها إلى الإنشاء الأنيق(١) وهو ما توسط بين الإنشاء العالى والساذج فيأُخذ من الأول رَوْنَقَه وَرَشَاقَتَهُ ومن الثانى جلاء وسلاسته _ ويَصْلُح في مُراسَلات ذوى المراتب ، وفي الروايات المُنمقة والأوصاف المُسْهبة ، وفي خطب المحافل وما أشبه ذلك(٢) .

وأما محاسنه فهى أساليب وطرائق معلومة وُضِعت لتزيين الكلام وتَنميقه لغرض أن يتمكّن البليغُ مِن ذِهن السامع بما يورده من أساليب الكلام المستحسنة، فيحرك أهواء النفس ويُثير كامن حركاتها. والغرض أن يكون قوله أشد اتصالا بالعقل وأقرب للادراك بتصرفه في فنون البلاغة.

كيفية الشروع في عمل مواضيع الانشياء

إِذَا عَنَّ (٣) لك أَو اقترح عليك إنشاء موضوع فأنت مَنُوط (٤) إِذًا بأَمرين: التَّفكر أُولا ، والكتابة ثانياً . فإذا أَنْعَمْت الفكر مليًّا (٥) في أَجزاء الموضوع بعد استيلاء الإحساس بها على قلبك ، وقلَّبتها على جميع الأوجه المُمكنة فيها تولد في خيالك لكل جزء عدة صُور (٦) تتفاوت في تأديته كتفاوت صُور المنظوم في الحسن والقبح ؛ فبعضُها يستميل النفوس بتأثيره في الحواس، وبعضها

⁽١) المحب .

⁽۲) الذى اشتهر بالانشاء الساذج السيوطى والماوردى والغزالى وأبو الفرج الاصبهانى وابن الاثير وأبو الفداء . والذى اشتهر بالانشساء الانيق الثمالي وابن خلكان وابن خلدون والطبرى والفخرى وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودى . والذى اشتهر بالانشاء العالى الحسريرى والهمدانى والمعرى والاخطل وجرير وأبو تمام البحترى والمتنبى وابن خاقان والعتبى والفارضى . واعلم أن طبقات الانشاء كثيرا ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء فى القطعة الواحدة اثيباء من الطبقات الثلاث لا يميزها الا المنتقد البصير .

 ⁽٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة .

⁽٦) أما اذا تساوت في حسن تأدية الغرض أخذ احداها فقط ولا يحسن جمعها .

يوجب نُفورَها ، بين بين ، وإذا تَشَخَّصَت الصَّورُ في الخيال يتخيّر العقل منها ماله المكانة الرفيعة في حُسن تأدية الغرض المناسب للمقام ، فإن كان المقام للتَّحريض على القتال مثلا انتخب الصورة المهيِّجة للاحسَاس ، المشجَّعة للنفس على اقتحام الأَخطار (1) ، وإن كان المقام مَقامَ فرح وسُرُور انتخب ما يشرح الصَّدور .

وبعد تشخص الصُّور وتخير المُناسبة منها تعين اليها المنشئ بحُسن تأليف وترتيب مَا تخيرتَه أن تجمع الصور المُناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف بحيث يكون منسجمًا يمضى وحده مع النَّفس دون علاج وتعب في فَهم الغرض منه وحينئذي مكنك إظهار هذه الصورة المعقولة في صورة محسوسة بواسطة القلم.

أركان الكتابة

اعلم أنَّ للكتَابةِ أَرْكَاناً لابُدٌ من إيداعها في كل كتَاب بلاغي ذى شأن ؟ أولهَا : أنْ يكون مَطلعُ الكتَابِ عليه جِدَّةُ (٢) وَرَشَاقةٌ ، فإنَّ الكاتب مَنْ أجاد المطلع والمقطع ، أو يكون مبنيًّا على مقصد الكتاب . الثاني أن يكون خرُوجُ الكاتب من معنى إلى معنى برابطةٍ لتكونَ رقابُ المُعَاني آخذة بعضها ببعض

⁽۱) الأحزان . (۲) صار جديدا مبتكرا ، وهو نقيض الخلق الذائب . تنبيه : يراعى حلل المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكى لايحسن عند الفبى ، ومايناسب ذا الجد لايناسب الهزلى، وما يصاح للرئيس لايصلح للمرءوس . فخاطب كلا على قدر أبهته وجسلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته ، فزن اللفظة قبل أن تخرجها بمسزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فكلما احلو لى الكلام وعذب وراق وسسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا فى الأسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه ، ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مؤنق شريف ومعايرا بكلام عذب بدون تكلف ولا تعقيد ، فالمعنى الخفى أشسبه بالروح الخفى والغظ الظاهر ، والا تضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيع كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرثة .

ولا تكون مقتضية . الثالث أن تكون ألفاظ الكتاب غير مُخْلُولقة بكثرة الاستعمال . ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة فإن ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً غريبًا يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس ، وهناك مُعْترك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والأُقلام شجاعتها . وهذا الموضع بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر ، وليس كل خاطر بُرَّاق إِلى هذه الدرجة (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيم). ومع هذا فلا تظن _أمها الناظر في كتابي _أني أردت مذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتي باللفظ. الموصوف بصفات الحسن والملاحة ، ولا يكون تحته من المعنى ما عاثله ويساويه ، فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها إلا أن صاحبها بليد أبله. والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسما لمعنى شريف ، على أن تحصيل المعانى الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها . ولقد رأيت كثيرًا من الْجُهال الذين هم من السُّوقة أرباب الحرف والصنائع، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق، ولكنه لا يحسن أن يزوَّج بين لفظتين . فالعبارة عن المعاني هي التي مها تخلب العقول ، وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني ، فإنه لا تمنع الجاهل الذي لايعرف علمًا من العلوم أن يكون ذكيًّا بالفطرة .

واستخراج المعانى إنما هو بالذكاء لا يتعلُّم العلم .

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت بها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ، ووجب لك أن تسمّى نفسك كاتبًا . (عن «المثل السائر» باختصار)

ي المالم الكلام الكلام

إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك ، وتنق له كرائم اللهظ ، واعمله واجعلها على ذِكْرِ مِنْك ليقرُب عليك تناولها ولا يُتعبك تطلبها ، واعمله ما دُمْت في شباب نشاطك ، فإذا غشيك الفتور وتخوّنك الملال فأمسك ، فإن الكثير مع الملال قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يُستى منها شيء بعد شيء ، فتجد حاجتك من الرّي ، وتنال إربك من المنفعة ، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها ، وقل عنك عناؤها . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلُّف والمُعاودة . وإيَّاك والتوعر ، فإن التَّوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يَستهلك معانيك ويشين ألفاظك .

ومَنْ أَرَادَ مَعْنَى كريماً فليلتمسْ لَهُ لفظًا كريماً ، فإِنَّ مِنْ حقِّ المعنى الشريفِ اللفظَ. الشريفَ .

فإذا لم تجد اللفظة واقعةً مَوْقِعهَا صائرةً إلى مستقرِّها حالَّةً في مركزها مُتَّصلة بسلكها، بل وجدتها قلقةً في مَوْضِعها نافرةً عَنْ مكانها فلا تُكْرِهُهَا على اغتصاب الأَماكن والنزُول في غَيْرِ أَوْطَانها . فإنكَ إِنْ لَم تَتَعَاطَ قريضَ الشَّعْرِ المنظوم ولمْ تَتكلفِ اخْتِيارَ الكلام المنثورِ ، لم يُعِبْك بذلك أَحَدُ .

وإِن تَكَلَفْتُهُ وَلَمْ تَكُنْ حَاذَقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُحْكُمًا لَشَأْنَكَ بَصِيرًا ، عَابُكُ مَن أَنتَ أَقَل عَيبًا منه ، وزرى(١) عليكَ مَنْ هو دُونَكَ .

فإن لم تَسْمَح لك الطَّبيعة بنظم الكلام في أُوَّلِ وَهْلَةٍ ، وتعصَّى عليكَ بعد إجالة الفكرةِ ، فلا تعجل ، ودعه سحابة يَوْمِكُ ولا تضجر ، وأمهلهُ سَوَادَ لَيْلَتِكِ وعاودهُ عندَ نشاطكَ ، فإنكَ لا تعدَمُ الإِجابة والمُوَّاتَاة . فإن تَمَنَّع ليُلِّتِكِ وعاودهُ عندَ نشاطك ، فإنكَ لا تعدمُ الإِجابة والمُوَّاتَاة . فإن تَمَنَّع عليك بعد ذلك _ مع تَرْويح الخاطرِ وطولِ الإِمهالِ _ فتحول منْ هذه عليك بعد ذلك _ مع تَرْويح الخاطرِ وطولِ الإِمهالِ _ فتحول منْ هذه

⁽۱) زرى : عاب ،

الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك ، فإنك لم تشتهها إلَّا وبينكُمَا نسبُ .

والشيءُ لا يحنُّ إِلَّا إِلَى مَا شَاكِلَهُ .

ويذبغى أن تعرف أقدار المعانى ، فَتُوازِنَ بينها وبينَ أَوْزَانِ المستمعينَ وبين أَوْزَانِ المستمعينَ وبين أَقدارِ المحالات ، فتجعلَ لِكُلِّ طبقةٍ كلاماً ، ولكلِّ حالٍ مقاماً ، حتَّى تقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعينَ على أقدارِ الْحَالاتِ . (من « كتاب الصناعتين » باختصار)

الطريق الى تعلم الكتابة

إِنَّ الطريق إِلَى تعلُّم ِ الكتابة على ثلاثِ شُعَبٍ :

الأولى: أَنْ يَتصفَّح الكاتبُ كتابة المتقدمين، ويطَّلع على أَوْضاعهم في استعمالِ الأَلفاظ والمعانى، ثمّ يحذوَ حذْوَهم ؛ وهذه أدنى الطبقاتِ عندى .

والثانية : أَنْ يمزِجَ كتابة المتقدمينَ بما يَستجيدهُ لنفسه من زيادة حسنة ، إمّا فى تحسينِ أَلفاظ ، أَو فى تحسين معانٍ . وهذهِ هيَ الطبقة الوُسطى ، وهي أعلى من التي قبلها .

والثالثة: أنْ لابتصفَّحَ كتابة المتقدمين ولايطَّلعَ على شيء منها ، بل يصرف همّه إلى حفظ القرآنِ الكريم وَعِدّةٍ من دواوين فُحُولِ الشعراء تمن غلب على شعرو الإجادة في المعانى والألفاظ . ثم يأخذُ في الاقتباس ، فيقومُ ويقعُ ويخطيُ ويصيبُ ويضلُّ ويهتدى حتى يستقيم على طريقة يفتتحُها لنفسه ، وأخلِق بتلك الطريق أن تكونَ مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها . وهذه الطريقُ هي طريق الاجتهادِ وصاحبُها يُعَدُّ إماماً في فن الكتابةِ ، إلا أنها مُستوْعَرةُ جدًا ، ولا يستطيعُها إلا مَنْ رَزَقَهُ اللهُ لساناً هَجاماً وخاطرًا رقّاماً . ولا أريدُ بهذه الطريق الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتب مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم الطريق أن يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا في كتابتِه بما يستخرجه من القرآنِ الكريم المؤلِق أن يكونَ الكاتب القرآنِ الكريم المؤلِق أن يكونَ الكاتب المؤلِق أن يكونَ الكاتب المؤلِق الم

والشَّعر ، بحيثُ أَنَّهُ لا يُنشئُ كتاباً إِلَّا مِنْ ذَلك ، بلُ أُديدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ القُرآنَ وَأَكثَر من حفظ الأشعارِ ثمَّ نقَب عنْ ذلك تَنقيبَ مُطَّلع على معانيه مفتَّشٍ عنْ دفائنهِ وقلَّبهُ ظَهْرًا لبطن عرف حينتُه مِنْ أَين تؤكل الكَتفُ فيا يُنشئه مِنْ ذَاتِ نفسهِ ، واستعانَ بالمحفوظ على الغريزة الطَّبيعية . فيا يُنشئه مِنْ ذَاتِ نفسهِ ، واستعانَ بالمحفوظ على الغريزة الطَّبيعية .

كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه

تهذيب الكلام: عبارة عن ترداد النظر فيه بعد عمله _ نظمًا كان أوْ نشرًا _ وتغييرما يجب تغييره ، وحذف ما ينبغى حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه ، وتحرير مايدق مِن معانيه ، واطّراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه ، لتُشرق شُموسُ التهذيب في ساء بلاغته ، وترشف الأسماع من غليظ ألفاظه ، لتُشرق شموسُ التهذيب في ساء بلاغته ، وترشف الأسماع الطرب رقيق سلافته ، فإن الكلام إذا كان مَوْصُوفاً بالمهذّب ، منعوتا بالمنقّح ، علت رُنبتُه وإن كانت معانيه غير مبتكرة ، وكلٌ كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، ولو تقدّم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدّم ، أو لو تأم هذا المتقدم ، أو لو اتضح هذا المقصد وسُهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين _ كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب .

وكان زُهيْر بن أَبي سُلمى معروفاً بالتَّنقيحِ والتَّهْذيبِ، وله قصائدُ تعرفُ بالحوْليَّاتِ _ قيل : إنه كان ينظِمُ القصيدة في أَرْبَعةِ أَشهُر، ويُهذبُها ويُنقِّحُها في أَربعة أَشهر، ويعرضها على عُلماءِ قبيلتهِ أَربعة أَشهر، ولهذا كان الخليفةُ عُمرُ بن الخطاب _ مع جلالته في العلمِ، وتقدمِهِ في النقد_ يقدِّمه على سائر الْفُحُولِ من طبقته.

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله : خُذْهَا ابنة الفَكْرِ المُهَذَّبِ فِي الدُّجَى واللَّيْل أَسُودُ رَقْعَةِ الجِلباب فإنه خصّ تهذيب الفكر بالدُّجى لكون اللَّيْلِ تهدأ فيه الأَصوات وتسكُنُ الحركاتُ ، فيكونُ الفكْرُ فيهِ مجتمعًا ومرآة التهذيبِ فيهِ صقيلة ، لخلو الخلطر وصفاء القريحة ، لاسها وسط. الليْل .

قالَ أَبو عُبَادَةَ الْبُحْتُرِيُّ : كنتُ في حداثتي أَروى الشَّعْرَ ، وكُنت أَرجع فيه إلى طبع سَلِم ، ولم أَكُنْ وقفت له على تسهيلِ مأُخذٍ ووُجُوهِ اقتضاب حتى قصدت أَبا تَمَّام وانقطعتُ إليهِ واتَّكلْتُ في تعريفه عليهِ ، فكان أوَّلَ ما قال لى : يا أَبًا عُبَادَةَ ، تخيَّرِ الأَوقاتَ وأَنتَ قليلُ الهُمومِ ، صِفْرٌ منَ الغُموم .

واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر ؛ وذلك أن النفس تكون قد أخَذَت حظها من الرَّاحة وقسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء ؛ واحذر المجهول من المعاني وإيّاك أن تُشينَ شِعْرَك بالأَلفاظ الوحشية وناسب بين الأَلفاظ والمعاني في تأليف الكلام ، وكُنْ كأنك خياط تُقدر الثياب على مقادير الأَجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ولا تنظم عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ولا تنظم أن تعتبر شعرك بما الشهوة نعم المعين على حُسنِ النَّظم ، وَجُملة الحال : أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه .

(عن «خزانة الأدب_وزهر الآداب » باختصار)

محاسن الانشياء ومعايبه

إِنَّ للنثر محاسنَ ومعايبَ ، يجبُ على المنشئ أَنْ يفرَقَ بينهما مُحترزًا استعمال الأَلفاظِ الغريبة ، ولا يخلُّ بِفَهم المرادِ ويوجبُ صعوبته ولابدٌ من أَنْ يجعلَ الأَلفاظِ تابعةً للمعانى دون العكس ، لأَنَّ المعانى إذا تركتُ على أَنْ يجعلَ الأَلفاظ تابعةً للمعانى دون العكس ، لأَنَّ المعانى إذا تركتُ على أَنْ يجعلَ الأَلفاظ تابعةً للمعانى دون العكس ، لأَنَّ المعانى إذا تركتُ على أَنْ يجعلَ اللَّه اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

سَجيَّتها طلبتُ لأَنفسها أَلفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعًا ، وأَما جعلُ الأَلفاظِ متكلفة والمعانى تابعةً لها ، فهو شأن من لهمشغفُ بإيراد شيءِ من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية إليها ، ويجعلون الكلام كأنه غير مسبوق لإفادة المعنى ، فلا يُبالون بخفاءِ الدلالات وركاكة المعنى .

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاء أن يكتب ما يُراد لا ما يُريد، كما قيل في الصَّابي : إن الصابئ يكتب ما يُراد ، والصاحب يكتبُ ما يُريد .

(عن «آداب المنشئ » ببعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الأَلفاظ تكون بثلاثة أُوجه:

الأُول : مجانبةُ الغريب الوحشيِّ حتى لا يمجِّه سمعٌ ، ولا ينفر منه طبعٌ .

والثانى: تنكبُ اللفظ المبتذلِ ، والبعد عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطُه خاصى ، ولا ينبو عنه فهم على ، كما قال الجاحظ فى كتاب البيانِ: أما أنا فلم أر قوماً أمثل طريقة فى البلاغة من الكتّاب : وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لَمْ يكنْ مُتَوعّرًا وحشيًا ، ولا ساقطًا عاميًا .

والثالثُ : أَنْ يكونَ بينَ الأَلفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ .

أما المطابقة : فهي أنْ يكونَ بين الأَلفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تَزيد عليها ولا تنقصُ عنها .

[] وأمّا المناسبة : فهي أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعض الأَلفاظ - إما لعُرف مستعمل ، أو لاتفاقٍ مستحسن - حتى إذا ذُكرَت تلك المعانى بغير تلك

الأَلْفاظِ كَانَتْ نَافَرَةً عَنَهَا ، وإِنْ كَانَتْ أَفْصِحَ وَأُوضِحَ لاعتياد ماسوَاها . (عن « أُدب الدين والدنيا » باختصار)

حقيقة الفصاحة

اعلم أنَّ هذا موضوع متعذِّرٌ على الوالج ، ومسلكٌ مُتَوعَّرٌ على الناهج ، ولم تزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القوْل فيه والبحث عنه ، ولم أجِدْ من ذلك ما يعوّل عليه إلّا القليل ، وغاية ما يقالُ في هذا الباب : إنَّ الفصاحة هي الظهورُ والبيان في أصلِ الوضع اللغويِّ ـ يقال : أفصح الصبحُ إذا ظهر ، ثم إنهم يَقِفُونَ عند ذلك ولا يكشِفُونَ عن السِّرِّ فيه ، وجدا القول لا تتبيَّنُ حقيقة الفصاحة ، لأنَّه يُعتَرضُ عليه بوجُوهٍ من الاعتراضات .

الوجه الأَول : إذا لم يَكُنْ اللفظُ. ظاهرًا بَيِّنًا لم يَكُنْ فصيحًا ثم إِذ ظهرَ وتبيَّنَ صارَ فصيحًا .

الوجه الثانى: أنه إذا كانَ اللَّفظُ، الفصيح هو الظاهر البيِّن فقد صار ذلك بالنِّسب والإضافات إلى الأَشخاص ؛ فإنَّ اللفظَ، قديكون ظاهرًا لزيْدٍ ولايكون ظاهرًا لِعَمْرٍو ، فهوَ إذًا فصيحٌ عند هذا ، وغير فصيح عند ذاك ؛ وليس كذلك بل الفصيح هو فصيحٌ عند الجميع لاخلاف فيه بحالٍ من الأحوالِ ولأَنه إذا بحقق حدُّ الفصاحة وعُرف ما هي ، لم يبق في اللفظ. الذي يختصُّ به خلافٌ .

الوجهُ الثالث: أنه إذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السَّمْعُ وهو مع ذلك ظاهر بَيَّن ينبغي أَن يكون فصيحًا ، وليس كذلك لأَنَّ الفصاحة وصف حُسْنِ للفظ لا وصف قبح .

ولما وقفتُ على أَقُوال النَّاسِ في هذا الباب ملكتني الْحَيرة فيها ،

ولم يثبُتْ عندى منها ما أُعَوِّلُ عليه ، ولكثرةِ مُلابستى هذا الفنِّ ومُعاركتى إِيَّاهُ ، انكشف لِيَ السِّرُّ فيه . وسَأُوضِّحُهُ في كتابي هذا وأُحَقِّقُ القول فيه فيَّقُولُ :

إِنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البَيِّن ، وأَعنى بالظاهر البَيِّن : أَن تكون أَلفاظه مفهومة لا يُحتاجُ في فهمها إلى استخراج لُغَةٍ .

وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكونُ مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حُسْنِها ، وذلك أن أرباب النظم والنثر غربكوا اللغة باعتبار ألفاظها ، وسَبرُوا وقسموا ، فاختارُوا الحسن من الألفاظ حتى استعملوه وعلموا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحُسنُ الاستعمال سببُ استعمالها دُونَ غيرها ، واستعمالها دُونَ غيرها سَبَبُ ظُهورها وبيانها ؛ فالفصيحُ إذًا مِنَ الألفاظ هو الحسنُ .

فإن قيل: مِنْ أَى وجه عَلِمَ أَرباب النَّظُم والنَّر الحسن مِنَ الأَلفاظِ حتى استعملوه ، وعلموا القبيح منها حتى نَفَوْه ، ولم يستعملوه ؟ قُلتُ في الجواب: إنَّ هذا من الأُمور المحسوسة التي شاهدُوها من نفسها ؛ لأَن الأَلفاظَ داخلة في حيِّز الأَصوات ، فالذي يستلذه السَّمعُ منها ويميلُ إليه هو الحَسَنُ والذي يكرههُ وَيَنْفِرُ عنه هُوَ القبيحُ . أَلا تَرَى أَن السَّمعَ يستلذُ صَوْتَ البُلْبلِ من الطيْر وصوت الشَّحْرُر ويميلُ إليهما ، ويكره صوت الغراب ويَنْفُرُ عنه ؟ وكذلك يكرهُ نهيق الحمار ، ولا يجدُ ذلك في صهيل الفرس؟ والأَلفاظُ جارية هذا المجرى ، فإنه لا خلاف في أن لفظة المُزْنة والديمة حسنة يستلذُها السَّمع ، وهذه اللفظات من صفة المطر ، وهي

تدلُّ على معنى واحد ، ومع هذا فإنك ترى لفظَى المزنة والدَّمة وما جرى مجراه متروكاً مجْراهُما مأَلوفتى الاستعمال ، وترى لفظ البعاق ، وما جرى مجراه متروكاً لا يُسْتَعْمل ، وإن اسْتُعْمل فإنما يَسْتَعْمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة ، أو منْ ذَوْق سلم .

ولا جرَم أَنه ذُمَّ وقُدح فيه ولم يُلتفت إليه وكان عربيًّا محضًّا من الجاهلية الأَقدمين ؛ فإن حقيقة الشيء إذا عُلِمَتُ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعَرِّج على ما خرج عنها .

(عن «ابن الأثير » باختصار)

الانسجام

الانسجامُ لغة : جريان الماءِ ، وعند أهل البلاغة : هو أن يأتى الناظم أو الناثر بكلام خالٍ من التَّعْقيد اللفظى والتَّعْقيد المعنوى ، بسيطًا مفهومًا دقيق الأَلفاظِ جليل المعنى ، لا تكُّلف ولا تعسف فيه ، يتحدّرُ كتحدر الماءِ المنسجم ، فيكادُ لسهولة تركيبه ، وعذوبة ألفاظه ، أن يسيل رقةً .

ولا يكون ذلك إلّا في من هو مطبوعٌ على سلامةِ الذَّوْقِ ، وتوقد الفكرة وبراعة الإنشاءِ وحُسْن الأساليب .

وإِنَّ فحول هذا الميدانِ ما أَثقلوا كاهل سُهُولته بِنَوْع من أَنواع البديع ِ، اللهُمْ إِلا أَن يِأْتِي عفوًا من غير قصد .

وعلى هذا أجمع علماءُ البديع في حدّ هذا النوع ، فإنهم قرروا أن يكون بعبدًا عن التصنع ، خالياً من الأنواع البديعيَّة إلا أن يأتى في ضمْنِ السَّهولة من غير قصد ، فإن كان الانسجام في النثر تكون أغلب فقراتِه موزونة من غير

قصدٍ ، وإِن كَانَ فِي النظمِ فَتَكَادُ الأَبِياتُ أَن تَسَيَلَ رَقَةً وَعَذُوبِة ، وَرُبَمَا دخلت في المُطْرِبِ المُرْقِصِ

(عن « بديعة العميان وبديعة الحموى »)

حل الشعر

حلُّ الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول منها وهو أدناها مَرْتَبَةً: أن يأخذ الذاثر بيتاً من الشعر فينثر و بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش . ومثاله كمن أخذ عقداً قد أقتن نظمه وأحسن تأليفه فأوها و وبدد و كان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه ، وأيضاً فإنه إذا نُثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السَّرِقة ، فيقال : هذا شعر فلان بعينه ، لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مُستهجناً ، كقوله في حل بعض أبيات الحماسة :

وَأَلَدَّ ذِى حَنَقٍ عَلَىٌ كَأَمَا تَعْلِي عَدَاوةُ صدرِهِ في مِرْجَلِ وَأَلَدَّ ذِي حَنَقٍ عَلَى مَرْجَلِ أَزْجَيْتُهُ فَوْقَ النواظر من عَل

إذقال فى نشر هذين البيتين: «فكم لقى أَلدَّ ذا حَنَق كأنه ينظر إلى الكواكب من على ، وتغلى عداوة صدره فى مرجل ، فكواهُ فوق ناظريه وأكبَّه لفمه ويديه » . فلم يزد هذا الناثِرُ على أَن أَزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير .

ومن هذا القسم ضربُ محمودُ لاعيب فيه ، وهو أَن يكون البيت من الشعر قد تضمَّن شيئاً لا يُمكن تغيير لفظه فحينئذ يُعذر ناثرُه إذا أَتى بذلك اللفظ. ، وكذلك الأمثال السائرة فإنه لا بدمن ذكرها على ماجاءت في الشعر .

(٣ ــ جواهر الادب ج ١٤)

وأما القسم الثانى _ وهو وسَطُ بين الأول والثالث فى المرتبة _ فهو أن ينشر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ، ويعبر عن البعض بألفاظ أخر ، وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشابهة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة . فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد ، قد نَقَّحَه وصَحَّحَه فَقَرَنه بما لا يلائمه ، كان كمن جمع بين لُولُوة وحصاة ، ولاخفاء فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن ، والطريق المسلوك إلى هذا القسم : أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله .

وسأُوردُ هنا مثالا واحداً ، ليكون قدوة للمتعلم ، فأَقول : قد ورد هذا البيت من شعر أَبي تمام في وصف قصيدة له :

حداء علاً كل أُذْنِ حِكمة وبلاغة وتُدِرُ كل وريد فقوله (عَلاً كلَّ أُذْنِ حِكمة) من الكلام الحسن، وهو أحسن مافى البيت فإذا أردت أن تنثر هذا البيت فلا بد من استعمال لفظه بعينه، لأنه فى الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة ، فعليك حينئذ أن تُواخيه عمثله .

آوهذا عَسِرٌ جداً، وهو عندى أصعب منالاً من نشر الشعر بغير لفظه ، لأنه سلك ضيقٌ لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة . وأما نشر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثرُهُ على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيداً فيه عثال يضطر إلى مُؤاخاته ، وقد نثرْتُ هذه الكلمات المشار إليها وأتيتُ بها في جملة كتاب فقلتُ : وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر ، وفاق مسير الشمس والقمر ، وإذا عُرِف الكلام صارت المعرفة له علامةً وأُمِنَ من سرقته ، إذ لو سُرِقَ لدلّت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أن علاً كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان عجبة ، وإذا جرت نفثاته فى الأفهام ، قالت : أهذه بنت فكرة أم بنت كرْمة ؟

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع ، فإنى [حين] أَخَذْتُ تلك الكلمات من البيت الشعرى التزمت بأن أُواخيها بما هو مثلها أو أحسن منها ، فجئت يهذا الفصل كما تراه ، وكذلك ينبغي أن يُفعل في ما هذا سبيله .

وأما القسم الثالث - وهو أعلى من القسمين الأوَّلين - فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بأَلفاظٍ عير أَلفاظِهِ . ومن ثم يتبينُ حِدْقُ الصائع في صياغته ويعلم مقدارُ تَصَرُّفه في صناعته ، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدَّرَجَة العالية ، وإلَّا أحسن التصرف وأَنقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لذاثره فَيُورِدُه بضروب من العبارات وذلك عندى شبيه بالمسائل السَّيَّالة في الحساب التي يُجَاوب عنها بعدة من الأجوبة ومن الأبيات ما يضيق فيه المجالُ حتى ما يكاد الماهر في هذه الصناعة أن يخرج من ذلك اللفظ ، وإنما يكون هذا لعدم النظير . فأمًّا ما يتسع المجال في نشره فكقول المتنبى أ

لا تعْذِلُ المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه وقد نثرت هذا المعنى، فمن ذلك قولى: لا تعذل المحب في ما يهواه حتى تطوى القلب على ما طواه. ومن ذلك وجه آخر، وهو: إذا اختلفت العينان في النظر فالعدل ضرب من الهذر، وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه كقول أبى تمام:

تردَّى ثياب الموت حُمْراً فما أَتى لها الليلُ إلاوهي من سندس خضر قصد أَيو تِمام المؤاخاة في ذكر لوني الثياب من الأَحمر والأَخض ، وجاء ذلك

واقعاً على المعنى الذي أرادهُ من لون ثياب القتلى وثياب الجنة . وهذا البيت لا مكن تبديل ألفاظه ، وهو وأمثالُهُ مما يجبُ على الناثر أن يُحْسِن

الصنعة فى نك نظامه لأنه يتصدى لنشره بألفاظه ، فإن كان عنده قُوَّة تصرُّفِ وَبَسُطة عبارة ، فإنه يأتى به حسناً رائقاً .

وقد قلت فى نثره : لم تَكْسه المنايا نسج شفارها حتى كَسَتْهُ الجنة نسج شعارها فَبُدِّلَ أَحمر ثوبه بأخضره، وكأس حمامه بكأس كَوثره .

وإذا انتهى بنا الكلام إلى همهنا فى التنبيه على نثر الشعر، وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه ، وما يعسُرُ ، فلنتبع ذلك بقولٍ كُلِّى فى هذا الباب فنقول :

من أحب أن يكون كاتباً ، أو كان عندَهُ طبعٌ مجيبٌ ، فعليه بحفظ. الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته .

وطريقه : أن يبتدى فيأخذ قصيداً من القصائد ، فينثره ببتاً بيتاً على التوالى .

ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأغلبها ، فإنه لا يستطيع إلا ذلك .

وإذا مَرِنت نفسه ، وتدرَّب خاطره ، ارتفع عن هذه الدرجة ، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضروباً من العبارات المختلفة ، وحينئذ يخصُلُ لخاطره بمباشرة المعانى لِقَاحٌ ، فيستنتج منها معانى غير تلك المعانى .

وسبيله: أَن يكثر الإِدمان ليلاً ونهاراً ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى تصير له ملكة ، فإذا كَنَبَ كِتاباً أَو خطب خطبة تدفَّقَتِ المعانى فى أَثناء كلامه وجاءت أَلفاظه معسولة ، وكان عليها جدة حتى تكاد ترقص رقصاً ، وهذا شيء خبرته بالتجربة ، ولا ينبئك مثل خبير .

التخلص والاقتضاب في مواضيع الانشياء

التخلص: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعانى، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخلاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، وذلك مما يدلُّ على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متَّبعاً للوزن والقافية، تُواتيه الألفاظ، على حسب إرادته.

وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضى حيث شاء ، فلذلك يشقُّ التخلُّصُّ على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر ، ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٤ ه :

خُلِيلًى الله إلى الله أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى ومنَّى القصائدُ فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ، ولكنَّ سيْف الدولة اليوم واحدٌ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ، ألا ترى أن الخروج إلى مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنه أُفرغ في قالب واحد ؟

والاقتضاب: أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول: كقول أبي نواس - المتوفى سنة ١٩٨ه - في قصيدته النُّونية التي لم يكمِّل حسنها بالتخلص من الغزل إلى المديح ، بل اقتضبه اقتضاباً ؛ فبينا هو يصف الخمر ويقول:

فاسِقنی كأساً على عذلِ كرِهت مسموعه أذنی من كُمَيْتٍ اللّون صافية خير ما سَلست في بدني ما استقرت في فؤاد فَتَى فَلَرى ما لوعة الحزن

حتى قال :

تَضحكُ الدنيا إلى مَلكِ قام بالآثار والسُّنَنِ سَنَّ للنَاسِ النَّدَى فندَوْا فكأَن البُخلَ لم يكُن وإذا لم يحسن التخلص، بأن كَان قبيحاً ممسوحاً فالاقتضابُ أولى منه.

فينبغى لسالك هذه الطريقة أن ينظر إلى ما يُصوعُه ، فإن أتاهُ التخلصُ حَسناً كما ينبغي ، وإلا فليدعه ولايستكرهْهُ ، حتى يكونَ مثلَ هذا .

واعلم أن التخلص غير ممكن في كل الأحوال ، وهو من مُستصعبات علم البيان فليتدبر الشاعر ذلك .

(عن «المثل السائر» بتصرف)

كيفية افتتاح مواضيع الانشياء وختامها

الافتتاحُ أن تجعل مَطلع الكلام من الشّعر أو الرسائل دالًا على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحاً ففتحاً ، وإن كان هنات فهنات ، أو كان عزاة فعزاة وهكذا. وفائدته أن يُعرف من مبدإ الكلام ما المراد منه ، فإذا نظم الشاعر قصيدة _ فإن كانت مديحاً صرفاً لا يَختص بحادثة من الحوادث ؛ فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل ، وبين أن يرتجل المديح أرتجالا من أولها _ كقول القائل :

إِن حارَتِ الأَلْبَابُ كيف تقولُ في ذا المَقَامِ فَعُذرُها مَقْبولُ سَامِحْ بِفَضْلكَ مادِحيك فما لهم أَبداً إِلى ما تستحق سبيلُ إِن كان لا يُرضيكَ إلا مُحسنُ فالمُحسنون إِذَنْ لديك قليلُ

وأما إذا كان القصيدُ في حادثة من الحوادثِ كفتح مُقَفْلَ ، أو هزيمة جيش أو غير ذلك ، فإنه لا ينبغي أن يُبدأ فيه بغزل ، ومن أدب هذا الثوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة المديح ما يُتطيرُ منه أو يُستقبحُ ، لاسيا إذا كان في التهاني

فإنه يكون أَشِدٌّ قبحاً ، وإنما يُسْتَعْمَلُ في الخطوب الذازلة ، والنوائب الحادثة ، ومتى كَان الكلامُ في المديح مفتتحاً بشيءٍ من ذلك ، تَطيُّر منه سامعه ، وإنما خُصَّت الابتداءات بالاختيار لأَنها أول ما يَطرُق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداءُ لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استعماله . والختامُ : أَن يكون الكلامُ مُؤْذناً بتمامه ، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى ، فلا ينتظُّرُ ﴿ السامع شيئًا بعده ؛ فعلى الشاعر والناثر أَن يتأَنَّقا فيه غاية التأنُّق ، ويُجوِّدا فيه مَا استطاعًا لأَنه آخر مَا ينتهي إِلَى السَّمَعِ، ويتردُّدُ صداهُ في الأَذن، ويعلَقُ بحواشي الذِّكْر فهو كَمَقْطع الشراب، يكون آخر ما يَمرُّ بالفَّم ، ويُعْرَضُ على الذُّوق ، فَيَشَعُرُ منه بما لا يَشْعُرُ من سِواهُ ، ولذلك ينسِغَى أَن يكون الختامُ مُميِّزاً عن سائر الكلام قبلَه بنكْتة لطيفةٍ أَو أُسلوبٍ رشيق أَو معنى بليغ ، ويُختار له من اللفظ. الرَّقيقُ الحاشيةِ ، الخفيفُ المحمل على السمع والسهلُ الوُّزُودِ على الطَّبع، ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثِّقَل ، وغير ذلك . وحُكُّم الختام كما سبق أَن يكون مُؤْذناً بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئاً بعدَهُ ، وإذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على الختام حَسُنَ أَن يُدَلُّ عليه بكلام آخِرَ ، يُذكر عَقِبَ الفراغ من سِياقه الأَغراض السابقة ، وحكمه أن يكون مُنتزعاً مما سبقه فيُقّني به تقريراً لشيءٍ من الأُغراض أَو إجمالاً لِمُفَصَّلها ، مُورداً على وجه من وجُوه البلاغة ، أو الكلام الجامع، أو مخرَج المثل ، أو الحكمة ، أو ما شا كل ذلك ، مما تعلقُهُ الخواطر وتُقيدهُ الأَذهان، كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٤ ه :

وَمَا أَخُصُّكَ فَى بُرْءِ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسَ قَدْسَلِمُوا وَكَقُولُ النَّاسِ قَدْسَلِمُوا وَكَقُولُ الزَمْخُشُرَى الْمُتُوفُ سَنَةً ٢٨٥ هِ فَى ختام إحدى مقالاته: «إِنَّ الطيشُ فَى الكلام يُترجِمُ عَن خِفَةِ الأَحلام، وما دَخَلَ الرِّفْقُ شَيئاً إِلا زَانَهُ، وما زَانَ المتكلم إلا الرَّزَانَةُ ».

وأما فى غير ذلك ، فالأكثرُ فيه يُضَمَّنُ غرضاً آخر من الدعاد ، أو عَرْضِ النفس على خدمة المكتوب إليه ، أو توقَّع الجوابِ منه ، أو غير ذلك ممَّا تحتَّمله مقاماتُ الكلام ، وتقتضيه دواعى الحال .

وأَكثر ما يختمونها في النشر بعد الأُغراض المذكورة بقولهم: « إِن شاءَ الله ﴿ اللهُ عَنَّ اللهُ وَفَضِله » وما أَشبه ذلك .

وكثيرا ما يختمُ النائر بقوله: «والسلام » أَو « بلَا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله » أَو بقوله: «واللهُ المستعان» أو بقوله: «والحمدُ لِلهِ أَوَّلاً وآخراً، عِلْمَنا وَظَاهِراً » أَو بقوله: «والله أَعلم » أَو غير ذلك.

ورُّمَا خُمْ بِمَثَل ، كَخِتَام الْخوارزْمِيِّ المتوفى سنة ٣٨٣ هرسالته بقوله : ولقد سلك الأَمير من الكرم طريقاً يستوحش فيها لِقلَّة سالكها ، ويتيه في قفارها للاروس آثارها ، وانهدام منازلها ، أعانه الله على صعوبة الطريق ، وقلَّة الرفيق ، وألهمهُ صبراً يُهوِّن عليه احمال المغَارِم ، ويقرب عليه مسافة المكارم . فبالصبر تنال العُلا ، وعند الصَّباح يُحْمَدُ القوم السّرَى » .

ومن أمثلَته في الشُّعر قُول ابن الوَرْدِي المتوفى سنة ٧٤٩ ه :

سَلامٌ عَلَيْكُم مَا أَحبٌ وِصَالِكُم وَعَايَةُ مَجْهُودِ المُقلِّ سَلَامً

تقسيم الانشياء الى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين : فن الشعر المنظوم ، وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة ، وفن النثر ، وهو الكلام غير الموزون . فأما الشعر فمنه المدح والهجاء ، والرثاء . وأما النَّثر فمنه ما يؤتى به قطعاً ويُلْتزم في كل كلمتين منه فافية واحدة ويسمى سَجْعاً . وهو ثلاثة أقسام : القسم الأول :

أَن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيد أُحدهما على الآخر ، مثل قوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر) وهو أشرف السجع منزلة اللاغتدال الذي ييه .

والقسم الثانى أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول ، طولاً لا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فإنه يقبح عند ذلك ويُسْتكره ، ويعد عيباً ، فمما جاء من ذلك قوله تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَمْن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ مَعيراً . إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وَزَفيراً . وإذا أَلْقُوا منها مكاناً ضَيقاً دَعَوْا هُيَالِكَ ثُبُورا)(١) ، فالفصل الأول ثمان لفظات ، والثانى والثالث تسع تسع ، ويستثنى من هذا القسم : ما كان من السجع على ثلاث فقر ، فإن الفقرتين الأوليين تحسبان في عدة واحدة ، ثم تأتى الثالثة فينبغى أن تكون طويلة طولا يزيد عليهما ، وقد تكون الثلاث متساويات ، كقوله تعالى : (في سِدْرٍ (٢) مَخْضُودٍ (٣) وَطَلْحٍ (٤) مَنْضُودٍ وَظِلِّ ممدُودٍ (٥)) .

والقسم الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، وهو عيب فاحش (٦). وأما النثر المرسل، فهو ما يؤتى به قطعاً من غير تقيد بقافية ولا غيرها وهو الذى يطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقطَّع أَجزاءً ، بل يُرْسَلُ إِرسالا من غير تقيد بقافية .

(من «المثل السائر» باختصار)

⁽١) ويلا . (٢) شجر النبق .

 ⁽٣)مقطوع شوكه .
 (٤) المتوز .

⁽٥) متراكم بعضه فوق بعض .

⁽٦) للسَجْع أربعة شروط: اختيار المفردات الفصيحة ،واختيارالتأليف الفصيح ، وكون الفظ تابعا المعنى لا عكسه ، وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقرة دالة على معنى لئلا يصبح الكلام طويلا معيبا.

كيفية عمل الشيعر

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً :

أولهما: الحفظ (١) من جنسه - أى من جنس شعر العرب - حتى تنشأ فى النفس ملكة يُنسج على منوالها ، ويُتخير المحفوظ من الحر الذي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكنى فيه شعر شاعر من فحول الإسلام ، مثل: عمر بن أبى ربيعة ، وكُثير ، وذى الرَّمَّة ، وجرير ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، والبُحْترى ، والشريف الرَّضى ، وأبى فراس ، وأكثره شعر «كتاب الأغانى» لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية .

ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظوم فيه ، باشهاله على مثل المياه والأزهار ، كما يستحسن استجادة المسموع ، لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور . ثم مع هذا كله ، فشرطه أن يكون على جمام (٢) ونشاط فذلك أجمع له ، وأنشط للقريحة أن تأتى بمثل ذلك المذوال الذي يساعد في حفظه ، قالوا : وخير الأوقات لذلك أوقات البُكر (٣) عند الهبوب من النوم ، وفراغ المعدة ، ونشاط الفكر ، وربما يكون من بواعثه العشق والإنشاء .

⁽۱) ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ـ ولا يعطيه الرونق والحلاوة الاكثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم اللهكة وترسخ ، وربما يقال : أن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، أذ هي صادرة عن استعمالها بعينها . فاذا نسبها ، وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسيج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة . قيها كأنه منوال يأخذ في النسيج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة .

قالوا: فإن استصعب عليه بعد ذلك ، فليتركه إلى وقت آخر ، ولا يُكّره نفييه عليه ، وليكن بناءُ البيت على القافية من أول صوغه ونسجه ، يضعها ويبني الكلام عليها إلى آخره ، لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صَعُبَ وضعها في محلها ، فريما تجيء نافرة قلقة . وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده ، فليتركه إلى موضعه الأليق به ، فإن كل بيت مستقل بنفسه ، ولم تبق إلا المناسبة ، فليتخير فيهاكمايشاء ، وليراجع شعره بعد الخلاص منه ، بالتنقيح (١) والنقد، ولا يضن (٢) به على التَّرك إِذالم يَبلغ الإِجادة ، فإِن الإِنسان مفتون بشعره ، إذ هو بنات فكره واختراع قريحته ، ولا يستعمل فيه إلا الأفصح من التراكيب. والخالص من الضرورات اللسَّانيَّة فليهجرها فإنهاتذرُّكُ بِالكلام عن طَبَقَة البلاغَّة وقد حظر أئمة اللسان على المولد(٣) ارتكاب الضَّرُورَة، إِذْ هُوَ فَي سُعَّة مُنْهُمْا بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى من الملكة ، ويجتنب أيضاً المقعد من التراكيب جهده ، بحيث تكون ألفاظه على طِبْقُ معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم، ويجتنب أيضاً الوحشي من الأَلفاظ. ، والمقصر ، وكذلك السوق المبتذل ، فإنَّه ينزُّك بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً ، فيصير مبتَّذَكًا ، ويقرب من عدم الإفادة ، . • - 988 وفي هذا القدر كفاية لمتعاطى صناعة الإنشاء .

(عن «ابن خلدون» باختصار) ا

A HART COME THE LAND COME CONTRACT COME TO SERVICE AND A SERVICE COME OF THE SERVICE AND A SERVICE COME OF THE SERVICE COME OF 经产品分别 暴力性 美国人名英西德 人名西西西 医克里氏

The wind is the property of th

وصاراً) بفتح الضاد وكشرها لا يبخل والمنافق على الضاد وكشرها لا يبخل والمنافق المنافق ا

ر٣) هو من وجد بعد أختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الأحنف ومن

فتون الأنشياء

فنون الإنشاء سبعة وهي : المُكاتباتُ ، والمُناظراتُ ، والأَمثالُ ، والأَوصافُ ، والمقاماتُ ، والرواياتُ ، والتاريخ

الفن الأول

فى المكاتبات والمراسلات

المكاتبة ، وتعرف أيضاً بالمراسلة ، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم ؛ وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها تُرْجمان الجنان ، وذائب الغائب في قضاء أوطاره (١) ، ورباط الوداد مع تباعد البلاد .

وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مُرَاعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما(٢) ؛ وخواصها خمس: السذَاجة، والجلاء، والإيجازُ، والملاءَمةُ، والطَّلاوَة (٣). فالسَّدَاجة: تجعل الكلام فطريًا سلياً من شوائب التكلف، منزَّهاً عن زخرف(٤) القول، بعيداً عن بَهْرَجَة (٥) الكلام. والمجلاءُ: هو العدول عن الكلام المغلق، والتشابيه الستبعدة، والتراكيب الملتبسة إلى الكلام المهَذَّب الصريح. والإيجازُ: تنقيحُ الرسالة من حشو الكلام، وتطويل الجمل، فيبرزها وافية الدلالة على المقصود، مقتصرة على المكلام، وتطويل الجمل، فيبرزها وافية الدلالة على المقصود، مقتصرة على

⁽۱) الحاجات . (۲) قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : اذا احتجت الى مخاطبة اعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلو مكالته وانتباهه وفطنته . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك . فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ باله ووفر ماله . وقال آخر : ان بلاغية ألرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام واوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة الى المتكلم واعام أن لكل مقام مقالا .

⁽٣) بتثليث الطاء . (٤) مزوره . (٥) العدول عن الجادة القصيودة .

المُحَسَّنات القريبة المنال(١). والملاءمة: تنزل الألفاظ والمعانى على قدر الكاتب والمكتوب إليه، فلا تُعْطِى خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، على أنها تجعل الرسالة وتعابيرها مُسْتعذبة الأوضاع، حسنة الارتباط، يأخُذُ بعضها بأزِمَّة بعض. والطلاوة: تكسو الكلام رونقاً وإشرافاً بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الألفاظ (٢). وتجعله بذلك أحسن موقعاً عندسامعه.

أبواب الرسائل

تنقسم الرسائلُ باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام: الأول الرسائل الأهلية والثانى الرسائل المتداولة ، والثالث الرسائل العلمية

الكلام على الرسائل الأهلية

الرسائلُ الأهلية - وتُعْرَفُ برسائل الأشواق - هي ما دارت بين الأقارب والأصدة الله ، وأسفرت (٣) عن مَكْنُون (٤) الوداد ، وسرائر الفؤاد ، ولا حَرَجَ على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على سجيته ، وأخنى السؤال في أحوال أصحابه . وتنفرد هذه الرسائل بأن يُطلق الكاتب فيها العنان للقلم ، ويتجافى عن الكلفة ويعدل عن الانقباض . وقد قيل : «الأنسُ يُذْهِبُ المهابة ، والانقباض يُضَيِّعُ المَسَودة » . هذا ولا بد من مراعاة مقتضى الحال ، والاعتصام بركن الفطنة أخذا بقول أبى الأسود الدُّولى :

لَا تُرْسِلَنَّ رِسَالَة مشهورَةً لا تستطيعُ إِذَا مَضَتْ إِدِراكِها

⁽۱) ولا يعد مناقضا للايجاز ما يستدعيه المقام من البسلط في الموضوع: أما تعزيزا للمعنى واما حدرا من الابهام ، أو دلالة على عدواطف القلب ، أو رغبة في تفكيه الخواطر . قال الاقدمون: « خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل » .

⁽٢) سهولتها . (٣) کشف .

⁽٤) مستور .

وإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الشوق، والتَّعارف قبل اللِّقاء، والهدايان، والاستعطاف، والاعتذار وغير ذلك ولنذكر شذرات من أقوال الكُتَّاب (١): الله

الفصل الأول: في الشــوق

كَتَبَ أَبُو مِنصور الثعالمي النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٩ هـ:

شوق إليك رهين قلبي ، وقرين صَدْري ، والزعم (٢) بتعليق فكرى ، وتفریق صبری ، وسمیر کزگری ، وندیم فَکری ؛ زادی فی سفری ، وعِتَادِی (۳) في حَضَرى، لا يستقلُّ به صدري ولا يقوى عليه صبرى، يكاد يُكُونُ لزاماً ويعدُّ غراماً ، لا يرحل مقيمه ، ولا يُصرف غرمه . استخفُّ نفسي واستفزُّها ، وحرَّك جوانحي وهزُّها . شوقي أخذ بسمع خاطري وبصرة ، وحال بين مورد(٤) قلي ومصدره (٥) شوق قد استنفد جَلَدِي (٦) وملك خَلَدى (٧) . شُوق براق بري الخلال (٨) ، ومحقني مَحْق الهلال . شوق تركني حَرَضاً (١) وأوسعني مضضاً (١٠) أراني الصبر حسرة ، والوجد عنة ويشرة ، شوق يزيد الأيام (١١) توقها وتا جُنجا وتضرماً وتوهجاً . نار الشوق حشو ضلوعي ، ومائه الصَّبابة على حُجُفوني . أنا من لواعج الشوق بين غمائم، لا تمطر إلا صواعق وسمائم (١٢). قد قرحت كبدى من الحرقة بهذه الفرقة ، ما يفوت أيسره حد الشكاية ، ويُجوز أضعفه كُنَّهُ الكتابة . شوق الروض الماحل(١٣) إلى الغيث الهاطل . ﴿ مُنْ مُنْ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

⁽١) قد أفردنا للرسائل الأهلية كتابا خاصاً أسميناه (انشاء الكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية ، فارجع اليه اذل شئت ٤ ولهذا نختصر في هذا الكتاب أبواب الرسكائل ونذكر ما تمس الله الحاحة فقط . (٢) الرئيس .

⁽٥) الرحوع (٣) مَا أَعَدَدُتُهُ لَحُوادُثُ الدُّهُرِ (٤) مُوضَعَ الورودُ (٦) القوة . (٧) القلب (A) الضعف (٩) مريضا (١) وجعا .

⁽۱۳) المحدب. (١١) بضم الهمزة وكسرها الدخان (١٢) الرباح الحارة

و كتب في تشبيه الشوق:

ما الأعرابية حَنَّتْ إلى نجد ، وأنَّتْ من وَجْد ، بأَشدَّ منى كلفاً (١) ، وأتم منى شغفاً ؛ أَنا في شدة الشوق إليك كالعطشان كُشِف له عن ماء عذب ، ومُنع منه بمانع ؛ شوق لو فُرِّق على القلوب الخالية لاشتغلت ، ولو قُسِّم على الأحْبَادِ الباردة لاشتغلت ؛ أنا أشتاقك مع كل صباح طالع ، وضياء شارق ، ونجم طارق (٢) .

وفي أثر الفراق:

وَجْدُ يتكرر على كُرِّ الجديدين (٣) ، ويستغرق ساعات المَلَويْنِ (٤) قد تحمات مع يسير الفُرْق عظيم الحرقة ، ومع قليل البُعْلِ كَثير الوجد ؛ قد انشنيت بجسم ناحل وصِرْتُ من صبرى على مراحل ، فأرَّقَرْني (٥) وفرَّقت جميع صبرى ، واستصحبت فريقاً من قلبى؛ فرقت بين عينى والرُّقَاد (٦) وجنبى والمهاد (٧) ، ما أُعوِّلُ إلا على العَوِيل (٨) لو كان يُنْنى ، ولا أستنصر غير الوجد لو كان يُجْدِي (٩) يدى لا تُسَاعِدُنى ، وخطِّى لا يُشْبِهُ فى الدِّقَة إلا بدنى ، لولا حصانة (١٠) يُجْدِي (٩) يدى لا تُساعِدُنى ، وخطِّى لا يُشْبِهُ فى الدِّقة الله بدنى ، لولا حصانة (١٠) الأَجل لخرجت روحى على عجل ؛ فارقتنى فتفرَّق عنى شمل أنس منتظم ، وتمكَّن منى بَرَح شوق مضطرم ؛ فارقتنى فَنَرَّقتَ بين الرُّوح والبدن ، وتركّنى والنزاع فى قرن (١١) ؛ قد صرت حليف وحشة وإن كُنتُ تُادِياً (١٢) فى وطن ، وقرين كُرْبة وإن كنتُ بين جيرةٍ وسَكن :

عيني الدهرُ يُدُنينا ويُدُنى دِياركمُ ويجمعُ ما بيني وبينكُمُو الشملا

⁽۱) كلفا مصدر كلف من باب فرح: التغير (٢) الآتى ليلا (٣) الليل والنهار أيضا (٥) أسهرتنى (٦) النوم (٧) مكان النوم (٨) رفع الصوت بالبكاء (٩) ينفع (١٠) حفظ وهو مصدر (١) قرن وقرن من باب فرح التقى (١٢) مقيما .

فَأَشَكُو تباريحَ الغرام إليكُمُو وحَرَّ جوى يُبْلِي عظامي وما يَبْلَي وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ ه:

قلبى بِنَارِ الهوى مُعَذَّب شوقاً إلى حضرةِ المُهَذَبُ شوقاً إلى ماجدٍ كَريم يخطُرُ لى ذِكْرُهُ فأَطْرَبُ

وبعدُ ، فالعبدُ ينهى من لواقح (٢) شوقه ، ولَوَافح (٢) تَوْقِه (٣) إِلَى شهود ذاتكم الجميلة ، ومشاهدة صفاتكم الجليلة ، لِيَنْشَق عَرْفُكُم (٤) الفائح ، وبخورَ عُرْفكم (٥) الفاتح ، مدَّ اللهُ _ سبحانه وتعالى ! _ ظلكم ، وأَدَرَّ وبلكم (٦) وطلكم (٧) .

أُحِبُ الوعدَ منك وإن تمادى وأقنعُ بالخيالِ إذا أَلَمَّا عسى الأَيامُ تسْمَحُ لى بِوَصْل وتأخُذُ لى مِنَ الهِجْرَانِ سِلْما والجنابُ منذُ طوى عنا أبواب مُلاقاته ، وزوى منا أطايبَ أوقاته ، قبض العبدُ عنان مقاله وخفض لسان حاله :

شكُوْتُ وما الشكْوَى بمثلىَ عادةٌ ولكن تفيض العين عند امتلائها فجلس الفراق بعظيم حجابه وأليم عذابه ، على ذروة(٨) عَرْشه ، وافترس بقوة بطشه ، وصار للسرّ جاراً ، وأوقد للحرب ناراً جهاراً :

طوعاً لقاضٍ أنى فى حكمه عجباً أَفتى بِسَفْكِ دمى فى الْحِلِّ والْحَرَم وهذه حالته المفصح عنها مقالته :

إِنَّ الْأُمور إِذَا التَوَتُّ وتعقدت جاء القضاء من الكريم فَحَلُّها

⁽۱) الرياح · (۲) الرياح الحارة · (۳) الشوق الطبب ·

⁽٤) الربح الطيبة . (٥) نبت يقال له التمام طيب الرائحة .

⁽٦) المطر الكثير . (٧) الندي .

⁽٨) بضم الذال وكسرها أعلاه .

فلعلَّ يُسْرًا بَعد عُسْرٍ علَّها ولعلَّ مَنْ عَقَدَ العقودَ يحلَّها فلعلَّ غروس التَّمَنِّي قد أَمْرَتْ ، وليالي الحظِّ قد أَقمرتْ: سألتُ أَحِبَّتي ما كان ذنبي أجابوني وأحشائي تَذُوبُ سألتُ أَحِبَّت قليل حظِّ فَمَا حَسَنَاتُه إلا ذُنُوبُ فَمَا حَسَنَاتُه إلا ذُنُوبُ فَمَا حَسَنَاتُه إلا ذُنُوبُ فَمَا حَسَنَاتُه اللهُ أَياماً لاحت(١) فيها أَقْمَارُ غُرُوزها(٢) ، وفاحت فيها أطراز طروزها ، من بها على منار ضيائها ، من ذات جلالها ، وصفات دلالها ، في جنَّاتِ عواطفها وجنَّاتِ تعاطفها .

فإِن كُنتُ لا أَطْرُقُ (٣) رَحْبَ (٤) فِنَائِكُم (٥) ، فقد أَطرقُ بابَ ثنائكم : لئن غيَّبتني عن فُناك بغائِب لئن غيَّبتني عن فُناك بغائِب وكتب عبد الرحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٩٣١ ه:

کنت _ أَعَزَّكُ الله _ عن ضمير انْدَمَج (٦) على سِرِّ اعتقادكُ دُرَّه ، وتبلج (٧). في أَفق ودادك بَدْرُه ، وسالَ عَلَى صَفحات ثنائك مسكه ، وصار في راحتي شنائك (٨) ملكه . ولما ظفرت بفلان حَمَّلته من تحيتي زهرًا جنيًا ، يُوَافيك عَرْفُهُ ذَكيًّا ، ويُوَاليك أُنسُهُ نجيًّا (٩) ، ويقضي من حقِّك فرضاً مأْتيًّا (١٠) على أَن شخص جلالك لى ماثلٌ (١١) ، وبين ضلوعي نازلٌ ، لا يمله خاطر ، ولا يمسه عرض دائر (١٦) ، إن شاء الله عز وجلّ .

وكتب أبو الفضل بن العَميد المتوفى سنة ٣٦٠ه: قد قَرُبَ _ أَيدكَ الله _ مَحَلُّكَ على تراخيه ، وَتَصَاقَبَ مُسْتَقَرُّكَ على تنائيه ،

⁽۱) ظهرت (۲) مراده ماتخرجه الأغصان من النوار (۳) آتى ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفى واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١١) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك (٤ ـ جواهر الادب ج٠١)

لأَن الشوقَ بمثلك ، والذكر يُخَيِّلك ، فنحنُ في الظاهر على أِفتراق ، وفي الباطن على متواصلون ، ولئن الباطن على تلاق ، وفي النِّسبة مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تفارقت الأَشباح لقد تعانقت الأَرواحُ .

ويكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفي سنة ٣٩٨ ه :

يعزَّ علىَّ - أطال الله بقاء مولاى - أن يَنُوبَ فى خدمته قلمى عن قَدَى وَيَسْعَد برؤيته رسولى دون وُصُولى ، وَيَرِدَ مشرعة الأُنس به كتابى قبل ركانى ولكن: ما الحيلة والعوائق جمة!!

وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح وليس على المنطان ، ولكن شغفًا وقد حضرت داره وقباً ولكن شعفًا بالقُطّان ، ولا عشق الجدران ولكن شوقاً إلى السكان :

أُمرٌ على الديار ديار سَلمى أُقبِّلُ ذا الجدار وذا الجدارا والمحدار وأمرٌ على الديار شَغَفْنَ قلبى ولكن حُبُّ من سَكَنَ الديار وحين عدت العوادى عنه ، أمليت ضمير الشوق على لسان القلم ، معتذر الموق على لسان القلم ، معتذر الموق على الحقيقة عن تقصير وقع ، وفُتُور في الخدمة عَرَض ، ولكني أقول:
إلى مولاى على الحقيقة عن تقصير وقع ، وفُتُور في الخدمة عَرَض ، ولكني أقول:

وكتب أَبُو محمد عبد الله البَطْلَيُوسيُّ المتوفى سنة ١٢٧هـ:

يا سيدى الأعلى ، وعمادى الأسنى ، وحسنة الدهر الحسنى ، الذي الحل قدره وسار مسير الشمس ذكره ، ومن أطال الله بقاءه ، لفضل يُعلى منارُهُ ، وعلم يُحيى آثاره . نحن _ أعزّك الله _ نَتكانى إخلاصاً وإن تناعيذا أشخاصاً ، ويجمعنا الأدبُ ، وإن فرّقنا النسب ، فالأشكال أقاربُ ، والآدابُ مناسِب ، فالأرواح :

انسيبي في رأيي وعلمي ومذهبي ﴿ وَإِنْ بِاعِدَتِنَا فِي الْأُصُولُ المُناسِبُ ۗ

وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفي سنة ٣٩٨ ه:

أَرانَى أَذَكُرُ « مولاى » إِذا طلَعت الشمس ، أو هبت الرِّيح ، أو نَجَمَ النَّجم ، أو لمع البرق ، أو عَرَضَ الغيث ، أو ذُكِرَ اللَّيثُ ، أو ضحك الرَّوْضُ ، وأَنَّى (١) للشمس مُعْيَاه (٢) ، وللرِّيح ريّاه (٣) ، وللنجم حُلاه وعُلاه ، وللبرق سناؤه (٤) وسناه (٥) ، وللغيث نِدَاه (٦) ونَدَاه (٧) ، وفي كلِّ صالحة ذكراه ، وفي كلِّ حادثة أراه ، فمتى أنساه ؟ وَاشِدَّة شوقاه ! عسى الله أن يجمعني وإيّاه .

وكتبُ الشيخ إِبْرَاهيم اليّازجي المتوفّى سنة ١٣٢٤ ه :

مازلت أدافع النفس عما تتقاضاني من شكوى أشواقها ، وفي الشكوى شفاء ، واستنزال أثر من لدنك تتعلل به مسافة البين(٨) ، إلى أن يمن الله باللّقاء ، ومن دون إجابتها مشادة(٩) قد شغلت الذرع(١٠) ، وشواغل قد أفرع من دونها الوسع ؛ إلى أن غلب جيش الوجد على معاقل الصَّبر ، وزاحم مناكب الْعَدُواء حتى ضَرَب أطنابه (١١) بين الحجاب (١٢) والصّدر ، فاتخذت هذه الرّقعة أزجيها (١٣) إليك ، وفيها من وقر(١٤) الشوق ما ينوء (١٥) برسولها ، ومن رقّة الصبابة ما يكاد يطير بها ، أو يخلفها فيصافح الأعتاب قبل وصولها راجيًا لها أن تُتَلَقَى بما عُهِدَ في سيدى من الطلاقة والبشر ، وأن لا يضِن (١٦) عليها بما عودني من تمهيد العذر ، ويَصِلني من بعدها بأنبائه (١٧) الطيّبة ، عائدة عنه بما يكون للناظر قرّة ، وللخاطر مَسَرّة . إن شاء الله تعالى بمنّه وكرمه .

⁽۱) أي من أين (۲) وجهه (۳) رائحة طيبة (٤) الرفعة (٥) بالقصر الضوء ٦) بضم النون وكسرها أشهر الصوت (٧) العطاء

⁽ ٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشبد به سرادق

البيب . (۱۲) لحمة رقيقة بين الجنبين (۱۳) ارفعها (۱۶) بكسر الواو الحمل الثقيل . (۱۵) بثقل به ي (۱۲) أي لايبخل (۱۷) أخباره .

وكتب أيضاً:

وافانى كتابُك العزيز - فأهلاً بأكرم رسول: جاء ببينات الإخلاص والوفاء، مصدقاً لما بين يديه من ذِمَّة الوداد والإخاء، يتلو على من حديث الشَّوق، ما شهد بصحته سقمى، وهتف مؤذّنه فى مِفْصَل من جسمى، ويذكّرنى من عهدك، ما طالما أذكرنيه البرق إذا لمع ، والبدر إذا طلع ، والقمرى (١) إذا سجع ، إنما عدانى عنك: ما أنا فيه من مُجَاذبة الشواغل، ومساورة (٢) البلابل (٣):

وفى القلب مافى القلب من شَجَن الهوى تَبَدَّلت الحالاتُ وهو مُقيمُ وأنا – على ما بى من غلِّ البنان(٤) ، وشُغل الجَنَان(٥) – ما زالت أنباؤك(٦) عندى ، لا يخطئنى بريدها ، ولا يَنْقَطِعُ عَنِّى وُرُّودها ، أُهنى النَّفَسَ منها بما تتمنَّى لك من سلامة لا يرثُّ(٧) لها شعارٌ ، وإقبال لا يعترضُهُ بإذن الله إدبارٌ .

وقُصَارى المأمول فى كرمك : أَن تُعَامِلَنَى بَمَا سَبَقَ لَكَ مَن جَمَيْلُ الصَّلَة ، إِلَى أَن يَمَّ اللهِ بعزيزٍ . إِلَى أَن يَمَّ اللهِ بالاجتماع ، ويُغْنَى بالعيان عن السماع ، وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ . وكتب أَبُو العباس الغَسَّانى المتوفى سنة ٤٩٨ ه :

سِرْ إِلَى مجلسِ يَكَادُ يسيرُ شُوقاً ، ويطيرُ بأَجنحةٍ مِنْ جواء حتى يحلّ بين يديك ، فلله دَرُّ (٨) كماله : إِنْ طلعت بدرًا بأَعلاه ، وجماله : إِنْ ظهرت غُرَّةً بمُحْياه ؛ فهو أُفُقُ قد حوى نجوماً نَتَشَوّقُ إِلَى طلوع بُدُورِها ، فهو قَطْرٌ قد اشتمل عَلَى أَبْهارٍ يَتَشَوّقُ إِلَى بحرها ، لنستمِد منها _ إِنْ مننت بالحضور ، وإلا فياخيبة السرور .

⁽١) طير من جنس الحمام يقال لأنثاه قمرية ، وللذكر ساق احمر ,

⁽٢) ملابسة (٣) الاحزان (٤) الاصابع (٥) القلب

⁽٦) أخبادك (٧) لايبلى (٨) كلمة تعجب

وكتب الصاحب إسهاعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ :

مجلِسُنا ياسيدى مُفتقر إليك ، معول في شوقه عليك ، ولقد توردت خُدود بنفسجه ، وفتقت فَارة (١) نارنجه (٢) ، وانطلقت ألسن الأوتار ، وقامت خطباء الأطيار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت (٣) سوق الأنس والأفراح . وقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تَتَنَاوَلها عناك ، وأقسم غناؤه لا طيب حتى تعيه أذناك ، ووجنات أترجه قد احمرت خجلاً لإبطائك ، وعيون نرجسه قد حدقت (٤) تأميلاً للقائك ، ونحن لغيبتك كعقد ذَهَبَت واسطته (٥) ، وشباب قد أخذت جدّته (٦) ، وإذا غابت شمس الساء عنا ، فلا أن تدنو شمس الأرض منا . فإن رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ، ونحصل بك في جنّة الْخُلد . فكن إلينا أشرع من السّهم في ممرة ، والماء إلى مقرة ، والماء إلى

وكتب أبو بكر الْخُوَارزمي المتوفي سنة ٣٨٣ ه :

كتابى: وأنّا بما يَبْلُغنى من صالح أخبار «السيد» مُغتبطُ مسرورٌ، وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتضادى (٧) به مصون موفور، والله على الأولى محمودٌ، وعلى الأخرى مشكور؛ التّطفل وإن كان محظورًا فى غير مواطنه، فإنه مباحٌ فى أماكنه وهو وإن كان فى بعض الأحوال يجمع عارًا وَوزْرًا، فإنه فى بعضها يجمع غمرًا وذخرًا، وربّ فعل يصاب به وقته فيكون سُنّة ، وهو فى غير وقته بدعة ، فقد تطفلت على «السيد» بهذه الأحرف، أخطب بها مودّته إليه، وأعرض فيها مودّتى عليه وأساله أن يرسم لى فى لسانى وقلبى رَسْمًا، ويختم عليهما ختماً.

⁽۱) فجآت المسك (۲) تمر معرب باريك (۳) راجت

⁽٤) تاقت (٥) الجوهرة التي في وسطه وهي أجوده

⁽٦) الطريقة (٧) استعانتي

فقد جعاتُهما باسمه وقصرتُهما على حكمه ، وسأضعهما تحت خَتْمه ، وبرئت إليه منهما ، وصِرْتُ وكيله فيهما ، فَهُمَا على غيره حمى (١) لايُقْرَبُ ، وبحيرةٌ (٢) لا تحلبُ ولا تركب . ولما نظرتُ إلى آثار السيد على الأحرار ، ونُشِرَتُ طرازُ محاسنه من أيدى القاصدين والزُّوَّار ، ورأيتُ نفسى غُفْلاً (٣) من سِمة (٤) مودّته ، وعُطلاً (٥) من جمال عشرته حَمَيْتُها من أن يحمى عليها وردُّ مورود ، ويحسر (٦) عنها ظلُّ على الجميع ممدود ، وعجبتُ من : سحابُ خطانى جُودُه (٧) وهوصَيِّبُ (٨) وبحرُ عدانى سيلهُ وهو مُفْعَمُ (٩) وبدرُ أضاءَ الأرض شرقاً وغرباً وموضعُ رجلى منهُ أسودُ مُظلم وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى ١٣٣٦ ه :

مولای: أمّّا الشّوق إلى رويتك فشديدٌ. وسلْ فؤادك عن صديق حميم (١٠) وَدّ صميم (١١) وخلة لايزيد هاتعاقب الملوين (١٢) وَتَأَلُّق (١٣) النيرين (١٤) إلا وُثُوقاً في العرى ، وإحكاماً في البناء ، ونماء في الغراس وتشييدًا في الدّعائم (١٠) ولايظنن سيدي أن عدم از دياري (١٦) ساحته الشريفة واجتلائي طلعته المنيفة لتقاعس (١٧) أو تقصير ؛ فإن كي في ذلك معذرة اقتضت التأخير . والسيد (أطال الله بقاءه) أجدر (١٨) مَن قَبِل مُعذرة صديقه وأغضى عن ريث (١٩) استدعته الضرورة .

(وبعدُ) فرجائى من مقامكم السَّامى أن لا تكون معذرتى هذه عائقًا لكم عن زيارتى، فَلَكُمْ مِننًا طَوَّقتمونيها ولكم فيها فضلُ البداءة! وعلىَّ دوامُ الشكران . والسلام .

⁽۱) محظور (۲) الشاق التي إذا نتجت عشرة أبطن شقوا أذنها فكانت حراما لحمها ولبنها وركوبها (۳) من علامة عليها (٤) العلامة (٥) من لاحلى عليها

⁽٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) الممتلىء (٦) القريب الذي يَهتم لامرة (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشميس والقمل (١٥) الأركان (١٣) اللمعان (١٤) التأخير (١٨) أحق (١٩) البطء (١٦)

وكتب المرجوم محمد بك دياب المتوفي سنة ٣٣٩هـ:

كتابى إليك: وقد طال بى الانتظار ، وشوقى يجلُّ عن الكيف والانحصار فشخصك دائم المنول(۱) أمام إنسانى (۲) ، وعن سواك من الأخِلاء ألهانى وأنسانى . فله أيام قضيناها ، وليال من الدهر اختلسهاها (۳) ، كان السرور فيها ضارباً خيامه ، والأنس ناشرًا أعلامه طوى بسلطها ، وكأن الأمر ما كان غير أنها زرَعَت بفؤادى شجرة الأشجان(٤) ، لكن عودها حليف أوبتك (٥) عير أنها زرَعَت بفؤادى شجرة الأشجان(٤) ، لكن عودها حليف أوبتك (٥) وتجد دها رهين إشارتك . فمنى يقرب المزار ، وتنجلى سحب الأكدار ؟ فاضرب لعودك أجلاً ، فالعود لا شك أحمد ، واكتب بقربك وصلاً فالوصل فاضرب للعهد ، وعهدى من خُلقك الوفاء ، وحسن الولاء ، فلا تجعل صفقة (١) شوق إليك خُسراً ، بل هبنى بعد العسر يسراً .

وكتب وفاء أفندى محمد المتوفي سنة ١٣١٩ ه :

أما بعد سلامى عليك ، فهذا كتابى إليك ، يُنبئُك (٧) عنّى وعن شوق وعن وعن وعن شوق وعن وُدِّى . ولا أزيدك علما أنى ما كتبته من دواة ، ولا أجريت عليه قلما ، ولكنها دُموع وشوق سالت على القرطاس ، وجرَت على حركات الخواطر والأنفاس وَهَبَّت عليه حرارة كبدى بالأشواق ، ووجدى بالفراق ؛ فبينا هى عقيقة حمراء ، إذ صارت فحمة سوداء ! ألا وإن كتابى هو قلبى ولسانى . أمَا تراه على رقّته ، ولُطف عبارته ، وصدق طويّته ، بين يديك مُقبلاً عليك ؟ ينشره الشوق ويطويه لا يُخفى عليك أمراً ولايكم عنك سِراً ، وتلك صفات ينشره الشوق ويطويه لا يُخفى عليك أمراً ولايكم عنك سِراً ، وتلك صفات لسانى وقلبى معك . فما الذي ابتغيته بعد ؟ ! وقد بعثت إليك بالأصغرين (٨)

⁽۱) القيام منتصبا (۲) انسان عبنى وهو ما يرى في السواد .

⁽٣) انتهز فرصتها (٤) الاحزان (٥) رجوعك (٦) أصلها

لعقد البيع (٧) يخبرك (٨) ألقلب واللسان ٠

وما أنا إِلَّا بهذين! نعم أرجو بقاك ، ثمتعاً بنعماك ، لأَكونَ على الدَّوام محلَّ نظرك . والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكُذاب:

كتابى لديك ، يصف شوق إليك ، ولا يخبى عليك ، فمل فارقتنى فرقت بين أنسى ونفسى ، بل بين رُوحى وجسمى . ولا تعجَب إذا كنت أغدو وأرُوح فالطير عشى من الألم وهو مذبوج ، وإنى أشكو إليك من ألم الوحشة غراماً لا يشعر به إلا من ذاق أنسك وعرف مقدار نفسك وشاهد جمال لُطفِك ، ورأى كمال أدبك وظرفك . ولقد أوْدع الله في شخصك نورًا لعينى ، وفي حديثك سُرورًا لفؤادى ، وفي صفاتك ترويحاً لرُوحى ، وفي كرم خُلُقِك تفريحاً لنفسى :

وإذا وَصف الناسُ أَشواقَهُمُ فَشُوق لوجهك لا يوصفُ فعندى لك منَ المحبةِ والشَّوق ، والتَّلَهُّفِ والتوق ، مالا يَصفه الواصفون ولا يُعبَّر عن حقيقتِه العارفون :

الشوق فوق الذى أَشكو إليك وهل تَخنى عليك صباباتى وأشواق ؟! فياشؤق إلى لُقْياك ! ووالهنى على جَمال مُحيَّاك ! قَيَّدْت أملى عنَ سِواك وبهرت ناظرى بنظرة سناك ، وكسرت جيش قرارى ، وتركتنى لا أفرِّق بين ليلى ونهارى :

فؤادى والهَوَى سِلْمٌ وحرب وسُلوانى أَقامَ على الحِيادَه وشوق كامِلٌ ما فيهِ نقصٌ فَلَسْت عليْهِ أَطمع في الزيادَه

فليت شِعرى ، ماذا أصنع فى شوْقٍ أنا مدفوعٌ إليه من صادقِ حبى ، بعواملَ صادفَتْ منّى قلباً خالياً ، فتمكّنت بالتّعارف ، ولم تدّع للسلوان سبيلا ؟ عرَفتُ هواه قَبلَ أَنْ أَعرَفَ الهوى فصادَفَ قلباً خالياً فتمكّنا

إِى وربى ، إِن شُوقى إِلَيك شُوقُ الظُمآنَ إِلَى بَرْدُ الشَّرَابِ ، وَحَنْيَى لَكُ حَنْيَنُ الشَّيْخِ إِلَى زَمْنِ الشَّبَابِ ؛ فَمَا الإِبِلُ وَقَدَ حَنِّتَ إِلَى أَعْطَابُهَا ، والغرباءُ وقد أنَّت إِلَى أَوطَانُهَا ، بِأَعْدَمَ مَنِّى حَنْيَنًا ، ولا أَكثر أَنْيِنًا .

ولكنَّ التَّفرُّق طال حتَّى توقد فى الضَّلوع لهُ حريق فكلما تخطرُ ببالى ، فى أى وقتٍ من الأَوقات ، يمثِّلُ لى التذكرُ منك محاسنَ ولطائفَ ، تجذبنى مَيلاً إليك ، وتُطربنى شغفًا واغتباطاً بإخائك ، فلا عجب أن كان شوِّف لرُويتك عظيمًا ، لأَنه كما قيل «من كَرِم الرَّجل حنينهُ إلى أَوطانه ، وشوقُه إلى إخوانه » :

يا خلاص الأسير ياصِحَّة المُد نف يا زَوْرَةً على غيرِ وعدِ يا نَجاة الغَريقِ يا فرْحَة الأَو بَة ياقفْلةً أَتَتْ بَعد بُعد إِرْض عنَّى فَدَتْكَ نفسى إِنى لك عبد أَذَلُّ من كلِّ عبد ناشدتُك الله أَن ترفُق بحالى ، وتعيدَ وصالى ؛ وارْع الودَّ القديم ، وأبدل شقاء محبّك بالنعيم ؛ وأغمد سيف ظُلمات القطيعة المسلول ، وأوف بالعَهْدِ إِنَّ العهد كان مسئولا .

الفصل الثاني: في التعارف قبل اللقاء

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٩ ه:

نحن فى الظَّاهرِ على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، نحن نتَناجَى بالضائر ونتخاطبُ بالسرائر ، إذا حَصَلَ القُرْبُ بالإِخلاص ، لم يُضر البُعد بالأَشخاص ، أنا أُناجيك بخواطرِ قلبى ، وإن كان قد غاب شخصُك عنى ، إن أخطأتك يدى بالمكاتبة ، ناجاك سرِّى بالمواصلة ، رُبِّ غائب بشخصه حاضرٌ

بخلوص نفسه إن تراخى اللقاء ، فإنّنا نتلاقى على البعاد ، وتتلاقى (١) نظر العين بالفؤاد .

وكتب أيضاً :

أَنا أَشَاقك كما تُشتاقُ الجنان ، وإِن لم تتقدّم لها العينان ، أنا وإِن كم تتقدّم لها العينان ، أنا وإِن كمنت مِمّنْ لا يَسعدُ بلقائك ، فقد اشتَمل على الأُنسُ ببقائك ، والشوق إلى محاسنك التي سارت أخبارها ، ولاحت آثارُها . لازالت الأَيَّام تكشف لى من فضلك ، والأخبار تعرض على من عقلك ، ما يشوِّقني إليك ، وإِن لم أَرك ، ويزيدني رغبةً في ودّك وقد سمعتُ خبرك .

وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ ه :

كما أن شَغف (٢) الْجَنَانِ (٣) بالحسنِ والإحسان ، تكونُ داعيتُهُ المشاهدة وتسريح الأَنظار ، في مُحيَّا الكمال ، ومُجتلى الجمال ، فَترى العينُ من تلك الغرّة ، ما يملؤها قِرَّة ، فكذلك السماع يَستدعى هذا الشَّغف ، فيتأثرُ الفؤادُ عالمَن في يُشتدعى هذا الشَّغف ، فيتأثرُ الفؤادُ عالى يُشَنِّفُ (٤) الأُذنَ ، مما تهديه إليه طرائف (٥) الأَحبار ، حتى كأن حاستى السَّمع والبصر في ذلك صِنوان (٦) ، بل أَخَوانِ في هيكل هذا الجثمانِ (٧) .

وقد يعلمُ السيدُ (أطال اللهُ بقاءَه وأدام ارتقاءَهُ) أن ذلك الأَمرَ (أَى الشّغَف بالسَّماع) ليس بالحديث العهد ، والقريب الجدة (٨) ، بل هو أمرُ عُرِفَ قديمًا أن يهدى السَّماع إلى شُويْداءِ القلب لاعجَ (٩) الحب سَعْرَهُ (١٠) من الأُنباءِ (١١) عَرْف (١٢) شميم (١٣) فتهيمُ (١٤) بمجرد استنشاق ذلك الشَّميم (١٥) حتى يقول الشّاعرُ العركى : * والأُذنُ تعشقُ قبل العَيْن أَحياناً *

⁽۱) تتدارك (۲) دخول الحب في غلاف القلب (۳) القلب (۶) يزين (۵) المستملحة (۲) هما فرع النخلة (۷) بالثاء والسين الجسم . (۸) الخطوة (۹) المتردد (۱۰) أوقده (۱۱) الأخبار

⁽۱۲) الربح الطيبة (۱۳) مشموم (۱۱) تذهب (۱۵) المرتفع (۱۲) الربع الطيبة (۱۳) مشموم (۱۱) المرتفع

أَجَلُ ! (١) والقُدْرَة في هذا المعنى ، والأُسُّ(٢) لذلك المَبْنَى ، قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنِي لأَشَمُّ نفسَ (٣) الرَّحمن مِنْ قِبَلِ اليمن » لما أَمْلَته العناية الرَّبَانِيَّة ، والملكُ الرَّوحاني ، على قلبه الشَّرِيف من نبأ (٤) القرني (٥) أويس (٦) ولم يكن رآه بعد .

ألا وإن محاسن السّيد الأّجل ، لمّا سارت بها الركبان ، وأثنى عليها كلّ لسان مابين أخلاق أبهى من الرّوض النّضِير (٧) ، وأعرَاق أشهى من عذيب النمير (٨) قد احتلت من فؤادى ، لا أقولُ منزلًا رحيبًا ، ولا وادِياً خصيبًا ، بل منزلة شهاء (٩) ، ودارةً (١٠) علياء ، وأوجًا (١١) بطوالعها السّعيدة يُسْعد ، ويلوح منزلة شهاء (٩) ، ودارةً (١٠) علياء ، وأوجًا (١١) بطوالعها السّعيدة يُسْعد ، ويلوح ما من ذكراه كلَّ حين فَرْقد (١٢) فلم أَنشَب (١٣) أَنْ قَدَّمت كتابي هذا لمولاى بين يدى اللِّقاء علَّه أَن يسمح به الزَّمانُ ، وتُسفر (٤٤) عنه الليالي والأيام ليُتاح (١٥) لي ريّ الفؤاد عا أرْويه من حليث زيد الخيل ، الذي سَمَّاه رسول الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال له : «ما وُصِفَ لي أحد فرأيتُه إلا وجدتُه دونَ ما وصف لي سواك ، وإن فيك خَصْلتين يُحبُّهما الله : الحلم ، والأناة » . مقتدياً بالإمام «محمود جار الله » في تقديم هذا الحديث الشريف ، على ماأنشده إياه «الشريف بن الشجري» أوّل ما لقيه ، وكانا قد تحابًا بالسّماع :

كانت مُساءلةُ الرُّكْبَان تخبرها عن جابر بن رَباح أَطيبَ الخَبرِ عن حابر بن رَباح أَطيبَ الخَبرِ عن حتى اجْتَمَعْنَا فَلَا والله ماسَمِعَت أُذُنى بأَحسنَ مما قد رأى بَصَرِي

⁽۱) حرف جواب مثل نعم (۲) الاصل (۳) كناية عن الوحى (٤) الخبر (٥) نسبة الى قرن وهى قبيلة (٦) هو سيد التابقين أويس بن عامر قتل في واقعة صفين مع على كرم الله وجهة وخبره قوله صلى الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع أعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولو أقسم على الله لابره (٧) الحسن (٨) الماء الزاكى (٩) مرتفعة (١٠) دارا (١١) علوا (١١) النجم (١٣) لم تزل (١٤) تكشف (١٥) يعطى

وكتب حفني بك ناصف المتوفي سنة ١٩١٩ م :

يعلم الله ماعندى من الشوق إلى لقاء السيد، وإن لم يَرَهُ البصر، والشوق إلى شهوده، وإن لم يكتَحِل بإثمِدِ(١) محاسنه النّظر والشّغفُ بسماع الحديث منه، كما سمعته عنه، فقد سَبقَتْ ذكرى محاسنه إلى السمع، ووصل خبرُ لطائفه إلى النّفس (وما المرءُ إلّا ذكرُه ومآثره) وحَسَدَت العين عليه الأَذُنُ ، وَوَدّتُ لو أَنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه .

* فللعَيْنِ عشقٌ مثلٌ ما يعشَقُ السمعُ *

لا جَرَمَ أَن ما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها كما قيل اختلف ، ونحن – وإن بَعُدَتْ بيننا الشقة (۲) ، ولم يسبق لنا باللَّقَاءِ عهد – فلُحْمة (۳) الأدب تجمعنا ، ووحدة الوجهة تضمنا ، ولُحْمة الأدب أقوى مِنْ لُحْمة النسب ، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه ؛ وقد رأيت أن أزدَلف (٤) إليك بالمكاتبة ، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة ، حتى لم يبتى في الصبر على الافتراق مسكة (٥) ، وليي الجسم دَعْوَة الروح ، فاندفع إلى الاجتماع ، أكُونُ قد مَهَدْتُ له سبيلاً ، ووطائت (٦) له طريقاً ، فلا تسهرني (٧) فرحة اللقيا ، ولا يغرني (٨) طرب الظفر « فمن فرح النَّفس ما يقتُلُ ، ومن نشوة (٩) الراح (١٠) ما يُزهِقُ الأرواح » .

فإن رأى السيد أن يكاتِبَ عبده ، ويعتقه من رقّ الفرقة ، عجّل بجواب هذا الكتاب ، ليعلم العبد أن نميهَتَه صادفت (١١) قبولا ، وأن وسِيلَتَه اتخذت

⁽۱) كحل بالحجاز (۲) بالضم والكسر الناحية (۳) قرابته (٤) اتقرب (٥) قوة أو عقد (٦) بالتخفيف والتشديد هيأت (٧) لاتفلبني (٨) لا يعلوني (٩) بفتح النون وكسرها السكو (١٠) الخمر (١١) وحدت .

إِلَى سَيِّدَه سَبِيلًا ، قَرَّبِ الله زمن اللِّقاءِ وقَصَّرَ أَمَدَ النَّوَى (١) ، حتى أُنشِدُ فِي الختام :

تطابقَ الْخُبِرُ في علياك والْخَبْرُ وصدَّقَ السَّمْع في أَوْصَافِكَ البَصَرُ

وكنب أحمد أفندي سمير المتوفي سنة ١٣٢٩ ه :

يعلم سيّدى أن المودة لاتُبَاع ولاتُشْرى ، وإنما هي نتيجة الاجماع والتّعَارُف ، وقد خُلِق الإنسان مضطرا إليهما ، لأن انتظام العُمران عليهما موقوف ، ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه ، عرضة للخطأ ، مظنة لعدم الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراك في الفكر قاعدة للعمل فلا بد أن الصواب يتمحّضُ منه ، لضعف التفرُّد وقُوَّة الاجماع ، إذ لا جَرَمَ أن المرة كما قيل : «قليل بنفسه كثير بإخوانه »

وقد سمعت عن السيد، وقرأت من آثاره المأثورة ماحبّبه إلى، وشاقنى للتعرّف به ، لنشترك في منفعة تبادل الأفكار ، فإنى لا أكتنى بمجرد الساع ولا أقول : «إن الأذن تعشق قبل العين » فإنما هي جارحة صغيرة - ولكن كلّ مَيّال إليه ، محب لاستجلاء مَرْآهُ ، عالم أنى إذا دخلت إلى مَودّتِهِ من باب التلاق ، لا أجد دهرى .

يمرب مِنّى كل شخص كرهته ويبعد عنّى من إلَيْهِ أَمِيلُ فإن لَم يتيسر أَن يَرانى أَو أَراهُ ، فليسعدنى ببضعة أسطُر تضمن لى رضاه عن هذه المعرفة الترسُّليَّة ؛ لنتراءى بأَعيُنِ الطروس(٢) ، قبل أَعيُن الرؤوس، ونتجاذَب أَحاديث المراسلة ، إِن عَزَّت المقابلة. وقد وقفت عليه خالص وُدّى ، واختَرْتُهُ من بين رجال العصر ، سعيًا لكسب المعالى بمعرفته ، فكلُّ

⁽۱) البعد (۲) الصحائف

أمرى بما كُسَب رهين(١) ، وأن ليس للانسان إلا ما سعَى . عن المرء لا تسأَلُ وَسلْ عن قَرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

لم أكن فيما أكتبه لك إلا سارياً في ليل التعارف على ضياء خِلالك (٢)، التي أملاها على لسان المدح ، الذي شَرَّق وغَرَّب ، وطبق الأرض صيته ؛ التي أملاها على لسان المدح ، الذي شَرَّق وغرَّب ، وطبق الأرض صيته ؛ وإني وإن لم أكن أسعدت من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة ، واجتناء مُفاكهتِك الغضة (٣) ، فقد دلني على الليث زئيره (٤) وعلى البحر خريره (٥) ، وعلى العقل أثره ، وعلى السيف أثره (٦) ولئن لم تجمعنا لُحمة (٧) النسب ، فقد جمعتنا حرْفَةُ الأدب ، أو لم يضمنا قبل مصيف ومُرْتَبَع ، فالطيور على أشكالها تقع ، وشبه الشيء مُنجذِب إليه ، وأخو الفضائل هو المُعوَّل عليه .

وهذه الرُّقعة وَإِن وَصَفَت لك بعض ما أنا مَطْوِى عليه من التهافتِ على أُرُوبِتك ، والميل إلى صداقتك ؛ فَقَلما تَنُوب عن المشافهة ، أو تقضى حاجات في النَّفْس طالما تردَّد صداها ، وفي ظنِّى أن (سيدى) يودُّ ما أَوَدُّه ، وعما قليل يُسْفر صبح اللقاء ، ونتجاذبُ أهداب المعرفة ، وأرى من (سيدى) فوْقَ ما توسمته وسمعته ، ويرى منى ما يرضيه . والسلام .

وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ :

أيها (السيد) العزيز الجناب ، الغزير الآداب :

قد علمت _ ولا أزيدك علمًا ، زادك الله ولا نقصك _ أن الإنسان كما اشتق اسمه من الأنس ، كدلك جُبل عليه مساه ، وأن المجتمع الإنساني عقد

⁽۱) مرهون (۲) مصادقتك واخائك (۳) الليئة (٤) صوته (٥) صوته أيضا (٦) جوهره (٧) القرابة القرابة

يتخلى به صدر الزمان ، نظامه متآلف ، ووساطته (۱) التعارف ، فهذان الأمران هما قطب المدار في هذه الدار ، لهذا العالم ، من لدن آدم ، وليس إلا بهما يحسُنُ الحال وينعم البال ، وتدر ضروع المنافع ، وتتفجّرُ عيون الفوائد ، ومن ثم كان أوفر الناس حظا من مغنم الإنسانية ، من يَألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا . . . ولا ، وناهيك بخلق امتن الله به على عباده ، إذ قال عز من قائل : «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » .

ذلك - أيها السيد - هو الذي بعثني أن أكتب إليك ، أستفتح باب مودتك بمفتاح الترسل وأستصبح في سبيل صحبتك بمصباح التوسل ، لا أبالى بما ينسب إلى ويُنتَقم على ، ممن عسى أن يقول : مالك ولهذا الفضول ! وكيف تتطفل على مأدية أدبية لم تدع إليها !! وهل هذا منك إلا أشبه بالتبرج (٢) لغير خاطب ؟

أيها المنتقد: هون عليك ما تجد، فلو علمت أن ظل الآداب شامل، ودعوة المودة الجفلى (٣) لايذاد (٤) عنها وَاغِلٌ (٥)، لأسرعت معى إلى الوغول (٦)، ولم تر فى التودد إلى أهل الفضل من فضول. وأى عيب على النكرة فى التحلى بحلية المعرفة؟ ومصاحبة الأعلام؟! أما سمعت قول القائل:

بصُحْبتك الكرام تعدُّ منهم وتأمن من مُلمَّات الزمان! وكيف أضع نفسى بحيث يقول الأول:

دع المكارم لا ترحل لبُغْيتها (٧) واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي ! وشتان ما بين الرجلين : رجل يهوى المكارم وبنيها ، ويبتغى المناقب

⁽١) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المراة وينتها للرجال (٣) العسامة للجماعة (٤) لايظرد (٥) المتطفل (٦) التطفل (٨) بكسر الباء وبضمها الحاجة .

وذوبها ، ويقِفُ نفسه على مسألة يعلمها ، وفضيلة يتحلَّى بها ، وآخر يبذل وجهه المصون ، في ملء الحقائب (١) والبطون !

هذا: وقد رجوت أن أكون الرجل الأول بصحبتك – أيها السيد – فكم رقوى لنا من أحاديث فضائلك الصحاح ، وتلى علينا من آيات فضائلك الحسان ، ما (٢) أشخص إليك القاوب قبل قوالبها ، وأوفد عليك الأرواح قبل أشباحها ، وأعجلني أن أكتب إليك بهذا الرقيم ، التمس بالتعرف إلى جنابك الكريم ، ما التمس الكليم من صحبة ذى الوجه النضر (٣) ، بأبيك العباس الخضر . وإنى وإن كنت والحمد الله ممن آمنوا بالغيب ، وليس عندى في صدق هذه الآيات مرية (٤) ولا ريب ، بَيْدَ (٥) أن للصحبة فضلاً لا ينكر ، وللمؤاخا، مزية لا يتارى (٦) فيها اثنان .

فإذا ورد على السيد كتابى هذا : وانشرح صدره ـ شرح الله صدره ـ إلى إجابة سؤلى ، وارتاحت نفسه إلى اصطناعى ، كتب إلى عبده بما يكون آية جلية على ارتياحه ؛ لتحقيق هذه الأمنية .

حَتَى أَقُولَ لُوَجُه آمالَى ابتهج لأُولِّينَكَ قِبَلَةً تَرْضاها وكتب المرحوم محمود بك أَبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠م:

إِنسانَ العيْنِ . وعَيْنِ الإِنسان :

المودة – وصل الله بأجفان الأشواق أهدامها ، وفتح لنا أبوامها – أمر عزيز المرتقى ، على من يصطفى صديقه ، ويرعى حقوقه . وإنى اصطفيتك على الناس مرسالتي هذه ، وعهدى بكرم سجاياك أن تصافحها براحة القبول ، وتتخذها فاتحة ود طارت به إليك رياح فضلك بعد ما مَثَّلَت آياته لك في القلوب معنى ظهرت في مرآة الأعين صورته .

⁽۱) الزكائب (۲) ما: فاعل روى (۳) الحسن (٤) شك (٥) غير (٦) لايختلف

فإِنْ أَبَيْتَ وِدادى غير مكتَرِثٍ فعنْك ما دُمتُ حيًّا لا أَرى بدلا وحاشاك عن مثل ذلك الإِباء ، ونحن وإِن لم تَحْظَ أَشباحنا باللِّقاء ، فأَرْواحنا من قبل جُنودٌ ، وأعيننا شُهود ، فإِن أَنت مَنحتنى ولا عناصا ، وإخاء صادقا ، (وإلا فهبنى أمراء هالكاً) ولا إخالُك ترْضاه ، وإِن كنتُ المتطفل على مائدة مودَّتك ، فلى نفسُ أديب لا ترى العزَّ إلا في التَّرَامي على ذُرى الكمال ، لا زلت على مَرْقَى الجلال ، والسلام .

وكتب الفاضل السيد محمد الببلاوى :

سيَّدى : إِنَّ مَكَارَمَ الأَخلاق ومعالىَ الهمَم مما تسترقُّ القلوب ، وتسرِقُ العقول، وتمتلك الأرواح، وإن لَمْ تتلاقَ الأَشباحُ، فَإِنى مُذْ سرَى إِلَّ النسيم بِأَخلاقكم الغرَّاءِ ، وابتَسم ليَّ أَغُورُ هذا العَصْرِ عن آثاركُم الزُّهرَاءِ ، وتواترتِ الأُخبَار بحبكُمْ للفضل وأهلِهِ ، وارتياحِكُمْ للعلم وذُويه ، وأنا مشغوفُ الفؤاد بالتعرُّف بسيادتكم ، مشغولُ البال بالتَّوسُّل إلى رِياض مودَّتكم . ولِعلمي أَن للصَّدَاقة حقوقاً ، وللمُصاحبة شرُوطاً ، ربما صعُبت على من حاولها ، وعزَّت على من أراد الوفاء بها ، كنتُ أرى الوَحدة لى أوْلى ، والانفراد بي أسلَم ، ولكن ما زالت تَنْمَى (١) إِلَّ أَحاسنُ شهائلكم المشرفةِ ، وتتواردُ على مسامعي محاسنُ سيركم المطهرة ، فينُمو الوجد ويزْدَادُ الشَّوْق «والأَذن تَعشقُ قبل العين أحياناً » وما كنت أجدُ سبيلا للتعرُّف ولا سبباً للتَّودُّد ، ولا تجسرُ نفسي على المراسَلة ابتداءً ، إلى أن رأيتُ سيِّدى قد اهتم للأَّدب فأعلى مَنارَه ، ونظرَ للإنشاء فرفعَ مقدارَه ، ونُصر دوْلته وأحيا صَوْلته ، وأَعادَ شبابُه ، وفتح لأُدباء هذا العصر بابه، فعلمت أنَّ الدّهر قد سَاعَدني ، والفرصة قد أمكنتني مِن مُصافحة ما أُمّلتُ ومُصافاةِ ما أَردت ، من اجتناءِ ثمار مودّة سيدى ، والتعرُّف به

⁽۱) تزید

والتمسُّكِ بأهداب فضائله والتَّزوُّد من آدابه ، فإن الأدب أحسنُ ما يُسْتَصْبحُ بأَنْوَارِهِ (۱) ، وأَشرف ما يُتسابقُ لاقتطاف أَثمارِه (۲) ويُحْمَدُ التطفُّلُ على موائده ، ويُمدَح التنافس في التِقاطِ فوائده ، فجعلت طلبَ الانتظامِ في سلك أرباب الأقلام وسيلةً لورُودِ عذْب وداده ، ونمير (۳) التعرُّف به ، فإن رأًى سيدى أَن يَعُدُّ نفسَ حُرِّ في عِدَاد معارفه ، ويُقابلَ رسالته بما اشتهرَ من لطائفِهِ حتى تتمتع بالرؤية الأبصارُ ، كما تمتعت المسامعُ بطيبِ الأخبار ، كنتُ مُديمَ الشكر لأَفضالِه ، مُستمرَ الثناءِ على كماله .

وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ ه :

أما بعد ـ فهذه رسالة أكتبها إلى من لم تكُنْ لى به جامعة جسيمة، ولم تضمنى وإياهُ حفلة تعارف شخصية ، وهى وإن كانت فى عُرْفِ غيرى تعدَّ هُجُو اً ، أَو تُحَس فُضولاً ، إلا أَنى أعتقِدُ أَنها أُوفِدَتْ على كريم يُكرم وفادتها ويتقبّلُ ما تهديه إليه من زعيم تحية وجليل إجلال ، ويجتلى من خلالها إرادة ودّ ، ورجاة ولاء وبُغية فضل ورغبة فى إخاء ، فيُحلها منه محلَّ القبولِ ويدرَأْ(٤) عنها وصمة (٥) الفُضُول . إنَّ لسيدى آثاراً شاهدناها ، فاستفدناها ، ومآثر سمعناها ، فروَيناها أو تناقلناها ، ولا مِرْية (٦) فى أن ما غابَ عنا منها أكثر مما وراود (١) فى أن ما غابَ عنا منها أكثر مما وراود (١) ما خصب من فيجاء العلوم . وقد توسَّمنا(٩) فى السيد _ أطالَ الله وراود (٨) ما خصب من فيجاء العلوم . وقد توسَّمنا(٩) فى السيد _ أطالَ الله بقاءه _ طلبتنا ، ووجدنا لديه ضالتنا ، فحثثنا إلى رحابه مطيَّة المكاتبة ، ولنا أملُّ كبيرٌ فى نوال المُأْمولِ ، لعَله يجنَح (١٠) إلى مُقابلة المثل بالمِثْلِ ، فيكتب

⁽۱) أضوائه (۲) أزهاره (۳) الزاكى (٤) يدفع (٥) العار (٦) بضم الميم وكسرها الشك (٧) طالبو معروف (٨) طالبون له (٩) تفرسنا (١٠) بتثليث النون: يميل

لأَخيه بعضَ كُلَيْمَاتٍ . يعرف منها أَنه قَبِلَ الإِخاءَ . ومال إِلى مقتضى طبعهِ مِن الوفاءِ . ولا أَظن ذلك إِلاوقد كان أقرب ما يكون من الزمان . فإِنَّ الأَرواحُ ما تعارَف منها ائتلف . كما برهنه الأَصحاب في معاشراتهم خلفاً عن خلف .

و كتب مؤلف هذا الكتاب:

لقد سَمِعنَا بِأُوصافٍ لِكُم كَمِلتْ فَسَرَّنَا مَا سَمِعْنَاهُ وأَحيانا مِن قبل رُويتكم نِلْنَا محبَّنكم (والأُذْنُ تعشقُ قبل العين أحيانا)

سيدى ومولاى:

لقد بلغنى عنك فى وفائك وفضلك ، ما يدعونى لخطب ودك ، ويُرغّبنى في إخائك ، ويحببنى فى التوسل إلى معرفة جنابك ؛ وإن لم تجمعنا جامعة شخصية ولم تضمّنا حفلة تعارف ذاتية . إلا أن أحاديث فضائلك الصحاح ، أو فدت عليك الأرواح قبل الأشباح ، والولاء والإخلاص قبل الأجسام والأشخاص . ولا غرابة فى ذلك ، فإن من سنة الله فى خلقه : أن يُؤلِّفَ بينَ الأرواح وأمثالها ، وأبنه الشيء مُنْجذبٌ إليه ، وأخو الفضائل هو المعوّل عليه .

إِنَّ القلوب لأَجنادُ مُجَنَّدةٌ للهِ في الأَرض بالأَهوَاءِ تعترفُ فما تعارفَ منها فهو مُخْتَلفُ وما تناكر منها فهو مُخْتَلفُ فلا اصطفيتك لنفسى ، واخترتك لمَودّني وأُنسى . نَتَنَاجَى بالضائر ، ونتخاطب بالسَّرائر . وإن بَعُدَنَا في الظاهر فَرُبَّ غائب بنفسه . حاضِرٌ بخلوص نفسه .

فإِن أَبَيتَ ودادى غيرَ مكترثِ فعنكَ مادُمْت حيًّا لا أَرَى بَدَلا وحاشاك عن مثل هذا الإباء، والهجرِ والجفاء.

لكلِّ امرى شكلٌ من الناسِ وكلُّ امرى يَهْوَى إِلَى من يشاكله ناشدتك الله أَن تقبلَ مِنِّى الإِخاءَ، وتضمنَ لَى الوفاء؛ وأَنا أَرْضَى بك من الدنيا نصيباً، وأَختارك من العالمين حبيباً.

الفصل الثالث: في رسائل الهدايا

وكتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥هيوم النيروز إلى بعض أهل السلطان: أيها الشريف:

عِشْت أَطُّولَ الأَّعمار بزيادة مِنَ العمر ، مَوْصُولةٍ بِفرائضها مِنَ الشكر . لا ينقضى حقُّ نِعْمَةٍ حتى يجدِّدَ لك أُخرى ، ولا يمر بك يوم إلا كان مُقَصِّراً عمَّا بعده ، موفياً عمَّا قبله .

إنى تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ، والتمست التَّأَسِّي بهم في الإهداء — وإن قصَّرتُ بي الحال عن الواجب — فوجدت أنى إن أهديت نفسي فهي مِلْكُ لك . لاحظ فيها لغيرك . ورميت بطر في إلى كرائم مالى . فوجدتُها منك . فإن كُنْتُ أهديتُ منها شيئاً . فإني لَمُهد مالك إليك . ونزعتُ إلى مَودتي . فوجدتها خالصة لك قديمة غير مُستحدثة . مالك إليك . ونزعتُ إلى مَودتي . أنى لم أُجدد لهذا اليوم الجديد برًّا ولطفاً . فرأيت إن جعلتُها هديّتي . أنى لم أُجدد لهذا اليوم الجديد برًّا ولطفاً . ولم أُميِّز منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك . إلا كان الشكر مُقصِّراً عن الحق . والنعمة زائدة على ما تبلُغُه الطاقة . فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك . هدية إليك . والإقرار بالتقصير عما يجبُ لك . برًّا أَتَوسَّلُ به عن حقك . هدية إليك . والإقرار بالتقصير عما يجبُ لك . برًّا أَتَوسَّلُ به إليك . وقلت في ذلك :

إِن أهد مَالًا فهو وَاهِبُهُ وهوَ الحقيقُ عليه بالشكْرِ أَو أهد شكرى فهو مُرْتهَنُ بجميل فعلك آخرَ الدهر

والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضىء بِسُنَّة (١) الدهر وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م:

الهديَّةُ في نظر الأَصفياءِ جليلةً ، وإن كانت في نفسها قليلةً ، ومكانتها خطيرةً وإن كانت يسيرةً ، وسنَّةُ حسَنَةُ اجتمعت على فضلها الأَلسنة .

مضَتِ الدُّهُورُ وأَمرُها مُستحسَنٌ وتعاقبت بمديحها الأَيام اللَّهم إلا إِن لَبست جلْباب (٢) الرياء ، وَوَلَجَتْ (٣) أَبواب الارتشاء ، ولا مِرَاءَ (٤) إِن الأَودَّاء من ذلك براءً .

وما زالت الهديَّةُ شِعَارِ الأَصدةاءِ ، وعنوان تذكار الولاءِ ، وكم جدَّدتْ بين الأَصحاب عهود التَّحَاب .

وتعهدت وُدًّا فعادَ شتيتهُ ولشَمْلِهِ بعد البَداد (٥) نظامُ

قد وصلتنى يدُ العصا فحبَّذا الإِهداء، وأَهلاً بتلك اليد البيضاء، وليست هذه أُوَّلَ أَياديك على ، ولا أكبر عارِفةٍ جاءَت من ذاديك إلى ، أمِنْت بها النوبَ (٦) واعتضدت بها (٧) على تفريق شمل الكُرَب .

فإذا طغا (^) بحر الهموم ضربتُهُ بعصاى فاجتازت (٩) به الأقدام

تنفلق بها الأَيام صخُور ، فتنبجس (١٠) منها عيونُ السُّرُورِ ، وتلقفُ ما يصنع الأَعداءُ ، فتذهبُ البَغْضَاء ، وإذا اشتدَّ هَجيرُ (١١) الوحشة ، نشرَتْ ظلال أُنسها ، أو عصى فرْعَوْنُ الدَّهْرَ ، راعته (١٢) بِبأْسها (١٣) .

⁽۱) الوجه (۲) القميص (۳) دخلت (۶) جدال (۵) التفريق (۲) جمع نائبة: مصيبة (۷) استعنت (۸) علا (۹) سلکت (۱۰) تنفجر (۱۱) حرها (۱۲) ازعجته (۱۳) بشدتها

فكاً ثما أوصى الكليم(١) لنا بها حتى يرى آياته الأقوامُ وقد فكرتُ ماذا أُقابِلُ به طُرَّفتك(٢) ، وأَتلَقى به تحفَتك ، إلى أَن هدانى الله أَن يد المنعم إنما تقابلُ بالأَفواه ، ليُعزز القَبُول بالقُبل ، ويؤدى الرسم باللَّمْ ، فأرسلت لك فم سيجارة ، وجعلته لهذا المعنى إشارة ، وقلت :

مولاى كم فاضت يمينُك بالندى (٣) حتى غدوْتُ غريقَ بحرِ الأَنُعمِ والشكرُ أَوْجب أَن أُقبِّل راحها فكنيت عن هذا بإهداء الفم وقد علمت أَن المنظرَ البهيج ، يتمُّ بالتدبيج (٤) ، فاخترتُ أَن يكون مبدؤهُ كالليل إذا عَسْعَس (٥) ، ومُنتهاه كالصبح إذا تنفس (٦) ، إيذاناً (٧) بزوال الشرور بالسرور ، ورمزاً إلى الخروج من الظلمات إلى النور.

وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر:

يا أيها المولى الذى عمت أياديه الجميله اقبل الذي الذي الدنيا قليله عُرَّة وجه السعود وقرة عين الوجود – الأمير الجليل.

يا جليل الفضائل - إليك توجه الآمال ، وياجميل الشهائل بساحتك تحط. الرحال ، تلك هي الساحة الفيحاء (^) ، والشّيمة (٩) الحسناء ، والهمّة العلياء ، واليد البيضاء ، والأعمال التي تُضرب بها الأمثال ، كم من نعم أسديتها (١٠) ، ومكارم أوليتها وعلوم أحييتها ، فأنت المصدر والمورد ، والمقصد والموعد ، إليك أقدم تلك الهدية المرضية ، وأرفع ذلك الكتاب المستطاب ، مشفّعاً في قبوله كرم سجاياك ، وعظم مزاياك ؛ وإن كنت أعلم أن مقامك العلى ، يجلعن أن يرفع إليه مثله ، فقد عرفناك مُتواضعاً في عُلاك ، قريباً مع اعتِلاك .

⁽۱) سيدنا موسى عليه السلام (۲) احسانك (۳) العطاء (۶) التزين (۵) اقبل بظلامه (٦) أضاء (۷) اعلاما (۸) الواسعة (۹) الخلق (۱۰) أعطيتها

دنَوْتَ تواضعاً وعلَوْت مجداً فشأَناكَ انخفاضٌ وارتفاعُ

كذاك الشمس يَبْعُد أَن تُسَامى ويدنو الضوء منها والشُّعاعُ (١)

وحاشاك أن أهدى للقمر نوراً ، أو للشمس ضياء ، أو أبعث ببُنية القطر (٢) إلى ذلك البحر ؛ ولكننى أحببت أن يحظى بلثم بنانك (٣) ، وينال من كرمك وإحسانك . وقد عهدناك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم (٤) ، وترتاح لإسداء الجميل كما يرتاح للكريم النزيل ، وللشفاء العليل ، وما هو إلا من نور فكرك مقتبس (٥) فعساه يحظى بالقبول ، فأبلغ غاية المأمول ، والسلام .

وكتب الأُستاذ عبد الله بك الأُنصاري المتوفى سنة ١٩٣٢ م :

المولى – أدام الله وجوده ممتعاً بهدايا الأيام ، وتحف الأعوام – طالما أوْفَدَ (٦) من الرِّفد (٧) إلى ، ووجه من الخيرات ما أفعَمَ (٨) يدى ، حتى أصبحت وله الفضل والمنة – أَجُرُّ ذيول النعْمَاء (٩) على غبراء (١١) البأساء (١١) وأجتلى معارف (١٢) السَّرّاء بعوارفه البيضاء ، التي لا يُوازِيها ثناءٌ وحمد ، ولا يوازنها عطاءٌ ورفْد ، ولا يطاولها سماءٌ وبحر ، ولا يُغالبها بؤس وفقر . وإن لى من $T_{4}(1)$ السيد – حفظه الله وأدام علاه – ما أينع وأزهر وأورق وأثمر حدائق قامت لشكره عيدانها وسجدت لفضله أغصانها ، وترنمت طرباً وتمايلت عجباً ، والمتحات هي عَرْفُه (١٤) ، وبركات هي عُرْفه . وكي أمل في جنابه ، وأنا سليل (١٠) نعمته ، وعهدى بأخلاقه وأبا ابن مودته ، أن مِن بقبول ما أهديته ؛ وهو من نفسه ، وثمرة غرسه (باكورة تُفَاّ ح) يرفعها إجلال وإعظام .

⁽۱) تفاخر (۲) المطر (۳) الاصابع (٤) السيف القاطع (٥) مأخوذ (٦) أرسل (٧) العطاء والصلة (٨) ملاها (٩) بالفتح النعمة (١٠) الأرض (١١) الداهية (١٢) أنظر اليها بجلوة (١٣) نعم (١٤) بالفتح الربح الطيبة (١٥) ابن نعمته

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ ه :

الهدية – غمرك الله بالمعروف – تَبسطُ يد المودَّة ، وتَدُرُّ بها أخلاف(۱) القرب وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف ، وما أنا فيا أهديه إليك إلا كمستَبْضع(۲) تمراً إلى أرض خَيْبَرَ($^{(7)}$) ، الخلاف ، وما أنا فيا أهديه إليك إلا كمستَبْضع(۱) تمراً إلى أرض خَيْبَرَ($^{(7)}$) ، والمواهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، والملك لسليان(٤) ، والمال لقارون($^{(8)}$) والمحلم لأحنف($^{(7)}$) والذكاء لإياس($^{(8)}$) ، والتفسير لابن عباس($^{(8)}$) ؛ وما ذاك إلا كتاب كما تراه ضرب في الإحكام بسهم ، ووعى من الأحكام ، ما خلت منه مُفعماتُ($^{(8)}$) الأسفار($^{(1)}$) ، وموجزات الرسائل ، فهو كما قبل : «كل الصَّيد في جَوْفِ الفَرَا»($^{(1)}$) .

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وإن تطفلت عليك ، وسقتُ لك هذا الكتاب مُزْدَلفاً (١٢) إلى جنابك الرَّحْب ، ومقامك الأَسنى ، فقد أصبتُ كبدالصَّواب ، وَوَضعته حيث يعرفه أَهلوه ، ويتقبله من باذله عالموه ، علماً بأنك عماد العلوم ، وأساس الفضائل لا تغادِرُ (١٣) شاردة إلا وعيتها ، ولا نادرة إلا رويتها ، وإلا :

⁽۱) جمع خلف بالسر الضرع (۲) جاعله بضاعة (۳) موضع بالحجاز (۶) ابن داود النبى عليهما الصلاة والسلام (۵) من قومموسى عليه السلام أعطاه الله من الكنوز ما لم يعطه لغيبره (۲) هو أبو بحسر صخر بن قيس تابعى كبير يضرب به المثل فى الحلم توفى سنة ۱۲ هـ (۷) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزنى يضرب به المشلل فى الذكاء توفى سنة ۱۲۲ هـ (۸) هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى جليل يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ۹۸ هـ (۹) مملوآت (۱)الكتب جايل يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ۹۸ هـ (۹) مملوآت (۱)الكتب والسلام تطمينا لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحماد الوحشى (۱۲) متقربا (۱۳) لا تترك والسلام تطمينا لرجل خرج يصطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحماد الوحشى (۱۲) متقربا (۱۳) لا تترك و

لو كان يُهْدَى على قَدْرِى وقدركُم لكُنْتُ أُهْدِى لك الدنيا وما فيها وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى أُستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده:

سیدی ومولای . . .

أَطَالَ الله بِقَاءُك ، ورفع في الدارين عُلاك _ الهدية مفتاح باب المودة ، وعنوان تذكار المحبَّة ، يتسابق إليه كِرَامُ السَّجَايَا (١) ، ويتسارع إلى إحياء شعائرها عُشَّاق المزايا ، حرصاً على حفظ عهود الوداد والتآلف ، وإذهاباً لوحشة التقاطعُ والتَّخَالُف :

هدايا الناس بعضهم لبعضٍ تُولِّدُ في قلوبهم الوِصَالا وتزرعُ في القلوبِ هَوَّى وَوُدًّا وتكسوكَ المهابة والجلالا

ولقد وجدتك إماماً حكيما ، وفيلسوفاً عليماً ، تقدِّرُ الأَعمال حق قدرها ، وتضعُ الأَشياءَ في مواضعها ، سَبَّاقاً إلى نشر العلوم والمعارف ، بين أرجاءِ المشارق والمغارب :

يبقى الثَّنَاءُ وتَنْفَدُ الأَموال ولكلِّ دهر دولةٌ ورجالُ ما نَالَ مَحمدَةَ الرِّجالِ وشكْرَهُمْ إلا الصَّبُور عليهم المفضال

سیدی ومولای . . .

أُهْديك كتابى « جواهر الأدب ، فى أُدبيات وإنشاء لغة العرب » جمعَ فأُوْعَى من الآداب والحكم ما خلت منه الأسفار (٢) ، فهو بلا شك ولا مِرا ، كلُّ الصيد فى جوفِ الفَرَا .

تزينُ معانيهِ أَلْفاظهُ وأَلفاظه زائناتُ المعانى

⁽١) الاخلاق (٢) الكتب الكبيرة .

على أنى _ وإن تَطَفَّلْتُ عليك ، ووضعت كتابى هذا بين يديك _ فقد ولجت الأُمورَ من الأَبواب وأَصبتُ كبدَ الصواب ، حيثُ يعرف الفضل من الناس ذووه ، ويتقبَّله بِقَبُولٍ حسن عالموه :

شُكْرا وحَمْدا إِن قبلتَ هديتى وجعلت لى فضلاً على أَقْرَانى فبتنازلك بقبوله يكون الإِقبالُ جليلا ، ويعجز لسانى عن أَن أَشكرك شكراً جزيلاً ، والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى المرحوم سعد باشا زغلول يُهْدِيه كتابه «جواهر الأَدب، في أَدبيات وإنشاء لغة العرب»:

مولاى ، أطالَ الله بقاءَك فى أهناٍ عيشة وأرْغَدِها ، وأتم نعمة وأسعدها ، وأعَمِّ عافية وأزيدها ، وأولاك من الآلاء بأمدها مزيداً ، ومن السَّلامة بأسْبَلِها سِتْرا ، ومِن السرور بأوفَرِه حظًا ، ومن العِزِّ بأَشَدِّه ركناً ، والعمر بأبْعَدِه مدى ؛ تولاك المَوْلى بحفظه وحِياطته ، وحَرَسَك تحت جناح السلامة بكلاءته ورعايته .

إِن الله تعالى قد خَصَّك بالعِزِّ المنيع ، والشرف الرفيع ، والخُلُقِ السنيّ ، والفخر البهيّ ، والرأى والحزم ، والبلاغة والفهم ، والبراعة والكمال ، والبدّل والنّوال ، والجود والإفضال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهب الجميل ، والقدر الجليل .

فأنت _ أدام الله كرامتك ، وأكرم حياطتك _ معدن الفضائل وَزَيْن المحافل ، غياث اللاجي إليك ، وسَنَد المعَوّلِ عليك ، لايُجْحَدُ فضلك ولايُنسى ذكرُك ، عَرْفك شائع ، وجودك واسع ، ومعروفك ذائع ، وفضلك شاملٌ ، ولُبُك كامل ، سِلْمٌ لأوليائك ، حَرْب لأعدائك ، سحائب كفيك تمطِرُ ديم

الإِنعام ، وشآبيبُ يَديك تفوق أَفعال الكرام ، زَادَكَ اللهُ أَيُّهَا الرئيسُ عقلاً إِلى عقلاً إلى عقلك ، وطَوْلاً إِلى طَوْلك ، وَطَوْلاً إِلَى طَوْلك ، وَسُؤدَدًا إِلَى سُؤددك ، إِنَّه لطيف كريم .

لمَّا رأيتُك _ أدام الله عُلُوَّك ، وأجزل من كلِّ خير حظك وقسمك _ تغنى عن التَّوسُّل إليك بكريم أخلاقك ، وشريف أعْرَاقك ، جعلتُ كرَمك ذريعتى إليك ، لما دلَّنِي من فضلك عليك ، وكنى به عن اللبيب شَاهِداً ، وإلى الكريم قائداً ، فأَطْمَعنى فيك ما رأيتُ من جودك وساحتك ، وحُسْنِ بِشْرِك وطلاقتك ، ولئن أمَّلتك عند الشدائد ، ودفعت بك صَوْلة النوائب ورَجَوْتك لكشف الملمَّات ، والحوادث الطَّارِقَات ، واستغثتُ بسَيبك وجدواك على غير شافع ، أطمعُ في شفاعته إليك ، أو مُتوسل في ما لديك ، فإني أقول كما قال الشاعر :

من غير ما سبب يُدْني كَني سبباً للْحُرِّ أَن يجتَدِى حُرَّا بلاسبب ولمَّا ولمَّرُوءَات، إنما هي ولمَا كانت الوسيلة إلى السادات، وأهل الأخطار والمُرُوءَات، إنما هي وكيد حُرْمة أو قديم خدمة، وكُنْتُ صفرا من ذلك كُله، غير داخل في جملة أهله، توسلتُ بكتابي « جواهر الأدب، في أدبيَّات وإنشاء لُغة العرب »، أهله ، توسلتُ بكتابي « جواهر الأدب ، في أدبيَّات وإنشاء لُغة العرب »، إذ كان المتوسِّل بها على ثقة ممن عَرَف قدرها، لأَن الآداب عند ذوى الكرم، أعطفُ من صلة الرَّحم، وهو سببُ بين الكرام موصول ينزعون إليه ، وحق يتعاطفون عليه ، وفيه قال الشاعر :

أَدبُّ بَيْننا تَوَلد منه نسبٌ والأَديبُ صِنْوُ الأَديبَ وقال الآخر :

حَقُّ الأَديب وإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نسبٌ فَرْض على كلِّ مَنْ أَمْسَى له أَدبُ وقد ضمنتُ كتابى هذا من الآداب أَظرفها ، ومِنَ الأَشعار أَفضلها وأجملها

وجعلتُه سبباً أَمُتُ به إليك ، وهدية أَضَعُها بين يديك . فتنازل دولتكم بشرف القُبُول ، يكون غاية مطلوبي ، ونهاية المأْمُول .

الفصل الرابع: في رسائل الاستعطاف والاعتذار

كتب أبو منصور الثعالبي النّيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

الكريم إذا قَدر غفر ، وإذا أوْتَق أطلق ، وإذا أسر أعتق ، قد هربت منك إليك ، واستعنت بعفوك عليك ، فأذقنى حلاوة رضاك عنى ، كماأذقتنى مرارة انتقامِك منى الحر كريم الظفر ، إذا نال أقال(۱) ، واللئم إذا نال استطال(۲) ، قد هابك من استتر ، ولم يُذنب إليك من اعتذر ، تكلف الاعتذار بلا زُلة(۳) ، كتكلف الدواء بلا علة ، مولاى يوجب الصفح عند الزلة(٤) ، كما يلتزم البذل عند الخلة (٥) ، مولاى يُوليتي صفيحة (٦) صفحه ، ويُؤتيني العفو من عفوه ، زَلت وقديزلُّ العالم الذي لا أساويه ، وعشرت وقد يعشر الجواد الذي لا أجاريه ، لا تضيقن عنه عفوك ، ولا جُره من يتجافى تجاوزك وصفحك . والسلام .

وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٤ هـ إلى أبى مسلم :

من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. (أما بعد) فقد آتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرَّعِيَّة ، وأله مَك عدل القضيَّة فإنك مُستودع الودائع ، ومولى الصنائع ، فاحفظ ودائعك ، بحسن صنائعك . فالودائع عارية . والصنائع مرعية . وما النِّعم عليك وعلينا فيك بمنزُور نداها . ولا بمبلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك . واتَّق ربك وأعط من نفسك من هو تحتك . ما تحب

⁽۱) ترك (۲) تملك وتمسك (۳) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الفلظة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر (٦) صفيحة عريضة $\frac{1}{2}$

أن يعطيك من فوقك من العدل والرَّأفة ، والأَمْن مِنَ المخافة . فقد أَنعم الله عليك ، بأن فَوَّض أَمرنا إليك . فاعرف لنا لِينَ شكر المَودَّة . واغتفار مَس الشدة والرِّضا بما رضيت والقناعة بما هويت . فإن علينا من سمك الحديد وثقّله أَدًى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ؛ زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة ! فإليك بعد الله _ نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدة البلوى . فمتى تمل إلينا طرفاً ، وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً ووُدًا صحيحاً . لا يضيع مثلك مثله ، ولا ينفي مثلك أهله ؛ فارع حُرْمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فلجت بحجته (١) فإن الناس من حوضك روائة ، ونحن منه ظماء . يمشون في الأبراد ، ونحن في الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والخفض والدعة ؛ والله المستعان ، وعليه التكلان .

وكتب بدر محمد بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٩٩ ه :

رفقاً بمن ملك الوجدقياده . وعطفاً على من أذاب الشوق فواده . مُتَيم (٢) أقلقه فرط. صدودك . ومغرم أغراه بحبك قول حسودك . وسقيم لا شفاء له دون مزارك . ومقيم على عهدك ولو طالت مدة نفارك . إلام هذا التنائى (٣) والنفور! وعلام ياذا القد العادل تجور ؟! لقد تضاعف الأسف والأسى ، وتطاول التعلل بلعل ، وعسى :

هبنى تخطيتُ إلى زَلة ولم أَكُنْ أَذْنبتُ فيا مضى أَيْسَ لى من بعدها حرمةٌ ؟ تُوجب لى منك جميل الرِّضَا ؟! ولست ألوذ إلابباب نعمك ، ولا أعتمد فى محو الإساءة إلا على حلمك وكرمك وما جل(٤) ذنب يضاف إلى صفحك ، ولا عظم جُرْمٌ (٥) يسند إلى عفوك .

⁽۱) فلج بحجته ـ أثبتها (۲) مستعبد ذليل (۳) التباعد (۶) ما عظم (۵) ذنب ،

ومثلك من يقيلُ العثراتِ ، ويتجاوز عن الهفوات :

وَكُنْتَ أَظُنُّ أَنَّ جِبِال رضوى (۱) تزولُ وَأَنَّ وُدَّكَ لا يزول ولَكَنَّ القُلُوبَ لها انقلابٌ وَحَالاتُ ابن آدم تَسْتحيل طالمًا آنستنى بقربك ، وَدَنَوْتَ مِنِّى مفارقاً ظباءَ سِرْبك ، وأنجزْت وُعُودى ، وأطعتَ نجومَ سعودى :

وكُنت إِذَا مَا جَنْتَ أَدنيت مجلسي ووجهك من مَاءِ البشاشةِ يَقْظُرُ فَمَنْ لِيَ بِالعِينِ التِي كُنْتِ مَرَّة إِلَى بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهُرِ تَنْظُرُ

قيدت أملى عن سواك، وبكهرْتَ ناظرى بنظرة سَنَاك (٢)، وكسرت جيش قرارى، وتركتنى لا أُفَرِّقُ بين ليلى ونهارى، أحُوم حَوْلَ الدِّيَار، وأَعُوم في بحر الأَفكار، وأَتمسك بعطف عطفك، وأتعلق بأذيال مكارمك ولُطفك. في بحر الأَفكار، وأتمسك بعطف عطفك، وأتعلق بأذيال مكارمك ولُطفك. أما علمت أن الكريم إذا قدر غفر ؟ وإذا صدرت من عبده زَلةٌ أَسْبَلَ عليها رداء العفو وستر ؟ وأن شفيع المذنب إقراره ؟ ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره ؟

وَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ لديك وحجةٍ فعذرى إِقرارى بأَن ليس لى عذر

له في على عيش بسلاف (٣) حديثك سَلف! وأَوقاتٍ حلت ، ثم خلت وأُورثت التَّلف! وَآهاً لأَيام أُنسك مضت! وبُرُوقِ ليالٍ لولا قُرْبك ما أَوْمَضت (٤) :

قدكُنْت أَعْرِف في الهَوَى مقدارَهَا رَحَلَتْ وبالأَسف المبَرِّح عَوَّضَتْ كيف السبيل إلى إعَادَة مثلها وهي التي بالبعد قلبي أَمْرَضَتْ فَجُدْ بالتداني، واسمح بنيل الأَماني، وأَلِنْ قلبك القاسي، وعد عن التنائي

⁽١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) ما لمعت

والتَّناسى ، وارْعَ الود القديم وأبدل شقاءَ محبك بالنَّعيم ، ولاتعْدِلْ عن منها ج المَعْدَلة ، وسلم فقد أَخذَتْ حقها المسأَلة ، وأَغْمد سيف حيف (١) صيَّرته مسلولاً ، وأَوْفِ بِالْعَهْد إِنَّ العهدَ كانَ مَسْئولا .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ه:

ليس عندى _ أعزك الله _ سبب ولا أقدر على شفيع ، إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذي لا يكون إلا من نتاج حُسْن الظن ، وإثبات الفضل بحال المأمول . وأرجو أن أكون من الشاكرين ، فتكون خير معتب (٢) ، وأكون أفضل شاكر ، ولعل الله يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإنعام ، وهذا الإنعام سبباً للانقطاع إليكم ، والكون تحت أجنحتكم (٣) ، فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك (جعلت فيداك) عاد الذنب وسيلة والسّيئة حسنة ، ومثلك من انقلب به الشر خيراً ، والغرم غنا (٥) .

من عاقب فقد أخذ حظه . وإنما الأَجر في الآخرة وطيب الذِّكْر في الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرع المرائر . وأرجو أن لا أضيع (وأهْلك) فيما بين كرمك وعقلك . وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه ، وعظم حقه . وإنما الفضل والثنائح العفو عن عظيم المجرم ضعيف المحرمة . وإن كان العفو العظيم مستطرفاً (٦) من غيركم فهو تلاد(٧) فيكم ، حتى دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكلون(٨) ، ولا على سالف إحسانكم تندمون . ولا مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم ؛ حين كان لا يمر بملاً من بني إسرائيل ولا أسمعهم خيراً ، فقال له (شمعون الصفار) (٩) : ما رأيت

⁽۱) الجور (۲) مسر بعد اساءة (۳) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الفنيمة (٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٨) ترجعوا (٩) شمعون الصفار : هو أحد حوارى عيسى عليه السلام .

كاليوم! كلما أسمعوك شرًا، أسمعتهم خيراً ؟! فقال: «كلُّ امرئ بُنفق مما عنده » وليس عندكم إلا الخير، ولا في أوْعيتكم إلا الرحمة. وكل إناه بالذي فيه ينضح.

و كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء:

نَبَت (١) بى غرَّةُ الحداثة ، فردتنى التَّجربة ، وأفادتنى الضرورة ؛ ثِقةً بِالسراعك إلى وإن أبطأت عنك ، وقبولك لعذري وإن قَصَّرت عن واجبك . وإن كانت ذنوبى سدَّت على مسالك الصفح عَنِّى ، فراجع في مجدك وسُؤددك (٢) وإنى لا أعرف موقفاً أذل من موقفى ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطةً أدناً من خطتى ، لولا أنها في طلب رضاك _ والسلام .

وكتب أَبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ ه :

لو بغير الماء حَلقِي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف يقدر (يتى الله السيد) على الدواء، من لا يهتدى إلى أوجه الداء؟ وكيف يدارى أعداءه، من لا يعرف الأصدقاء من الأعداء، وكيف يعالج علة القرحة العمياء؟ أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء؟! أم كيف يخرج الهارب من الأرض والسماء؟! الكريم إذا قدر غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أسر أعتق. ولقد هربت من السيد إليه، وتسلحت(٣) بعفوه عليه، وألقيت ربقة (٤) حياتى ومماتى بيديه. فليذقنى حلاوة رضاه عنى كما أذاقنى مرارة انتقامه منى، ولتكح (٥) على حالى غرة عفوه، كما لاحت عليها مواسم (٦) غضبه وسطوه. وليعلم أن الحركريم الظفر إذا نال أقال، وأن اللئيم لَئيمُ الظفر إذا نال استطال. وليغنم التجاوز عن عثرات الأحرار، ولينتهز فرص الاقتدار.

⁽۱) أبعدتنى (۲) السيادة (۳) استعنت (٤) العروة التى ربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات .

وَلْيَحْمد الله الذي أقامه مَقام من يُرْتجى ويخشى ، وركّب نصابه فى رُتْبةٍ شَابَ الزّمَانُ ومجدها فَتِي ٌ ، وأَخلَق العالم وَذِكْرُها طرِيّ ، وليعتقد أنه قد هَابَه من استتر ، ولم يذنب إليه من اعتذر ، وأن من رُدَّ عليه عُذْرُه ، فقد أخرج إلى الشجاعة بعد الجُبْنِ ، وأخرج ذنبُه إلى صَحن اليقين من سُترة الظنّ . وفق الله السيد لما يحفظ عليه قلوب أوليائه ، وعصمه ممّا يزيد به في عدد جماجم أعدائه .

وكتب بعضهم إلى رئيسه:

وَجَدْتُ استصغارك لعظيم ذنبي أعظم بقدر تجاوزك عنى، ولعمرى! ماجل ذَنْبُ يُقَاسُ إلى فضلك ، ولا عظُم جُرْمٌ يُضاف إلى صفحك ، ويُعَوَّلُ فيه على كَرَم عفوك . وإن كان قد وسعه حلمك ، فأصبح جليله عندك محتقرًا ، وعظيمه لديك مستصغرًا ، إنه عندى لني أقبح صور الذنوب ، وأعلى رُتب العيوب . غير أنه لولا بوادر(۱) السُّفَهاء ، لم تعرف فضائلُ الحلماء ولولا ظهور نقص بعض الأتباع ، لم يبن جمال الرُّوساء ، ولولا إلمام اللمين بالذنب ، لبطل تَطوَّل المتطوّلين بالصفح . وإني لأَرجو أن يمنحك الله السلامة بطلبك لها ، ويُقيلك العثرات بإقالتك أهلها . وما علمت أنى وقفتُ منك على نعمة أتدبرُها ، إلا وجدتها تشتمل على فائدة فضل ، تتبعها عائدة عقل .

وكتب فقيد اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٠٦ه: بم يعتذرُ إليك من لا يرى لنفسه عُذرًا ؟! وكيف يستتر مِنْ عتبك مَنْ لايستطيعُ لذنبه سترًا ؟! بل كفاني من العتب: تعنيف نفسي على ما ألقيت عليها من تبعة تقصيري، وما حُلتُ به من التفريط بينها وبين معاذيري. واللهُ

⁽۱) جمع بادرة: وهي الحدة عند الفضب .

⁽ ٦ _ جواهر الأدب جـ ١)

يعلم ماكان تقصيرى شيئًا أردته وكان تفريطى أمرًا قصدته ، ولكنها الأيام ! إن صاحبتها لم تَصْحب ، وإن عاتبتها لم تُعْتب ، فلقد عبرت بى هذه البرهة كلّها وأنا بين شواغل لايشغلها عنّى شاغل ، وبكلابل (١) قد اختلط حابلها بالنابل ، فتنازعتها هذه النّهزة (٢) اليسيرة ، أُجدّدُ فيها التذكرة ، إلى أنْ بمنّ الله بصلة الحبل واجتماع الشمل ، وأستنزل أحررُفا من حَظّك يكتحل بها النّاظر ، ويأنس إليها الخاطر ، متوقعًا بعد ذلك أن أبتى بين يدى مودّتك مذكورًا ، وألا يكون عجزى لديك شيئًا منظورًا ، وأن تجرى بى على عادة حِلْمِك ، إلى أن يجمع عجزى لديك شيئًا منظورًا ، وأن تجرى بى على عادة حِلْمِك ، إلى أن يجمع الله الشتيتين ويُغنى العين (٣) عن الأثر بالعين (٤) إن شاء الله تعالى . والسلام .

وكتب أيضاً:

وافانى كتابك العزيز ، والنفْسُ نازعة (٥) إلى ما يزيلُ نِفَارَها ، والقريحة (٦) تائقة (٧) إلى ما يشحذ (٨) غرارها (٩) ؛ فكان روضةً باسمة (١١) الكمائم (١١) فاتحة النّسائم ، وقد ردّت على النفس انبساطها وأحيلت البادرة فاستأنفت نشاطها ؛ فأنا منه ما بَينَ وشي (١٢) يُخجلُ طِرَاز العَبقرية (١٣) ، وَزُخْرُفُ (٤١) دُونهُ نضرة (٥٠) السابرية (٢١) تُنَاجيني منه رَشَاقة (٧١) ألفاظ تفضح قُدُود (٨٨) الحسان ، وغضاضَة (١٩) أنفاسٍ يُغَارُ منها وَرْدُ الْجِنَان ، ورقّة خطاب يَشف (٢٠)

⁽۱) هموم ، والحابل: قيل ناصب الحبالة للصيد ، وقيل: سدى الثوب . والنابل: صاحب النبال وقيل: لحمة الثوب ولفظ المثل «اختلط المحابل بالنابل » وهو مثل يضرب في ارتباك الامرر (۲) بضم النون الفرصة (۳) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٨) يحد، القرصة التي يقتدر بها على استنباط العلم بحدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) يحد، وأصله السكين (٩) بكسر الفين والمراد أن الملكة مشتاقة الى مايجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب تبلغ الفاية في الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٣) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة الى سابور كورة بفارس ، بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا (١٧) لطافة (١٨) جمع قد وهو القامة الرشيقة (١٩) الحسن (٢٠) يحكي .

عن ود صنى ، ولطف خنى (۱) ، وكرم وفى ، وعتب أعذب من الماء القراح (۲) ، وأرق من نسمات الصبا فى الصّباح ؛ حتى لقد حَبَّب إِلَى تقصيرى ، وشفع عند نفسى فى قبول معاذيرى . على أنَّ ما عندى من الولاء وشفع عند نفسى فى قبول معاذيرى . على أنَّ ما عندى من الولاء لا يعتريه – معاذ الله ! – وهن (٣) ، ولا يخلفه (٤) تمادى زمن أو ترامى وطن . ولكن صُرُف الأحداث (٥) قد قصَّرَت الجهد (٦) ، وصرفت جواد العزيمة عن القصد . والله يعلم أنى لو نزلت على حكم نوازل الدَّهر ، ولم أدافع طلائعها على بقى من ساقة (٧) الصبر ، لما كان فى هِمَّتِي إلا كَسْرُ اليراع (٨) وهجرُ المحابرِ والرِّقاع (٩) . وحسبى من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف ، وما ألفته من كرَمِك المعروف .

والله أَسأَل أَن يبقيك لى من الدَّهْرِ نصيبًا ، ويمتعنى بلقائك قريبًا ، منِّه وكرمه .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ه:
أما بعد : فنعم البديل من الزلة الاعتذار ، وَبِئْسَ الْعِوَضُ من التوبة الإِصْرَارُ ، فإنه لا عِوَضَ من إخائك ولا خلف من حُسْن رأيك . وقد انتقمت منى في زلّتي بجفائك ، فأطلق أسير تشوق إلى لقائك . فإنني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضَمنْتُ لنفسي العَفْوَ مِنْ زلتها عندك . وقد مسنى من الأَلَم مَا لَمْ يشفِه غير مواصلتك .

وكتبت زبيدة زوجة الرشيد المتوفاة سنة ٢١٦ ه إلى المأمون :

كُلُّ ذنبٍ _ يا أُمير المؤمنين _ وإن عظم صغير في جنب عفوك . وكل

⁽۱) ظاهر فهو من الاضداد (۲) بفتح القاف الخالص (۳)ضعف (۶) لا يبليه (۵) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها أى الطاقة (۷) آخره (۸) الاقلام (۹) الرقاع بكسر الراء مفردة ربضمها القطعة من الورق التي تكتب .

إساءة وإن جلت يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذى عَوَّدكه الله أطال مدّتك، وثم نعمتك، وأدام بك الخير، وكفَعَ عنك الشر والضير.

وبعد : فهذه رُقعة الوكهى – التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر ، رفى الممات لجميل الذكر – فإن رأيت أن ترحم ضعفى واستكانتى وقلة حيلتى ، وأن تصل رحمى ، وتحتسب فيا جعلك الله له طالباً ، وفيه راعياً – فافعل – وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعى إليك .

وكتب إليها المأمون جواب المواساة الآتى :

وصلت رقعتك يا أماه _ أحاطك الله وتولاك بالرعاية (١) _ ووقفت عليها ، وساءنى _ شهد الله !(٢) _ جميع ما أوْضَحت فيها ، لكن الأقدار نافذة (٣) ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والمخلوقون في قبضتها ، لا يقدرون على دفاعها(٤) ، والدنيا كلها إلى شتات (٥) ، وكل حَي إلى ممات ، والغدر والبغى حنف الإنسان (٦) ، والمكر راجع إلى صاحبه .

وقد أُمَرْتُ برد جميع ما أُخذ لك ، ولم تفقدى ممّن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك على أكثر مما تختارين(٧) . والسلام .

وكتب بعضهم:

إنِّى وإن جنيتُ على نفسى ، وخرجتُ عن حد الأَّدب ، فيما يجب على العبد لسيِّده - فإنِّى عبدُ نعمتك وصنيع إحسانك ، وَذَنبى وإن عظم وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة ، فالعفو عنه بعض حسناتك التى فُطِرْت عليها ، والإغضاءُ عنِّى سرُّ من أَسرارك التى تميل إليها . فاجعل العفو عنِّى

⁽۱) یعنی حفظك الله وصانك برعایته (۲) جملة معترضة یقصید بها تأکید ما یقول (۳) یعنی ان الخلوقات مستسلمة لاحکام الله وأقداره (۵) مآلها التفرق (۱) یعنی ان البغی فیه هلاك الباغی (۷) یعنی اقوم لك بجمیع ما تحبین وزیادة

قُرْبةً إلى مولى الموالى ، واترك العبد عتيق مكارم الأخلاق، وإلا فَضعْ سيفَ نقمتك، في نحر عبد نعمتِك ، وأنْتَ حِلٌ من دم أراقه أهله ، أو آل أمرُه إلى وارث لايسعهُ إلا النزولُ عن المطالبة به ، ألا وهو مقامُ جلالتكم السامى.

وحاشاك أن تَعدمَ الصادق فى خدمتك بهفوة لم يقصدها ، وذنب أقلعَ عنهُ . وعلى كل فالعبدُ بين يديك ، وأمرُه منك وإليك ، فقد ألقى إليك مقاليد الأَجل ، فافعل ما تشاءُ ، واتق الله عزَّ وجلَّ .

استعطاف أم جعفر (١) بن يحيى الرشيد لأَجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أرضعت الرشيد مع جعفر (٢) وربته فى حجرها وغذته برسلها (٣) وكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها ، والتبرك برأيها . وكان آلى وهو فى كفالتها ألا يحْجُبُهَا ولا استشفعته لأحد إلا شفعها . وآلت أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفعت لأحد مقترف ذنبًا ؛ فكم أسير فكت ، ومُبهم عنده فتحت ، ومُستغلق (٤) منه فرجت . فلما قتل ابنها جعفرًا وحبس يحيى زوجها وسائر أهل بيته طلبت الإذن فلما عليه ، ومتت (٥) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها ؛ فلما طال بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لِثامها محتفية فى مشيتها ، حتى طال بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لِثامها محتفية فى مشيتها ، حتى

⁽۱) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة ، وذكر الطبرى أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها عنابة وكذا صاحب نجباء الابناء . وذكر بعضهم أن اسمها عادة والله أعلم (۲) كذا ذكر صاحب العقد وقال الطبرى انها أرضعته مع الفضل ويؤيده قول سليمان الاعمى يرثى جعفرا ويسمستعطف الرشمسيد للفضل :

أمين الله فى الفضل بن يحيى رضيعك ، والرضيع له ذمام (٣) الرسل: اللبن (٤) المستغلق: العسمير فتحه (٥) مت اليه: توسل بقربة أو نحوها .

صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظئر (١) أمير المؤمنين بالباب، في حالة تقلب شهاتة الحاسد، إلى شفَقَة أم الواحد، فقال الرشيد: ويحك ياعبد الملك أوساعية؟ قال نعم ياأمير المؤمنين، حافية ، قال : أدخلها ياعبد الملك فرب كَبِدٍ غذتها ، وكُرْبة فرجتها ، وعورة سترمًا ، فدخلت. فلما نظر الرشيد إليها داخلة مُحْتفية قام مُحْتفباً حتى تلقاها بين عَمَد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه فقالت: ياأمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان؟ ويجفونا خوفاً لك الأعوان ؟ ويُحْرِدك(٢) علينا البهتان ، وقد ربيتك في حجري ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى و دهري؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ فقالت: ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أميرالمؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرضه لِلْحتف في شأَن موسى أَخيه (٣) ، فقال لها: ياأُم الرشيد أُمر سَبَق وقضاء حُمَّ(٤) وغضب من الله نفد ، قالت : يا أمير المؤمنين «يمحو الله ما يشاءُ ويُثْبِت وعنده أم الكتاب »(٥) قال : صدقت ، فهذا مما لم يمحه الله ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأَطْرَق الرشيد مَلِيًّا ثم قال: وإِذا المنية أَنشبَتْ أَظفارها أَلفيتَ كُلَّ تميمة لا تنفع(٦) فقالت بغير روية : ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأُول : وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال هذا بعد قول الله عز وجل « والكاظمين الغيظ. والغافين عن الناسِ والله يُحِبُّ المحسنين » . فأَطرق مليًّا ثم قال : يا أُم الرشيد أَقول :

⁽¹⁾ الظئر: المرضعة (٢) أحرده: أغضبه (٣) تشير الى ماكان أراده الهادى وهو موسى بن المهدى من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من بعده ونقلها الى ولده واحتيال يحيى بن خالد فى رد الهادى عن عزمه باذلا فى ذلك جهده (٤) حم الامر: قضى ونفد (٥) أم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ (٦) التميمة: ما يعلق للاولاد من كتابة أو غيرها دفعا للعين أو للمرض.

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر تُقْبِلُ فقالت : يا أُمير المؤمنين وأقول :

سَتَقْطَع في الدنيا إذا ما قطعتني عينك فانظر أي كف تَبَدل(١)

قال هارون : رَضِيتُ . قالت : فهبه لي يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ترك شيئًا لله لم يُوجِدِه (٢) الله لفقده » فأكب هارون مَليًّا ثم رفع رأْسه يقول: «لله الأمر من قبل ومن بعد» قالت: ياأمير المؤمنين « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاءً وهو العزيز الرحيم » واذكر يا أمير المؤمنين أليَّتك (٣) . ما استشفعتك إلا شفعتني ، قال : واذكرى يا أم الرشيد أليتك أن الشفعت لقترف ذنبًا . فلما رأته صرح بمنعها والأذرع) عن مَطْلَبَها ، أَخرجت حقًّا من زُمُرَّدة (٥) خضراء فوضعته بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا؟ ففتحت عَنْه قُفُلًا من ذهب فأخرجت منه خَفْضَه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : ياأمير المؤمنين أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جَسَدك ، وطيِّب جوارحك ليحيي عبدك ، فأُخذهارون ذلك فلَثَمَه ثم استعبر (٦) وبكى بكاءً شديدًا وبكى أَهل المجلس. فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق وقال لها . لحسن ما (٧) حفظت الوديعة ، فقالت : وأهل للمكافأة أنت ياأمير المؤمنين ، فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها وقال : « إِن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » قالت : والله يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»، ويقول: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: أو ما أقسمت لي أن لا تحجبني وَلَا

⁽۱) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية في باب العتباب . (۲) أوجده: أحزنه (۳) الالية: الحلف (٤) لا يلوذ: راغ وانحرف (٥) الزمرد: من الاحجار النفيسة (٦) استعبر: جرت عبرته وهي الدمعة قبل أن تفيض (٧) ما مصدرية .

وَلَا تَمْتهنى (١) ؟ قال : أُحب يا أُم الرشيد أَن تشتريه مُحَكَّمة (٢) فيه . قالت : أَنْصفت يا أَمير المؤمنين وقد فعلت غير مُستقبلة لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسْخِطك . قال : يا أُم الرشيد أَمالى عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالث : بلي يا أَمير المؤمنين أَنت أَعز على ، وهم أحب إلى . قال : فتَحكمي في تَمْنِيَةٍ (٣) بغيرهم . قالت : كلا . قد وهبتكه وجعلتك في حِل منه . وقامت عنه وَبَقِي مَبْهوتاً ما يحير (٤) لفظة .

قال سهل بن هارون . وَخَرَجَتْ فلم تَعد ، ولا والله ما رأيت لها عَبْرَة . ولا سمعت لها أَنةً .

استعطاف ابراهيم بن الهدي (٥) للمأمون

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدى فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : هيه (٦) ، يا إبراهيم ! فقال : يا أمير المؤمنين ولى الثار مُحكم فى القصاص «والعفو أقرب للتقوى » وعن تَنَاوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الشفاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . ثم قال :

ذنبى إليْك عظيمٌ وأنت أعظمُ منه فخذ بحقك أوْ لَا فاصفح بفضلك عنْهُ إِن لَم أَكُنْ في فعالى من الكرام قكنْهُ

⁽۱) امتهنه ابتذله: وأهانه (۲) يقول أن تطلبى ما تشائين ازاء هذا القسم (۳) التمنية والمنيسة: بمعنى واحد (٤) يقال: هو لا يحير جوابا أى لا يرد (٥) كان ابراهيم بن المهدى اخو الرشيد لابيه قد ادعى الخلافة بعد قتل الامين وقبيل عودة المأمون من خراسيان الى بغداد واعانه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاختفى حتى ظفر به المأمون، وكان ابراهيم بارعا فى الادب حسن الغنياء جيد الشعر توفى سنة ٢٤٢ ه فى خلافة اخيه المعتصم (٦) هيه مثل ايه للاستزادة أو للاستنطاق فهى اسم فعل .

فقال المأمون: شاورت أبا إسحاق(١) والعباس في قتلك فأشارا به ، فقال: فما قلت لهمايا أمير المؤمنين؟ قال المأمون: قلتُ لهمانبدؤه بإحسان ونستأمره (٢) فيه فإِن غيَّرَ فالله يغيرُ ما به . قال : أمَّا أن يكونا قد نصحا في عظيم بما جرت عليه السياسة فقد فعلا وبلَّغَا ما يلزمهما وهو الرأْيُ السديدُ ، ولكنك أبيت أَن تستجلبَ النصر إلا من حيث عَوَّدَكَ الله . ثم استعبرَ باكيًا ، فقال له المأمون: ما يُبْكيك؟ قال: جَذَلًا إِذ كان ذنبي إِلى من هذه صفته في الإِنعام؟ ثم قال: إِنه وإِن كَانَ قَدْ بِلْغُ جُرْمِي استحلالَ دمي فحلم أُمير المؤمنين وفضله يبلِّغَاني عفوه ولى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب . فقال المُأْمُونَ : يَاإِبْرَاهِيمُ لَقَدْحُبِّبَ إِلَى الْعَفُوحِتَى خَفْتُ أَنْ لَا أُوجِرَ عَلَيْهِ . أَمَا لُو عَلم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقرّبوا إلينا بالجنيّات ، لاتثريب (٣) عليك يغفر الله لك ، ولو لم يكن حق نَسَبِكَ ما يُبَلِّغ الصفحَ عن جُرمك لبَلغت ما أُملت حسنُ تنَصُّلِكَ ، ولُطف تَوَصُّلك ، ثم أمر بردِّ ضياعه وأمواله ؛ فقال إبراهيم : رددت مالى ولم تبخل عَلَىَّ به وقبل رَدِّكَ مالى قد حَقنْتَ دمى وقام عِلْمك بي فاحتجَّ عندك لي أله مقامَ شاهد عدل غير منهم والمال حتى أُسُلُّ النعل من قدمي

فلو بذلت دمى أبغى رضاك به

ماكان ذاك سوى عارية سلفت

لو لم تهَبْهَا لكنت اليوم لم تُلم

⁽١) أبو استحاق هو المعتصم بن الرشيد ، والعباس هو ابن المأمون ولقد أحسن ابراهيم في تصويب رأيهما لان ذلك أنجع في طلب الرضا وأبلغ في دُفَّع الْكُرُوهُ مِن الازدراء عليهما في رأيهما (٢) اصل الاستثَّماد : المشاورة: والمسراد هنا التجربة (٣) التشريب: اللوم والتعييس بالذنب (٤) حقن الدم: صانه .

استعطاف اسجاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لإسحاق بن العباس: تحسِبنى أغفلت أمر ابن المهدى وتأييدك له وإيقادك لناره؟ فقال: والله ياأمير المؤمنين لأجْرَامُ قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جُرْى إليك، ولرحمى بك أمتن من أرحامهم، وقد قال لهم كما قال يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لإخوته (لا تشريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطول، و مُمْتَثِلٌ (١) لخلال العفو والفضل.

قال : هيهات ، تلك أُجرام جاهلية عفا عنها الإسلام وجُرْمك جرم في أُسلافك وفي دار خلافتك .

قال: ياأمير المؤمنين، فوالله للمسلم أحقُّ بإقالة العَثْرة وغفران الذنب من الكافر، وهذا كتاب الله بيني وبينكم إذ يقول (سارِعُوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين * الذين يُنفقون في السَّرَّاء والضَّراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين) والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف.

قال المَّأْمُون : صدقت ، وَرَ تُ (٢) بك زنادى ، ولا بَرِحْتُ أَرى من أَهلك أَمثالك .

⁽۱) امتثل طریقته: تبعها فلم یعدها (۲) ورت بك زنادىووقدت بك زنادى وقدت بك زنادى مثلان یقالان لمن انجدك أو ارشدك . والمراد بهما اللعاء .

استعطاف الفصل (١) بن الربيع للمأمون

قال المأُمون للفضل بن الربيع لما ظفر به: يافضل، أكان من حقى عليك وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تَثْلبنى (٢) وَتَسُبَّنى وتحَرِّضَ على دى ؟ أتحبُّ أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال: يا أَمير المؤمنين، إِن عذرى يحْقُدُكَ إِذَا كَانُ وَاضحًا جميلا، فكيف إِذَا أَخْفَتْهُ العيوب! وقَبَّحَتْه الذنوب! فلا يضيق عنى من عفوك ما وسع غيرى منك، فأنت كما قل الشاعر(٣) فيك:

صَفُوحٌ عن الأَجرام حتى إِكانَهُ منالعفو لم يَعْرِف من الناس مجرما وليس يبالى أَن يكون به الأَذى لم يغش بالكره مسلما

استعطاف تميم بنجميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السَّدوسي (٤) قد خرج بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثير من الأَعراب ، فعظم أمره ، وبَعُدَ ذكره ، ثم ظُفِرَ به ، وحُمل موثقاً إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبى دؤاد : ما رأيت رجلاً عاين الموت ، فما هاله (٥) ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بنجميل ، فإنه لما مَثُلَ بين

⁽۱) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعسد نكبة البرامكة ثم وزير الامين فى خلافته ويقال: انه هو الذى أوغر صدر الرشيد على البرامكة حسدا لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نواس: توفى الفضل سنة ۲۰۸ هـ . (۲) ثلبه: تنقصه وصرح بعيبه . قال الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد يلا يحسن التعريض الا ثلبا *

⁽٣) القائل هو الحسن بن رجاء (١) سلوس: بطن من بنى شيبان ثم من بنى بكر (٥) هاله: أفزعه .

يدى المعتصم، فَأَحْضِرَ السيف والنطعُ (۱) وأوقف بينهما، تأمّلُهُ المعتصم وكان جميلا وسيا – فأحب أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره، فقال: تكلم ياتميم. فقال: أمّا إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعكل نسلهُ من سُلالة من ماء مهين ، جبر بك صدع (۲) الدين ، ولم بك شعث (۳) المسلمين ، وأوضح بك سُبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل. إن الدنوب تُخْرِسُ الألسنة الفصيحة، وتُعْبي الأَفئدة الصحيحة ؛ ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحرجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إلى أشبههما بك وأولاهما بكرمك ، ثم قال على البدية .

أُرى الموت بين السيف والنَّطع كَامِنًا يُلاحظني من حيثًا أَتَلَفَّتُ وأَكْبَرُ ظنِّي أَنك اليومَ قاتلي وَأَى امرى مما قضى اللهُ يُفلتُ ؟(٤) وأَيُّ امرئ يأْتى بعذر وَحُجّة وسيف المنايا بين عينيه مُصْلت وما جزعي من أن أموت وَإِنني لأَعلم أَن الموت شيءٌ مُوقت وَلَكُن خَلْقِي صِبْيَةٌ قَد تَهِرَكَتُهُم وأكْبادُهم من حَسْرة تَتَفتت كأَنى أَراهم حين أُنعى إليهم وَقد خُمَشوا تلك الوجوه وَصَوّتوا(٥) فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة أَذود الرّدى عنهم وَإِن مُت مُوِّتُوا(٦) وَكُم قائل لا يُبْعِدُ الله روحه وَآخر جذلان يُسَرُّ وَيشمت فتبسُّم المعتصم وَقال : كَاد وَالله ياتميم أَن يسبق السيف العَذَل ، قد وَهبتك

⁽¹⁾ النطع: بسياط من الجيلد يفرش تحت من يراد قتيله حتى لا يستقط دمه على الارض (٢) الصدع: الشق في الحائط ونحيوه (٣) الشعث: انتشار الامر والاشياء المتطرفة (٤) أفلت: تخلص ونجا (٥) أصلت السيف: استله من غموه (٦) خمش وجهه: لطمه وهو من اب ضرب ونصر (٧) موتوا: كثر فيهم الموت.

للصبية ، وغفرت لك الصَّبوة(١) . ثم أَمر بفك قيوده وخلع(٢) عليه . وكتب الجاحظ إلى ابن الزيات يستعطفه وكان قد تنكر (٣) له وتَلُوَّن عليه :

أَعاذك الله من سوء الغَضَب، وعصمك من سرَف (٤) الهَوى، وصرف ما أَعادك من الفوَّة إلى حب الإنصاف، وَرَجَّحَ فى قلبك إيثار الإناة (٥) فقد خفت _ أيدك الله ! _ أن أكون عندك عن المنسوبين إلى نَزَق (٦) السُّفهاء، ومجانبة سبل الحكماء، وبعد فقد قال عبد الرحمن (٧) بن حسان بن ثابت:

وإِن امرِءًا أَمْسَى وأَصبح سَالمًا من الناس إِلا ما جَنَى لسعيد وقال الآخر (٨) :

ومن دعا الناس إلى ذمه فموه بالحق وبالباطل

فإن كُنْتُ اجترأت أصلحك الله! _ فَلَمْ أَجترى إِلَّا لأَن دوام تغافلك عنى شبيه بالإهمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ، ولذلك قال عُينْنَة (٩) بن حصن بن حُدَيفة لعثمان رحمه الله: عمركان خيرًا لى منك أرهبني فاتقاني (١٠) وأعطاني فأغناني ، فإن كنت لاتهب عقابي _ أيدك الله! _ لخدمة فهبه لأياديك عِنْدِي ، فإن النعمة تشفع في النقمة ، وإلا تفعل ذلك فعد إلى حسن العادة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الأحدوثة (١١) ، وإلا فأت ما أنت أهلُه من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ؛ فسبحان من

⁽۱) الصبوة: الزلة وجهلة الشباب (۲) خلع عليه خلعة: منحه معض ثيابه وقد يراد به مطلق العطاء (۳) تنكر له: تغير (٤) السرف: مجاوزة الحد (٥) الاناة: الحلم والوقار (٦) النزق: الخفة والطيش (٧) هكذا يقول الجاحظ، وغيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع الاغانى (٨) من الناس من يروى هذا البيت في جملة أبيات لكعببن زهير، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي، راجع الاغاني (٩) هو سيد بني ذبيان في صدر الاسلام وهي سلالة حذيفة بن بدر الفزاري الذي كان السبب في حرب داحس والفبراء (١٠) اتقاه: صيره تقيا (١١) الاحدوثة: الحاديث والسيرة، جمعها أحاديث.

جعلك تعفو عن المتعمل وتتكباق (١) عن عقاب المصر (٢) ؛ حتى إذا صرت إلى من هفوت ذكر (٣) ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكر إلا لك والإنعام إلا منك هَجَمْت عليه بالعقوبة . واعلم – أيدك الله! – أن شين غضبك على كزين صفحك عنى ، وأن موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى بك(٤) . واعلم أن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام.

استعطاف رجل منأهل الشيام للمنصور

ياأمير المؤمنين من انتقم فقد شي غيظه وانتصف، ومن عَفا تفضل، ومن انتقم فقد شي غيظه وانتصف، ومن عَفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره، ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم والتشني طَرَف من الجزع، ولم يَمْدح أهل التقوى والنهي من كان حلياً بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل. وبعد: فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب (٥) والعافي مُسْتَرْع لشكرهم آمن من مكافأتهم، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه، على أن إقالتك عثرات عباد الله موصول بعفوه، وعقابك إياهم موصول موجبة لإقالة عثرتك من ربهم موصولة بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه. قال الله عز وجل: «خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين».

روح بن زنباع يستعطف معاوية

أَراد معاوية معاقبة رَوْح بن زِنباع ، فقال : ياأَمير المؤمنين أَنْشُدك الله تعالى

⁽۱) تتجافى: تتباعد (۲) أصر على الذنب أستمر (۳) يقول: هفوته هى تذكر الهفوة أو جربها على لسانه (٤) التشسيه فى هاتين الفقرتين من قبيل قولهم فى التفضيل: العسل أحلى من الخل. يقول: ان مقدار قبح الفضب كمقدار حسن الصفح وان مقدار موت الذكر عند الإنقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال (٥) الاولياء: الاهل والاقارب

ألا تضعمنى خَسِيسَة أنت رَفَعتها أو تنقُص منى مَريرةً (١) أنت أَبْرَمْتها (٢) أو تنقُص منى مَريرةً (١) أنت أَبْرَمْتها (٢) أو تشمت بى عَدوًّا أنت كَبَتَّه (٣) ، وحاسدًا بك وقَمْتُه (٤) وأَسأَلك بالله إلا أَرْبى حِلمك على خطئ وصفحك على جهلى . فقال معاوية : إذا الله سَنَّى (٥) عَقْد شيءٍ تيسرا ، وعفا عنه .

وقد أَلمُّ المتنبى يقول رَوْح إِذ يقول:

أَزِل حَسَد الْحُسّاد عنى بكَبْتهم فأنتَ الذى صيرتهم لى حُسّدا إذا شدّ زندى حُسنُ رأيك في يدى [[ضربتُ بسيفِ يقطع الهام مغمدا

ابن الرومي يستعطف القاسم (٦) بن عبيدالله

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله :

تَرَفع عن ظُلمى إِن كنت بريئًا ، وتفضل بالعفو إِن كنتُ مُسيئًا ؛ فوالله إِن لاَ أَعْرِفُه ، لِتَزْداد تطَوُّلا(٧) إِن لاَّطلبُ عفْوَ ذنب لم أَجْنِهِ ، وأَلتمسُ الإِقالَة مَّا لا أَعْرِفُه ، لِتَزْداد تطَوُّلا(٧) وأَزدادَ تَذَلَّلًا . وأَنا أُعِيذُ حالى عندك بكرمك من وَاشٍ يكيدها ، وأَحْرُسها بوفائك من باغ يُحَاول إِفسادها ، وأَسأَل الله أَن يجعل حَظِّى منك بقدر وُدِّى لك ، ومَحلَّى من رَجَائك بحيثُ أَستحقُّ منك . والسلام .

⁽۱) المريرة: الحبل الشديد الفتل (۲) أبرم الحبل: أجاد فتله ، والامر: أحكمه (۳) كبته: أذله وغاظه وصرعه لوجهه (٤) وقمسه: قهره (٥) سنى الشيء: فتحه وسهله ، وهذا شطر ببت وهو: وأعلم علما ليس بالظن أنه اذا الله سنى عقد شيء تيسرا (٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة وكتابة وأدب ، فقد كان وزيرا ابن وزير اما الكتابة فهو فيها معرق لانهيرثها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وهو الذي دس لابن الرومي السم في الطعام خوفا من لسانه توفي سنة ١٩٦ هـ وعمره نيف وثلاثون (٧) التطول: الانعام .

وكتب إليه :

لو كان فى الصَّمت موضع يَسعُ حالِي لَخَفَّفْتُ عَن سَمْع الوزيرِ ونظَره ، ولم أَشغَل وجهًا من فكره ، وما زالت الشكوى تُعربُ عن لسان البَلوى . ومن اختلت حالته كان فى الصَّمت هَلَكته (١) ، وقد كان الصَّبر يَنْصُرُنى عَلَى ستر أَمرى حتى خذلني .

استعطاف للغوارزمي

لَوْ بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتبصاري (٢) كيف يقدر أبق الله السيد! - على الدّواء ، من لا يهتدى إلى أوجه الدّاء ؟ وكيف يكذارى أعداء من لا يعرف الأعداء من الأصدقاء ؟ أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء ؟ أم كيف يكثر أبه الهارب مِنْ بين الأرض والسماء ؟ الكريم وأيد الله مولاى! - إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق . ولقد هربت من الشيخ إليه ، وتسلحت بعفوه عليه ، وألقيت ربقة (٣) حَياتى و مماق بيديه ، فليذقني حلاوة رضاه عنى كما أذاقني مرارة انتقامه منى ، ولتلكح (٤) على حالى غرة (٥) عفوه كما لاحت عليها مواسم (٦) غضبه وسطوه ، وليعلم أن الحر كريم الظفر إذا نال أقال ، وأن اللئم لئم الظفر إذا نال استطال (٧) ، وليغتم كريم الظفر إذا نال أقال ، وأن اللئم لئم الظفر إذا زال استطال (٧) ، وليغتم مقام من يرتجى ويخشى ، وركب نصابه فى رتبة شاب الزمان ومجدها فتى ،

⁽۱) الهلكة الهلاك (۲) الشرق بالماء كالفصة بالطعام والاعتصاد معالجة الفصص بشرب الماء قليلا قليلا ، والبيت لعدى بن زيد العسادى الشاعر الجاهلي من قصيدة يستعطف بها النعمان بن المنسدر يقول ان الانسان اذا غص بالطعام عالجه بالماء فماذا يصنع اذا كانت غصسته بالماء نفسه (۳) الريقة العروة التي يربط بها ويراد بها الزمام (٤) لاحظهر (٥) الفرة بياض في وجه الحيوان والمراد هنا الاثر (٦) المواسم: العلامات (٧) استطال تطاول واعتدى .

وأَخلقَ العَالَمُ وذكرُها طرى ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يذنب إليه من اعتذر . وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه ، وعصمه مما يزيد به فى جماجم أعدائه .

اعتذار لسعيدبن حميد

كتب سعيد(١) بن حُميد يعتذر:

أنا من لا يحاجُك عن نفسه ، ولا يُغَالطك عن جُرْمه ، ولا يلتمس رضاك إلا من جهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالا من جهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب ، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجرم . نبَتْ بي عنك غِرَّة الحداثة ، وردتني إليك الْحُنْكة (٢) ، وباعدتني منك الثقة بالأيام ، وقادتني إليك الضرورة ؛ فإن رأيت أن تستقبل الصَّنيعة بقبول العذر ، وتجدِّد النعمة باطراح الحقد فإن قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة ، وإن أيام الحياة وإن طالت قصيرة ، والمُتْعَة بها وإن كثرت قليلة .

اعتذار لابي على البصير

كتب أبو على البصير يعتذر:

أَذا أَحد مَنْ أَسْكَنْته ظلك ، وأَعلقته حبلك (٣) ، وحبوته بلطيف بِرّك وخاص عنايتك ، وانتصف بك ، ولا يعتمد إلا عليك ، ولا يستنجح (٤) طلبه إلا بك ، وقد كان فَرَط مِنِّى قول إِن تأَوَّلْتَه (٥) لى أراك وجه عذرى وقام

⁽۱) هو من أولاد الدهاقين ، كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فيره . فصيح ، أخذ عن الامام الاعرابي ويؤخذ عليه انه كثير الاخذ لكلام غيره . (۲) الحنكة : خبرة التجارب (۳) وصلته وقيدته بزمام مسودتك (٤) استنجح حاجة وتنجحها : تنجزها وطلب نجاحها (٥) أول الكلام وتأوله فسره .

عندك بحجَّى ، فأغنانى عن توكيد الأيمان على حُسْن نِيَّتِى ، وإِن تأولته على أَحاق(١) بى لانمتك(٢) وحبسنى على أسوإ حال عندك أوقد أتيتنى معترفاً بالزّلة ، أَمُسْتكيناً (٣) للمَوْجِدَة(٤) عائذاً بالصفح والإقامة ، فإِن رأيت [أن] تُقِرَّ عَيْناً ورت بنعمتك عندى ، ولا تسلبنى منها ما ألبستنى ، وأَن تقتصر من عقوبتى على المكروه الذى نالنى بسبب عتبك على ، وتأمَر بتعرينى رأيك بما يُطَامِن(٥) هلعى ، وتَسْكُن إليه نفسى ، ويَأْمَنُ به رَوْعى(٦) ، فعلت ، إِن شاء الله .

وكتب البديع إلى القاسم الكُرَخي يعتذر:

يعزَّ علىَّ ــ أَطال الله بقاء الشيخ الرئيس! ــ أَن ينوب فى خدمته قلمى، عن قدمى، ويسعد برؤيته رسولى، دون وصولى، ويرد شِرْعة (٧) الأُنْسِ به كتابى قبل رِكَابى، ولكن ما الحيلة والعوائق جَمَّة:

وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وليس على إدراك النَّجَاح

وقد حضرت داره، وقبّلت جِدَاره، وما بى حب الجدران، ولكن شَغفاً بالقُطَّان، ولا عشق الحيطان، ولكن شوقاً إلى السكان(٨)، وحين عَدَت(٩) العوادى عنك أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرًا إلى مولاى عن تقصير وقع، وَفُتُور في الخدمة عرض، ولكني أقول:

إن يكن تركى لقصدك ذنبا فكفى أن لا أراك عقابا

(٩) منعت الموانع .

⁽۱) احاق: انزل (۲) اللائمة: اللوم (۳) استكان: خضع ، وهو من الكون فوزنه افتعال بزيادة الالف للاشباع كما قالوا في انظر (انظور) ويرى بعض الناس انه من الكون وليس بوجه لان المعنى لايعنيه وهو الفضب (٥) يطامن: يخفض يخفف (٦) الروعالقلب وهو ايضا الفزع والخووف (٧) الشريعة والشرعة والمشرعة مورد الشاربة من الماء (٨) الم البديع هنا بقول الشاعر: أمر عملى الديار ديار ليلي أمر عملى الديار ديار ليلي وما حب الديار شميفن قلبي وما حب الديار شميفن قلبي وما حب الديار شميفن قلبي الديار شميفن قلبي وما حب الديار شميفن قلبي الديارا

الباب الثاني الثاني الثاني التقاضي والطلب الثاني (١) في رسائل حسن التقاضي والطلب

كتب عبد الله بن سليمان أبو العيناءِ المتوفى سنة ٢٨٢ ه :

أَنا _ أَعزَّك الله ! _ وعيالى زرعٌ من زَرْعك ، إِن أَسقيته رَاع(٢) وزكا ، وإن جَفَوتَه ذبلَ وذوى(٣) ، وقد مَسَّنِى منك جفاءٌ بعد بر ، وإغفالٌ بعد تعاهد ، حتى تكلم عدُّوٌ ، وشمت حاسدٌ ، ولعبت بى ظنونُ رجال كنتُ بهم الاعِباً ، ولهم مُخْرِساً :

لا تَهَنِّي بَعْدَ أَن أَكْرَمْتني وشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَّعَهُ

وكتب المرحوم عبد الخالق باشا ثروت :

إليك _ يا من قد استأسر النفوس بكرمه ، واسترق الأحرار بجميل صُنْعه ، وأولى النعم والخيرات ، وأسدى المعروف والمبرات _ أرفع كتاباً ، تبعثه إلى ناديك العالى عوامل الحاجة ، وتزجيه (٤) إلى ساحتك دواعى الشدة ، آمل أن يكون تذكرة بأمرى (والذّكرى تنفع المؤمنين) وتذكرة بحالى (والله لا يضيع أجر المحسنين) فقد كان سيّدى ، رفع الله قدره وأعلى مرتبته ، وعَدنى ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة (٥) الوُثقى ، ويقطع حبل الإخلاف بسيف الوفاء ، ويُطرز خلعة الوعد بوشى العطاء _ أن يُرسِلَ إلى مِنْ خَيْراته ويوليني من آلائه وحسناته ، ويضاعف لى من مِننِه ، ويزيدنى من عطائه ما أشد به أزرى (٦) على وحسناته ، ويضاعف لى من مِننِه ، ويزيدنى من عطائه ما أشد به أزرى (٦) على الزّمان ، وأطاول به نوائب الحدثان (٧) ، فقد بارزنى الدهر بسيوفه ، ورمانى

⁽۱) والغصل الأول في الرسائل التجارية التي أغفلناها في كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (۲) نما وزاد . (۳) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم (٦) ظهرى . (٧) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر .

بسهامه ، وأَناخ (١) علىَّ بكلا كِلِه (٢) ، وقد طال الأَمدُ (٣) على حاجتي عند سيِّدي _ أطال الله بقاءه ! _ حتى شاب غراب شبابها ، وصاح بجانب ليلها ، فخفتُ أَنْ تَكُونَ هَبَّتْ عليها ريحُ النِّسْيَانَ ، وعصفت (٤) بها عاصفة (٥) الْحِدثان (٦) . فَكَتَبِتُ إِلَى سيدى ومولاى تلك الرقعة ، أَستعجلُ بِهَا بِرَّهُ ، وأَسْتَكِرُّ بِهَا ضَرْعَ عَطَائِهِ ، علماً بـأَن التعجيل يُكَبِّر العَطية وإن كانت صغيرة ، ويُكثرها وإِنْ كَانْتَ يَسْمِيرَةُ ؛ فَعْسَى أَنْ يُكُونُ قَدْ لَاحَ نَجْمُ النَّجَاحِ ، وَهُبُّ نَسْيُمُ الفلاحِ فَيُرْسِلُ إِلَىَّ سيدي سحاب كرمه ، ويمطرني من غِيَاتْ فَضْله ، فَتَرَفُّ (٧) غصون آمالي بعد ذُبُولها ، وتضحك وُجُوه مطالبي بعد عُبُوسها ، وَأَمَلِي في ذلك فسيحٌ ، فإن سيِّدى من أكرم الناس نسباً وأشرَفهم حسباً ، ومثله جديرٌ (٨) بحفظ. العهدوإنجاز الوَعْد . فإن رأى سيدى أن يخفف ثقل الحاجة عَنِّي ، ويَرُدُّ ما سلبه الدُّهْر مِنِّي بقَطْرَةٍ من بحر عطائه ، وَمِنَّةٍ (٩) من بعض آلائه (١٠) ، ويُجبرَ ما كسرَهُ الفقرُ من جَنَاحي ، وَيَرُدُّ عَنِّي النوائب لاتفتأ (١١) تتولاني، عقدتُ لساني على مدحه ، ووقفت نفسي على شكره ، فَيُحْرِزُ من الله أَجِرًا جزيلًا ، ومنى شكرًا جميلًا ، إن شاءَ الله بمنه وكرمه .

وكتب المرَحوم أحمد بك رأفت:

السيد الكامل - أدام الله علاءَهُ ، وأطال بقاءَهُ ، وجعله مَوْئل (١٢) الكرم ، وَمُسْدِى النَّم - قد غمرنى بنعمائه ، وطوقنى بآلائه ، حتى قصرتُ حَسْدِى عليه ، وأمسكت لسانى عن الشكر إلا إليه ، وكان من مِنْنِهِ على وأياديه البيضاء لدى أن

⁽۱) مال (۲) مصائبه (۳) الفاية (۶) اشتدت (٥)الريح (٦) حوادث الدهر (۷) تتلالا (۸) حقيق (۹) نعمة (١٠)آلائه: أفضاله (۱۱) تستمر (۱۲) ملجأ .

وعدنى يُقلِّدُنى في أول العام وظيفةً عالية ، ومرتبة سامية ، فاخضلَّ (١) رَوضُ الأُمل بعد ذبوله ، وبزغ (٢) كوكبُه بعد أُفوله (٣) واتسع نطاقه (٤) واستبشرَ القَلَبُ بنيل أُمْنِيته ، والحصول على طِلْبته . واشتدَّ أَزْرِي (٥) على مقارعة كتائب (٦) الزمان ، وقَوى جناني على صد جُيوش الحدثان ؛ وما زالت في الأيام حتى حان أُوَّلُ العام ، وما تحقَّقَ الوعدُ ، أو أُوفى العهدُ . ومثل السيَّد من إذا وعد وَفَّى ، أو تعهد أوفى :

تنوءُ بي البُؤسي ويُثقِلُني العُسرُ أَوَفِي دين ذِي المعروف يبجمُلُ أَنَّني وأنت الذى أعطى المكارم حقها ولم يحك جَدُواك السّحاب ولاالبَحْرُ فعجّل فخيرُ البرّ يُحمد عاجلاً وأُوْف فوعد الحر دِين به الحرُّ

هذا ؛ ولكنني رجعت وحكَّمت العقل ، فعذرتُ السيد ، وحملتُ ذلك على أَنه إنما لم يعجّل بـإنـجاز وعده ، وإيفاءِ عهده ، إلا لتقليد عبده وظيفةً أَسْمَى ومرتبةً أَعلى ، علهُ يستدرِك ما فات ، ويُحسنُ إِلَى عبده فيها هُو آت.

وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد:

عهدى بالسيد الجليل - أدامه الله مصدرًا للمكارم تَشْتَقُّ منه صفاتها ، ومظهرًا للفضائل تَتجلى فيه آياتها ، سبَّاقاً إلى غايات المجد دَرَّا كا لمطالب الحمد ، أريحيًّا (٧) لا يصبو (٨) إلا إلى إسداء المنن (٩) ، جواداً لا يطمع طرفه في بث عوارفه إلى ثمن ، ما أمَّه (١٠) أسيرُ فاقة (١١) إلا وألني (١٢) لديه كهفاً منيعاً ؛ وجاهاً رفيعاً ، ومَا قصدَهُ ذو حاجةِ إلا وصدر (١٣) عن مورد (١٤) فضله

⁽٥)ظهري (۱) صار ندیا (۲) طلع (۳) غیبته (۶) ثوبه (۹) احسان (٦) الجيوش (٧) يرتاح للعطاء (٨) لا يميال (١٤) مكان (۱۱) فقر (۱۲) وجد (۱۳) رجع (١٠) قصد الورود .

شادياً (١) بثنائه ، معلناً بولائه . وإن لى إلى السيّد حاجة إن لم يُسعف بقضائها أ فياحسرة نفسي وطول شقائها . وليست هذه بأول مرة استمحت (٢) فيها عالى مُرُوءته ، واستمطرت صيِّبَ (٣) هِمَّته ، فإنه طالما طوَّقني قلائد نعمه ، وأرسل على مدرار (٤) كرمه ، فليجر في هذه أيضاً عادته ويقابلني مما عوَّدني من كرامته . ومعاذ الله أن أسأله ما ليس في وسعه ، أو أن أستقضيه شيئاً يحرصُ على مَنعه ولكنني :

أُريدُ بسطة كفِّ أستعين بها على قضاءِ حقوق للعُلَى قِبَلي

والذي يكفل لى البسطة : أن يقلدني سيدى وظيفة مناسبة لحالتي ، حتى مَكُونَ لَى درعاً أَتِي بها مهانة الفقر، وسيفاً أَكفُّ به عوادى الدهر، ومالى والإقسام عليه في إنالتي هذه البغية ، بنفيس وقت قضيته في خدمة العلم ، واقتناء أبكاره ، وطويل عناء تحملته في مزاولة (٥) الأدب واكتشاف أسراره ، ونفس ارتاضت (٦) بالفضل ، وآثرت (٧) غصة الفقر على منَّة البذل ، وله من سنيات (٨) الفضائل(٩) ﴿ وعليات الفواضل(١٠) وجليات المآثر ، وجليلات المفاخر – ما لو أقسم به عليه في إنالة أعز المطالب ، لأَلزمه كرم سجاياه برّ ذلك القسم ، وإِجابة دواعي الهمم ، وإنك لفاعل إن شاءَ الله تعالى .

وكتب فقيد الأدب حسن افندي توفيق العدل ، المتوفي بلندن سنة ١٣٧٢ للهجرة:

كتابي إلى ربّ النعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحت كما قال الحريري :

⁽١) مترنما (٢) سأله العطاء (٣) السحاب (٤) مابدربالطر (٥) معاناته (٦) تمرنت (٧) اخترت (٨) عاليات (٩) جمع فضيلة . وهي الدرجة (١٠) جمع فاضلة ، وهي النعمة الجليلة .

«خاوِی(۱) الوفاض(۲) بادی(۳) الإنفاض(٤) ، لا أملك بُلْغة(٥) ، ولا أجد في جرابي مضنة »(٢) – قد التوی علی آمری ، وثقل من حاجتی ظهری ومد الاحتیاج إلی أطنابه(۷) ، وسر بلنی(۸) الافتقار إهابه(۹) ، والدنیا مکدرة باً حداثها(۱۱) وقصُورها منغصة با حداثها(۱۱) نعیمها یصفو(۱۲) ولکن لایصفو . وأنت – کما أعلم – مفر ج کُربتی ، ومُنقذی مِن شدتی ، بطُرفة(۱۳) من طرف رفدك(٤١) ، ولمحة من لمحات بر ك(٥١) فإن استدر رث (١٦) حلوبة(١٧) مالك ، فقد لاذ غیری بجاهك ، ما بممت(۱۸) غیرك . وکیف یقصد النهر ، من جاور البحر ، ویحتاج إلی النجم من یسری فی ضوء البدر ؟ فأستهز عطف(۱۹) جودك وأستمطر سحاب کرمك . کیف لا وأنت قبلة المعروف! وملاذ اللهوف! إلیك تُشد الرّحال ، وبك تُناط الآمال ، أولیاؤك منك فی ظل المهوف! إلیك تُشد الرّحال ، وبك تُناط الآمال ، أولیاؤك منك فی ظل المهوف ! إلیك تُشد الرّحال ، وبك تُناط الآمال ، أولیاؤك منك فی ظل

مَن قاسَ جدواك يوماً بالسحب أخطاً مدحك فالسحبُ تعطى وتبكى وأنت تعطى وتضحك نسَب الكرم بك عريق ، وروض المجد أنيق ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، تهتز للمكارم اهتزاز الحسام ، وتثبت أمام الشدائد بثغر بسام : تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله حكمت الآمال في أموالك ، واستعبدت الأحرار بفعالك ، ينابيع المجود من أملك تتفجر ، وربيع الساح بك ضاحك لا يضجر ، فلا زلت

الاندفاق ؟ ! - لكن :

⁽۱) خالى (۲) بكسر الواو جراب الزاد (۳) ظاهر (۶) فناء الزاد والمال (۵) بضم الباء المؤنة القليلة (٦) انتهى كلام الحريرى (٧) حبال الخيمة (٨) البسنيه قميصا (٩) جلدة (١٠)مصائبها (١١) حدوثها (١٢) يكسو (١٣) بنعمة (١٤) عطائك (١٥)احسانك (١٦) استحلبت (١٧) ما تحلب (١٨) ما قصدت (١٩) جانب

مولاى ممتَّعًا بشرف سجاياك وشيمك ، مستمدًّا الشكر من غِرَاس نعمك ، ولا زالت الأَنام تنتفع بتاك الشيم وتجنى ثمار ذلك الكرم ، ودمتَ للمكارم بِلْرَ تِمَّ لا يَنَالُهُ خَسُوفَ ، وشمس فضل لا يَلْحَقُّهَا كَسُوف ، أَطال الله لك البقاء ، كتطول يديك بالعطاء ، آمين .

استمناح رجل لعبدالملك بن مروان

وَفَدَ رَجِلٌ مِن بَنِي ضَبَّة على عبد الملك بن مَرْوَان فقال:

والله مَا نَدْرى إِذا ما فانَنَا طَلَبٌ إِلِيكَ من الذي نَتَطَلَّبُ ؟ فلقد ضَرَبْنَا (١) في البلاد فلم نَجِد أَحدًا سِوَاكُ إِلَى المَكَارِم يُنْسَبُ ؟ فاصبر لعاداتنا التي عوَّدتنا أولاً ، فأرشدنا إلى مَنْ نذهبُ ؟

فقال عبد الملك : إِلَّ ! إِلَّ ! وأمر له بأَلف دينار ، ثم أتاهُ في العام المقبل فقال:

يَرُبّ (٢) الذي يأتى من الخيرأنه إذا فعلَ المعروفَ زاد وتَمما تَتَبُّعَه بالنقض حتى تَهَدّما وليس كبانٍ حينَ تُمَّ بناؤهُ

فأعطاه ألفي دِينار . ثم أتاه في العام الثالث فقال :

إِذَا استمطروا كانوا مَغَازِير (٣) في الندى يَجودُون بالمعروفِ عودا على بَدْء فأعطاه ثلاثة آلاف ديذار

⁽۱) ضرب في الارض سافر (۲) رب: زاد وأصلح (۳) أغزر المعروف جعله غزيرا . والمغازير لا يكون الا جمعا لمفزار أو مغزير من صيغ المالفة ولم أجدهما في اللسان والقاموس ، وفي المخصوص سحابة مغزار: غزيرة فيكون جمعا لمفزار (حتا) .

استمناح العتابي لاحدأصدقائه

كتب كُلْثُوم(١) بن عمرو العَنَّابي إلى صديق له :

أَمَّا بَوْدُ _ أَطال الله بقاءك ، وجعله ممتد بك إلى رضوانه ، وَالْجِنَّة _ فإنك كنت عندنا رَوْضَةً من رياض الكَرَم ، تبتهج النَّفُوس بها ، وتستريح القلوب إليها ، وَكُنَّا نُعْفِيها من النَّجعة (٢) استهاماً لزَهْرَتها ، وشفقة على خُضْرَتها -وادّخارًا الثمرتها ، حتى أصابتنا سَنَةٌ كانت عندَى قطعةً من سِنِي يوسف ، واشتد علينا كَلَبُها(٣) ، وغابت قِطَّتها وكذبتنا غُيُومُها ، وَأَخْلَفَتْنا بُرُوقُها ، وفقدنا صالح الإِخوان فيها ، فَانْتَجَعْنُك ، وأَنا بانْتِجَاعِي إِياك شديد الشَّفَقَة عليك ، مع عِلمي بـأَنك موضع الرَّائد(٤) ، وأَنك تُغَطِّي عين الحاسد ، والله يعلم أنى ما أعُدُّك إلا في حومة (٥) الأهل.

واعلم أن الكَرِيم إِذا الدتحيا من إعطاءِ القليل ولم يُمكنه الكثير لم يُعْرَف جودُه ولم تَظهر هِمَّته ، وأَنا أَقول في ذلك(٦) :

إِذَا تَكَرَّمْت عن بذل القليل ولم تَقْدِر على سَعَةٍ لم يَظْهَر الجودُ بُثَّ النَّوَال ولا تمنَّعك قِلَّتُه فكلّ ما سَدَّ فقراً فهو محمود قيل: فشاطره جميع ماله.

فاو كان الشكر شخص يبين اذا ما تأمله الناظر لمثاته لك حتى تراه لتعلم أنى امرؤ شاكر وله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أخبار ونوادر .

⁽١) من سلالة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، وكان شاعرا مترسلا بليفا مطبوعاً متصرفا في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن شعره في الشكر

⁽٢) النجعة طاب الكلا في موضعه (٣) الـــكلب: القحط وبلاء الشيتاء ومرض يصيب الكلاب (٤) الرائد الطالب (٥) الحومة هنا الجماعة والطائفة (٦) كذا ذكر القالي في اماليه وقد حذفنا من روايت. ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالفرض . هذا والمعروف أن هسده الابيات لشاعر يسمى حماد عجرد أو لبشار بن برد لا للعتابي وتبعة هــــــذا على القالي

استمناح أعرابية لعبد الله بن أبي بكرة

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبى بكرة (١) بالبصرة ، فوقفت بين السماطين (٢) ، فقالت : أصلح الله الأمير وأمْتَع به _ حَدَرَتْنَا إليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاوها ، أقُودُ صبية صغاراً ، و آخرين كباراً ، فى بلدة شاسعة تخفِضُنا خافضة ، وترْفَعُنا رافعة ، للمّات من الدهر أذْهَبْنَ لحمى وبرَين عظمى ، وثركُننى والهة (٣) أدُور بالحضيض ، وقد ضاق بى البلد العريض ، فسألت فى أحياء العرب : مَنْ الكاملة فضائله ، المُعْظِى سائله ، الكافى نائله ؟ فدللِلت عليك _ أصلحك الله تعالى ! _ وأنا امرأة من هوازن (٤) ، قد مات الوالد ، وغاب الرّافِدُ ، وأنت بعد الله غيانى ومنتهى أملى ، فاصنع بى إحدى ثلاث خصال : إمّا أن تردّنى إلى بلدى أو تحسن صَفدى (٥) ، أو تُقِيمَ أوْدِى (٦) .

فقال : بل أَجمعُهُنَّ لك، ولم يزل يُجْرِى عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت .

استمناح حكيم فارسى للمهلب

قال الهيثم بن عَدِى: قدم حكيم من حكماء أهل فارس على المُهلِّب بن أبى صُفْرة فقال : _ أصلح الله الأمير ! _ ما أَشْخَصَتنى الحاجَةُ ، وما قَنَعْتُ بالمقام ، ولا أرضى منك بالنصف إذ قمتُ هذا المقام . قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لأن الناس ثلاثة : غنيٌ ، وفقير ، ومُسْتزيد . فالغنيُّ من أُعطى ما يستَحِقه ، والمُعْترُ من أُمُنِعَ حقه ، والمستزيدُ الذي يطلبُ الفضلَ بعد الغِنَى ، وإنى نظرْتُ

⁽۱) هو ابن أخى زياد ابن أبيه (۲) السماط الصف (۳) الوالهة والولهى الشديدة الحزن (٤) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن ابى بكرة نسسبه فى ثقيف وهم من هوازن فهى تريد أن تميله بعاطفة القسرابة (٥) الصفد: العطاء (٦) الاود: الاعوجاج .

في أُمرِك فرأَيتُ أَنك قد أَدَّيت إِلَّ حتى ، فتاقت نفسى إِلَى استزادتك ، فإِنْ منعتنى فقد أَنْصفْتنى وإِنْ زدْتنى زادت نعمتك على . فأَعْجب المهلب كلامُه وقضى حوائجه .

تلطف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدم رجل من أهل الشام على أبى جعفر المنصور فتكلم كلاماً حسناً ، فقال له أبو جعفر : حاجتك ؟ فقال : يُمْلِيك الله يا أمير المومنين . قال : حاجتك ، فإنه ليس كلَّ ساعة يمكنك هذا ولا تُوْمر به . فقال : والله ما أستقصر عمرك ، ولا أخاف بُخلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن سُؤالك لشرَف ، وإن عطاءك لزين . وما بامرئ بكذل وجهه إليك نقص ولا شَيْن . فأمر له المنصور بمنحة سنية .

وقد أَلمَّ الرجل في أكثر معانيه بقول أُمَية بن أَبي الصَّلت يستمنح عبد الله بن جُدْعان(١) القرشي:

عطَاوك زَيْنٌ لامرئ إِنْ حبوتهُ ببذل وما كلّ العطاء يَزينُ ولَيْسَ بشيْن لامرئ بذل وجه، إليك كما بعض السُّؤال يشِين

ومن ألطف الاستمناح قول أمية يَخَاطب ابن جُدْعان أيضاً: أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء وعلمك بالأُمور وأنت قرم لك الحسب المهذّب والسَّنَاءُ (٢) كريم لا يُغَيِّرُه صباح عن الْخُلق الجميل ولا مَسَاءُ

⁽۱) عبد الله بن جدعان من تيم رهط سيدنا أبى بكر الصديق ، وهو جواد مشهور . وكان أمية مداحاً له منقطعا اليه ، وتوفى أميسة بين يدى الاسلام .

⁽٢) القرم: الفحل والسيد ، والسناء: الشرف والسنا: الضوء ،

تُبَارى الرِّيح مَكْرُمة ومَجْداً إذا ما الكلبُ أَجْحَره الشِّتَاءُ(١) إذا أَثنى عليك المرءُ يوماً كفاه مِن تَعَرُّضه الثناءُ(٢)

استمناح عبد العزيز بن زرارة لمعاوية

قال العُتْبى: وفارَ عبدُ العزيز بن زرارة على معاوية ، فلما أذِن له وقف بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين! لم أزل أهُزُّ ذوائب(٣) الرحال إليك ، إذ لم أجد مُعَوَّلا إلَّا عليك ، أمْتَطى الليل بعد النهار ، وأسم(٤) المجاهل بالآثار بقودُنى إليك أمَل وتَسُوقنى بَلْوَى ، والمجتهديُ عُذَر ، وإذا قد بلَغتك فقطنى (٥) فقال معاوية : احْطُط. عن راحلتك .

* * *

ولما وَكَى الخليفةُ المُهتَدِى مُليهانَ (٦)بن وَهْب وزارته قامَ إِليه رجلٌ من فوى حُرْمته فقال: _ أَعزَّ الله الوزير! _ أَنا خادمك المؤمل لِدَوْلَتِك، السعيد بأيامك، المنطوى القلب على وُدّك، المنشُور اللسان بمدحك، المُرْتَهَن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر:

وفَّيْتُ كلَّ صديق وَدَّنَى ثَمْناً إِلَّا مُؤمل دوْلاتى وأَيَّامى فإِنَّنَى ضامن أَن لا أَكافئه إلا بتسويغه فضلى وإنعامى(٧) وإنى لكما قال القيسي(٨): مازلت أمتطى النهار إليك وأستدل بفضاك

⁽۱) أجحره: الجأه (۲) يقول: انك لا تجشم المحتاج مئونة السؤال لانك تستغنى بثنائه عن استجدائه (۳) الذوائب: جمع ذؤابة وهى الجلدة المتعلقة على آخر الرحل (٤) وسم الارض كوعد: ترك فيها أثرا (٥) قطنى اسم الفعل بمعنى يكفينى ومثلها قدنى (٦) سليمان ابن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ٤ وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيد القاسم . توفى سليمان سنة ٢٧٢ هـ (٧) سلوغه: أناله (٨) يريد بالقيسى عبد العزيز بن زرارة المتقدم ذكره لانه من بنم عامر ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها .

عليك ، حتى إذا اجتن الليل فغض البصر ، ومحا الأَثْر ، قام الرجاءُ يدنى سائر أَملى ، والنفس راغبة والاجتهاد عاذر ؛ وإذ قد بلغتك فقِدْنى .

فقال سليان : لا عليك ، فإنى عارف بوسيتك ، مُحتاج إلى اصطناعك وكفايتك ، ولست أُؤخِّرُ عن يومى هذا توليتك مايحسُنُ عليك أثره ، ويطيب لك خبرُه .

وكتب رجل من أهل البصرة إلى أخ له :

أما بعد، فإنه يسهل عَلَى طلب الحاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر من قبل الله وبه تمامها . فأمّا اللذان فيك فاجتهادك فى النُّجْح ، ومبالغتك فى الاعتذار ، وأمّا اللذان لى فإنى أضيق عليك بِعُذْرِى ، ولا أصون عنك شكرى ، وأما الذى من قِبَلِ الله عز وجل فإيمانى بأن كل مقدر كائن ، والسلام .

وكتب المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى :

أذا إن سألتك حاجتى – أعزك الله ! – وبسطت إليك يد رجائى فقد طرقت باب المكارم ، واستمطرت غيث المراحم ، ورجوت واحد الدهر هِمَّةً وحَزْماً ، وذادرة الوجود كَرَماً وفضلاً . فإن أنجزتها فليست أولى الهمم ، ولا واحدة النعم ، فلكم سبقت إلى منك أياد تخرس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق بها جرائدُ (١) الحصر ، ولقد مثلت – أيدك الله ! – بين [أن] أَسْتَشفعُ إليك بِذَوى الجاه عندك ، والزلني (٢) لديك ، وبين (٣) أن أكِلُ ذلك إلى كَرَمِك وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر ، وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر ، وأيت أن الثانية بك أحرَى ، وبفضاك أجْدَر ، والسلام .

⁽۱) الجرائد: جمع جريدة وهي السعفة وكانت يكتب فيها ، فالمراد الصحائف (۲) الزلفي: القربة والمنسزلة (۳) كرر الكاتب بين توكيدا ، وهو جائز مسموع ، وأنا استحسنه اذا أطال ما قبل المعطوف كما هنا .

استمناح الصابيء لاحد الرؤساء

وكتب أبو إسحاق الصابىء(١) إلى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة _ أطال الله بقاء الأمير ! _ بالتمهيد للحاجة قبل مَوْرِدها وإسْلاف (٢) الظنون الداعية إلى نجاحها . وسالك هذه السبيل يُسيء الظن بالمسئول ، فهو لا يلتمس فضله إلا جزاء ، ولا يستدعى طَوْلَه إلا غضاء . والأمير بكرمه الغريب ، ومذهبه البديع ، يؤثر أن يكون السلف له بالابتداء منه ، ويوجب على المهاجم برغبته إليه حق الثقة به . فالحمد لله لذى أفْرَدَهُ بالطرائق الشريفة ، ووحده بالخلال المنيفة ، وجعله عين زمانه البصيرة ، ولَمْعَتِه (٣) الباقية المنيرة .

وكتب محمد بن عَيَّاد إلى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقَرَّب إليه:

ما زلْتُ - أَيدك الله تعالى ! - أَذُمُّ الدهر بِذَمِّكَ إِياهُ ، وأَنتظرُ لنفسى ولك عُقْباهُ ، وأَتمنى زوال من لا ذَنْبَ له ، إلى عاقبه محمودة تكون بزوال حاله وأتركُ الإعْذَار(٤) في الطلب على الاختلال(٥) الشديد ضَنَّا بالمعروف عندى إلَّا عن أهله ، وَحُبًّا لرجائى إلا عن مستحقه .

ومن أرق الاستاحة (٦) ما كتبه عبيدبن طاهر إلى سليان بن وهب:

أَبِي دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأَسْعَفَنا فيمن نحِبُّ ونُكْرِمُ

⁽۱) الصابىء: هو أبو اسحاق أبراهيم بن هلال كاتب ديوان الانشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه ، وهو معدود من رجالات السكتابة ، توفى عام ٣٨٤ هـ (٢) الاسلاف: التقديم (٣) اللمعة: البقعة والقطعة من الجسد تبرق (٤) أعذر: بالغ (٥) الاختلال: الاحتياج (٦) الاستماحة: الاستمناح.

فقلتُ له : نُعْمَاك فيها أَتمها وَدَعْ أَمْرَنَا إِن المُهِم المُقَدَّمُ فَعَجب سلمان بلطف طلبه في تهنئته وقضى حوائجه.

وقال أعرابي لرجل: ما اتهمت حسن ظنى بك، منذتوجه رجائى نحوك، ولا قعدت بجد قاتل(١) باعهادى عليك، ولا استدعتنى رغبة عنك إلى من سواك، ولا أرانى الاختيار غيرك عوضاً منك.

وكتب البديع الهمذاني في بابه إلى بعض أصحابه :

لك - أعزك الله ! - عادة فضل فى كل فضل ، ولنا شبه مقت فى كل وقت ، ولعمرى أن ذا الحاجة مقيت (٢) الطلعة ، ثقيل الوطأة ، ولكن ليسوا سواء.

الفصل الثالث: في رسائل الشبكر

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ ه :

الشكر ترجمان النِّيَّة ، ولسان الطوية ، وشاهد الإِخلاص ، وعنوان الاختصاص ، عندى من إِنعامه ، وخاصّ برّه وعامّه ، ما يستغرق منه الشكر ، ويستنفد قوة النشر ، شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه ، شكر كأنفاس الأحبار ، أو أنفاس الرياض غِبَّ الأمطار .

وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٨٢ ه :

ومن شكركَ على درجة رفعتُه إليها ، أو ثروة أقدرته عليها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكت به ، وقمت بين التلف وبينه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى إليه ، ومدى تقف عنده ، وغاية من الشكر لا يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التى فاقت الوصف وأطالت الشكر وتجاوزت قدره .

⁽١) الجد: الحظ . والقاتل المخطىء (٢) المقيت والممقوت: البغيض والمكروه .

وأنت من وراء كل غاية : رددت عنا كيد العدر وأرغمت أنف الحسود فنحن نلجاً منك إلى ظل ظليل ، وكنف(١)كريم ، فكيف يشكر الشاكر ؟ وأين يبلغ المجتهد؟!

وكتب الأَّمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ ﻫ :

فأما الشكر الذي أعارني رداءه، وقلدني طوقه وسناءه (۲)، فهيهات أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله، أو يسير إلا تحت رايات عرفه (۳) ونواله (٤)! وهو ثوب لا يحلى إلا بذكر طرازه واسم حقيقته، ولسواه مجازه، ولو أنه حين ملك رقي بأياديه، وأعجز وسعى عن حقوق مكارمه ومساعيه خلّى لى مذهب (٥) الشكر وميدانه، ولم يجاذبني زمامه وعنانه للعقت في بلوغ بعض الواجب بعروة طمع، ونهضت فيه ولو على وهن وظلع (٦)، ولكنه يأني إلا أن يستولى على أمد الفضائل (٧) ذرى (٨ الغوارب (٩) منها والكواهل (١٠)، فلا يدع في المجد غاية إلا سبق إليها فارضاً (١١)، وتخلف سواه عنها حسيراً (١٢) ساقطاً، لتكون المعالى بأسرها مجموعة في ملكه، منظومة في سلكه، خالصة له من دعوى القسم وشركه (١٣).

وكتب أُستاذى الشيخ محمد عبده (١٤) يشكر للمرحوم حافظ إبراهيم تعريبه كتاب البؤساء:

لو كان لى أن أشكرك لظن بالغت في تحسينه، أو أحمدك لرأى لك فينا

⁽۱) جانب (۲) رفعته (۳) معرفة (٤) عطائه (٥) ريق (٦) كلاهما الضعف (٧) يعلو (٨) أعالى (٩) جمع غارب ما بين الظهر والعتق (١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) سابقا (١٢)كليلا (١٣) مشاركته (١٤) هو الاستاذ الامام مفتى الديار المصرية سابقا ولد سنة ١٢٥٨ هـ وتب هذا الكتوب شكرا لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة أثناء مرضه ومنها:

ولست ابالى أن يقال محمد أبل أو اكتظت عليه العمائم ولكن دينا قد اردت صلاحه احاذر أن تقضى عليه العمائم

أبدعت في تزيينه ـ لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يُوجِبُهُ حقّك ، ويجرى في الشكر إلى الغاية كما يطلبُه فضلُك ، لكنك لم تقف بعرفك (۱) عندنا ، بل عسمت به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لُغتنا ، زَفَفت إلى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية ، سحرت قومها وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تُنبِّه منهم خامدًا وتهز فيهم جامدًا ، بل لا تنفك تُحيى من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة (۲) حكمة أفاضها الله على رجل منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلاً منا ، فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسيج الأديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعد ما أصلح من خلقها وزان من معارفها ، حتى ظهرت مُحبَّة إلى القلوب ، شيقة (۳) إلى مؤانسة البصائر ، تهشُّ (٤) للفهم وتبش (٥) للطف الذَّوق ، وتسابق الفكر إلى موطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم ، إلا وهي من النفس في مكان الإلهام .

حاول قوم من قبلك أن يبالحُوا من ترجمة الأَعجم مبلغك فوقف العجز بالعجر عند مبتدإ الطريق ، ووصل منهم فريق إلى ما يحبُ من مقصده ، ولكنه لم يعن بأن يعيد إلى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ، ويرد إليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها إلى أعلى مراتبه .

أَما أَنت ، فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمزيد بعده ، ولا مَطمَع لطالب أَن يبلغ حدَّه ، ولو كنتُ ممن يقول بالتَّناسخ ، لذهبتُ إلى أَن روح «ابن المُقفع » كانت من طيِّبات الأرواح ، فظهرت لك اليوم في صورة أبدع ، ومعنى أَنفع ،

⁽۱) المعروف (۲) بالكسر والضم: القدوة (۳) لطيفة (٤) بفتح التاء: تصل اليه بسهولة (٥) بفتح الباء: من البشاشة .

⁽ A _ جواهر الأدب جا)

ولعلك قد سننت بطريقتك فى التّعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزمان إلى أبناء ما يُستقبَلُ منه ، فتكون قد أحسنت إلى الأبناء كما أجملت فى الصُّنع إلى الآباء ، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعدُ من العُجْمة سِوى ما هو فى أساء (الأساء الأماكن والأشخاص ، لا أساء المعانى والأجناس) ومثلى من يعرف قدر الإحسان إذا عم ، ويعلى مكان المعروف إذا شمل ، ويتمثل فى رأيه الحكيم العربى أبى العلاء المعرى :

ولو أنى حُبيتُ الخلد فرْدًا لما أحببتُ بالخلد انفرادا فلا هَطَلَتْ على ولا بأرضى سحائبُ ليس تنتظم البلادا فما أعجز قلمى عن الشكر لك! وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء! وكتب أيضاً في الشكر مع توثيق المودة إلى أصحابه:

لك فى قلوبنا من المودة ما يزكيه سنَاؤك ، وفى مناطقنا من الحمد ما يوجبه كمالُك ، وفى صدورنا من الإجلال ما يرفعه بهاؤك!

وما بيننا من المودّة لا تحدُّه مدة ، ولا تخلق جدَة ، نعيذه من حاجة للتجديد واستدعاء للمزيد ، فلا المواصلة تربيه ، ولا المجاهلة تُوهيه ... نعم إنّ ما يحفظُ لك في الأَنفس هو تجلى فضلك ، ومثالُ علائك ونبلك ؟ وذلك الخالد بخلود الأرواح ، والباق في تفاني الأَشباح .

وبعدُ .. فقد تلقيت منك كتاباً يَبُوح بسر المحبَّة ، وينشرُ طَى الصداقة ، فيه تبيان وُجدانك مما وجدنا ، وتأثرك على ما فقدنا ، فكان نبأ عما نعلمُ ، وقضاء بما نحكم ، ولكن شكرْنا لك فضل المراسلة ، وأريحيَّة المجاملة ، والله يتولى إيفاءك ، مثوبةً تكافئُ وفاءك .

وكتب أيضاً في الشكر لآخر:

لوكان فى الثناء ، وملازمةِ الدُّعاء ، وحفظ الجميل ، والقيام بالخدمة جهد المستطيع ما يني بشكر من يفتح باب المحبة ، ويبدأ بصنائع المعروف ،

لكنت والحمد لله من أقدر الناس عليه ، ولكن أنى يكون فى ذلك وفاء ؟ والمحبّة سر نظام الأكوان ! والإحسانُ قِوام عالم الإمكان ! والقائمُ على كنهِ جميعه قيّوم السموات والأرض! والمفتتحون لأبواب العُرف على هذه النسبة الجليلة منه ، فليس لى إلا أن ألجأ إلى الله فى مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الإقامة بينكم ، ثم أسلى نفسى عن عجزى بما أتخيلُ أن كرمكم سيروى : سيكنى الكريم إخاء الكريم ويقنع بالود منه نوالا

وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير في المبادرة إلى المكاتبة ، لأنى شغلت عما شَغَلني عن نفسى ، ولكن زالت العوارض (والحمدلله) وفاتنى لهذا العذر تهنئتكم بالعيد ، وإنما للمؤمن في كل يوم بربه عيد ، فنهنئكم برضا الله عنكم وتقبله صالح الأعمال منكم ، وسلامي على نجلكم ومن ينتمي إليكم .

الفصل الرابع: في رسيائل النصح والمشورة

كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ ه :

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والْمِقَهُ(١) إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقه صدق الشاعر وأَجاد، وللثقات خيانة في بعض الأَوقات: هذه العينُ تريك السَّرَابَ(٢) شراباً، وهذه الأُذنُ تُسْمعك الخطأ صَواباً، فلست ععذور إن وثقت عحذُور، وهذه حالةُ الواثق بعينه، السَّامع بأُذنه.

وأرى فلاناً يُكثر غشيانك(٣) وهو الدنىءُ دُخْاتُه (٤) ، الرَّدىءُ جُملته ، السيئُ وصلتُه ، الخبيث كلمته ، وقَدْ قاسمتَه في زِرِّك(٥) ، وجعلته موضع سرَّك ،

⁽۱) المحبة (۲) ماتراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل في المخادع المكاذب (۳) اتيانك (٤) بتثليث الدال: نيته (٥) قوام القلب.

فأرى موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع التلافيه(١) : أفظاهرُه غرَّك ؟ أم باطنُه سرَّك ؟ ؟

يا مولاى : يُورِدك(٢) ثم لا يُصدرُك(٣) ويُوقِعك ثم لا يعذرُك ، فاجتنبه ولا تقربه ، وإن حضر بابك ، فاكنُس جنابك(٤) ، وإن مَسَّ ثُوْبك فاغسل ثيابك ، وإن لَصِقَ بجلدك ، فاسْلخ إهابك ، ثم افتتح الصلاة بلعنيه ، وإذا استعذت بالله من الشيطان فاعْنه(٥) .

وكتب الإسكندر المقدونى إلى أُستاذه الحكيم أُرسطو يستشيره فيما يفعله بأَبناء ملوك فارس بعد أَن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم :

عليك أيها الحكيم منا السّلام ، أما بعدُ فإن الأملاك الدائرة والعلل السهاوية وإن كانت أسعدتنا بالأُمور التي أصبح الناس لنا بها دائنين فإنا مضطرون إلى حكمتك ، غيرُ جاحدينَ لفضلك والاجتباء(٦) لرأيك ، لما بلونا من إجداء(٧) ذلك علينا ، وَذُقنا مِن جَنَي (٨) منفعته ، حتى صار ذلك بنُجُوعه (٩) فينا ، وترسخه في أذهاننا ، كالغذاء(١٠) لنا ، فما ننفك نعولُ عليه ، ونستمد منه استمداد الجداول من البحار . وقد كان مما سبق إلينا النّصر ، وبلغنا من النكاية في العدو ما يعجزُ القول عن وصفه ، والشكرُ على الإنعام به ، وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة ، إلى أرض بابل وفارس ، فلما نزلنا بأهلها ، لم يكن إلاريثها(١١) تلقانا نفرٌ منهر برأس ملكهم هدية ، وطلباً للحظوة عندنا ، فأمرنا

⁽۱) تداركه (۲) يوصلك الى مكان ورد الماء (۳) لا يرجعك (۶) الفناء والناحبة (۵) أقصده (۲) الاختيار (۷) اعطاء (۸) ما يجنى ويؤخذ من الثمر (۹) بتأثيره (۱۰) بكسر الفين ما يتفذى به (۱۱) مقدار .

بصلب من جاء به وشهرته ، لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ، ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم ، وذوى الشرف منهم ، فرأينا رجالاً عظيمة أجسامهم وأحلامهم (۱) ، حاضرة ألبابهم وأذهانهم ، رائقة (۲) مناظرهم ومناطِقهم ، دليلاً على أن وراء ذلك ما لم يكن معه سبيل إلى غلبتهم ، ولولا أنَّ القضاء أدالنا (۳) منهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم نر بعيلاً من الرأى فى أن نستأصل (٤) شأفتهم (٥) ، ونَجْتَثُ (٦) أصلهم ، ونلحقهم بن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم (٧) وبوائقهم (٨) ، فرأينا أسلافهم لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم (٧) وبوائقهم (٨) ، فرأينا أن لا نعجل ببادرة (٩) الرأى في قتلهم ، دون الاستظهار بمشورتك فيهم ، فارفع إلينا رأيك في ما استشرناك فيه صحته عندك ، وتقليبك إياه بِجَلِيّ نظرك .

والسلام على أهل السلام، فليكن علينا وعليك .

فكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الإسكندر المقدوني :

إِنَّ لَكُلِّ تُرْبة ولا محالة - قسماً من كل فضيلة ، وإِنَّ لفارس قِسْمها من النجدة والقوة ، وإِنَّكَ إِن تقتل أَشْرَافهم ، تُخَلِّف الوضعاء منهم على أعقابهم وتورَّث سفلتَها (١) ، منازل عليتهم ، وتغلب أدنياءهم ، على مَرَاتب ذوى أخطارهم ؛ ولم تُبتل الملوكُ قط ببلاء هو أعظمُ عليهم من عَلبة السفلة وذُل الوجوه . واحْذَر الحذر كله أَن تُمكِّن تلك الطبقة من الغلبة ، فإنهم إِن نجم منهم الوجوه . واحْذَر الحذر كله أَن تُمكِّن تلك الطبقة من الغلبة ، فإنهم إِن نجم منهم

ناجِم على جُندك وأهل بلادك ، دهمهم مالا رَوِية فيه ولا منفعة معه . فانصرف عن هذا الرأى إلى غيره ، واعمد إلى من قبلك من العظماء والأَّحْرَار ، فوزَّع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك كلُّ من وكُّيْتة منهم ناحية ، واعقد التاج على رَأْسِه ، وإن صغر ملكه ، فإنَّ المُتَسَمَّى بالملك لازمٌ لاسمه ، والمعقود لهُ التاجُ لا يخضع لغيره، ولايلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وصاحبه، تدابُرًا وتغالبًا على الملك وتَفَاخُرًا بالمال والجند، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك، وتَعود بذلك حربهم لك حَرْباً بينهم ، ثُمَّ لا يزدادُون بذلك بصيرةً إلا أحدثوا هذالك استقامة لك، فإن دنوت منهم كانوا لك، وإن نأيت عنهم تعززُوا بك، حتى يَثِبُ كُلُّ منهم على جاره باسمك، وفي ذلك شاغلٌ لهم عنك، وأمانٌ لأحداثهم بعدك _ وإن كان لا أمان للدَّهْرِ _ وقد أُدّيت للملك ما رأيْتُه حَظًّا ، وعليّ حَقًّا ، والملك أَبْعَدُ رَوِية ، وأعلى عينًا في ما استعان بي عليه .

والسلام الذي لاانقضاء له ولا انتهاء ولاغاية ولافناء، فليكن على الملك.

ومن رسالة للإِمام علىّ المتوفى سنة ٤٠ ه كرم الله وجهه :

دَع ِ الإِسْرَاف مقتصدًا ، واذكر في اليَوْم ِ غدًا ، وأمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل(١) ليَوْم حاجتك ، أَتَرْجُو أَن يُعْطيك الله أَجرِ المتواضعين وأنت عندهُ من المتكبِّرين ؟ أو تطمعُ وأنت مُتَمَرِّع في نعيم تمنعه الضعيف والأَرملة ، أَن يوجب(٢) لك ثواب المتصدِّقين ؟ وإنما لملر ُ مجزيٌّ مَا أَسلف(٣) وقادمٌ على ما قدم ، والسلام .

⁽١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه .

⁽٢) أن ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق بتطمع .

⁽٣) قدمه في سالف أيامه .

وكتب أيضاً _ كرم الله وجهه _ إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أما بعد أل فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليُدْركه ، فليكن سرورُك مما نلت من آخرتِك ، وليكن أسفُك على ما فات منها ، وما نلت من دُنياك فلا تُكثِرْ فيه فرَحًا ، وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعًا ، وليكن هَمُّك فيا بعد الموت .

وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ ه :

لاحول ولا قُوة إلا (بالله) اشتبه المراقبُ بالله (۱)! واستبدل الْحُلُو بالمرّ ، وقد م الرقيقُ على الْحُر! وبيع الدُّرُ بالخرف! والخزُ بالخشف (۲) ، وأظهر كل لئيم كبره! إن في ذلك لَعِبرة! سمعًا سمعًا ، فالوُشاة إن سَعَوا لا يعقلون ، ويُحبُون أن يُحمدُوا بما لم يفعلوا ، فكيف تشترُون منهم القار (٣) في صفة العنبر؟ وقد بلت (٤) البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صُدُورُهم أكبر! وكيف تسمعُ الأحبابُ لمن نهى منهم وزَجَر؟ ولقد جاءَهُمْ من الأنباء (٥) ما فيه مُزْدَجَر! (٦) عَجبتُ لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون! فلما أحسوا بأسنا إذا هُم منها يركضون فقابلوهم بنبال الطَّرد في الأعناق ، حتى إذا أَنْخَنْتُمُوهُم (٧) فشدُّوا الوثاق (٨) ، أين خلون عما لا ينفع ، في بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن ترفع! سيعلمون مقام الهبوط والعُرُوج (٩) ، «يومَ يسمعونَ الصَّيْحَةَ بالحقّ؛ ذلك يومُ الخُروج » ويقولون ولو أرادُوا الخروج لأَعدُّوا لَهُ عُدَّة (١) . وأنت عزيز العليا ، ووحيد اللنيا ولو أرادُوا الخروج لأَعدُّوا لَهُ عُدَّة (١) . وأنت عزيز العليا ، ووحيد اللنيا

⁽۱) باللاهى الذى يكون ملهيا - وغالبا الشيطان (۲) بفتح الخاء أو بضمها الردىء من الصوف (۳) الزفت (٤) ظهرت (٥) الاخبار (٦) النهى بشدة (٧) أكثرتم القتل فيهم (٨) ما يربط به (٩) الطلوع (١٠) ما أعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح ٠

قد بينتُ لك فعلهم ، فَمَا(١) رُحمة من الله لِنْتَ لهم ، ولكنهم طمعوا في عميم طُولك(٢) ، ولوكنت فظَّا(٣) غليظ. القلب(٤) لانفضوا(٥) من حولك أَتراهُم يعقلون كلامك أم يفهمون ؟ لَعَمْرُك (٦) إنهم لني سكرتهم يعْمَهُون (٧) لهم قلوبٌ لايدرُون بها للحسد قرارًا ، لو اطَّلعت عليهمْ لَوَلَّيْتَ منهم فرارًا . وإنى قد شيدتُ(^) لك بقلبي حصنًا(٩) صعبًا(١٠) ما اسطاعوا أن يظهروه(١١) وما استطاعوا له نقبًا(١٢) ، نسيت بالعاذل(١٣) جميل الصوت(١٤) وأنكره ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكُرُهُ (١٠) . رُميتَ أيها العاذل بسيف الغدر في نحرك، أَجَنَتْنَا لَتُخْرِجَنَا مَن أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ! فَإِنْ لَمْ تَرْجَعْ عَنِ السَّحْرِ وَفَعَله ، **فَ**لَـنَأْتِيَنَّكَ بِسِمْرِ مثله، كيف يسعى العاذلُ بين النديم وإلفه، وقد خَلَتِ النُّذُر من بين يديه ومنْ خلفِه! فياسادتي دعوني من المعجبِ والمطرب! لَيْسَ الْبِرِ أَنَّ تُوكُّوا وجوهكُم م قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ، واجعلوا سيفَ ثباتكم للعدَّال مسلولًا ، وأُوفُوا بالعهدِ إِنَّ العهدَ كان مسئولًا ، فإنهم إِن قالوا كذب النديم أُو بَطِر ، سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَن الكذابُ الأَشِر(١٦)، وها قد صار أمر الحزبينِ عندك جليًّا ، فأَى الفَرِيقَيْنِ خير مقاماً وأَحْسَنُ نَدِيًّا ! (١٧) أَتظنُّ عهد العاذل عند غضبك لاينكث(١٨) مثلُّهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تحمل عليه يلهث ، إِنه لكَمْ

⁽١) فبرحمة وما للتوكيد وللدلالة على أن لينه ما كان الا برحمة من الله (٢) احسانك (٣) سيء الخلق (٤) قاسية (٥) لتفرقوا (٦) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف وتقديره قسمى (٧) بتحيرون (٨) زينت (٩) موضعا حصينا (١٠) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد البالغة في حصين المحبة (١١) لا يقدرون أن يعاوا ظهره لارتفاعه ونعومته (١٢) خرقا لصلابته وسمكه (١٣) اللائم (١٤) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت بهذا المعنى الافي الجميل (١٥) أنساني ذكره (١٦) المتكبر (١٧) مجلس القوم (١٨) لا ينقض.

عدو كبير، ففرُّوا إلى الله إلى لكم منهُ نذير، فإنه جمع لقتالك الأولاد، والأَحفاد(١) وآخرين مُقَرَّنين(٢) في الأَصفاد(٣)، تركوا أَمر الله بما لايرضونه، فأعقبهُم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه. وظنِّي إنْ وصل إليك كتابي، أنهم يُطردون ويُرْدَعُون، وحرام على قرية أَهلكناها أَنهم لا يرجعون، أيهم يُطردون ويُرْدَعُون، وحرام على قرية أهلكناها أَنهم لا يرجعون، أيعُجْبِك إذا مشى هذا اللَّه ، ثاني عطفه (٤) ليُضِل عن سبيل (٥) الله .

وإنك وإن فرحت بعلم ما يجْهَلُون، قد نعلم أنه ليحْزُنك الذي يقولون. فإن قلت إن اجتاعي بهم لأجل الصدقة أو شيء من هذا القبيل، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين (٦) عليها والمؤلَّفَة قُلُوبُهُمْ (٧)، وفي الرِّقاب (٨)، ولي سبيل الله(١٠) وابن السبيل (١١)؛ على أنه لا تحلُّ والغارمين (٩)، وفي سبيل الله(١٠) وابن السبيل (١١)؛ على أنه لا تحلُّ الصدقة لذميم (١٢) هماز (١٣) مشاء بنميم (١٤)، وطباعهم كما تعلم منكرة من مَسْتَقذَرة أن العلم عمر (١٥) مستنفره (١٦) فرت من قَسُورَة (١٧).

وقد قال وفائى : خاطب عزيزك هذه المرَّة ، وإن لم يعملُ فيك فكرًا ، وما يُدْريكَ لعله يزَّكِّي(١٨) ، أَوْ يَذكَّرَ فتنْفَعُهُ الذِّكرى .

فقال لسانى : إِنَّ الوُدِّ هو الرَّسول المُأْمون ، فأَرْسلهُ معى رِدْ ال (١٩) يصدِّقني ، إِنِي أَخاف أَن يكذِّبون . فقلت : سيرُوا مع المحبَّة ذات

⁽۱) أولاد الابناء (۲) مشدودين (۳) القيود (٤) لاوى عنقه تكبرا (٥) عن دين الله (٦) السعاة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم (٧) أشراف من العرب كان النبى صلى الله عليه وسلم يستألفهم للاسلام (٨) المكاتبون من العبد (٩) من تحملوا الذين (١٠) الفقراء في الجهاد (١١) المسافر والمنقطع عن ماله (١٢) القبيح والراد قبيح الفعال ذميم الخصال (١٣) عياب يعيب الناس (١٤) ساع بالنميمة والفساد (١٥) جمع حمار (١٦) نافرة (١٧) الاسد (١٨) يتطهر من الذوب (١٩) معينا .

الفُتُوَّة (١) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوَّة ، وقولوا له عند الغاية قد جِئناك بآية . ولا تهابوا الجيش وإن كبر ، سيهزم الجمع ويولون الدُّبر (٢) ولا تظنُّوا من ظاهر الأَمر حُلول البلوى ، إذْ أَنتم بالعُدُوة (٣) الدُّنيا(٤) وهم مالعُدُوة القصوى (٥) ، بل قاتلوهم قتال المستشهدين ، ولْيَجِدُوا فيكم غلظة ، واعلمُوا أن الله مع المتقين .

وإذا اشتبك القتالُ فليذُبُّ كلُّ منكم عن مولاه (٢) ، وإنْ جنحوا (٧) المسلم (٨) فاجنح لها وتوكُّلْ عَلَى الله ، فسيروا ودعوا الأولاد والْجُنَّة (٩) ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنَّة ، ولا تسألوا عن الميرة (١٠) من أصله ، وإن خفتم عَيْلَةً (١١) فسوف يغنيكم الله من فضله ، فإن الله قد أثاركم (١٢) القتال العذال العائبين ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم (١٣) ، فينقلبوا خائبين .

ماحملوا عليهم فإنهم متى طعنوا فى جنوبهم رَضُوا أَن يكونُوا مع الخوالف (١٤) وطبع (١٠) الله على قلوبهم ؛ والاتكذبروا إذا رأيتموهم قدامكم (١٦) ، إِن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم .

وإِن أَخذتم أَسرَى فقاتلوا أنصارها ، فإِمَّا منَّا(١٧) بعدُ وإِما فِلدَاءًا حتى مضع الحربُ (١٨) أوزارها(١٩) ، فإِن أَطعتم دفعتم وأُصلحَ الله بالكمْ ، وإِن تتولَّوْا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أَمثالكم .

⁽۱) الكرم والتسامح (۲) الظهر (۳) بضم العين وكسرها جانب الوادى (۶) القريبة (٥) البعيد (٦) صاحبه (٧) مالوا (٨) الصلح (٩) المراد بها هنا النساء وأصلها لما تفظى بها المرأة وجهها (١٠) جلب الطعام (١١) فقرا (١١) نشركم (١٣) يصرفهم ويذلهم (١٤) النساء (١٥) كناية عن اعماء بصائرهم (١٦) سابقيكم (١٧) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (١٨) أهل الحسرب (١٩) اثقالها من سلاح وغيره .

وسأتلو في خطبتكم عند قدومكم سالمين: فقطع دابر (١) القوم اللين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين .

* * *

وكتب أُستاذنا الإِمام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٣٣ه:

عرض لى مامنعني من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، وكنتُ أَسمعُ فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الأَّفواه ، أُظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ، حتى تمكَّنتُ من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضي ، فإذا لهب ذلك الحريق يأكل قاى أَكَلَهُ لَجُسُومٍ أُولئك المساكين : سكان (ميت غمر)، ويصهرُ (٢)من فؤادى مايصهرُه منْ لحومهم ، حتى أَرقت(٣) تلك الليلةَ ولم تغمض عينـاى إلا قليلاً وكيف ينامُ من يبيتُ يتقلبُ في نعم الله ، وله هذا العددُ الجمُّ من إخوةٍ وأخوات يتقلبون في شدّة البأساء ؟ ! (٤) فأردتُ أن أبادرَ بما أستطيع من المعونة _ وما أَستطيعهُ قليلٌ لايغني من الحاجة ولا يكشفُ البلاءَ _ ثم رأيتُ أَن أَدعوَ جمعًا من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البر في أقرب وقت، وكان ذلك يومَ السبت فحضرَ منهم سابقون، وتأخر آخرون، وكتب بعضهم يعتذرُون ، فشكرَ الله سعى من حضرَ ، وجزى خيرًا من اعتذر ، وغفر لمن تأخر . على أنهُ ليس الحادثُ بذي الخطب اليسير ، فالمصابون خمسة آلاف وبضعُ (٥) مئين منهم الأطفالُ الذين فقدوا عائليهم (٦) والتجار والصناع الذين هلكت آلاتهم ورُءُوسُ أموالهم ، ويتعذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرة أُخرى إِلَّا بمعونةٍ من إخوامهم ، وإلَّا أصبحوا مُتلصَّصلين أو سائلين ، والذين

⁽۱) أهلكوا عن آخرهم (۲) يذيب (۳) سهرت (٤) الضرد والفقر (۵) بكسر التاء أو بفتحها ما بين الثلاث الى التسمع - وبالضم الفرج (٦) من ينفقون ٠

فقدُوا بيوتهم ولايجدون مايأُون إليه ، ولا مال لهم يقيمون مايؤويهم من مثل بيوتهم المتخرَّبة - لهذا رأيتُ ورأى كلُّ من تفكَّرَ في الأَمرِ ، أَنْ يُجمعِ مبلغٌ وافرٌ يُتمكنُ به من تخفيف المصاب عن جميع أُولئك المصابين .

الغرض المذكور:

قد بلغكم - ولا ريْبَ - من أخبار الجرائد ، ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد الحريق الذي أصاب مدينتهم ، فهم بلا قُوتٍ ولا ساتر ولا مأوى ، فليتصوّر أحدكُم أن الأمر نزل بساحته ، أفما كان يتمنى أن يكون جميعُ الناس ، في معونته ؟ فليطالب الآن كلُّ منا نفسهُ بما كان يطالبُ به الناس ، لوْ نزل به ما نزل بهم ، ولْيُنْفِق مما له ما يدفع الله به عنه مكروه الدهر . . . فأرجو من همتكم أن تدفعوا شيئًا من مالكم في مساعدة إخوانكم ، وأن تبذلوا ما في وسُعكم لِحَتْ من عندكم على مشاركتكم في هذا العمل المبرور والسلام .

الفصل الخامس: في رسائل الملامة والعتاب

كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٧ ه :

لَئنْ سَاءَنَى أَنْ نِلْتِنِى بَسَاءَةٍ لَقَد سَرّنَى أَنَى خَطَرْتُ بِبَالِكِ (١) اللهُ بِقَاءَهُ فَ حَالَىْ برّه وجفائه متفضل، وفي يوْمَى إدنائه وإبعاده متطوّل ، وهنيئًا لهُ من حمانا ما يحله (٢) ، ومن عرانًا ما يحله (٣) ومن أعراضنا ما يستحلّه .

بلغني أَنُّه _ أَدام اللهُ عزّه ! _ استزاد(٤) صنيعه(٥)، فكنت أُظنُّنِي

⁽۱) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر المشهور بابن الدمينة من قصيدة والخطاب الونث (۲) ينزل فيه (۳) يفكه (٤) زاد. (٥) معروفه واحسانه .

مجنيًا (۱) عليه مساءً إليه ، فإذا أنا في قرارة الذنب ، ومثارة (۲) العتب ، وكيت شعرى (۳) أى محظور (٤) في العشرة حضرته ، أو مفرُوض من الخدمة رفضتُهُ (٥) أو واجب في الزِّيارة أهملته ! وهل كنت إلَّا ضيفًا أهداه منزعُ (٦) شاسع (٧) وأداه أمل واسع ، وحداه (٨) فضلٌ وإن قل ، وهداه رأى وإن ضلٌ ، ثم لم يلق إلا في آل مكال رحله (٩) ولم يصلْ إلا مهم حبله ، ولم ينظم إلا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره .

ثم ما بُعدت صحبة إلا دنت مهانة ، ولا زادت حرْمة إلا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت منة إلا تراجعت منزلة ، ولم تزل الصّفة بنا حتى صار وابل(١٠) الإعظام قطره ، وعاد قميص القيام صَدْرَه(١١) ، ودخلت مجلسه وحوله من الأعداء كتيبة (١٠) ، فصار ذلك التقريب أزورارا(١٣) ، وذلك السلام اختصارا ، والاهتزاز إيماة ، والعبارة إشارة . وحين عاتبته آمل أعتابه(١٤) ، وكاتبته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت فما ازددت له إلا ولاء ، وعليه ثناء ؛ ولا جرم (١٠) أنى اليوم أبيض وجه العهد ، واضح حُجّة الود ، طويل لسان القول ، رفيع حكم العذر . وقد حملت فلاناً من الرسالة ما تجافي القلم عنه .

والأَمير الرئيس - أَطالَ اللهُ بقاءَهُ - يُنعمُ بالإِصغاءِ لما يوردُهُ مُوفقًا إِن شاءَ الله تعالى .

⁽۱) المؤاخذة بجنايته (۲) مكان الثوران (۳) ليتنى أشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٤) ممنوع (٥) أبطلته (٦) مصدر ميمى بمعنى العبد (٧) بعيد (٨) ساقه ودفعه (٩) ما يأخذه المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٠) المراد به الكثير من الانعام وأصله المطر (١١) ثوب يلبس فيفطى الصدر (١١) جماعة (١٣) انحرافا (١٤) ازالة عبه وملامته (١٥) كلمة كانت في الاصل بمنزلة لابد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا .

وكتب أيضاً إلى القاسم الكرَجِي المتوفى سنة ٤٠٠ ﻫ :

أَنا _ وإِن لَم أَلَقَ تَطَاوُل الإِخوان إِلا بِالتَّطَوُّل ، وتَحَامُلَ الأَحرار إِلا بِالتَّحَمُّل _ أُحاسِبُ موْلاى _ أَيَّدَه الله ! _ على أخلاقه ، ضنَّا(١) بما عقدتُ بالتَّحَمُّل _ أُحاسِبُ موْلاى _ أيَّدَه الله ! _ على أخلاقه ، ولَوْلا ذلك ، لقلتُ في يدى عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولَوْلا ذلك ، لقلتُ في الأَرض مجالُ ، إِن ضاقت ظلالُك(٢) ، وفي الناس واصلُ ، إِنْ رَئتْ (٣) حبالك ، وآخذهُ بأَفعاله .

فإنْ أَعارِنِي أُذُنّا واعية ، ونفسًا مراعية ، وقلبًا مُتَّعِظًا ، ورجوعاً عن ذهابه ، ونزوعًا (٤) عن هذا الباب الذي بقرَعُه (٥) ، ونزولاً عن الصَّعُود الذي يفْرعه (٦) ؛ فرشتُ لمودَّته خُوان (٧) صدري ، وعقدتُ عليهِ جَوامعَ خصري ومجامع عمري (٨) . وإن ركب منَ التَّعَالَي غير مركبه (٩) وذهب من التّغالي في غير مذهبه (١٠) أقطعته خُطَّة (١١) أخلاقه ، وَوَلَيْتُهُ جانب إعراضه .

لا أَذُودُ (١٢) الطَّير عن شجر قد بلوت المُرّ منْ ثمره

فَإِنَى وَإِن كَنْتُ فَى مَقْتَبِلُ السِّنِّ وَالْعُمْرِ ، قَدْ حَلَّبَتُ شُطْرَى الدهر (١٣) وركبتُ ظهرَى البرِّ والبحر (١٤) ، ولقيْتُ وَفَدَى (١٥) الخيرِ والشرِّ ، وصافحتُ يدى النفعِ والضرِّ ، وضربتُ إبطى العُسرِ واليُسرِ ، وبلوتُ

⁽۱) بكسر الضاد وفتحها حسرصا (۲) أماكن الظل (۳) بليت وذابت (٤) انتهاء وتركا (٥) يدقه بيده ليفتح له (٦) يصسعده ويعلوه (٧) بضم الخاء أو بكسرها ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمسكين مودنه من صدره (٨) مراده التمسك بمسودته مدة حياته (٩) مراده وان تكبر (١٠) طريقه (١١) بضم الخاء الطريقة ، مراده أنه يتسركه وان أخذ في غير طريق طباعه (١١) لا أطرد (١٣) مسراده مربه من خيره وشره وجرب نفعه وضره (١٤) مراده أنه جرب الامور في البسر والبحر (١٥) الوفد الجماعة التي ترد على الامير أو غيره ، ومراده أنه عرف الخير والشر .

طعمى الْحُلو وَالمر ، ورَضعْت ضرعى العُرْف والنكر(١) ؛ فما تكاد الأَيام ترينى من أَفعالها غريبًا وتسمِعنى من أحوالها عجيبًا ، ولقيتُ الأَفراد ، وطَرحت الآحاد(٢) ، فما رأَيت أحدًا إلا ملأَت حافتى (٣) سمعه وبصره ، وشغلتُ حَيِّزَى (٤) فكره ونظره ، وأَثقلتُ كتفه فى الحزن وكفته فى الوزن ، ووددت لو بادر القرن (٥) صحيفتى (٦) أَو لتى صفحنى (٧) فمالى صغرت هذا الصغر فى عينه ، وما الذى أزرى (٨) بى عنده حتى احتجب وقد قصدته ، ولزم أرضه وقد حضرته .

وأنا أحاشيه (٩) أن يجهل قدر الفضل ، أو يجحد فضل العلم ، أو يمتطى (١٠) ظهر التيه (١١) على أهليه ، وأسأله أن يختصنى من بينهم بفضل إعظام ، إن زلت بى مرة قدم فى قصده . وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة (١٢) والرتبة المتحيفة (١٣) وهو فى جنب جفائه يسير ، فإن أقلع (١٤) عن عادته ونزع عن شيمته (١٥) فى الجفاء ، فأطال الله بقاء الأستاذ الفاضل ، وأدام عزه وتأييده .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ه : والله يا قليب : لولا أن كبدى فى هواك مقرُوحة (١٦) ، ورُوحى مجروحة لساجلتك (١٧) هذه القطيعة وما دَدْتك حبل المصارمة (١٨) وأرجو أن الله تعالى يديل (١٩) لصبرى من جفائك ، فيردك إلى مودتى وأنف القلى (٢٠) راغم .

⁽۱) المعروف والمنكر ضده (۲) هذا والذى قباله كله بمعنى أنه جرب الإيام واختبرها من أول نشأته (۳) جانبى (۶) ناجيتى (٥) المقارن الكفء عند ملاقاة الإبطال (٦) كتابى (٧) وجهى معناه تمنى لقائى (٨) حط من قدرى وشأنى (٩) أنزعه (١٠) يركب (١١) الكبر والعجب (١١) من الإجحاف وهو الذهاب بالشيء (١٦) مروحة التحيف وهو الظلم والجور (١٤) رجع (١٥) خلقه (١٦) مجروحة (١٧) معناه لقابلتك (١٨) المقاطعة (١٩) الغلبة والنصر (٢٠) أنف

فتمد طال العهد بالاجتماع حتى كِدنا نتناكر عند اللقاءِ والسلام .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفي سنة ٣٧٣ ه إلى تلميذه :

كتابى ، وقد خرجت من البلاءِ خروج السَّيْف من الجلاء(۱) ، وبروز البدر من الظلماء ، وقد فارقتنى المحنة (۲) ، وهى مُفارقٌ لا يشتاق إليه ، وودعتنى وهى مودع لايبكى عليه ، والحمد لله تعالى على مِحنة يجليها ، ونعمة ينيلها ويوليها ، كنت أتوقع أمس كتاب مولاى بالتسلية ، واليوم بالتهنية ، فلم يكاتبنى فى أيام البرحاء(۳) بأنها غمّته ، ولا فى أيام الرخاء بأنها سرّته ! وقد اعتذرت عنه إلى نفسى وجادلت عنه قلبى فقلت : أما إخلاله بالأولى ، فلأنه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها . وأما تغافله عن الأخرى فلأنه أحب أن يوفّر على مرتبة السَّابق إلى الابتداء ، بنفسه على محل الاقتداء ، لتكون نعم الله سبحانه على موفورة من كل جهة ومحفوفة نى من كل رتبة ، فإن كنت أحسنت الاعتذار عن سيدى ، فليعرف لى حق الإحسان ، وليكتب إلى بالاستحسان ، وإن كنت أسأت ، فليخبرنى بعذره أعرف منى بسره ، وليرض منى بأن حاربت عنه قلبى ، واعتذرت عن ذنبه ، حتى كأنه ذنبى ، وقلت يا نفسُ اعذرى أخاك ، وكفاك منه ما أعطاك ، فمع اليوم غد ـ والعود أحمد .

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠هـ :

أما بعد : فقد عاقبي الشك في أمرك ، عن عزيمة الرأى فيك. وذلك أنك ابتدأتني بلطفك عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاءً من غير ذنب ، فأطمعني أولك

⁽۱) صقله بازالة ما عليه حتى يرى له لمعان .

⁽٢) البلية .

⁽٣) شدة الأذى .

فى إخائك، وأيأسنى آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيه ، فاجتمعنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف . والسلام .

وكتب صديقى زعم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش:

سيدى: مالى أراك كمن نسى الخليط (١) وتجرد فى الصحبة عن المحيط.
والمخيط ؟ فإذا ماصادفتك (٢) صَدَفْت (٣) أو أنصفتك مانصفت (٤) ، أتظن أنى قعيدة
بيتك (٥) أو رهين كيتك وذيتك (٦) فوحقك إذا آنست (٧) من يدى مالاً ، أومن
قدمى كَلَلاً (٨) لنجزتها (٩) البتات (١٠) وكلت بنقضها الذات ، ولو أنى آنست من الزاد
فترة (١١) أومن الشراب عُسْرة ، لطعمت الطوى (١٢) واستقيت الجوى (١٣) فكيف
أداعب (١٤) وتصاعب ؟ وأحالف وتخالف؟ وأواصل وتفاصل ؟ وأجالب وتجانب؟
لبئست مطيتك التي اقتدعت (١٥) وشرعتك (١٦) التي شرعت (١٧) . فوالله لولا
أن الحب حادث لايتني بالتروس ، ومعنى لايلب إلا في النفوس ، وسهام الظباء الأسود الصيد (١٥) ولاملكت الأحرار العبيد . ولولا أني كرّغت (١٩)
الظباء الأسود الصيد (١٥) ولاملكت الأحرار العبيد . ولولا أني كرّغت (١٩) من صابه (٢٠) ، والتحفت بسردة أوصابه (٢١) لتعوذت منك بسورة الفلق ،

⁽۱) الصاحب (۲) وجدتك (۳) أعرضت (۶) كلاهما بمعنى ساعدتك (٥) المرأة التى فى البيت (٦) كلاهما بمعنى كذا وكذا وألمراد أنى لست رهين قولك: افعل كذا وكذا (٧) علمت (٨) أعياء وضعفا (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفا وقلة (٢١) الجوع (١٣) الحرقة (١٤) أمازح (١٥) دفعت (١٦) مكان الله (١١) دخلت (١٨) المترفعة (١٩) بكسر الراء وفتحها شربت بقمى (٢٠) مأله المر وأصله عصارة شجر مر (٢١) أمراضه (٢٢)رميتك (٣٣) القديم البالى .

تمرُّون على الديار ولن تعوجوا كلامكم على إذًا حرامُ (١) غير أن لى نفسًا شبَّت على الحب فلم أفطمها وتقادعت(٢) ناره فلم أعصمها ، حتى بلغ السيل الزبي (٣) وتبددت (٤) النفس أيدى سَبَا (٥) إلا حُشاشة غفل عنها الوجد ، وبقية رمق ألفيتها (٦) من بعد . وكلما رأيت منك الشطط (٧) واعتساف (٨) الخطط (٩) عمدت إلى أن أثني (١) من رسنها (١١) وأذود (١٦) عن عطنها (١٣) وشخصت إلى المكافحة والمكافأة ، وأن لا أكيلك إلا مثلا ، ولا أسقيك إلا وَشَلا(١٤) ولا أزيدك إلا فشلا :

ولست أجزيك الجزاء الذي العلى وَفَاءِ الصنع لا بخسه وكيس يبكى على نفسه وكيس يبكى على نفسه

عَلَى أَنَى بالرغم أصبح في نهار أحلك(١٥) من ليل ، وأمسى في ليل أشق عَلَى النفس من وَيل :

وَلِيل كموج البحر أَرْخَى سُدُوله(١٦) عَلَى بأَنواع الهموم لِتَبْتَلي (١٧)

فإن تخلصت من لقائك فإلى الشقاء ، وَإذا لجآت من عسفك فإلى العناء ، وإذا استجرت بفراقك ، فقد استجرت من الرمضا(١٨) ، وكأنك لم تدر أن دولة الحسن سريعة التقويض (١٩) وأنه لابدمن هبوط القمر إلى الحضيض ولسوف تبلى

⁽۱) لن تقيموا (۲) تسابقت (۳) مثل يضرب لما جاوز الحسد (۶) ذهبت (۵) هو مثل يقال ، وتبددوا أيدى سبا معناه ذهبوا متفرقين، وأصله في الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله في القسرآن قال « لقد كان لسبأ » الى آخر الآيات (٦) وجدتهم (۷) يجاوزالحد (٨) الميل عن الطريق المألوف (٩) الامور (١٠) أرد (١١) زمامها (١٢) أمنع (١٣) مكانها (١٤) الماء القليل في هذا الموضع والماء الكثير في غيره (١٥) أشهد سهوادا (١٦) أستاره (١٧) لتختبرني (١٨) الارض الحارة (١٩) التفرق .

بعارض(۱)بيد(۲) أنه غير ممطر، وبساعة مقباك فيها مدبر، وستصبح عما قريب قد عفت (۳) رسومك (٤)، ولم تجد في سوق الصحبة من يسومك. والعاقل من لا يختال بنفسه، ولا يبنى على غير أُسِّه (٥) فإنك مانضت (٦) لؤلؤة مبسمك، ولا يختر أسه (٥) فإنك مانضت (٦) لؤلؤة مبسمك، ولا نضرت (٧)صورة معصمك (٨)، ولاشئت فخلقت كما تشاء، ولا اتخذت عندالله عبداً وهذا الوفاء. ولكن مثلك من أفرغه الله في القالب الذي اختار، وجعله مرتع النفوس ومسرح الأبصار، وإني أيها العزيز قد تقدمت إليك : ولى أمل قطعت به الليالي أراني قد فنيت به وكداما فلا تحرمني من سائع العفو وسابغه، ولا تجعلني كباسط. كفيه إلى الماء فلا تحرمني من سائع العفو وسابغه، ولا تجعلني كباسط. كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه:

فأَشد ما لقيت من ألم الجَوَى(٩) قرب الحبيب وما إليه وُصولُ كالعيس(١) في البيداء يقتله الظما(١١) والماء فوق ظهورها محمولُ

فاعمل فى يومك الخدك، واستجز عيرك ببسط يدك ، ولا تأخذنى بجرم الجانى المتلبس ، ولا تبتغ منى صحيفة المتلمس (١٢) بَيْد أَنى أنشدك الذي بلى العاشق بالمعشوق وكلفه فى الحب بيض الأنوق (١٢) وسهد (١٤) طرفه بنواعس العيون ، وخو ل (١٥) للحسن إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، كما قرن الهوك بالنوى (١٦) ، والقلب بالجوى (١٧) وقضى على المحب ، ونشر العشق فلم يحتجب ، ما الذي أغرى بك إلى الاعتساف وعدم الإنصاف ؟

⁽۱) السحاب الذي يعترض في الافق (۲) غير أنه (۳) درست وذهبت (۶) آثارك (٥) أساسه (۲) ما ظهرت (۷) ولا حسنت (۸) موضع السوار من البد (۹) الحزن (۱۰) الابل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية (۱۱) العطش (۱۲) الطالب مرة بعد أخرى (۱۳) الانوق العقاب ، ولفظ المثل : هو أعز من بيض الأنسوق . وهو مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل اليه (۱۶) أسهره (۱۵) ملكه وهو مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل اليه (۱۶) أسهره (۱۵) ملكه (۱۲) البعد (۱۷) الحرقة .

ألينُ الأعطاف؟ أم فُتُور(١) الأجفان؟ أم تكسُّر الكلام؟ أم هيف القوام؟ لقد شددت أزرك(٢) - والله - بضعاف، واستسمنت تلك العجاف، وهل حدا(٣) إلى قطيعتى بكأنى خشن الملمس، رَثُّ اللّبس؟ ولم أُمْنح(٤) كما مُنِحت نضرة، ولم ألبس برقع البياض والحمرة؟! فاعلم أنك إن كما مُنِحت نضرة، ولم ألبس برقع البياض والحمرة؟! فاعلم أنك إن آبدرتنى بعين الرضا(٥)، ورحمت فؤادًا يتقلب منك على جمر الغضا(٦) فستجدنى صديقك الذى لا يبطره الوفاء، ولا يُثنيه الجفاء، أملكُ لك من لسان، وأطوع لأمرك من بنان.

أَكتُبُ ، فأين لعبد الحميد الكاتب قلمي ، وَأَشْعِرُ ، فأين الشعراءُ إلا تحت علمي ؟ وأَبذُلُ ، فأين حاتمُ (٧) من كرمي ؟ وأَحْلِم ، فأين الأَحنف ابن قيس(٨) من حلمي ؟

ومن يحتمل في الحب ما فوق كاهلي فحسبُك حلمًا أن يقيم على الهجر (٩)

فإن أَصَخْتَ (١٠) إلى الداعية (١١) وَوَعيتَ كلمات لا تسمع فيها لاغية (١٢) ، إليك الجزاء وعلى الوفاء ، وإلا فالفَرَار إلى الموت أَمْرٌ يسير والقبر للعشاق قليل مِنْ كثير .

وكتب مُعاوية إلى ابده يزيد يؤنبه:

أما بعد، فقد أدت ألسنة التصريح إلى أذن العناية بك ، مافَجع الأَمل فيك وباعد الرَّجاء منك ، إذ ملاَّت العيون بهجة والقلوب هيبة ، وترامت إليك آمال

⁽۱) ذبولها (۲) ظهرك (۳) ساق الى (٤) اعطى (٥)حسنا (٦) شجر خشبه فيه صلابة (٧) ابو عدى حاتم بن عبد الله بن سحد الطائى وبه يضرب المثل فى الكرم من شعراء الجاهلية (٨) الاحنف بن قيس يضرب به المثل فى الحلم (٩) مابين الكتفين (١٠) استمعت (١١) مراده به الواشى العاذل (١٢) اللغو من الكلام .

الراغبين ، وهمم المنافسين . فسخت بك فتيان قريش ، وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الْجِرَّة المهوَّعة (١) والكظ الجشو (٢) . افتحمت البوائق (٣) وانقدت إلى المعاير ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر .

فليتك _ يزيد _ إذا كنت لم تكن ، سررت يافعًا ناشئًا وأثقلت كهلًا ضالعًا(٤) ، فوا حزناً عليك يزيد ! وياحر صدر المثكل بك . ما أشمت فتيان بني هاشم وأذل فتيان بني عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن لصلاح ما أفسدت ورتق ما فتقت ؟

هيهات! خمشت(٥) الدربة (٦) وجه النصبر بك ، وأبت الجناية إلاتحدراً على الألسن! وحلاوة على المناطق ، وما أربح فائدة نالوها وفرصة انتهزوها! انتبه يزيد للعظة ، وشاور الفكرة ، ولاتكن إلى سمعك أسرع منها إلى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان وزخرفة السلطان ، مما حسن قبح واحلولى عندك مُرة ، مُر شركك فيه السواد(٧) ونافسكه الأعبد ، فأضعت به من قدرك ، وأمكنت به من نفسك ... فمن لهذا كله ؟!

واعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة ، بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهى والمزامير كما قال تعالى «أتبنون بكل ريع آية تعبئون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون(٨)» ، وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهراً .

اعلم يا يزيد أن أول سَلَبَكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه

⁽۱) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، وكذا غيره من النعم . والمهوعة: من هوعه أى قيأه وهذا تمثل، أى أنهم يستقلون ذكرك (٢) الكظا: الامتلاء من الطعام ، والجشء: الكثير وهذا تمثيل أيضا (٣) البوائق: جمع بائقة وهى الداهية (٤) الضالع والضليع: القوى (٥) خمش: لطم (٦) الدربة: التجربة (٧) السواد: العامة (٨) تقدم شرح غريب الآية في خطبة قطرى .

المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهي الجرحة العظمي والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها ، وهي من أعظم مايحدث من آفاتها ؛ ثم استحسان العيوب وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر ، فلا تأمن نفسك على سرك ، ولا تعقد (١) على فعلك ، فما خير لذة تعقب الندم ، وتعنى (٢) الكرم ، وقدتوقف أمير المومنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة ، فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكُوم عليه ذهنك ترشد إن شاء الله تعالى . وليبلغ أمير المومنين ما يركد شاردًا من نومه ، فقد أصبح نصب (٣) الاعتزال من كل مُؤانس ودريئة (٤) الألسن الشامتة ، وفقك الله فأحسن .

وكتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب:

يابنى ، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه . فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقًا لم يُصَدَّق ، وإن أراد خيرًا لم يُوفق ؛ فهو الجانى على نفسه بفعالة ،] والدال على فضيحته بمقاله ، وما صح مِنْ صدقه نسب إلى غيره ، وما صح مِنْ كذب غيره نسب إليه . فهو كما قال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ المها نَه بعض ما يُحْكى عليه فإذا سمعت بكذَّبة من غيره نُسِبَتْ إليه

وكتب المرحوم حفى بك ناصف إلى ساحة السيد توفيق البكرى:

كتابى إلى السيد السند، ولا أُجَشِّمُهُ(٥) الجواب عنه! فذلك ما لا أنتظرُهُ
منه، وإنما أَسأَله أَن ينشط إلى قراءته، ويتنزل إلى مطالعته، وله الرأْيُ بعد

⁽۱) يقول: تفقد بالشراب الارادة والعسسويمة (۲) تعفى: تذهب (۳) النصب هنا: الفرض والهسدف (۶) الدريئة: التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها (٥) لا أكلفه.

ذلك أن يحاسب نفسه أو يزكيها ، ويحكم عليها أو لها :

قد تنفعُ الذكرى إذا كان هجرهم دلالاً فَأَمَّا إِن مَلالا فلا نفعا

زُرْتُ السيد ، ويعلم الله أن شوق إلى لقائه كحرصي على بقائه ، وكلفي بشهوده كشغني بوجوده ، فقد بَعُدَ والله عهد هذا التلاق ، وطال أمدُ الفراق ، وتصرَّم الزمان ، وأنا من رؤيته في حرمان . فسألت عنه ، فقيل لى : إنه خرج لتشييع(۱) زائر ، وهو عما قليل حاضر ، فانتظرت رجوعه ، وترقبت طلوعه ، ولم أزل أعُدُّ اللحظات وأستطيل الأوقات ، حتى بزغت الأنوار ، وارتج صَحْنُ الدار ، وظهر الاستبشارُ في وجوه الزُّوَّار ، وجاء السيد في موكبه ، وجلالة محتده(۲) ومنصبه ، فقمنا الاستقباله ، وهينمنا (۳) بكماله . فمرَّ يتعرَّف وُجُوه القوم حتى حازاني ، وكبُر في عينه أن يراني ، فغادرني(٤) ومَنْ على يسارى ، وأخذ في السلام على جارى ، وجرَّ السَّلام الكلام ، وتكرَّر القعود والقيام ، وأنا في هذه الحال أوهم جارى أني في دارى ، وأُظهرُ للناس أن شدة الأَلفة ، تُسْقِط. الكلفة . ومرَّ السيَّد بعد ذلك من أميى ثلاث مرات ، ومن الغريب أنه لم يستدرك ما فات :

تمرون على الديار ولن تَعُوجُوا كلامكم على إذن حَرَامُ وكُنت أَظُن أَنَّ مكانتي عند السَّيد لاتنكَر ، وأَنَّ عهدى لديه لايُخْفَرُ(٥) فإذا أنا لست في العير(٦) ولا في النفير(٧) ، وَغيرى عند السيد كثيرٌ ، وذهاب صَاحب أَوْ أَكثر عليه يسير .

وَمَنْ مَدَّتِ العليَا إِليه بمينَها فأَكْبر إِنسَان لديه صغير

⁽۱) لتوديع (۲) أصله من جهة النسب (۳) تكلمنا بصوت خفى (۶) تركنى (۵) لا ينقض (۱) الحماعة (۷) الحماعة أيضا .

ولا أدعى أنى أوازى السيد - صانه الله - فى علو حسبه ، أو أدانيه فى علمه وأدبه ، أو أقاربه فى مناصبه ورتبه ، أو أكاثره فى فضته وذهبه ؛ وإنما أقول : ينبغى للسيد أن يميزبين من يزوره ، لساع الأغانى والأذكار ، وشهود الأوانى على مائدة الإفطار ، وبين من يزوره للسلام ، وتأييد جامعة الإسلام ، وأن يفرق بين من يتردد عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردد إجابة لدعوة الإخلاص ، وأن لايشتبه عليه طلاب الفوائد بطلاب العوائد ، وقناص (١) الشوارد(٢) بنقباء الموالد ، ورُوادِ الطرف(٣) ، بأرباب الحرف :

فما كل من لقيت صاحب حاجة ولا كل من قابلت سائلك العُرْفَا(٤) فإن حَسُنَ عند السيد أن يغضى عن بعض الأجناس ، فلا يحسن أن يغضى عن جميع الناس ، وإلا فلماذا يطوف على الضيوف ، ويحييهم بصنوف من المعروف ويتخطى(٥) الرقاب «لصروف »(٦) ، ويخترق لأجله الصفوف؟ فإن زعم السيد أنه أعلم بتصريف الأقلام ، فليس بأقدم هجرة في الإسلام ، وإن رأى أنه أقدر منى على إطرائه(٧) ، فليس بمكن أن يتخذه من أوليائه ! ولا أروم بحمد الله منزلة غيرى أحق مها منى إذا راما

وإنما أصون نفسى عن المهانة والمضعة ، وأن أُعرضها للضيق وَف الدنيا سعة : وأَكْرَم نفسى إِننى إِن أَهنتها وَحَقك لا تَكْرَم عَلَى أَحد بعدى فلا يُصَعِّر (^) السيد من خده ، فقد رضيتُ بما أَلزمنى مِنْ بعده ، وَلا يَغُضُّ عنى عينه (٩) ، فهذا فراق بينى وَبينه ، وَليتخذنى صَاحبًا مِنْ بعيد ، وَلا يكلمني إِلى يوم الوعيد .

⁽۱) جمع قانص بفتح القاف: الصائد (۲) المتفرقات والمراد طالبو متفرقات العلوم (۳) جمع طرفة: وهي ما ترى مليحة ، والمراد أهل المراتب العالية (٤) المعروف (٥) يتجاوز (٦) هو الدكتور يعقوب صروف المتوفى في آخر يوليه سنة ١٩٢٧م وهو احد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليومية (٧) الثناء عليه (٨) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٩) لا يغمض .

كِلَانًا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أَشَد تَعَانِياً ومنى على السيد السَّلَام على الدَّوام ، ومُباركُ إذا لَبسَ جليدًا ، وكُلُّ علم وهو بخير إذا استقبل عيدًا ، ومَرْحى (١) إذا أَصاب ، وشَيَّعته (٢) عام وهو بخير إذا استقبل عيدًا ، ومَرْحى (١) إذا أَصاب ، وشَيَّعته (٢) السلامة إذا غاب ، وقُدُوماً مباركاً إذا آب (٣) ، وبالرّفاء والبنين (٤) إذا أَعْرَس (٥) ، وبالطالع المسعود إذا أَنجب (٦) ، ورَحِمَهُ اللهُ إذا عطس ، ونوم العافية إذا نعس ، وصَح نومه إذا استيقظ ، وهنيئًا إذا شرب ، وما شاء الله كان إذا رَكِب ، ونَعِم صباحه إذا انْفَجَر الفجر ، وسعد مَسَاؤه إذا أَذَن العصر ، وبخ بخ (٧) إذا نثر ، ولا فُض (٨) فُوهُ إذا شعر (٩) ، وأَجاد وأَفاد إذا خطب ، وأَطرب وأَغْرَب إذا كتب ، وإذا حج البيت فحجًا مبرورًا ، وإذا شيع جنازتي فسعيًا مشكورًا ، والسلام .

وكتب القاضى الفاضل إلى أُخيه عبدالكريم يؤنِّبه على إيذائه علم الدين النحاس :

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأَخ ـ أصلحه الله ! ـ إعلامه ما صح عندى ن الأَحوال التي أَخفاها ، والله مبديها ، في حق عَلَم الدين .

وبالله أقسم كن لم تُدَاوِ ماجرحت، وتستدرك مافعلت، وتمحُ ما أثبت ، وتستأنف ضد القبيح الذى كتبت به وشافهت ، وتعتذر بالجميل فيا قاطعت الله به وبارزت ، ليكونن الحديث منّى بغير الكتاب ، ولأزيكن السبب الذى قدرت به على مضرّة الأصحاب ، وما أشد معرفتى بأن الطباع لا تتغيّر ، وبأنك ستحوجنى بعد هذا الكتاب إلى مالا يتأخر ، وبالجملة فاستدرك بفعلك لابإيمائك لى وتنصلك إلى .

⁽۱) كلمة تقال عند الاصابة في الرمي مدحا للمصيب (۲) ودعته (۳) رجع (٤) كلمة تقال لمن تزوج ومعناه الدعاء بالالتئام وجمع الشمل (٥) تزوج (٦) ولد له (٧) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها للمبالفة (٨) لا كسرت أسمنانه (٩) قال الشعر .

* فالدُّم في النَّصْلِ شاهدٌ عجب *

وويل لمن كانتغنيمته من الأيام عقد القلوب على البغضاء، وإطلاق الألسنة بالمذام، ولولا أنني شريكك في كل ما تستوجبه من الناس، لألقيت حبلك على غاربك وتركتك وما اخترت لنفسك، ولكن كيف بمن يرمى وليس برام؟ ولكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير منّى، فإذا أنت لا تنفق إلا من كيسى، فأشفق على نفسك، إن كنت تنظر في غد، وعلى بيتك إن كنت تنظر في أمس، وعلى مكانك منّى إن كنت لا ننظر إلا بيتك إن كنت تنظر في أمس، وعلى مكانك منّى إن كنت لا ننظر إلا في اليوم، ولا تجاوبني إلا بلسان الرجل شاكرًا لك، فإنه وإن كان والله ما ذمك فقد ذممتك به عنه. وما أظن أنك تذكر أنني كتبت إليك كتاباً، ولا كنت أوثره، ولولا حافظ غليظ ما كتبته، ولولا علمي أن الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلته، لأضربت عن هذا كما أضربت عن غيره، وستعرفك الأيام ما كنت تجهل.

والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه ويغمد سيف حليلتك عن مقلتك ، والسلام .

الفصل السادس: في رسائل الشكوي

كتب الأمير أبو الفضل الميكالي المتوفي سنة ٤٣٦ ه :

إنما أشكو إليك زماناً سلب ضِعْف ما وهب ، وفَجَّع بأكثر مما مَتَّع ، وأُوحش فوق ما آنس ، وعنف فى نزع ما ألبس ؛ فإنه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جَرَّعنا مرارة الفراق ، ولم يُمتعنا بأنس الالتقاء ، حتى غادرنا(١) رهن التلف ، والاشتياق .

والحمد لله تعالى على كل حال يشوء ويسر، ويحلو ويمر، ولا أيأس من روح (٢)

⁽١) تركنا(٢) من رحمة الله .

الله في إباحة صنع(۱) يجعل ربعه(۲) مُذاخى(۲) ، ويقصر مدة البعاد والتراخى ، فألاحظ الزمان بعين راض ، ويقبل إلى عظى بعد إعراض ، وأستأنف (٤) بعزته عيشاً عذب الموارد(٥) والمذاهل(٦) ، مأمون الآفات والغوائل(٧) .

وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ ه إلى أهله ، وهو منهزم مع مروان(^) :

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ. فيها سكن إليها ، ومن عضته (٩) بنابها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيدًا لها .

وقد كانت أذاقتنا أفاويق (١) استحليناها ، ثم جمحَت (١١) بنا نافرة ، ورمحتنا (١١) مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا من الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة (١٣) ، والطير بارحة (١٤) ، وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعدًا ، وإليكم وجدا ، فإن تتم البليَّة إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفرُ جارح مِن أظفار من يليكم ، نرجع إليكم بِذل الإسار (١٥) ، والذلُّ شَرُّ جار .

⁽۱) المعروف يحظى به مدة حياته (۶) أجدد (٥) أمكنه الياس من معروف يحظى به مدة حياته (۶) أجدد (٥) أمكنه اليان الماء (٦) المواضع التي فيها والمراد أنه يجدد عيشا هنيئا لا حزن معه (٧) الدواهي (٨) هو مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص الاموى آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي قتل سنة ١٣٢ هـ (٩) كناية عن سلطها عليه بنوائبها ومصائبها (١٠) ألبانها والمراد نعيمها وخيراتها (١١) اسرعت غالبة إيانا (١٢) طعنتنا برمجها والمراد مصائبها (١٣) بعيد (١١) البارح من الطير ما يمر من اليمين الي الشمال والعربتتشاءم به وذلك أنه كان من عاداتهم اذا أرادوا أمرا عمدوا الي الطير فأطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحاتوان طارت يمينا تفاءلوا الرجل وأخذه أسيرا .

نسأًل الله الذي يُعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم أُلفة جامعة في دار آمنة ، تجمع سلامة الأَبدان ، والأَديان ، فإنه ربّ العالمين ، وأرحم الرَّاحمين .

وكتب أُستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده ، وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية :

تقلَّدَتني اللَّيالي وهي مُدْبِرَةً كأنني صَارِمٌ في كفِّ مُنْهَزِم

عزيزى (هذه حالتي) اشتد ظلام الفتن حتى تجسّم بل تحجّر، فأخذت صخوره منمركز(!) الأرض إلى المحيط (٢) الأعلى ، واعترضت ما بين المشرق والمغرب وامتدت إلى القطبين (٣) ، فاستحجرت في طبقاتها طباع الناس إذ تغلبت طبيعتها ، وامتدت على المواد الحيوانية أو الإنسانية ، فأصبحت قلوب الثقلين (٤) كالحجارة أو أشد قسوة ، فتبارك الله أقدر الخالقين ، انتثرت نجوم الهدى وتدكم وردر (٥) الشموس والأقمار ، وتغيّبت الثوابت النيرة ، وفر كل مضيء منهزماً من عالم الظلام ، ودارت الأفلاك دورة العكس ذاهبة بنيراتها إلى عوالم غير عالمنا هذا ؛ فولى معه آلهة الخير أجمعين ، وتمحضت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع ، وبكلوا الخلق ، وغيروا خلق الله ،

رأيت نفسى اليوم في مَهْمَه (٦) لا يأتى البصر على أطرافه . في ليلة

⁽۱) وسط دائرتها (۲) الدائرة المحيطة بالكرة الارضية (۲) الشمالى والمجنوبى وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمى الذى تدور عليه الارض من المفرب الى المشرق أثناء حركتها .

⁽٤) الانس والجن (٥) أدبرت (٦) مفازة واسعة .

داجية (١) غُطِّى فيها وجه الساء بغمام سوء فتكاثف (٢) رُكَامًا رُكَامًا (٣) لأَرى إِنساناً! ولاأَسمع ناطقًا! ولاأَتوهم مجيبًا! أَسمع ذئاباً تعوى! وسباعاً تزأر!(٤) وكلاباً تنبح! (٥) كلها يطلب فريسة واحدة ، هي ذات الكاتب ، والتَفَّ على رجلي تِنِينان(٦) عظيان ، وقد خَوِيَتْ(٧) بطون الكلّ ، وتحكم فيها سلطان الجوع ، ومن كانت هذه حاله ، فهو لا ريب من الهالكين .

تقَطَّع الأَمل ، وانفصمت (٨) عروة الرَّجَاءِ ، وانحلت الثقة بالأَولياء ، أُ وضلَّ الاعتقاد بالأَصفياءُ ، وبطل القول بإِجابة الدعاء ، وانفطر (٩) من صدمة الباطل كَبِدُ السهاء ، وحقت على أَهل الأَرض لعنة الله والملائكة والأَنبياء وجميع العالمين .

سقطت الهمم ، وخربت الذمم ، وغاض (١) ماء الوفاء ، وطمست معالم الحق ، وحرفت الشرائع ، وبُدِّلت القوانين ، ولم يبق إلا هوى يتحكم ، وشهوات تقضى ، وغيظ يحتدم (١١) ، وخشونة تنفذ (تلك سنة القدر) والله لا مدى كيد الخائنين .

ذهب ذوُو السلطة في بُحور الحوادث الماضية ، يغوصون لطلب أصداف من الشُّبَهِ ، ومقذوفات مِن التهم ، وسواقط من اللمم(١٢) ليُموَّهُوها (١٣) عياه السفسطة ويغشوها بأغشية من معادن القوة ، ليبرزوها في معرض السطوة ويغشوا بها أعين الناظرين ، لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه ، أو

⁽۱) مظلمة (۲) كثر وتراكم (۳) السحاب المتراكم (٤) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٦) تثنية تنين وهـو الحيـة العظيمـة (٧) خلت (٨) انقطعت (٩) انشق (١٠) ذهب (١١) يتحرك ويشتد (١٢) المتقارب من الذنوب واللمم أيضا طرف من الجنون (١٣) من التمويه وهو التلبيس .

لمستور يكشفونه ، أو لحق حَفي فيظهر ونه ، أو خَرْق بدا فيرقعونه ، أو نُولام فاسد فيُصْلحونه ! كلّا ، بل ليثبتوا أنهم في حبس من حبسوا غير مخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعوانا من حلفاء الدناءة ، وأعداء المروءة ، وفاسدى الأخلاق ، وخبثاء الأعراق(١) ، رضوا لأنفسهم قول الزور ، وافتراء البهتان ، واختلاق الإفك(٢) ، وقد تقدموا إلى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الأباطيل ليكونوا ما علينا من الشاهدين .

كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ، ولم تحل قلبى وحشة ، بل أنا على أتم أوصافى التى تعلمها ، غير مبال بما يصدر به الحكم أو يبرمه القضاء ، عالما بأن كل ما يسوقه القدر ، وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لا شبهة للحق فيه ، لأن الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أننى برىء من كل ما رمونى به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعبًا ، وكنت من الضاحكين .

نعم خنقنى الغم ، وأحمى فؤادى الهم ، وفارقنى النوم ليلة كاملة عندما رأيتُ اسمك الكريم ، واسم بقية الأبناء والإخوان ، تنسب إليهم أعمال لم تكن ، وأقوال لم تصدر عنهم ، لقصد زجّهم في المسجونين .

لكن اطمأن قلبي ، وسكن جأْشي (٣) عندما رأيت تواريخ التقارير متقادمة ، ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر ، فرجوت أن الحكومة لم تُرد أن تفتح باباً لا يذر (٤) الأحياء ولا الميتين .

قدّم فلان وفلان تقريرين ، جعلا فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنقى ولم يتركا شيئًا من التخريف إلا قالاه ، وذكرا أساء كم فى أُمور أنتم جميعًا أبعد الناس عنها ، لكن لاحرج عليهما ، فإنى أراهما من الجانين ، ولم أتعجب من

⁽۱) الاخلاق (۲) الكذب (۳) اضطرا بالقب عند الفزع (٤) لا بدع ولا يترك .

هذين الشيخين إذ يعملان مثل ذلك الدَّنب القبيح ، ويرتكبان هذا الْجُرْم الشنيع ! ولكن أَخذنى العجب - كلُّ العجب غاية العجب بالغ ما شئت في عجبى - إذ أُخبرنى المدافع عنِّى بتقرير قدمه فلان ، الذي أرسلت إليه السلام ، وأبلغته سرورى عند ماسمعت باستخدامه ، وأنا في هذا الحبس رهين .

إلى هذا الوقت لم يصلني التقرير ، ولكن سيصل إلى ، إنما فيما بلغني أنه شهادة بأَقبح شيءٍ ، لا يشهد به إلا عدو مبين .

هذا اللئيم الذي كُنْت أظن أنه يألم لألمى ، ويأخذه الأسف لحالى ، ويبذل وُسْعه إِن أمكنه في المدافعة عنى ! فكم قدمتُ له نفعًا ، ورفعتُ له ذكرًا ، وجعلتُ له منزلة في قلوب الحاكمين ! كم سمعنى أقاوم هجاء الجرائد ؟ ! وأوسع محرريها لوماً وتقريعًا ؟ وأهزأ بتلك الحركات الجنونية ، وكان هو عَلَى في بعض أفكارى هذه من اللائمين ! كان ينسبُ فلاناً لسوء القصد اتباعاً لرأى فلان ، وأعارضه أشد المعارضة .

ثم لم أَنقض له عهدًا ، ولم أَبخس له وُدًا ، وحقيقة كنت مسرورًا لوجوده موظفاً ، فما باله أُصبح من الناكثين ؟!

آه ما أطيب هذا القلب الذي يُملى هذه الأَحْرُف! ما أَشدٌ حفظه للولاء، ما أَغْيرُه على حقوق الأولياء! ما أَثبته على الوفاء! ما أَرقَّهُ على الضعفاء! ما أَشد اهتمامه بشئون الأَصدقاء! ما أعظم أسفه لمصائب مَنْ بينهم وبينه أدنى مودَّة وإن كانوا فيها غير صادقين! ما أبعد هذا القلب من الإيذاء ولو للأَعداء! ما أَشَدَّه محافظة على العهد! ما أعظم حدره مِنْ كل ما تُوبخ عليه الذمم الطاهرة! ما أقواه على العمل الحق، والقول الحق لا يطلب عليه جزاءً! وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين؟!

هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم ، هو الذى سرَّ قلوبهم بالترقية ، وملاَّها فرحاً بالتقدم ، ولطَّف خواطرهم بحُسْن المُعَاملة ، وَشَرَحَ صدورهم بلطيف المجاملة ، ودافع عنهم أزماناً خصوصاً هذا اللئيم !

أفنشرحُ الصدور وهم يُحْرِجُون ؟ ونشنى القلوب وهم يُؤلمون ؟ ونفرحها وهم يحزنون ؟ تالله قد أضلوا وما كانوا مُهتدين . هذا القلب ذَابَ مُعْظَمُه من الأسف على ما يَلُم "بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات ، وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذى يجعل العموم فى قلق مستديم ، وما بَقِى من هذا القلب فهو فى خوف على من يعرفهم على عهد مودَّته ، فإن تسللوا جميعًا بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودته خالين ، واتخذوه وقاية لهم من المضرة ، وجعلوه ترسأ يُعَرِّضُونه لتلق سهام النوائب التى يتوهمون تَفْويقها إليهم ، كما اتخذوه قبل ذلك سهما يصيبون به أغراضهم فينالون منها حظوظهم ، فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم ، والله يتولى حسابهم وهو أسرع الحاسبين .

إِن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخزّ إِذا اتصل بذى الوُدُّ وإِن كان خشنًا ، فَصَعْبُ أَن ينفصل ولو مزقته خشونته ، وإِن هذا القلب في علاقة مع الأوداء كالضياء مع الحرارة ، أيما حادث يحدث ، وأيما كيماوي يدقق ، لا يجد للتحليل بينها سبيلاً . وأظنك في العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين .

وكتب المرحوم محمد حافظ. بك إبراهيم (١) إلى الأُستاذ الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

كتابي إلى سيدى : وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل (٢) ، ومن

وإن جاروا في تصرفهم.

⁽١) يشكو اليه حاله وهو ضابط بالسودان .

⁽٢) عين في الحنة وهو الشراب السهل في الحلق .

تيهي (١) به ، فوق النَّذْرَة (٢) والإكليل (٣) وقد تعجلتُ السرور ، وتسلقتُ الْحُبُور (٤) ، وقطعتُ ما بيني وبين النوائب :

وَبَشَّرْتُ أَهلَى بِالذَى قد سمعتُهُ فما محنَتَى (٥) إِلا لِيال قلائل وقلتُ لهم: للشيخ فينا مشيئة فليْسَ لذا من دهرنا ما نُنَازِل(٢) وقلتُ لهم: للشيخ فينا مشيئة فليْسَ لذا من دهرنا ما نُنَازِل(٢)، وجمعت فيه بين ثقة الزُّبيديِّ(٧) بِالصَّمْصَامة (٨) والحارث بِالنعامة (٩)، فلم أقل فيه ما قال الهذَلَى (١٠) لصاحبه، حين نسى وعدهُ (١١) وحجب رفدهُ (١١): «يادارَ عاتكة التي أَنَغَزَّلُ » بِل أُناديه نداءَ الأَخيذة (٣١) في عَمُورية (٤١)، شجاع الدولة العباسية، وأَمُدُّ صوتى بذكر إحسانه، مدَّ المؤذن صَوْتَهُ في أَذانه وأَعتمدُ عليه في البُعد والقُرْب، اعتاد الملَّل (١٠) على نجمة القطب (٢١): وقالَ: أُصيحاني هالني النوى (١٧) وهالهم أمْرِي متى أنت قافل (١٨) فقلتُ: إذَا شاءَ الإمَامُ فأَوْبتي (١٥) قريبٌ وَرَبعي (٢٠) بالسعادة آهل فقلتُ: إذَا شاءَ الإمَامُ فأَوْبتي (١٥) قريبٌ وَرَبعي (٢٠) بالسعادة آهل

⁽۱) عجبى (۲) كوكبان متقاربان بينهما قــد شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سيحاب (٣) من منازل القمر أربعة أنجم مصطفةً (٤) الفرع ومعنى تسلق: تسور أيأتي الفرع من غير بابه ويروى تسلفت بالفاء (٥) محنتى : بليتى (٦) نضارب لأن الشيخ كفأنا صلحمات الدهر (٧) أبو ربيعة عمرو بن معدى كرب ينتهى نسسبه إلى قحطان صحابي من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة الى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن (٨) اسم سيف عمرو (٩) اسم فرس للحارث بن عباد البكرى شيخ من العرب (١٠) نديم الخليفة أبى جعفر المنصورى العباسي كان لا تكلم الخليفة الا جوايا ﴿ (١١) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هذه دار عاتكة التي قال فيها الشاعر - يادار عاتكة أَلَحْ فَعَجِبِ الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشَّاعر فوجد فيها «وأراك تفعل ما تقول» فتذكر الخليفة الوعد (١٢)عطاء (١٣) الاسيرة ويريد بها امراة من بني هاشم اسرها الروم فنأدت وامعتصماد تعنى المعتصم من خلفاء بنى العباس فوصل الخبر الى المعتصم فقال لبيك! لبيك! وهم فحاربهم وخلصها (١٤) بلدة من بلاد الروم (١٥) صاحب السفينة (١٦) كوكب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التي هو قاصدها (١٧) العبد (۱۸) راجع (۱۹) رجعتی (۲۰) داری ۱۱

وها أنا مناسكُ حتى تنحسر(۱) هذه الغمرَةُ(۲) ، وينطوى أَجلُ تلك الفترة(۳) ، وينظو إِلَى قات(۲) الفترة(۳) ، وينظر إِلَى سيِّدى نظرةً ترفعنى من ذات(٤) الصدع(٥) إلى ذات(۲) الرجع(٧) ، وتردّنى إِلى وكرى(٨) الذي فيه دَرَجْت(٩) ، ردَّ الشمس قطرة المزن(١) إلى أَصلها ، وردَّ الوفي الأَمانة إلى أَهلها :

فإن شاء فالقُرْبُ الذي قدرجوته وإن شاء فالعز الذي أنا آمِلُ وإلا فإني قَافُ رُؤبة (١١) لم أزل بقيد النَّوَى حتى تغول الغَوَائِلُ فلقد حللْتُ السُّودان حلولَ الكليم (١٢) في التابوت(١٣) ، والمغاضِب(١٤) في جَوف الْحُوت ، بين الضِّيق والشدَّة والوحدة ، لابل حلول الوزير (١٥) في تنور العذاب ، والكافر في موقف الحساب بين نارين : نار القيظ (١٦) ونار الغيظ

فناديتُباسم الشيخ والقيظ جَمْرَةً تذيب دماغ الضب والعقلُ ذاهل فَصِرْتُ كَأَنَى بين رَوْضٍ وَمَنْهَلِ تَهُبُّ الصَّبا فيه وتشدو البلابل واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يدا الجديدين (١٧) على ، عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد ، فلقد نمى ضِبُّ (١٨) ضغنه (١٩) على ، وبدرت (٢٠) بوادر (٢١) السوء منه إلى ، فأصبحتُ كما سرّ العدوّ وساء الحميم (٢٢) وآمسيتُ وآلامى كأنهاجلود أهل الجحيم ، كلما نضجَ منها أديمُ تجدد أديم (٢٣) وأمسيتُ ومُلك آمالي إلى الزوال ، أسرع مِنْ أثر الشَّهَاب فى السماء ، ودولة صبرى إلى

⁽۱) تنكشف (۲) الشدة (۳) يريد المدة بينهما (٤) الارض (٥) الشق (٦) السماء (٧) صوت الرعد (٨) يريد وطنه واصله عش الطائر (٩) مشيت (١١) المطر (١١) رجل من العرب كان أكثر روى أراجيزه على القاف السياكنة (١٢) سيدنا موسى عليه السيلام (١٦) الذي وضعته أمه فيه وألقته في البحر (١٤) سيدنا يونس بن متى عليه السيلام (١٥) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور العذاب الذي اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٦) شدة الحرال (١٧) الليل والنهار (١٨) بكسر الضاد الفيظ (١٩) حقده (١٠) أسرعت (١٢) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢١) القريب الذي يهتم لامره (٢١) الحلد .

الاضمحلال ، أحثُّ(١) من حبابِ(٢) الماء ، فنظرتُ في وجوه تلك العباد ، وإلى لغارسُ العين والفؤاد ، فلم تقف فِرَاسَتي على غير بابك .

وإنى أهديك سلاماً لو امتزج بالسَّحَاب ، واختلطَ منهُ باللعاب ، لأَصبحتْ تتهادى(٣) بقطره الأَكَاسِرَة(٤) ، وأمستْ تدخر معهُ الرُّهْبان في الأَديرَة ، ولأَغنى ذات الحجاب عن الغالية(٥) والملاب(٦) .

ولابِدْع إِذَا جَادَ السَيْدَ بِالرَّدِّ ، فقديُرى وجه المليك في المرآة ، وحيال القمر في الإِضاءة ، وإِن حال حائلُ ، دون أُمنية هذا السائل ، فهو لا يذم يومك ، ولا يباً مُن من غدك ، فأنت خيْرُ ما تكون حين لا تظنُّ نفْسُ بنفس خيرًا ، والسلام .

الفصل السابع: في رسائل العيادة

كتب أبن الرُّومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ إلى بعضهم:

أَذِن الله في شفائك ، وتلتى داءَك بدوائك ، ومسحَ بيدالعافية عليك ، ووَجه وفد السلامة إليك ، وجعل عِلَتك ماحيةً لذُنُوبك مضاعفة لِثَوَابك .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ ه :

وصل كتابك ياسيَّدى ، فسرنى نظرى إليه ، ثم غمَّنِى اطِّلَاعى عليه ، لما تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْر عِلَّتك ، جعلَ الله أولها كفارةً ، وآخرها عافيةً ، ولا أعدمك على الأُولى أَجراً ، وعلى الأُخرى شُكراً .

وبودى لو قُرُب عَلَىَّ متناولُ عيادتك ، فاحتمات عنك بالتعهد والمساعدة بعضَ أَعباء(٧) علتك ، فلقد خَصَّنى من هذه العلة قسم تكقسمك ، ومرض قلبى فيك لمرض جسمك ، وأَظُنُّ أَنى لو لقيتك عليلاً لا نصرفت عنك ، وأَنا أَعلَّ منك فإنى بحمد الله جلد (٨) على أوجاع أعضائى ، غير جلد على أوجاع أصدقائى ، شفاك الله وعافاك .

⁽۱) أسرع (۲) ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع (۳) تجعله هدية (۶) الملوك (۵) الطيب (۲) الزعفران (۷) جمع عبء (۸) شدند .

الفصل الثامن: في رسائل التهاني

كتب فى التهنئة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٢٩ ه : أَهْلاً وسهلاً بعقيلة (١) النساء ، وأُم الأَبناء ، وجالبةِ الأَصهار ، والأَولاد الأَطهار :

ولو كان النّساءُ كمثل هذى لفضلت النّساءُ على الرجالِ فما التأنيث لاسم الشمس عيبُ ولا التذكير فَخْرٌ للهلالِ والله يُعَرِّفُكَ البركة في مطلعها ، والسعادة بموْقِعها ، فالدنيا مؤنثة ، والناس بخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسهاءُ مونثة ، وقد زينت بالكواكب ، وَحُلِّيت بالنجوم الثواقب(٢) ، والنفس مؤنثة ، وهي قِوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها تنعم المرسلون فهنيئاً هنيئاً ما أوليت وأوزعك (٣) الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عُرِف النسل وبتي الأبد .

و كَتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ه إلى الداور دى يهنئه بمولود: حُقًّا لقد أُنجز الإِفبال وعده، ووافق الطالع سعده، وإن الشأن لفيا بعده، وحبذا الأَصلُ وفرعُه، وبورك الغيثُ وصوبه (٤)، وأَيْنع الرَّوْض ونوره (٥)، وحبذا ساءٌ أَطلعت فرقدًا، وغابةٌ (٦) أَبرَزت أسداً، وظهرٌ وافق سنداً، وَذِكْر يبتى أَبدًا، ومجد يُسمى ولداً، وشرَفٌ لحمة وسدى (٧):

أَنجب (^) كُلُّ من وَالديهِ به إذا نجلاه فنعم ما نَجَلَا فأَلفياه (٩) شهَالَ ذكاء ، وَلَدْر علاء .

⁽۱) كريمتهن (۲) المضيئات (۳) أقدرك (٤) مطره وهنا كناية عن الولد (٥) زهرة الشجرة وهو كناية عن الولد أيضا (٦) موضع الاسد الذي يألفه والمراد أصوله (٧) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف ظاهرا وباطنا (٨) ولداه كريما (٩) وجداه .

وَوَجداهُ ابن جلا(۱) أَبْيَضَ(۲) يدعى الجفلى(۳) للله أولى فلا إذا النَّدى(٤) احتفلا

وكتب فى التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ ه: أَهُنِّيُّ سيِّدى ، وَنَفْسى تطيب بما يَسَّرَ الله من قدومه سالماً ، وَأَشْكُرُ الله على ذلك شكرًا دائماً . جعل الله قدومك مَقْرُوناً بالخيرة التامة العامة ، والكفاية الشاملة الكاملة .

غيبة المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ، فوصل الله قدومَك من الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة ، وَهَنَّاك بإيابك وبلَّغك غاية محابك ، مازلت بالنِّية معك مسافراً ، وباتصال الذِّكْر والفكر ملاقياً إلى أن جمع شمل سُرُورِي بأوبتك وسكن نافر قلبي بعودتك .

وكتب أيضاً في التهنئة برمضان:

ساق الله إليك سعادة إهلاله ، وَعَرَّفك بركة كماله ، لقَّاك فيه ما ترجوه ورقاك إلى ما تحبُّ فيا يتلوه ، جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقه وناً بأفضل القبول ، مؤذناً بدرك البغية ونجح المأمول ، ولا أخلاك من بر مرفوع ، ودعاء مسموع ، قابل الله بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك ، أعاد الله إلى مولاى أمثاله ، وتقبّل فيه أعماله ، وأصح في الدين والدُّنيا أحْواله وبلغه منها آماله . أسعد الله مولاى بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجْزَل المنتوبة والأجر .

وكتب أبو الفرج الببغاءُ الْمتوفى سنة ٣٩٨ ه تهنئته :

سيِّدى _ أَيَّدَه الله ! _ أَرفعُ قدراً ، وأنبهُ ذِكْراً ، وأعظمُ نبلًا ، وأشهرُ

⁽۱) واضح الامر (۲) نقى العرض شريفا (۳) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (۶) مكان اجتماع الناسوالاحتفال هو التجمع: أى 4 لشله نصوغ التهاني أولى فلا يحسن أن تصاغ لفيره: بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجدفي أفق العلاصعدا

فضلاً ، من أن نهنئه بولاية ، وإن جَلَّ خطرها وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنئة الأَعمال بفائض عدله ، والرعيَّة بمحمود فعله ، والأَقاليم بآثار رياسته والولايات بسمات سياسته ، فعَرَّفهُ الله يُمن ما تولاه وَرَعَاه في سائر ما اسْتَرْعَاه ، ولا أخلاه من التوفيق فما يعانيه ، والتسديد فما يُبرمه وبمضيه .

وكتب أستاذنا الشيخ حمزة فتح الله :

أى جهابذة (١) الكنانة (٢) نُبّال الجنابة (٣) مياه الإِجّانة (٤) أبناء تلك اللغى صناديد هذه الوغى ، إليكم يُسَاقُ هذا الحديث ، فى القديم والحديث ، عن هذا النبأ العظيم والمجد الصميم ، مالى أرى فى لغتنا الشريفة ـ ويعلم أول النهى أية من اللغات أحق بهذا النبر (٥) أن يُصْرَف إليها عند الإطلاق ـ هُبُوباً غِبّ خمول ، وترّة (٦) بعد نحول ، ونورًا عقيب أفول ، ونورا إثر ذبول ، وصباً وراء قَبُول ، وعدلا ولا حَيْف (٧) وقوة ولا ضعف ، وما يشاءُ المُطْرى (٨) فى هذا القبيل من العطف ، آمنت بالقدر المقدور والبعث والنشور ، كذلك يحيى الله الموتى . العطف ، آمنت بالقدر المقدور والبعث عناية التوفيق ، فألقت إليه المقاليد (١٠) ، المين الواحد الذي يقول في مثله صاحب بني ميكال :

والناسُ أَلْفُ منهُمُ كواحد وَوَاحد كالأَلف إِن أَمْرٌ عنى (١٢) إِي (١٣) ورب تلك البَنِيَّة (١٤) ، بارئ (١٠) نسيم البرية ، إِنه لرجلُ البلاد ، رجل الحزم والسداد: أَلَمْ نر جَنَانه (١٦) ، وحنانه وبنانه (١٧) وبيانه ، عوامل لهذه اللغة : لغة الفُرْقان (١٨) ، لغة الأُوطان ! لا ـ بل أَمضى من العوامل حتى

⁽۱) الحذاق ذوو النقد (۲) ما يوضع فيها السهم والمراد أنهم نقادون المسائل (۳) بضم الجيم الترس التي يتقى بها (٤) الاجابة بالكسر اناء تغلى فيه الثياب وما حول الفراس شبه الاحواض والجمع أجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسمن (٧) الظلم والجور (٨) الملاح (٩) ظهرت (١١) المفاتيح (١١) حرف جواب تثبت المنفى (١٢) أهم الناس وأقلهم (١٣) حرف جواب مثل نعم (١٤) فتح الباء وزن غنية الكعبة (١٥ خالق (١٦) قلبه (١٧) أنامل أصابعه (١٨) لفة القرآن الكريم

ظلت (آدابها) فرائض ، وقد كانت وما بالعهد من قِدَم (نوافل) ومن حُلِيها أَجياد(١) اللهجات عواطل. اللهم إلا بقية ثمد ، قد منيت(٢) صُحُقها الأَود(٣) ، ففقدتُ الْجلْد وَالْجَلَد(٤) وبعد أن راج سوق الرطانة(٥) ونضب(٢) ماء الإبانة وخبت(٧) أنوار البلاغة ، وَذَوَت(٨) أنوار(٩) النباغة وكسد البيانُ وقُوِّض(١٠) منه البنيان ، وأصبحت العربية لُقَّى(١١) وبضاعة مُزْجَاة(١٢) ، فأيهذا اليراع(١٣) لا أقل من نفثات في صَوْع كُليمات تقدر هذه النعمة قدرها ، وتمنحها(١٤) شكرها . . .

وَيْحَكَ !(١٠) هُبّ (٢١)من سِنَتِك (١٧) في حلية مِقَتِك (١٨) ، وانض (١٩) مسامك (٢٠) واشحذ كهامك (٢١) وانثل (٢٢) كِذَانتك (٣٣) واعمل بنانتك (٤٤) وصغ إِن استطعت تهاني عُرًّا ، بل عقوداً درًّا بل أنجماً زُهْرا ، مُشْتَارا (٢٠) من خلايا ذلك الأرى (٢٦) الشهى (٢٧) النَّدِى الزكى ، ما جَرَسَت (٢٨) نحلة الشيح (٢٩) والْخُزَامي (٣٠) وأطايب الثار ، وأزاهي الأزهار تهدين أولئك المصانع (٣١) شكراناً لتلك النعم تجميعاً لشواردها وتقييدا لأوابدها (٣٢) .

⁽۱) الاعناق (۲) اختبرت (۳) الاود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها لا عن بذل جهد (۶) القوة (٥) كل لسان يخالف العربية (٦) غار وذهب (٧) خفيت (٨)ذبلت (٩) جمع نور بالفتح الزهر (٠١) نقض (١١) بالقصر مطروحة (١٦) قليلة (١٣) القالم (١٤) تعطيها (١٥) كلمة رحمة (١٦) استيقظ (١٧) نومك (١٨) محبتك (١٩) سله من غمده (٢٠) السيف القاطع (٢١) شحده اللهام بفتح الكاف السيف الكليل (٢٢) استخرج ما فيها من النبال (٢٣) الجراب الذي توضع فيه النبال والسهام (١٤) اصبعك (٢٥) كثير الشرى (٢٦) العسل (٢٧) ما يشتهى (٨٨ (أكلت وأصله جرس الشيء جرسا لحسه بلسانه (٢٩) نبت طيب الرائحة وأصله جرس الشيء جرسا لحسه بلسانه (٣١) نبت طيب الرائحة (٣٠) بضم الخاء نبت زهره أطيب الازهار (٣١) جمع مصقع البليسغ (٣٠) لغرائبها .

وإشفاقاً عليها من الجماح (١) ،، بعد ذلك من الارتياح .

فإليكم بنى هذه اللغة (كتابى هذا) تهنئة بتلك النهضة العربية فى إِبَّانِ ____ كما تعلمون __ وجهه مكفَهِر (٢) وبدنه مقشَعِر ، وثناء على العزمة (التوفيقية) والعناية (الرياضية) .

على أن لذلك الوزير سوى ذلك أيادِي (٣) مبرورة ، ومساعى مشكورة أكسبت الوطن وأهليه نهضات ، وأقالته كثيرًا من العثرات .

لكننى آثرت(٤) تلكم النهضة العربية بتهنئتكم بها، أى بنى جلدتى(٥) ، وإخوان حرفتى ، لكونها فيا أخال لا بل فيا أتيقّنُ ويتيقن أولو الحِجَا(٦) أعظم النهضات وأين(٧) ما اجتازه(٨) الوطن من عقبات ، ولو كان فى نطاق الإمكان زيادة البيان فى هذا الشّأن ، لأسهبْتُ(٩) وأوسعتُ ، وأطربتُ(١) وأطنبت ، ولو لم يكن فى تلك النهضة إلا أن حياة الأُمَّة حياة لُغتها فحسب لكفاك وشفاك وأغناك ، وكان ذلك قُصاراك(١١) وحُماداك(١٢) .

وكتب المرحوم الأُستاذ محمود بك أَبـو النصر:

إنسان عين الفضائل ، عزيزى فلان المحترم : نور على نور ، وشفاءً لما في الصدور شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد . قد أُنجز الإقبال ما وعد ، وابتهجت النفوس وتزينت الطروس ، واهتزت الأقلام وأعلنت بالسلام .

وكيف لا! وأنت واحد الكُتَّاب وإنسان عين الآداب ؟! رمدت فرمدت

⁽۱) الذهاب بسرعة (۲) متعبس (۳) نعما من ذلك الوزيرالخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ۱۳۳۱ هـ (٤) اخترت (٥) بنى عشيرتى (٦) العقل (٧) أكثر بركة (٨) سلكه (٩) لاكثرت الكلام (١٠) مدحت (١١) مبلغ جهدك وغايتك (١٢) غاية أما تحمد عليه .

وشفيت فاهتزت وربت . وقد كان طرفها كليلا ، وفؤادُها عليلا . واليوم زال العناء ، وحق الهناء ووافى الشفاء ؛ فكان بردًا وسلاماً على القلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب :

فلك الهناء بصحة ميمونة أبداً على مرّ الدُّهور تدُومُ وإن الله ما قضى بما قد مضى ، إلا ليُعرِّف سيّدى ما عانته من القلوب ومنزلته من الفضل. وهذه حال العافية قد خلعت عليك ، وثياب السلامة سبقت إليك فوافى السرور ، وعم الحُبور . واللهُ يبلغك بالصحة والأعمال . منتهى الآمال والسلام . وكتب الوزير المرحوم عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٨ ه فى تهنئة العيد : هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه ، وأضاءت الدنيا وازدانت الآفاق ، ببهجة هذا العيد السعيد ، وأخذ الأحبة يتهادون رسائل البشائر فيا بينهم ، وكل حزب فرحون بما لديهم ، بما أودع فيهم من روابط المحبة وعوامل الاتحاد السارية فى النفوس ؛ أما أنا فعيدى ، وبهجة نفسى ، وسرور فؤادى دوام إقبال الزمان عليك بوجه النصر وعود أعياد السرور على جنابك الرفيع فمثلك تشرق الدنيا بطلعته ، وتفرح الأعياد برؤيته :

وأَرَى الحياة لذيذةً بحياته وأَرَى الوجود مشرقاً بوجودهِ لله وخلودهِ لله عَيِّرتُ من دهرى الني لاخترتُ طول بقائه وخلودهِ أعاد الله عليك أيها الأَخ أمثاله وأمثال أمثاله في صفاءٍ وهناءٍ.

الفصل التاسع: في رسائل التعازي والتأبين

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ ﻫ :

خبر عز على مستَمع ، وأثر في قلبي موقعه . خبر تستاء (١) له المسامع وترتج منه الأضالع ، خبر يهد الرواسي (٢) ويفاق الحجر القاسي . كادت له القلوب تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تطيح (٣) . خبر يشيب الوليد ، ويذيب

⁽١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك .

الحديد، قد كاد من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعى الفادح(١) وتجرس، وتقصر الأيدى عن التعزية بهذا الرزء الفادح(٢) وتيبس.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني المتوفي سنة ٣٩٨ هـ :

إذا ما الدهر جرَّ على أناس مصائبه أناخ بآخرينا فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلتى الشامتون كما لقينا

أحسن مافى الدهر عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعوالجفلى (٣) إذا ساء ، ويخص بالنعمة إذا شاء . فليكفر الشامت : فإن كان أفلت (٤) فله أن يشمت . ولينظر الإنسان فى الدهر وصروفه ، والموت وصفوفه ، من فاتحة أمره إلى خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه أثراً فى نفسه ؟ أو لتدبيره عوناً على تصويره ؟ أم لعمله تقديماً لأمله ؟ أم لحيله تأخيراً لأجله ؟ كلا . بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً ، خُلق مقهوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبراً ، وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؟ ! فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم الموت عدلاً .

والموت _ أطال الله بقاء مولاى _ خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، ولعل هذا السهم قد صار آخر ما فى كِذانتها(٥) وأزكى(٦) ما فى خزانتها ، ونحن معاشر التبع نعلم الأدب من أقواله ، والجميل من أفعاله ، فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ، ولا نرغبه فى الجزيل وهو الأجر ، فلير فيهما رأيه . وكتب أيضاً :

ياسيدى : المصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالصبر أَجدر . والعزاء على الأَعزة رشد كأنه الغيّ ، وقدمات الميت ، فليحي الحيّ .

⁽۱) الذي يثقل الناس ويهمهم (۲) المصيبة (۳) يدعو الناس بعامتهم وجماعاتهم (۶) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر (٥) الجراب الذي توضع فيه السهام (٦) أطهر وأنفس لانه لايحرز الاما كان نفيسا.

وكتب فقيد اللغة الشيخ إِبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م :

أشباحٌ تروح وتجيء ، و آجال تمسى وتغتدى ، وأنفاس تتقطع من دونها حزناً وأسفاً ، وعبرات تتفطر وَجْدًا ولهفاً . وما عمدت الأقدار إلى استنزاف مدمع ، ولا أرادت الأيام إيلام موجع . إنما هي سُنّة الخلق : كون يليه زوال معقد يسبقه انحلال . إن لكل شيء أجلا موقوتاً . وإن لكل أجل سبباً مقدورًا ، وإن الإنسان لني كل ذلك شاهِدُ يسمع لاهياً ويبصر ساهياً . وليس في يده أن يسترد ماضياً ولا أن يرد آتياً . لقد وَدَدْت أن أعزيك ، لولا ما يُغالبني على العزاء من كبدحرى ، ومُقلة شكرى ، وزفرة تترى . ثم وددت أن أستبكيك ، لولا أنى بكيت حتى لم أدع في البكاء من واد ، وأحييت ليالي بالنوح على صفر يدى إلا من كبدى . وإن الأقدارسهام إذا انطلقت يزدنى النوح على صفر يدى إلا من كبدى . وإن الأقدارسهام إذا انطلقت لم ترد ، وإن المتطلع إلى الفائت لطويل شقة الكمد ، وإن الحون البحاء عند الجلد :

وإن الحصى عند الْجَزُوع ثقيلة وضخم الصفا عند الصبور خفيف والله المسئول في إطالة بقائك قرة للعيون وجبرًا لخاطر المحزون بمنه وكرمه . تأبين الأحنف بن قيس(١) :

مات الأحنفُ بن قيس بالكُوفة فمشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء (٢) . وقال قوم : مات سيد العرب، . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت :

⁽۱) اسمه الضحاك وكان سيد تميم فى عهده معروفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم الى ثبات جنان وحسن بيان ، وحياته مملوءة بجلائل الاعمال وكريم الفعال توفى سنة ٦٧ هـ (٢) كانت عاداتهم فى جنائز العظماء .

لله دَرّك (!) من مِجَنّ (٢) فى جنن ومُدْرَج فى كفن . فنسأَل الذى فَجَعَنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك . فوالله لقد كنت فى المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عطوفاً . ولقد كُنت فى الحيِّ مُسَوَّداً وإلى الخليفة موفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين .

ثم أقبلت على الناس فقالت: ألا إِن أُولِياءَ الله في بلاده شهود عباده و إِني لقائلة حقًا مُثْنية صدقاً ، وهو أهل لحسن الثَّنَاءِ وطيب البقاءِ . أما والذي كنت من أجله في عدَّة ومن الحياة إلى مُدَّة ومن المقدار إلى غاية ومن الآثار إلى نهاية ، الذي رفع عملك لمَّا قضى أَجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً مفقوداً (٣) . ثم انصرفت وهي تقول :

لله دَرَّك يا أَبا بحر ماذا تغيَّب منك في القبر لله درك! أَيَّ حشو ثرى أصبحت من عُرْف ومن نكر إِن كَانَ دهر فيك جَدَّ لنَا حدثَانَهُ ووهت قوى الصبر(٤) فلكم يد أسديتها ويد كانت ترد جرائر الدهر

ثم انصرفت . فسئل عنها فإذا هي امرأته وابنة عمه (٥) فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه .

تأبين الإسكندر:

لما جُعِل الإِسكَندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحد الحكماء فقال:

⁽۱) الدر: اللبن والعمل ، ولله درك: كلمة تعجب (۲) أجنه: ستره والجنن: القبر ومن بدائع العربية أن مادة (جنن) تدل على السستر كالجن والجنون والجنة والمجن والجنان والجنين (۳) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أي غير مكترث لفقدانه فقولها: مفقودا تريد يحزن الناس فقدك (٤) حدثان الدهر: نوائبه (٥) ذكر صاحب بليفات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقروية .

كان الملك يخبأ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه .

وتقدم إليه آخر والناس يبكون حوله فقال : حَرَّكنا بسكون، .

وتقدم إليه آخر فقال : كان الملك يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس(١) . وتقدم إليه آخر قائلاً : قد طوّف الأرض وتملّكها ثم جُعِلَ منها في أربعة أذرع . ووقف عليه آخر : انظر إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظل الغمام وقد انجلى . ووقف عليه آخر : مالك لا تُقِلُّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلُّ مُلْكَ العباد ؟!

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان ، وقد كنت ترغب بها عن رَحْب البلاد ؟!

الفصل العاشر: فيرسائل الأجوبة

كتب عبد الله باشا فكرى المتوفي سنة ١٣٠٨ ه:

سيّدى سدّمك الله وحد ك وأسعدنى برؤية حُميّاك ، وزاد عزّك وعُلياك وحرس دينك ودنياك ، وجمعنى على بساط المسرّة وإياك ، ولاحرمنى دوام لقياك ولا برح مبتسم الثغر بمحاسن معاليك ، مباهيا أعصار الأوائل بأيامك ولياليك محليا أجياد المفاخر بزواهر لآليك . ورد على كتابك الكريم مورد إعزاز وتكريم ، فبك بعض ما بالجوانح من الصدى ، وأنعش ولا انتعاش الزهر بمباكرة الندى ، وجلا على من البلاغة روضا عَضًا ، وأدار لدى صفوا من سُلاف المحبة محضا ، وهزنى هزة النشوان شوقاً وطربا ، واستفزنى بمعجز آياته الحسان عُجْباً ، وعَجَباً ونشر عَلى من محاسن لفظك الحر وكلماتيك الغرّ ، ما يخجل الدرارى ويفضح الدرّ .

⁽١) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

وكانت في حياتك لي عظات ﴿ ﴿ وَأَنْتُ اليُّومِ أُوعَظُ مِنْكُ حِيامِ ﴿

وكتب أيضاً وهو بالآستانة في يوم برد كثير الأمطار:

كتبت إليك والأمطار ساجمة (١) بطلِّها (٢) وَوَبلِهَا (٣) وعساكر البَرْدِ وَالبرَد ه اجمة بخيلها ورَجْله (٤) والسماء مُتلفعة بأذيال السحاب، وكأن الشمس خافت من الطلِّ فتوارت بالحجاب ، والجو مسكيّ الرداء ، عنبري الأرجاء ، كأنه وعليه ثوب الغيم مِزرِدُورٌ ، قد وَجَل (٥) من صولة البرد فلبس فَرْوَة السَّموْر والغمام قد أَناخ على الأَفق بكلا كِلِه (٦) ، وهز من البرق بيض مناصله (٧) ، ونَشَرَ في الجو طرائق مطارفه (٨) ، وجاد على الأرض بتليده (٩) ، وطَارفه، وثقلَ على كاهل الهواء كالطير بِكُ جِنَاحِهُ بِالمَاءِ، وَقَرُب حتى كاديمُسكُ بِاليدين وَيُعتصر بِالراحتين، أو كأنه مَرَآةَ مُذَهَّبَّةَ تَبَدُو وَتَخْفِي ، أَو جَذْوَةَ (١٠) ملتهبة توقدُ وتُطنِي ، والرعد يُهَدُّدُ بزواجر زماجره السحائب فَيُبْكيها ، والطيريتلوي سُطُور الندي في طُرُوس الثرى(١١) فيُمْلِدُهَا، وَيُطرب بِأَفْنان (١٢) الأَلحان أَفْنَان (١٣) البانِ فَيُعليها ويثنيها ويقرأ على رؤوس الأَغصَان أورَادَه الحسان فيقريها ويُرْقيها ، وقوسُ السهاء يرمى بسهام وَبْلِهِ (١٤) جنوب الشقائق (١٥) فَيُصْميها (١٦) ويُدْمِيها ، والريح تمسحُ أَخْلُافَ (١٧) الغمائم فتُمْريها (١٨) ، وترضعُ بِدَرِّهَا بنات النبات في جُحُور أراضيها فتُرْبيها وتُرْبيها، وترصع بدُرِّها تيجان القضبان، وتارة تجعله عقودًا في تراقيها (١٩) ، أو دموعًا في مآقيها ، وكأن الحرُّ خاف من بنادق البرد ، ومدافع

⁽۱) سائله (۲) الندى (۳) المطر الكثير (۶) المشاة عسلى أرجاهم (٥) خف (٦) بجماعاته (۷) سيوفه (۸) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتى غطى السماء (٩) المال القديم والطارف ضده والمراد كثر عطره (١٠) بتثليث الجيم الجمرة (١١) الارض (١٢) جمع فنن الغصن (١٣) الاغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أحمر (١٦) ليرميها ومسراده أنه يرويها بالمطر حتى تزهو فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مرى الناقة يمريها أذا مسح ضرعها لتدر اللين (١٩) أعناقها .

الرَّعد ، ففرَّ إلى مصر ونواحيها ، وأصبح نزيل من فيها ، لكرم أهليها ، وكأن غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفًا ، أو غلط الناس في حساب الفُصُول فظنوا شتاها صيفاً .

وكتب حفى بك ناصف إلى الشيخ على الليثي :

وصل يا مولاى إلى هذا الطَّرَف، ما خصصت به العبد من الطُّرَف «قفص » من عنب كاللؤلؤ في الصدف ، تتألق عنَاقِيده كأَنها من صنَاعة «النَّجف» ولعَمْر الحق إنها تحفة من أحلى التُّحف لا يُعثر على مثلها إلا بطريق الصُّدَف فقابلناه لمَّا بالأفواه وَرَشْفاً بالشفاه ، واحتفينا(١) بقدومه كل الاحتفاء ، ولم نفرِّط. في حبَّة عند اللقاء، بل حِلَلْنَا له الْحُبَى (٢) ، وقلنا أَهلا وسهلًا ومرحبا ، وأَوسَعَنَاهُ عضًّا ولمًّا ، وتناولناه تخميشاً (٣) وضمًّا ، وحفظنا في صدور ناسره الكنون وطويناه في غُضُون (٤) البطون، فطربت من تعاطيه الأرواح، ولا غَرْو فهو أصلُ الرَّاح (°)، وانتشينا(٦) ولم نحمل وزرًا ، وثملنا(٧) ولم نذق طعماً مُرًّا . فهو كبيان مُهْديه سِحْرٌ ولكنهُ حلال ، ولَعِبُ إِلا أَنه كمال . فإن أكسبت الشمول شاربها قوة في الجنَّان . ونفحت(^)ذائقها طلاقة في اللسان، فقد سَرَت في أجسامنا من حرارته شجاعة «ليثيَّة » ودبت في كلامنا من مذاقته فصاحةٌ «علوية » وخلُصَت إِلينا منه فوائد لا يحيط. بها العلم ، ونجمت (٩)عنه منافع ليس يصحبُهَا إِثْم . فإِن زعم الأولون أن في الخمر معنى ليس في العنب ، فقد تغير الحال في هذه الهدية وانقلب ، وانكشف للمتأخرين حقيقة الأُمر أَن في العنب معنى ليس في الخمر . وكان الأَّحرى بهذا العنب أن يُنَاط.(١٠) بالنُّحور أو تُزين به الصدور ، فما هو إلا اللؤلؤ لكنه سَلِم من سجن البحار، وما هو إلا الدُّرُّ لكن ليس فيه صغار (١١).

⁽۱) بالغنبا في اكرامه وأظهرناالفرح والسرور (۲) الحبال (۳) المفازلة والملاعبة (۶) طيات البطون (۵) الخمرة (۱) شكرنا (۷) سكرنا أيضا (۸) أعطت (۹) اظهرت (۱۰) يعلق (۱۱) بضم الصاد الصغيرة .

وما ضره أن ضمّه القفص حصّة من الحصص. فإن كريم الطيريودع في الأقفاص، والقلب ليس له من حزايا الضارع خلاص. فلا بِدْع أن تُسْتقلٌ في حبّاته حبّات القلوب، ويُسْتَمْلح في جنب حلاوته رُضاب(!) المحبوب. وكأن الثريا لما أخذت شكله فعر(٢) الهلال فاه لعنقودها يريد أكله فهو يطاردها في الشريا لما أخذت شكله فعرين الوراء، وهي تجرى من الأمام مخافة الالتهام ؛ هذا السماء ويأخذ عليها الطريق من الوراء، وهي تجرى من الأمام مخافة الالتهام ؛ هذا لمجرد تشابه في الشكل ، فكيف بالثريا لو أشبهته حلاوة وريًا(٣) فلله تلك العناقيد وما أشد تألقها ! وأصني ماءها وأحسن رونقها ! من كل عنقود تخاله عمود الصبح أحاطت به الدراري، أوغصن البان تعلقت به القماري. فستى الغيث أرضاً أنبتته ، ولا ثلً (٤) الدهر عُرُوشاً حملته ، وأرضاً عرفتنا بأغارها حلاوة الجنة ، وأبرزت لنا لمحة من محاسنها المستكنة ، وأنسانا عنبها ذكري دمشق(٥)وأزمير ، وأنبأنا غارسها أن مصر خير مُسْتقر ، وأنسانا عنبها ذكري دمشق(٥)وأزمير ، وأنبأنا غارسها أن مصر خير مُسْتقر ، ولا ينبئك مثل خبير ، وعووساً كالعروس : تتيه(٦) في الحلي والملبوس تحسدها المجرّة(٧) في السماء وتودُّ لها هذه البهجة والرُّواء(٨) . ولا زال مولاي

أجابه الشيخ على الليثي:

بُهُدَى وَيُهْدِي ، وصَنائعه تعيد في ثنائه وتُبدى .

أما بعد . فقد وصل كتاب القاضى الفاضل ، فأرج الأرجاء بلطيف فواضله شريف الفضائل . ما كنت أَظُنُ أَن يحصل من زبيبة خَمَّاره ، حتى رأيت القاضى الفاضل سبكه فى قوالب شتى وصاغه ، وأتى بما أدهش اللب من أساليب المباخة . فتارة عقداً فى النحور ، وتارة فى ميادين الطلب تطاردُهُ البدور ،

⁽۱) ربقه (۲) فتح (۳) منظرا حسنا (٤) لا هرم (٥) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن دمشاق بن كنعان (٦) تتبختر (٧) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء (٨) بضم الراء حسن المنظر .

وآونة درًا مكبرًا، ومرّة خمرًا معتبرًا، وساعة دوالى «نجفة »، وساعة غصناً تعلق به الهزَار(١) وألفه:

تكاثرت الظّباء على خراشٍ فما يكدرى خراشُ ما يصيد عجبًا لك أيها الفاضل! هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك من مراعاة عدلك واعتدالك! فكيف لو تفرَّعْتَ لهذا الأَمر!؟ ولإراحة النفس، اعتصرت من العُنقود قدحًا من خمر ، وامتطيْت (۲) طرَفَ اليراع منتهجاً مناهج الطّرْس ، وَدَبَّجْت (۳) بياض صفحاته بمحاسن حلى النّفس (٤) فلله مناهج الطّرْس ، وَدَبَّجْت (۳) بياض صفحاته بمحاسن حلى النّفس (٤) فلله أنت من بليغ بلغ ما يريد ، وقلّد فرائد آدابه كلّ جيد! وأفاد السّحر منثورًا في فواصله ، وأقام بعوامل أفلامه تثقيف عوامله! وأوجب علينا الشهادة له بالسبق ، فأذعنا مسلّمين والحقُّ أحق ـ هذا ، ولولا أن يقال فلان جفا ، وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفى (٥) ، وإن كان شيبي يُلزمُني ذلك ، وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفى (٥) ، وإن كان شيبي يُلزمُني ذلك ، كما أن شباب (البيك) يسلك به أقوم المسالك ، لسترْتُ عيِّى وما أشَرْت ، ورأيت طيِّى خيرًا لى مما نشرت ، وجعلت كتاب سيِّدِى في عنتي تميمةً (٦) وروّحتُ النّفس تيمنًا (٧) بمس آياته الكريمة ، وقلت : كفاني ما أحاط وروّحتُ النّفس تيمنًا (٧) بمس آياته الكريمة ، وقلت : كفاني ما أحاط بالعنق من قلائده ، حيث العبد لا يبلغ الفخامة كمال سيِّده .

وهبْنى قُلْت هذا الصبح ليلٌ أَيعمى العالمون عن الضياء ؟ لا زالت بُردُ الترسُّل بيننا مُستمرَّة ، ومدد التّوسل على جناح التقرب مستقرة ، ولابرح الجناب فى كلِّبداية ، يترقى كمايحب من غاية إلى غاية والسلام.

الفصل الحادي عشر: في رسائل الوصايا والشفاعات

من وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبى وقاص فى غزوة الفرس: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خِذلانهِ بكثرَةٍ ولا قِلَّة ، وهو دين الله

⁽۱) بغتم الهاء طائر يقال له العند ليب (۲) علوت (۳) نقشت (٤) بكسر النون الحبر (٥) ولا سأل (٦) ما تكتب وتعلق في عنق الصبيان للحرز (٧) تبركا النون الحبر (٥) ولا سأل (٦) ما تكتب وتعلق في عنق الصبيان للحرز (٧) الحبر و٠١٠ - جواهر الادب و٠١٠)

الذى أَظهرَه وجُنْدُه الذى أَعدّه وأَمدّه ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثًا طَلع ، ونحن على موعد من الله ، والله مُنجز وعْدَه ، وناصر جُنْدَه _ ومكان القَيِّم بالأَمر مكان النّظام من الخرز يجمعه ويضُمه ، فإذا انقطع النّظام تفرَّق الخرز وذهب ، ثُمَّ لم يجتمع بحذافيره أبدًا .

والعَرَبُ اليَوْمَ ، وإِن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزُون بالاجتاع ، فكن قُطْبًا ، واسْتَدْرِ الرَّحى بالعرب ، وأصلهِمْ دونكَ نَارَ الحرب ، فإنك إِن شخصت من هذه الأَرض انْقَضَّتْ عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك مِنَ العَوْرَات أَهم إليك مما بين يديك .

إِن الأَعاجم إِن يَنْظُرُوا إِلَيكَ عَدًا يقولُوا هَذَا أَصل العَرَب، فإِذَا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم ؛ فيكون ذلك أَشدَّ لكَلبِهِمْ عليك وطمعهم فيك . فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ؛ فإن الله سُبْحَانه هو أَكْرَم لمَسِيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير مايكرَه . وأما ما ذكرت من عددهم فإنّا لم نكن نُقاتل فيا مضى بالكثرة ، وإنما كُنّا نُقاتل بالنّصر والمَعُونة .

ومن وصية للنبي عليه الصلاة والسلام :

أما بَعْدُ ؛ فقد جعل الله لى عليكم حقًا بولاية أمركم ، ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم ، فالحقُ أوْسَعُ الأشياءِ في التواصفُ ، وأَضْيقُهَا في التناصُف لايجرى لأَحد إلَّا جرى عليه ، ولايجرى عليه إلاجرى له ، ولوكان لأَحد أن يجرى له ولايجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباد ، ولعدله في كل ماجَرَت عليه صُرُوف قضائه ، ولكنَّهُ جَعَل حَقَّه على العباد أن يُطلعُوه ، وَجَعَلَ جزاءَهم عليه مُضَاعَفة الثَّواب تفضلاً منه وتوسعًا بما هو من المزيد أهلُه ، ثم جعل الله سُبْحانه من حقوقه حُقُوقًا افترضها لبعض الناس على بعض ؛ فجعلها تتكافأ في وجوهها ، ويوجب بعضُها بعضًا ، ولا يُسْتَوْجب على بعض ؛ فجعلها تتكافأ في وجوهها ، ويوجب بعضُها بعضًا ، ولا يُسْتَوْجب

بعضها إلا ببعض ، وأعظمُ ما افترض سبحانه من تلك الحقوق ، حقَّ الوالى على الرَّعِيَّة ، وحقُّ الرَّعِيَّة على الوالى ؛ فريضة فرضها سبحانه لكلٍّ على كلٍّ ، فجعلها جمعًا لأُلْفَتهم وعزًّا لدينهم ، فليست تصلح الرَّعية إلا بصلاح الوُّلاة ، ولا تصلح الوُلاة إلا باستقامة الرَّعية . فإذا أَدَّت الرعيَّة إلى الوالى حقه ، وأدَّى الوالى إليها حقها ، عزَّ الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعْتَدَلت معالم الْعَدُلُ وجَرَتْ على إِذَلَالِهَا السننُ ، فصلح بذلك الزَّمَان ، وطُمِع في بقاءِ الدولة ، ويئست مَطَامعُ الأَعداءِ ، وإذا غلبت الرَّعية وَاليها ، وأَجحف الوالى برعيته ، ٱخْتَلَفَتْ هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الْجَوْر ، وكَثُرَ الإِدغال في الدِّين ، وتُرِكَتْ محاجُّ السنن ، فعمل بالهوى ، وعطِّلت الأَّحكام ، وكثرَت علل النفوس؛ فلا يستوحشُ لعظيم حق عُطِّل ولا لعظيم بَاطِلٍ فُعل؛ فهنالك تذلُّ الأَبرار وتعزّ الأَشْرار ، وتعظمُ تبعاتُ الله عند العباد . فعليكم بالتّناصُح في ذلك وحُسْن التعاون عليه ، فليس أحد وإن اشتدَّ على رضاء الله حِرْضُه ، وطال على العمل اجتهادُهُ ، ببالغ حقيقة ما اللهُ أهله من الطاعة ، ولكن من واجب حقوق الله على عباده ، النصيحة بمبلغ جهدهم ، والتعاون على إقامة الحق بينهم . وليس امروُّ وإن عظمت في الحق منزلته ، وتقدُّمت في الدين فضيلته ، بفَوْقَ أَن يُعَان على ما حمَّلهُ الله من حقه ، ولا امرؤٌ وإن صغرَتْه النفوس ، واقْتَحَمَتْه العُيُون بدون أَن يعين على ذلك ، أَوْ يُعَان عليه .

فأجابه عليه الصلاة والسلام رَجُل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِرُ فيه من الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنَّ من حقّ من عظم جلالُ الله في نفسه ، وجلَّ مُوْضعُه من قلبه ، أن يصغر عنده لعظم خلك كلّ ما سواه ، وإن أحقَّ من كان كذلك لَمَنْ عظمت نعْمَةُ الله عليه ولطفَ إحْسَانُه إليه ، فإنه لم تَعْظم ْ نِعْمَةُ الله على أحد إلا ازْدَادَ حقُّ الله عظمًا ، وإن مِنْ أَسْخَف حالات الوُلاة عند صالح الناس ، أن يظن بهم حبُّ

الفخر ، ويُوضِعَ أَمرُهُم على الكِبَرِ ، وقد كرِهْتُ أَن يكُون جَالَ فى ظنكم ا أَنَى أُحبُّ الإِطرَاءَ واستماع الثُّنَاءِ ، ولستُ بحمد الله كذلك ، ولوكنت أُحِبُّ. أَن يُقال ذلك لتركته انحطاطاً للهِ سبحانه عن تناوُل ما هو أَحق بهِ من. العظمة والكبرياء ، وربَّما اسْتحلي الناسُ الثناءَ بعد البلاءِ ، فلا تثنُوا عليُّ ا بجميل ثناءٍ لإِخراجي نفسي إِلَى الله وإليكم من التُّقْيَةِ في حقوقِ لم أَفرُغْ من أَدائها ، وفَرَائضَ لا بُدُّ من إمضائها ، فلا تكلموني بما تكلم بهِ الجبابرَة ، ، ولا تتحفظوا مني مما يُتَحفُّظ. به عندَ أهل البادِرَة ، ولا تخالطونى بالمصانَعة ؛ ولا تظنُّوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي ، ولا الهاس إعظام لنفسي ، فإنه من اسْتَثْقَل الحقّ أَن يقالَ له ، أو العدُّلَ أَن يُعْرَض عليه ، كان العمل مهما أَثْقَلَ عليه ، فلا تكفوا عن مقالةٍ بحقٌّ ، أوْ مشورَة بعدْل ، فإني لسْتُ في نفسي. بِفُوق أَنْ أُخْطَى ولا آمنُ ذلك من فعلى ، إلا أَن يكفيني الله من نفسي ما هو أَملك به مني ؛ فإنما أَنا وأَنتم عبيدٌ مملوكون لرَبِّ لا رب غيره ، مملك منَّه ما لا نملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنَّا فيه إلى ما صلحنا عليه ، فأُبدلنهُ بعدَ الضَّلَالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام وصّى بها جيشًا بعثه إلى العدو:

فإذا نزلتُم بعدُون ، أو نزلَ بكم ، فليكُن معسكرُكُم في قبيل الأشراف ، وسفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار . كيا يكون لكم ردُوًا ، ودونكم مَردًا ، ولتكن مقاتلكم من وجه واحد أو اثنين ، واجعلوا لكم رُقباء في صياصي الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن . واعلموا أن مُقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدِّمة طلائعهم . وإياكم والتفرق ، وإعلموا أن مُقدّمة القوم عيونهم والمؤدّم فارتحلوا جميعًا ، وإذا وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعًا ، وإذا عَشِيكُم الليل فاجعلوا الرِّماح كفّة ، ولا تَذُوقوا النَّوْم إلا غرارًا أو مضمضة .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: انطلق على تقوى الله وحده لاشريك له ، ولا تُرَوِّعَنَّ مسلمًا ، ولا تجتازَنُّ عليه كارهًا ، ولا تـأُخذنَّ منه أكثر من حق الله في ماله . فإِذا قدِمْتَ على الحيّ فانزِل بمائهم من غير أن تخالطَ. أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولاتخْدِج بالتَّحية لهم . ثم تقول : عبادَ الله ، أَرْسَلْنَى إِلَيْكُمْ وَلَّى الله وخليفتُه . لآخذَ منكم حقَّ الله في أَمْوَالِكُمْ ، فهل لله في أَموالكم من حَقٌّ فَتُؤدُّوه إِلى وليِّه ؟ فإِن قال قائلٌ منهم : لا ، فلا تراجعه . وإِن أَنعَمَ لكَ مُنعمٌ ، فانطلق معه منْ غير أَن تُخِيفه أَو تُوعَدَه ، أَو تعْسفه أَو ترهقه ؛ فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه ، فإنَّ أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دُخولَ مُتَسَلط. عليه ، ولا عنيف به ، ولاتنفرَنَّ بَهيمة ، ولا تُفزِعنها ، ولاتَسُوءَنَّ صاحبها فيها ، واصدع المال صدَّعين ثمُ خيِّره ، فإذا اختار فلا تتعرُّضَنُّ لما اختاره ، ثم اصدع الباقى صدُّعين ثم خيِّره ، فإذا اختار فلا تتعرُّضنَّ لما اختاره ، فلاتزال بذلك حتى يبتى ما فيه وفاء لحق الله فى ماله فاقبض حقُّ الله منهُ ، فإن استقَالكَ فَأَقِلْهُ ، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أَوَّلًا حتى تأخذ حق الله في ماله ، ولا تأخذنٌ عودًا ولاهرمة ولامكسورة ولامهلوسة ولاذاتَ عوَار ، ولا تأْمننُ عليها إلا من تثبق بدينهِ رَافقًا عَالَ المسلمين حتى يوصِّله إلى وليهم فيقسمُه بينهم، ولا تُوكل بها إلا ناصحاً شفيقًا وأمينًا حفيظًا غير معنف ولا مُجحف ولا مُغلب ولا متعب ، ثم احدُر إلينا ما اجتمع عندك نُصَيِّرهُ حيثُ أَمر الله ، فإذا أَخذها أمينُك ، فأُوعز إليه أن لا يحُول بين ناقةٍ وبين فصيلها ، ولا يمْصُر لبنها فيضر ذلك بولدها ، ولا يجهدَنُّها رُكوباً ، ولْيعدِلْ بين صواحباتها أ في ذلك وبينها ، وليرَفّه على اللّاغب ، وليستأن بالنَّقب والظالم وليوردها ما تمرَّ به من الغُدُرِ ، ولا يعدلُ بها نبت الأَرْضَ إِلَى جواد الطرُق ولْيُرَوحها في

الساعات ، ولُيمهلها عند النّطاف والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بُدْنا مُنقيات ، غير مُنعبات ولا مجهودات ، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وعلى آله) فإن ذلك أعظم لأَجْرِك ، وأقرّ لرُشْدك إن شاءَ الله.

وقال عليه الصلاة والسلام وقد سمع رجلاً يذم الدُّنيا :

أَيُّهَا الذَّامُ للدنيا المغْتَرُّ بغرورها ، المخدُّوع بأباطيلها ، أتغترَّ بالدنيا فيم تَذُمها ؟! أنت المتَجرِّم عليها أم هي المتجرّمة عليك ؟! متى استَهْوَتك ؟! أم متى غرّتك ؟! أمصارع آبائك من البلي ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الشرى ؟! كم عللْتَ بكفيك ؟! وكم مَرَّضَتَ بيديْك؟! تبغى لهم الشفاء ، وتستوْصف لهم الأطباء ، لم ينفع أحَدَهُم إشفاقًك ، ولم تشعفه بطلبتِك ، ولم تدفع عنه بقوَّتك ، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك .

إن الدنيا دارُ صدق لمن صَدَقها ، ودارُ عافية لمن فهم عنها ، ودارُ غِنَى لمن تزوَّدَ منها ، ودارُ موعظة لمن اتَّعظ بها . مسجدُ أحبًا الله ، ومُصلى ملائكة الله ، ومَهبط وحى الله ، ومَنجَر أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرَّحمة ورَبحوا فيها الجنة ، فَمَنْ ذا يذُمَّها وقد آذَنت ببينِها ، ونادَت بفراقها ، ونَعتْ نفسها وأهلها ، فمثلت لهم ببلائها البلاء ، وشوَّقتهم بسرورها إلى السُّرُور ، واحت بعافية ، وابتكرت بفجيعة ، ترغيبًا وترهيبًا ، وتخويفًا وتحذيرًا ، فذكرتهم الذنيا فندكرُوا ، وحدَّثتهم فصدقوا ، ووعظتْهُمْ فاتَّعظوا .

عهد الإِمام على المتوفى سنة ٠٤ه لمالك بن الحارث الأُشتر النخعى ، حين ولاه مصر وجباية خراجها وجهاد عدوها وإصلاح أَهلها وعمارة بلادها :

اعلم يامالكُ أَنى قَدْ وجَّهْتك إِلى بلاد قِد جَرْتْ عليها دُولٌ قبلك منعدْلٍ وجور ، وأَنَّ النَّاس ينظرُون مِن أُمورك في مِثل ماكنت تنظر فيه من أُمور الوُلاة قبلك ، ويقولُون فيك كما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدلُّ على الصالحين

بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده ، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لايحل لك ، فإن الشع بالنفس الإنصاف منها فيا أحبَّت أو كرهت .

وأَشعِر قلبَكُ الرحمة للرَّعِيَّةِ ، والمحبة لهم واللَّطف بهم ، ولاتكونن عليهم سبعًا ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إِمَّا أَخ لك في الدين ، وإِمَّا نظيرٌ لك في الخلق ، يفُرُط منهم الزَّلُل ، وتعرض لهم العلل ويُوتى على أيديهم في العَمْد وَالخطإِ ، فأُعطهم من عفوك وصفُحِك ، مثل الذي تُحبُّ وترضى أَن يُعطيك الله من عفُّوه وصفحه ، فإنك فوقَهم ، وَوَالى الأَمر عليك فوقك ، والله فَوْقَ من ولَّاك ، وقداستكفاك أمرَهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبنَّ نفسك لحرب الله ، فإنه لا قِبَلَ لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولاتَنْدَمَنَّ على عفو ، ولا تبجحنَّ بعقوبة . ولا تُسْرِعَنَّ إِلى بادرة وَجدْتَ عنها مندوحة ، ولا تقولن إِني مُومّرٌ آمرُ فأَطاع ، فإن ذلك إدغالٌ في القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير . وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أمةً أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرَتِه منك على ما لاتقدر عليه من نفسك فإن ذلك يُطَامن إِليك من طماحك ، ويكُف عنك منْ غربك ، وينيءُ إِليك بما عَزُب عنك من عقلك . وإياك ومُساماة الله في عظمته ، والتَّشبه به في جبروته فإِن الله يُذِل كلُّ جبَّار ، ومهين كل مختال . أنصِف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خَاصّة أَهلك ومن لك فيه هوى من رَعيّتك ؛ فإنك إن لم تفعل تَظلم . ومن ظَلَم عباد الله كان الله خَصمه دون عباده ، ومن خاصمهُ الله أَدْحَض حُجَّته ، وكان الله حرباً عليه حتى يَنْزع ويتوب . وليس شيءٌ أَدعى إِلَى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميعٌ دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضاء الرَّعية فإن سخط. العامة يجحف برضاء الخاصة وإنَّ

سخط الخاصة يُغْتَفَر مع رضاء العامّة ، وليس أحدُّ من الرعية أثقلَ على الوالى مؤونة في الرَّخاء وأقل معونة في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقل شكرًا عند الإعطاء وأبطأ عُذرًا عند المنع ، وأخف صبرًا عند ملمّات الدَّهْر ، من أهل الخاصة . وإنما عماد الدِّين ، وجماع المسلمين ، والعُدَّة للأعداء ، العامةُ من الأُمة ؛ فليكُنْ صفوك لهم وميلك معهم ، وليكُنْ أبعد رعيتك منك وأشناهُم عندك ، أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عُيُوباً ، الوالى أحق مَنْ سترها ، فلا تكشفن عمًا غاب عنك منها ، فإنما عليك تظهير ما ظَهَر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ماتحب سَتْرَهُ من عورتك .

أَطلق عن النَّاس عقدة كلّ حقد، واقطع عنك سبب كلّ وَتْر، وتغَابَ ﴿ عِن كُلُّ مَا لَا يَصِح لِكَ ، وَلَا تَعْجَلُنَّ إِلَى ۚ تُصَدِّيقَ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِي غَاشُ ا بالنّاصحين ، ولاتدخلنّ في مَشُورتك بخيلاً يَعدل بك عن الفضل وَيَعِدُكَ الفقر ، ولاجباناً يُضعفك عن الأُمور ، ولاحريصًا يُزَيِّن لك الشرّ بالجور ، فإن البُخْل والجُبن والحرص غرائز شتى ، يجمعها سُوءُ الظنّ . إِنَّ شَر وُزَرَائك مَنْ كان قبلك للأُشرار وزيرًا وَمَنْ شركهم في الآثام ، فلا يكُونَنَّ لك بطانة ، فإنهم أَعوانَ الأَثْمَة ، وإخوان الظُّلَمة ، وأنت واجدٌ منهم خيْرَ الخلَف ممن هُوَ مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عَليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لا يُعَاوِن ظالماً على ظُّلمه أو آثمًا على إِثمه ، أولئك أخفّ عليك مؤونة وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفًا ، وأَقل لغيرك إِلفًا ، فاتخذ أُولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك . ثم ليكُنْ آثَرهُم عنْدَكَ أَقولُهم لك بمُرِّ الحق ، وأقلهم مُسَاعدةً فيما يكون منك مما كَرَهُ الله لأُولِيائه ، واقعًا ذلك هواه حيثُ وقعَ ، وأَلصقْ بأُهل الوَرَع والصِّدق . ثم رُضهم على أَن لا يُطْرُوك ، ولا يُبَجِّحُوك بباطل لم تفعله ؟ فإِن كثرة الإِطْرَاءِ تُحْدِث الزَّهْو ، وَتُدْنى من العزة ، ولا يكُونَنَّ المحسن والمسيءُ

عندك تمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيدًا لأَهل الإحسان في الإحسان، وتـــــريـبًا لأَهل الإِساءة على الإِساءة . وألزِم كلاًّ منهم ما ألزَمَ نَفْسَهُ . واعلم أنه ليس شيُّ بأَدعى إلى حُسْن ظنِّ وَال برعيَّته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترْك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم الفليكُنْ منك في ذلك أَمْرٌ يجمع لك حُسْن الظن برعيَّتك ، فإِن حُسن الظن يقطعُ عنك أنصبًا طويلًا ، وإِن أَحق مَنْ حَسُنَ ظَنَّكَ بِهِ . لَمَن حسن بِلاوَك عنده ، وإن أحق مَن أَساءَ ظنُّكَ بِهِ ، لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنَّة صالحة عمل بها صُدُور هذه الأُمة ، واجتمعتْ بها الأُّلفة ، وَصَلحت عليها الرعية ، ولا تُحْدِثَنَّ سنَّة تَضُرُّ بشيء مما مضى من تلك السُّنن فيكون الأُجر لمن سنها ، وَالوِزْرُ عليك بما نقضت منها . وأكثر مُدَارَسَة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صَلَح عليه أَمْرُ بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك . واعلم أن الرعية طبقاتٌ لايصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غِنَّى لبعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كُتَّاب العامة والخاصة ، ومنها قُضَاة العدل، ومنها عُمال الإنصاف والرِّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أُهلَ الذَّمة وَمُسلمة النَّاس ، ومنها التُّجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السَّفلي من ذوى الحاجة والمسكنة ؛ وكلاًّ قد سَمًّى الله سهمه ، ووضع على حدُّه فريضةً في كتابه ، أو سُنَّة نبيَّه صلى الله عليه وسلم عهدًا منه عندنا محفوظًا . فالجنود بإذن الله حُصُون الرعية ، وزينُ الولاةِ ، وعز الدين وسُبُل الأَمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قَوَام للجنود إلا بما يخرج الله تعالى لهم من الخرَاج الذي يَقُوُون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتَّاب ، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وَعَوَامها . ولا قِوَامَ لهم جميعًا إلا بالتجار وذوى الصناعات فيا

يجتمعون عليه من مرافقِهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق مِأْيِدِيهِم ، مالا يبلغ رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلي من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رِفْدهم ومعونتهم ، وفي الله لكلِّ سعةٌ ، ولكلِّ على الوالى حق بقدر مايصلحه . وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمة الله من ذلك إلا بالاهتام والاستعانة بِالله ، وتوطين نفِسه على لزومه الحق والصبرعليه فيما خفَّ عليه أَوثَقُلَ . فَوَلِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأطهرهم جَيْبًا وأفضاهم حامًا من يُبطى عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ، ممن لايثيره العنف، ولا يَقعد به الضعف، ثم الصق بِذُوى المروآت والأَحساب، وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جُمَاعٌ من الكرم ، وَشُعَب من العُرْف ، ثُم تفقّد مِنْ أُمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمنُّ في نفسك شيءٌ قويتهم به ، ولاتحقِرَن لطفًا تتعاهدهم به وإن قَلَّ ، فإنه داعيةً إلى بذل النصيحة لك وحُسْن الظن بك ، ولا تَدَع تفقد لطيف أمورهم اتِّكَالًا على جسيمها ، فإن لليسير من لُطْفِك موضعًا مِنتفعون به وللجسيم مَوْقعًا لا يستغنون عنه . ونيكُنْ آثر رُؤوس جُنْدك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم مِنْ جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خُلوف أهلهم حتى يكون هَمهم هَمَّا واحدًا في جهاد العدو ، فإن عَطفك عليهم يُعطِّف قلوبهم عليك ، وإِن أَفْضَل قُرَّة عين الولاة استقامة العَدْل في البلاد ، وظهور مَوكَّة الرعيّة ، وإنه لاتظهر مودتهم إلابسلامة صدورهم ، ولاتصح نصيحتهم إلابحيطتهم على وُلاة أمورهم ، وقلَّة استثقال دُولهم ، وترث استبطاء انقطاع مدتهم . فأفسح في آمالهم ، وواصل في حُسْن الثناءِ عليهم ، وتعديد ما أبلي ذوو البلاءِ منهم ؛ فإن كثرة الذُّكْر لِحُسْنِ فعالهم تهز الشجاع وتحرّض الناكل إِن شاءَ الله تعالى . ثم اعرف لكلِّ امرئ منهم ما أَبلي ، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تُقَصِّرُنَّ دُون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرى إلى أن تعظم من بلائه ماكان صغيرًا

ولاضعةُ امرى أَنْ تستصغَر من بلائهِ ما كان عظما ، وارْدُدْ إِلَى الله ورسُوله مايُضلعك من الخطوب ويشتبه عليكَ من الأُمور ؟ فقد قال سبحانه لقوْم أَحَبُّ إِرشادهم «يا أَمَّا الذِين آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وأَطيعُوا الرسولَ وأُولَى الأَمر منكُمْ ، فَإِن تَنَازعْتُمْ فِي شِيءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللهِ والرَّسُول » فالرَّد إِلَى الله الأَخذ بمُحكمٍ ` كتابه ، والردّ إلى الرسول الأَّخذ بسنته الجامعة غير المفرِّقة . ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لاتضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة ، ولايحصر عن الفَيْء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتني بأدنى فهم دون أقصاه ؛ أوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحُجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرَهم على تكشيف الأمور، وأصرَمهم عند اتضاح الحكم ، مَّن لا يَزْدَهيه إطراءً ، ولا يستَميله إغراءً ، وأولئك قليل. ثم أكثر تَعَاهُد قَضَائه ، وأفسح في البذُّل مايزيح علَّته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطهِ من المنزلة لدَيك مالايطمع فيه غيرُه من خاصتك، لتأمن بذلك اغتياب الرِّجال له عندك. فانظر في ذلك نظرًا بليغًا ، فإن هذا الدين قد كان أسيرًا في أيدى الأشرار ، يُعملُ فيه بالهوَى وتطلب به الدنيا . ثمِّ انظر في أمور عمالك ، فاستعملهم اختبارًا ، ولا تُولهم محاباةً وأثرة ، فإن ذلك جماعٌ من شعب الجوُّر والخيانة ، وتوخُّ منهم أَهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقِدَم في الإسلام ، فإنهم أكرَمُ أخلاقًا وأصح أعراضاً ، وأقل في المطامع إشرافًا ، وأبلغ في عواقب الأمور نَظرًا ، ثم أسبعْ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوَّة الهم على استصلاح أنفسهم ، وغنَّى الهم عن تناوُل ماتحت أيدهم ، وحُجّة عليهم إِن خالفوا أَمرَك أَو خانوا أَمانتَك . ثم تَفَقَّدْ أَعمالهم وابعث العُيُون من أهل الصِّدق والوفاء عليهم، فإن تَعَاهُدَك في السرِّ لأُمورهم حدوة لهم على استعمال الأَمانة والرفق بالرعية . وتحفظ. من الأُعوان فإِنْ أُحدً منهم بسط. يدَّهُ إِلَى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عُيونك ، اكتفّيت

بِذَلَكُ شَاهِدًا ، فبسطْتَ عليه العقوبة في بدنه وأَخَذْتُهُ بِمَا أَصابِ من عمله ، شم نصبته مقام المذلّة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التُّهمة .

وتفقد أمر الخراج بما يُصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن معواهم ، ولاصلاح لمن سِواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيالٌ على الخراج وأهله ، وليكن نظرُك في عمارة الأرض ، أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يُدْرك إلّا بالعمارة ؛ ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً . فإن شَكَوْا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو حالة أرض اعتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجُو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجُّحك باستفاضة العدل فيهم مُعتمدًا على فضل استجلابك حسن ثنائهم وتبجُّحك باستفاضة العدل فيهم مُعتمدًا على فضل عليهم في رفقك بهم ، فربَّما حدَث من الأُمور ما إذا عُول فيه عليهم من بعد الحتملُوه طيّبة أنفسُهم به ، فإنَّ العُمرانَ يحتمل ما حمَّلته ، وإنما يأتى خراب الحتملُوه طيّبة أنفسُهم به ، فإنَّ العُمرانَ يحتمل ما حمَّلته ، وإنما يأتى خراب المخمور من إغواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفُس الوُلاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر في حال كُتّابك فول على أُمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تُدْخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوُجود صالح الأخلاق ممن لا تُبطره الكرامة فيجترى بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا ، ولا تُقصِّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمَّالك عليك ، وإصدار جواباتها الصَّواب عنك فيا يأخذ لك ويعطى منك ، ولا يضعف عقدًا اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأُمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه ، وكون بقدر غيره أجهل ، ثم لايكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحُسن الظن منك ، فإن الرّجال يَتَعَرَّفُون لِفراساتِ الوُلاة بتَصنَّعهم وحسن

خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، ولكن اختبرهم عما ولوا للصالحين قبلك ، واعمد لأحسنهم في العامة أثرًا وأعرفهم بالأمانة وجهًا ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره ، واجعل لرأس كلً من أمورك رأسًا منهم لايقهره كبيرها ، ولا يتسلط عليه صغيرها ، ومهما كان في كتّابك من عَيب تَغَابَيْت عنه ألزمته .

شم استوْسِ بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرًا ، المقيم منهم والمضطرب بماله والمُترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجُلابها من المباعد والمطارح ، في برِّك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لايلتم الناس لمواضِعها ، ولا يجترئون عليها ، فإنهم سِلْمٌ لا تُخاف بائقته ، وصُلحٌ لا تخشى غائلته . وتفقد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشُحَّا قبيحًا ، واحتكارًا للمنافع ، وتحكمًا في البياعات ، وذلك بابُ مضرة للعامة ، وعيب على الوُلاة ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه ، وليكن البيع من الاحتكار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه ، وليكن البيع بيعًا سمحًا ، بموازين عدل ، وأسعار لا تُجحف بالفريقين من البائع والمُبتاع ، فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فنكُل به وعاقب في غير إسراف .

ثم الله في الطبقة السفلي من الذين لاحيلة لهم والمساكين ، والمحتاجين ، وأهل البُوسي والزَّمني ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومُعتراً . واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من فلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدني وكلَّ قد استُرعيت حقّه ، فلا يَشْغَلَنَكَ عنهم بطر ، فإنك لا تُعْذَرُ بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المُهم ، فلا تَشْخص همك عنهم ، ولا تُصَعِّر خلك الهم ، وتفقد أمور من لا يصلُ إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحتقره الهم ، وتفقد أمور من لا يصلُ إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحتقره الرجال ؛ ففرع لأولئك ثِقتك من أهلِ الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم .

ثم اعمل فيها بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه ، فإنَّ هؤلاء من بين الرعية أُحوجُ إلى الله تأدية حقه الرعية أُحوجُ إلى الله تأدية حقه إليه ، وتعهد أهل اليُتم وذوى الرقة فى السنِّ مَّنْ لاحيلة له ، ولا ينصبُ للمسألة نفسه ، وذلك على الوُلاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبَّرُوا أَنفسهم وَوَثِقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوى الحاجات منك قسما تُفرَّغُ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسًا عامًّا فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير مُتعتع ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير مَوْطنٍ : « لن تقدس أُمةً لايؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير مُتعتَع » .

ثم احتمل الخرق منهم والعيَّ وسنِّح عنهم الضِيق والأَنف ، يبسط اللهُ عليك بذلك أكناف رحمته ، ويُوجب لك ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيت هنيئًا ، وامنع في إجمال وإعذار .

ثم أُمورٌ من أُمورك لا بُدَّ لك من مباشرتها ، منها إجابة عُمالك بما يَعْيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم وُرُودها عليك مما تحرج به صدُور أعوانك ، وأمض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيا بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت النّية وسلمت منها الرعية ، وليكن فى خاصة ما تُخْلِصُ لله به دينك إقامة فرائضه التى هى له خاصة ، فأعط الله من بدنك ، فى ليلك ونهارك ، ووف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملًا غير مثلوم ولا منقوص بالغًا من بدنك ما بلغ ، وإذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن مُنفردًا ولا مضيعًا ، فإن فى الناس مَنْ به العلة وله الحاجَة .

وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلى بهم ؟ فقال: «صَلِّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيا » .

أما بعدُ، فلا تُطولُ ن احتجابك عن رَعِيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأُمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسنُ القبيحُ ، ويُشَاب الحق بالباطل ، وإنما الوالى بشر لايعرف مانوارى عنه الناس به من الأُمور ، وليست على الحق سِماتٌ تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخَتْ نفسك بالبذل فى الحق ، ففيم احتجابك من واجب حق تُعطيه ؟ أو فعل كريم تسديه ؟ أو مبتكى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا منك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك عما لا مؤنة فيه عليك ، من شكاة مَظلمة ، أو طلب إنصاف فى معاملة ؟

ثم إن للوالى خاصة بطانة فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف فى معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تُقطع لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة ، وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن فى ذلك صابرًا محتسبًا ، واقعًا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة . وإن ظنت الرعية بك حيفًا فأصحر لهم بعذرك ، وأعدل عنك طنونهم بإصحارك ، فإن فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقًا برعيتك ، وإعذارًا تبلغ به حاجتك من تقويم على الحق ، ولا تدفعن صلحًا دعا إليه عدوك ، ولله فيه رضا ؛ فإن فى الصلح دعة لجنو دك وراحة من همومك ، وأمنًا لبلادك ، عدوك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل ،

فخذ بالحزم ، واتهم فى ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة ، فحُطْ عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانه ، واجعل نفسك جُنة دون ما أعطيت ؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجهاعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيا بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بذمّتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لايجترى على الله إلا جاهل شي ، وقد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحصنا يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ؛ فلا إدغال ولامدالسة ولاخداع فيه ، ولا تعقد عقداً يجوز فيه الفلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غَدْر تخاف تبعته ، على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غَدْر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك فيه من الله طلبة ، فلا تستقيم فيها دنياك ولا آخرتك .

إياك والدماء ، وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدعى لِنقْمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحْرَى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه وتعالى يتولى الحكم بين العباد فيا تسافكُوا من اللماء يوم القيامة ، فلا تُقوِين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك ما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله ويثقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندى في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن ، وإن ابتليت بخطا وأفرط عليك سوطك ، أو يدك ، بعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك ، عن أن لا تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم .

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحُب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فُرَص الشيطان في نفسه ، ليمْحَقَ ما يكون من إحسان المحسنين ـ

144

وإياك والمن على رَعيَّتك بإحسانك ، أو التزيد فيا كان من فعلك أو أن تَعِدَهم فتتُ والمتزيد يذهب بنور الحق فتتُ موعدَك بخُلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُبُر مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وإيَّاكَ والعَجَلة بِالأُمُّورِ قبِل أَوانَها ، أَو التَّسقُّط. فها عند إمكانها ، أواللجاجة فيها إِذَا تَنكُّرُتُ ، أَو الوهن عنها إِذَا استوضحت ، فضع كل أَمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه . وإياك والاستئثار بما الناس فيه أُسوَةً ، والتَّغابي عما يعني به مُ قِدوضح للعيون ، فإنه مأَّخو دْمنك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أُغطيةً الأُمور ، ويُنتصف منك للمظلوم ، وامْلَك حميَّة أَنفك ، وسورة حدلة وسطُّوة يدك ، حتى يسكن لسانك ، واحترِس من كل ذلك بكف البادرة ، وتـأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثُّر هُمُومك بذكر المعاد إلى ربك. والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لن تقدمك من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهه لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى دليلك لكيلا يكون ذلك علة عندَ تسرُّع نفسك إلى هواها ، وأنا أَسْأُلُ الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدَّرَته على إعطاء كل رغبة ، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه ، وإلى خلعه من حسن الثناء في العباد ، وجميل الأُثر في البلاد ، تمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة . إنا إلى الله راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطَّيبين الطَّاهرين .

وكتب أَبو بكر الصديق المتوفى فى ٧ جمادى الثانية ١٣ هـ إلى بعض قواده ؛ إذا سِرْت فلا تُعنِّف أصحابك فى السير ولا تغضبهم ، وشاور ذوى الآراء (١٢ ــ جواهر الادب جـ ١ ا منهم واستعمل العدل ، وباعد عنك الْجَوْر ، فإنهُ ما أَفلحَ قومٌ ظَلَمُوا ولا نُصِرُوا على عدوهم (وَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا (!) فَلَا تُولُّوهُمُ الأَّذْبَارَ (٢) على عدوهم (وَإِذَا لَقِيتُمْ اللَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا (!) فَلَا تُولُّوهُمُ الأَّذْبَارَ (٢) وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا (٣) لِقِتَالِ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا (٤) إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله) ، وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخًا ، ولا امرأة ، ولا طفلا ، ولا تحرقوا زرعًا ، ولا تقطعوا شجرًا ، ولا تذبحوا بهيمةً ، إلا مايلزمكم للأكل ، ولا تغدروا إذا هادنتم (٥) ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وستمرُّون على أقوام في الصوامع ، ورهبان ترهبوا الله ، فدعوهم وما انفردوا إليه وما ارتضَوْه لأنفسهم ، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم — والسلام .

وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٢ ه إلى بعض قواده :

أما بعد: فإنى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العُدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم، فإن ذُنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة « وإلا ننصر عليهم بطاعتنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم .

وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يُحيُون فيها أنفسهم ، ويرمُّون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصُّلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلامن تثق به . وليكن منك عند

⁽١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون . (٢) الانهزام . (٣) متعطفا .

⁽٤) منضما الى جماعة يستنجد بها . (٥) صالحتم .

دنوك أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، ثمَّ أَذْكِ أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البياتات جهدك . والله ولى أمرك ومن معك ، وولَّى النصر لكم على عدوكم .

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ ه إلى ابن أخته : أنت وَلَدِي ما دُمَّت : والعلم شأَّنك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر أليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيرى خالك ، والسلام .

ومن وصية ابن سعيد المغربي المتوفي سنة ٩٦٧ ه لابنه ، وقد أراد السفر :

أُودعك الرحْمٰن في غُرْبتك مرتقبًا رُحماه في أُوبتك فلا تُطِلْ حبلَ النَّوى إِنني والله أَشتاق إِلى طَلْعَتك لى نَاظِرُ يقوى على فرقتك تبرح مدى الأيام من فكرتك في ساعة زفت إلى فطنتك طالعتها تشحذ من غفلتك فإنها عوْنٌ إلى يقظتك إياك أن يكسر من همتك وإنما تعرفُ من شيمتك وأبْغ رضا الأعين عن هيبتك واصمت بحيث الخيرفي سكتتك واقصد له ما عِشْت في بكرتك تكسر عند الفخر من حدتك صحبة من تُرْجُوه في نصرتك إلا الذي تذخر من عدّتك

واختصر التوديع أخذًا فما واجعل وصاتى نُصْبَ عين ولا خلاصة العمر التى حنَّكت فللتجاريب أُمُورٌ إذا فلا تنم عن وَعْيها ساعة وكل ما كابدته في النُّوك فلس نُدْرَى أصل ذي غربة وَأَمْشِ الْهُوَنْنَا مظهرًا عفة وانطق بحيث العيُّ مُسْتَقْبَح ولجْ على رِزْقك من بابه وَوفٌ كلاً حقه وَلتَكن وحيثما خَيَّمت فاقصد إِلَى وللرزايا وشةً ما لها

ولا تَقُلْ أَسْلَمُ لَى وحدتى فقد تقاسى الذلّ فى وحدتك ولْتَجْعَل العَقْل مِحَكّا وخذ كُلاّ بما يظهر فى نقدتك واعتبر الناس بالفاظهم واصحباً خا يرغب فى صحبتك كم من صديق مُظهر نُصْحه وفِكْرُه وَقْفٌ على عشرتك إياك أن تقربَهُ إنّهُ عَوْنٌ مع الدّهر على كربتك والله نُمُو النّبت قد زاره غب الندى واسمُ إلى قدرتك ولا تُضيع رْمنًا مُكنًا تذكاره يذكى لظى حسرتك والشرّ مهما اسطعت لاتأته فإنه جَوْرٌ على مهجتك

يابُني ، الذي لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لى مثله ـ قد قدَّمت لك في هذا الله الخطرته بخاطرك في كلِّ أوان رَجوت لك حسن العاقبة ـ إن شاء الله العالم ما إن أخف منه للحفظ. ، وأعلق بالفكر ، وأحق بالتقدم قول الأول :

يزينُ الغريبَ إِذَا مَا اغْتَرَب ثلاثٌ فَمَنَهَنَّ حَسَنَ الأَدب وثانية حُسن أَخلاقه وثالثة اجتنابُ الريب

واصغ يابُنَى إلى البيت الذى هو يتيمة الدهر ، وسُلَّمُ الكرم والصبر: ولو أَنَّ أُوطان الدِّيار نَبَتْ بكم لكنتم الأُخلاق والآدابا إذ حُسن الْخُلُق أَكْرَمُ نزيل ، والأدبُ أرحبُ منزل ، ولتكن كما قال

يعضهم في أُديبٍ مُتَغَرَّبٍ : وكان كلما طَرَأً على ملك فكأنَّهُ معه ولد ، وإليه لصد ، غير مُسْتريب بدهره ، ولا منكر شيئًا من أمره .

وإذا دعاك قلبُك إنى صحبة من أُخِذ بمجامع هَوَاه ، فاجعل التَّكلف له مُلَمَّا ، وهب في روض أُخلاقه هُبُوب النسيم ، وحل بطرفه حلول الوسَن ، وانزل بقلبه نزُول المسرَّة ، حتى يتمكن لك ودَادُه ، ويخلص فيك اعتقاده

وطهر من الوقوع فيه لسانك ، وأغلق سمعك ، ولا تُرخص في جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه لمنفعة، أوحسود له يَغَار لتجمُّله بصحبتك، ومع هذا ، فلا تغتر بطول صحبته ، ولا تتمهد بدوام رقدته ، فقد يُنَبِّهه الزمان ، ويتغَيَّر منه القلب واللسان ، وإنما العاقل من جعل عقله معيارًا ، وكان كالمرآة يلقى كل وجه عثاله ؛ وفي الأمثال العامة : «من سبقك بيوم سبقك بعقل » فاحتذ بأمثلة من جرب ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأُقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزُبدة تجاربهم ، ولاتتكل على عقلك ، فإِن النظر في تعبَ فيه الناس طول أعمارهم ، وٱبْتَاعوه غالياً بتجاربهم ، يُرْبحك ويقع عليك رخيصاً ، وإن رأيت من له عقل ومروءة وتجربة ، فاستفدمنه ولا تُضَيِّع قوله ولا فعله ، فإن فما تلقاه تلقيحًا لعقلك ، وحَمَّا لك واهتداء . وليس كل ماتسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه ، حتى تتدبره ، فإن كان موافقًا لعملك ، مصلحًا لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذه نبذ النواة فليس لكلِّ أَحد يُتبسُّم ، ولا كل شخص يُكلم ، ولا الجود مما يعُم به ، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يُعَامل به كلُّ أَحد ، ولله درُّ القائل :

ومالي لا أو في البرية قِسْطَهَا على قَدْرِ ما يعطى وعقلى ميزانُ وإياك أن تعطى من نفسك إلَّا بقدر ، فلا تعامل الدُّون بمعاملة الكفء ، ولا الكفء بمعاملة الأَعلى ، ولا تُضيِّع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ، ويُثيبك على مصلحة حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، ولاتجف الناس بالجملة ، ولكن يكون ذلك بحيث لايلحق منه ملل ، ولا ضجر ، ولاجفاء ، فمتى فارقت أحدًا ، فعلى حسنى في القول والفعل ، فإنك لاتدرى هل أنت راجعٌ إليه ؟! فلذلك قال الأَوّل :

* ولما مضى سلم بكيت على سلم *

وإياك والبيت السائر:

وكنتَ إِذَا حللْت بدار قَوْم ﴿ رَحَلْتُ بِخَزِيةٌ وَتُرَكُّتُ عَارًا

واحرص على ما جَمَع قَوْل القائل: «ثلاثة تُبْقى لك الوُد فى صدر أخيك أن تَبْدَأَهُ بالسَّلام، وتُوسَّع له المجلس، وتَدْعُوهُ بأَحَب الأَساء إليه» ، واحذر كل ما بَيَّنه لك القائل: «كل ما تغرسه تجنيه ، إلَّا ابن آدم ؛ فإذا غَرَسْتَهُ يقلعك». وقول الآخر: «إن ابن آدم ذئب مع الضَّعف، أَسدٌ مع القوَّة» وإيَّاك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تُطيل اختباره، ويحكى أن ابن المُقفع خطب من الخليل صُحْبته ؛ فجاوبه : «إن الصُّحبة رق ، ولا أضع رق فى يديك حتى أعرف كيف ملكتك» واستمل من عين مَنْ تُعَاشره، وتَفَقَد فى فلتات الألسن، وصفحات الأوْجه، ولا يحملك الحياء على السُّكُوتِ عَما يَضرُّك أَن لا تُبَيِّنه ؛ فإنَّ الكلام سلاح السَّلم، وبالأَنين يعْرَف ألم الجرح، واجعل لكل أمْر أَخذت فيه غاية، وتجعلها نهاية لك : وخذ من الدَّهر ما أتاك به من قر عيْنًا بعيشه نفعه وخذ من الدَّهر ما أتاك به من قر عيْنًا بعيشه نفعه

إِذَ الأَفْكَارِ تَجِلْبِ الهموم ، وتُضَاعفُ الغُموم ، وملازمة القطوب ، عنوان المصائب والْخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدُوّ والمُجانب ، ولا تضرّ بالوَساوس إِلّا نفسك ، لأنّك تنصر بها الدَّهر عليك ــ وللهِ درُّ القائل :

إذا ما كنت لِلاحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم ؟!

مع أنه لايرد عليك الغائب الْحُزْن ، ولا يَرْعَوَن بطول عتبك الزّمَن .

ولقد شاهَدْت (بِغرناطة) شخصًا قد أَلفته الهُموم ، وعشقته الغُموم ،

ومن صغَره إلى كبره لا تراه أبدًا خليًّا من فِكْرة ، حتى لُقِّب «بصدر الهمّ » .

ومن أعجب ما رأيتُه منه أنه يتنكَّدُ في الشّدة ، ولا يتعلَّل بأن يكون بعدها فرَج ، ويتنكَّد في الرَّخاء خوفاً من أن لايدوم ، وينشد :

* توقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمْ * وينشد : * وعِندَ التَّناهِي يَقْضُرُ المتطاوِلُ *

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره محسور يمر ضياعاً

ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدًا لك وقصداً لتصغير قدرك عندك ، وتزهيدا لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهد فى علمك وتركن إلى العلم الذى مدحوه ؛ فتكون مثل الغُراب الذى أعجبه مشى الحَجَلة فرام أن يَتَعَلَّمهُ فصعب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه فنسيه فبقى مُخبَّل المشى كما قيل :

إِن الغراب وكان يمشى مِشْية في مضى من سالف الأَجْيَالِ حَسَدَ القطا وأَراد يمشى مشيها فأصابه ضَرْبُ من العُقَّالِ فأضلَّ مِشْيَته وأُخطأ مشيها فلذاك كنَّوْه (أَبا مِرْقال)

ولا يُفسد خاطرك من جعل يذُم الزمان وأهله ، ويقول : ما بقى فى الدنيا كريم ولا فاضل ، ولا مكان يُرتاح فيه ؛ فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبهم الحرمان ، واستحقت طلعتهم للهوان ، وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم ، وعَجَزوا عن طلب الأُمور من وجوهها ؛ فاستراحوا إلى الوقوع فى الناس ، وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، ولا تُزل هذين البيتين من فكرك :

لِنْ إِذَا مَا نَلْتَ عَزَّا فَأَخُو الْعَزِّ يَلِينَ فإِذَا نَابِكُ دَهِرٌ فَكُمَا كُنْتَ تَكُونَ

والأمثال تُضْرَب لذى اللَّبِّ الحكيم ، وذو البصر يمشى على الصراط المستقيم ، والفطن يقنع بالقليل ، ويستدل باليسير . والله سبحانه خليفتى عليك لارب سواه . وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين :

ياأَحمر _ إِن أَمير المومنين قد دفع إليك مُهجة نفسه ، وثمرة قلبه ؛ فصيَّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ؛ فكُنْ له بحيث وضعك أمير المؤمنين .

أَقْرَئُهُ القَرآنُ ، وعرفه الأَخبارُ ، وروِّهُ الأَشْعَارُ ، وعلمه السنن ، وبصره

بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، وخُذه بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إيّاها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفُهُ ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ؛ فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر:

قال أبان بن تغلب ، وكان عابدًا من عباد أهل البصرة : شهدت أعرابية وهي توصى ولدًا لها يريد سفرًا ، وهي تقول له :

أَى بُنَى ": إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقُك ؛ فإن الوصية أجدى(١) عليك من كثير عقلك ، قال أبان : فوقفت مستمعًا لكلامها ، مستحسنًا لوصيتها فإذا هى تقول : أَى بُنى إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضًا(٢) وخليق ألايثبت الغرض على كثرة السهام وإياك والتعرب (٣) السهام غرضاً إلا كلمته (٤) حتى يهى (٥) ما اشتد من قوته .

وإياك والْجُود بدينك ، والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريماً يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها .

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك ، فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه .

ومن كانت مودته بشره ، وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ، والعذر ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء ، فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها .

⁽۱) انفع . (۲) هدفا . (۳) تداولت . (٤) جرحته (٥) يضعف »

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك :

خرج الزُّهري يوماً من عند هشام بن عبدالملك ، فقال : مارأيت كاليوم ، ولاسمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عندهشام ، دخل عليه فقال : ياأمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك ، قال : ماهُنَّ ؟ قال : لاتعد عِدة ولا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغُرُّنك المُرْتقي ، وإن كان سُهلا إذا كان المنحدر وعرًا ، واعلم أن للأَعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأُمور بغتات (١) ، فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثتُ مذا الحديث (المهدى) وفي يده لقمة قدرَفَعَهَا إِلى فيه فأمسكها وقال : ويحك ! أعد عليٌّ ، فقلت : يَا أَمِيرِ المؤمنينِ : أَسِغ(٢) لقمتك ، فقال : حديثك أُعجب إِلَى . نصيحة أعرابي لسلمان بن عبد الملك:

قال أعراى لسلمان بن عبد الملك : إنى أُكلِّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحبه ، قال : هاته ياأعرابي ، فنحن نجود بسعة [الاحتمال على من لانامن غَيْبتَهُ ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبًا الناصح أجيبًا (٣) ، قال : فإني سأطلق لساني ما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، آإنه قد اكتنفك رجال أساءُوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا(٤) دنياك بدينهم ، آ ورضاك بسُخْط. ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة [وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما انتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا (٠) الأمانة [تضييعًا ، والأُمة كسفًا وخسفًا ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين أعما اجترمت ، فلا تصلح دُنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله

⁽١) البغتات: جمع بغتة وهي الفجأة . (٢) أساغ اللقمة: ابتلعها . (٣) فلان ناصح الجيب: يراد به قلبه وصدره اى أمين ، قال الشاعر: يو وحصنت صدراً جيبه لك ناصح ﴿ . (٤) ابتاع: اشترى . (٥) الا يالوا ألوا: قصر، ويقال اني لا آلوك نصيحالا أقصره وقال تعالى: « لا يالونكم خيالا » أي لا يقصرون في خيالكم وفسادكم .

غَبْنًا من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال سليان : أما أنت يا أعرابي فقد سَلَلْت لسانك وهو سيفك . قال : أجل يا أمير المؤمنين! لك لا عليك .

نصيحة فتاة لأبيها:

قالت أعرابية - تنصح أباها بمجانبة السرف - حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه في السوال ، فقد قل النوال ، وكثر النّجال(١) ، وقد أتلفت الطارف والتلاد (٢) وبقيت تطلب مافي أيدى العباد ، ومن لم يحفظ ماينفعه ، أوشك أن يسعى فيا يضره .

نصيحة البديع الهمذاني لوارث مال:

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزيه وينصح له :

وصلت رقعتك (ياسيدى) والمصاب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جديو ولكنك بالصبر أجدر، والعزاء عن الأحبة رشد كأنه الغيّ، قد مات الميت فليحى الحي، فاشدد عَلَى مالك بالخمس(٣)، فأنت اليوم غيرك بالأمس. قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك، تضحك ويبكى لك، وقد مولك(٤) مما ألف بين سراه (٥) وسيره، وخلفك فقيرًا إلى الله غنياً عن غيره عوسيعجم(٦) الشيطان عودك، فإن استلانك رماك بقوم يقولون: خير المال ما تتلفه بين الشراب والشباب، وتنفقه بين الحباب(٧)والأحباب، والعيش بين القداح والأقداح (٨)، ولولا الاستعمال لما أريد المال، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب وغدًا في الخراب، واليوم واطرباً للكاس، وغدًا واحرَباً(٩)

⁽۱) النجال: جمع نجل وهو الولد. (۲) الطارف: المستحدث من المال وغيره ، والتلاد: جمع تليد وهو عكس الطلبارف. (۳) يريد بالخمسس الأصابع وهي مؤنشة في الأكثر. (٤) موله: اتخذ لهمالا ، (٥) السرى: سير الليل ، (٦) عجم العود: عضه ليعرف مبلغ صلابته ، (٧) حبابالماء والشراب: فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير ، (٨) القداح: سهام الميسر، واحدها قدح كقرد ، والأقداح: جمع قدح ، كجبل وهو وعاء الشراب ، (٩) الحرب: أن يسلب الرجل ماله ، وقد حرب ماله أي سياب ومن هذا قولهم: واحربا .

من الإفلاس . يامولاى : ذلك الخارج من العُود يسميه الجاهل نَقراً ، والْعاقل فقراً ، وذلك المسموع من النَّاى(١) هو في الآذان زَمْر ، وفي الأَبواب مَمْمْر ، وإن لم يجد الشيطان مَعْمزاً في عودك من هذا الوجه ، رماك بآخرين يُمثلون الفقر حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرْسك(٢) ، وتمنع نفسك وتبوء في دُنياك بوزْرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين لامنع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضَيْر عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ماهو فيه .

ومن يُنْفِق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فليكن لله في مالك قسم ، وللمُرُوءة قسم ، فَصِلِ الرحم ما استطعت وقدر (٣) إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير .

وصية الرياحي لقومه

قال الرياحي في خطبته بالمربد(٤) :

يا بنى رياح - لاتُحقِّرُوا صغيرًا تأخذون عنه ، فإنى أخذت من الليث بَكورَه ، بَسَالته ومن الحمار صبره ، ومن الخِنْزير حرصه ، ومن الغُرَاب بُكورَه ، ومن الشعلب روغانه (٥) ، ومن السّنور ضَرَعه (٦) ، ومن القرد حكايته ، ومن الكلب نُصرته ، ومن ابن آوى حذره ؛ ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين .

⁽۱) الناى: آلة للزمر ، فارسى معرب ، وقد تهمز ياؤه ،وقد جمعوه على نايات .

 ⁽٢) العرس: الزوجة . (٣) التقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر.

⁽٤) المربد: الجرين ، ثم صاد علما على موضع بالبصرة .

⁽٥) الروغان : الميل عن الشيء لتجنب الضرد . (٦) الضرع : الخضوع

وصية ذي الاصبع لابنه

لمّا احْتُضَرَ ذُو الأصبع العُدُواني(١) دعا ابنه (أسيدًا) فقال له : يابني : إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى ستم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، ألن جانبك لقومك يحبُّوك وتواضع لهم يرفعوك ، وابسُط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يُسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واعزز جارك(٢) وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ(٣) فإن لك أجلا لايعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا ، فبذلك يتم سُؤدَدُك .

وصية عبد الله بن شداد لابنه

قال الكلبى: لما حضرت عبد الله بن شداد (٤) الوفاة دعا ابنًا له يقال له (محمد) فقال: يابنى ، إنى أرى داعى الموت لا يُقلع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بتى فإليه ينزع(٥) ، وإنى موصيك بوصية فاحفظها .

عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأُمور بك شكر الله، وحسن النِّية فى السر والعلانية، فإن الشكور يزداد والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة: ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التَّقِيَّ هو السعيد وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للأَتقى مزيد وما لا بُدَّ أن يأتى قريب ولكن الذى بمضى بعيدُ

⁽۱) هو حرثان بن الحارث ، خطيب حكيم ، شاعر فارس ، وهو أحسد المعمرين فى الجاهلية (۲) الجار : المجاور والذى أجسرته من أن يظسلم . (۳) الصريخ : صوت المستغيث وهو أيضا المغيث واحدا أو أكثر . ـ (٤)هو عبدالله بن شداد بن الهادى الليثى كان من رجالات العراق ومن ذوى المكانة عند الحجاج ، ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، ويقال انه قتل سنة ٨٣ هـ . (٥) نزع اليه كجلس : اشتاق .

أَى بُنَىَّ : لاتزْهَدَنَّ في معروف ، فإن الدهر ذو صُرُوف ، والأَيام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه ، واعلم أن الزُّمَان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرّ الهوان ، وكُنْ أَى (بُنِّيُّ) كما قال أبو الأسود الدولى :

وعدّ من الرحمن فضلاً ونعمة عليك إذا ماجاءَللعُرْف(١) طالبُ وإن امراً لا يُرْتَجَى الخير عنده يكن هيِّنًا ثقيلًا على من يصاحب فإنك لاتدرى متى أنت راغب وبينهم فيه تكون النوائب رأيت الْتِوا(٢) هذا الزمان بأهله

أَى بُنِّيٌّ : كُن جوادًا بالمال في موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البِرِّ ، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السِّرِّ ، وَكُن كما قال قيس بن الخطيم (٣) الأنصارى :

فلا تمنعن ذا حاجة جاءَ طالبًا

أَجُود مكنون التُّلَاد وإنني بسِرُّك عَمَّن سالنِي لضنين(٤) إذا جاوز الاثنين سر فإنه ينثُّ وتكثير الحديث قمين(٥) وعندى له يوماً إذا ائتمنتني مكان بِسَوْدَاء الفواد مكين (٦)

أَى بُنيٌّ : وإِن غُلِبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يحتال ، والدنِيُّ عيال ، وكُنْ أحسن ماتكون في الظاهر حالًا ، وأَقَلُّ ما تكون في الباطن مالاً ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الإنفاد(٧) نعمته ، وكُنْ كما قال ابن حذاق(^) العَبْدِي :

⁽١) العرف: المعروف . (٢) التوامصدر التسبوي وقصره للضرورة ... والتوى به ألزمان: اعوج . وألوى به : أهلكه . (٣) شَسَاعر من أهلٌ يُشرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة . (٤) سهل الشاعر همزة سأل للوزن (٥) قطع همزة اثنين للضرورة ونث الحديث: أفشاه . (٦) سوداء الفؤاند او القاب وسويداؤه واسوده: حبته . (٧) الإنفاد: الفقر . (٨) اسمه يزيد وهو شاعر قديم .

وجدتُ أَبِي قد اُوْرَثه أَبوه خلالاً قد تُعَد من المعالى(١) فأكْرم ما تكُون عَلَى نفسى إذا ما قَلَّ في الأَزمات مالى فتحسُن سيرتى وأصُون عِرْضِي ويجمل عند أهل الرأَى حالى وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصُص بجفُوتِي الموالى(٢)

أَى بُنَى : وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك إن أمضيتها حيالها (٣) رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب العاقل هو الفطن المتغافل(٤) ، وكُنْ كما قال حاتم الطائى :

وما من شِيمَتى شتْم ابن عمى وما أنا مُخْلِف من يرتجينى وكلمةِ حاسد فى غير جُرْم سمعت فقلت: مُرِّى فانفذرينى(٥) فعابوها عَلَى ولم تسؤنى ولم يَعرق لها يوماً جبينى وذو اللونين يلقانى طليقاً وليس إذا تغيب يأتلينى(٦) سمعت بعيبه فصفحت عنه محافظة على حَسبى وَدِينى

أَى بُنَى : لا تواخ امراً حتى تعاشره ، وتَتَفقد موارده ومصادره ، فإذا استطعت العشرة ، ورضيت الخبْرة(٧) ، فواجه على إقالة العثرة ، والمُواساة في العُسرة ، وكُنْ كما قال المُقَنَّع الكندى(٨) :

ٱبْلُ الرِّجَالَ إِذَا أَردت إِخَاءَهُم وتَوَسَّمْن فِعَالهُم وتَفَقَّد ___

⁽۱) نقلت حركة الهمزة من أورث الى الواو وحذفت هى للوزن والخلال: جمع خلة وهى الخصلة • (۲) غلا فى الأمر غلو: جاوز الحد والموالى: الاقارب • يقول: أن كثر مالى لم أجف أقاربى • (٣) خيال ظرف فى معنى أزاء أى تركتها تذهب فى طريقها الخ • (٤) فى معنى هذا قول الشاعر:

ليس الغنى بسيد فى قوم لكن سيد قوم المتفايى (٥) نفذه: جازه . (٦) ائتلى كألا أى قصر: يقول اذا غاب عنى فأن يقصر فى نكايتى (٧) الخبرة ، وبغيرهاء ، العلم بالشيء كالاختبار (٨) هو محمد ابن عمرة والمقنع لقب شاعر رصين المبانى حكيم المعانى من شعراء الدولة الاموية .

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فبه اليكين قرين عين فاشدد(١) وإذا رأيت ولا محالة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد أى بنى : إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط (٢)، فإنه قد كان يقال أحبب حبيبك هَوْنًا مّا(٣) عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوْنا مّاعسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وكُن كما قال هُدْبة (٤) بن الخشرم العذرى : وكُن مَعْقلاً للحلم واصفح عن الخنا فإنك راء ما حييت وسامع واحبب إذا أحببت حبا مقارباً فإنك لا تدرى متى أنت نازع (٥) وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدرى متى أنت راجم

الفصل الثاني عشر: في رسائل التنصل والتبرؤ

كتب أبو الحسن على بن الرومى المتوفى سنة ٣٨٤ ه إلى القاسم بن عبيدالله:
ترفع عن ظلمى إن كنت بريئًا ، وتفضل بالعفو إن كنت مُسِيئًا ،
فوالله لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد
تطوُّلًا ، وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واشٍ يكيدها ،
وأحرسها بوفائك ممن يحاول إفسادها .

وأَسأَن الله أَن يجعل حظى منك بقدر وُدِّى لك ، ومحلى من رجائك بحيث أستحق منك ، والسلام .

⁽۱) اللبابة مصدر لب أى صار ذالب وهو العقل ، وكل ماقيل «فأشدد» من الشيطر الثانى معمول له وتكررت الفاء للربط وكذا فى البيت التالى (۲) شيط وأشط: جاوز الحد. (۳) الهون: الرفق ، وما: اما زائدة ، واما صفة لهونا مثلها فى قوله تعالى: «أن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما » . (٤) هو شاعر من شعراء الدولة الاموية جيد البديهة وهو القائل:

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب ولا اتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى احمل على الشر أركب

⁽٥) نزع عن الأمر نزوعا: انصرف وانتهى عنه .

وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسي ، المتوفي بأشبيلية سنة ٤٦٣ ه : يامولاي(١) وسيدي الذي ودادي له ، واعتادي علمه ، واعتدادي(٢) مه ، وامتدادی (٣) منه ، ومن أبقاه الله ماضی (٤) حد العَزم (٥) ، واری (٦) زند (٧) الأَمل (^) ، ثابت (٩) عهد (١٠) النُّعْمَة ، إِنْ سلبتني (١١) أَعْزِك (١٢) الله لباس (١٣) نعمائك ، وعطلتني (١٤) من حلي (١٠) إيناسك (١٦) ، وأظمأً تني (١٧) إلى بُرُود (١٨) إسعافك (١٩) ، ونفَضْت (٢٠) بي كفّ حياطتك (٢١) وغَضَضْتَ (٢٢) عَنِّي طرف (٢٣) حمايتك ، بَعْد أَن نظر الأَعمى إلى تأميلي (٢٤) لك ، وسمع الأَصَمُّ ثنائي (٢٠) [عليك وأحس الجماد باستحمادي(٢٦) إلىك .

مولاك يا مولاى صاحب لوعة في يومه وصبابة في أمسه دنف يجود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفا أن يجود بنفسه (٢) عدني ليوم حاجتي . (٣) مزيد خيري . (٤) قاطع . (٥) قوة الارادة لا يعزم على أمر الا أمضاه . (٦) الودى : خروج النار من الزند وقت الاقتداح . (٧) مقدحة . (٨) الرجا . (٩) متمــكن وموثق . _ (١٠) ميثاق أي أن نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبدا وأن محمته مقصورة عليه وأنه يطلب من الله أن يبقيه ، وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيسره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال . (١١) انتزعت منى . (١٢) أعزك الله ، جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذَّلة وتنبيها له على ذلك . (١٣) ما يواري الجسم أي جردتني من نعمتك المحيطة بي . (١٤) العطل في الأصل خلو جيد المرأة من القلائد . (١٥) ما يتحلى به . (١٦) انسك، اى حرمتنى من لذيذ أنسك . (١٧) أعطشتني . (١٨) بارد . (١٩) انجادك . (٢٠) طرحت . (٢١) احاطتك أي طرحتني من كف حوزك لي. (٢٢) خفضت (٢٣) نظّر ، أي خفضت طرف وقايتك عنى فتركتني عرضا لصائبات الحوادث . (٢٤) التأميل أمر معنوى الا يشاهد وانما ذلك مبالغة في شدة التلبس والاتصاف به . (٢٥) مدحى ، مبالغة في انتشار مدحه . (٢٦) استحمادى مبالغة في تأثير حمده يشير الى تعداد ما حــل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجريده من نعم الأمير المحيطة به أحاطة الثياب وحرمانهمن الأنس بذلك الجناب واعطاشه الى سريع اغاثته _

⁽١) المولى له معان كثيرة والاليق منها هنا السيد او المنعم ومنها العبد أيضا قال أبو تمام:

فلا غُرُو(۱) قد يغضُّ (۲) بالماءِ شاربُه ، ويقتلُ الدواءُ السَّتشفي به ، ويوتي الحذِرُ (۳) من مأمنه (٤) ، وتكونُ مَنيةُ (٥) المُتمنى في أمنيته (٦) ، والحين (٧) قد يسبقُ جهد (٨) الحريص :

كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الفَتَى وَتَهُونَ غَيْرَ شَمَانَة (٩) الحُسَّاد وإِنِي لأَتَجَلَّد (١٠) وأُرى للشامتين «أَنَى لرَيْبِ (١١) الدَّهُ لا أَنضعضع »(١٢) فأَقُول: هَل أَذَا إِلا يَدُ أَدُماهَا (١٣) سِوَارُهَا (١٤) ، وجبينُ عضَّ به إكليله (١٠)

= واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصــوصا بعد أن صبر تأميله فيه جسما مخترعا ولذا رآه الأعمى وجلا مدحه بما جذب اليه الآذان فدخلها بدون اســتئذان ولذا سمعه الأصم وبذل قصارى جهده فى حمده حتى كان مؤتمرا فى كل الكائنات ولذا أدركه الجماد وفيه من المبالغة ما فى قول المتنى:

انا الذى نظر الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجعه وتألمه ، وأسرع لتلبية ندائه وأمكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء (١) فلا عجب: الغاء واقعة في جواب أن من قصوله أن أسليتنى (٢) غصصت بالماء أغص غصا أذا شرقت به وأغصصته أنا . (٣) المتيقظ (٤) من حيث لا يتوقع الضرر (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك (٨) طاقة (٩) الفرح في مصائب الغير ، يقول: أن انتزعت منى ما أعطيت ، وأحلات بى من المصائب ما حللت : بعد غلوى في الثناء عليك ، والتجائي في كل الامور اليك ، فليس ذلك بالأمر العجيبولا بالنادر بلكثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو الفاص وأن الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير في عبارته لقول بعضهم :

ویدی، اذا اشتد الزمان وساعدی والمر و یشرق بالزلال البارد

قد كنت عدتى التى أسطو بها فرميت منك بفير ما أملته ، ولقول آخر :

تجرى الأمور على و فق القضاء ، و فى الحوادث محبوب ومكروه! فربما سرنى ما بت أحمده ، وربما ساءنى ما بت أرجوه! والبيت الذى ذكره لابن عيينة . (١) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر: نوائبه (١٢) أتزلزل: همذا حل بيت لأبي ذويب الهذلى وهو: وتجملدى للشمامتين أريهم أنى لريب الدهمر لا أتضعضع (١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلى يلبس فى الساعد (١٥) تاجه . (١٣)

ومشرَق (١) أَلِصقهُ بِالأَرضِ صاقلُه (٢) ، وسمهري (٣)عرضه على النار مُثقِفه (٤) ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

فقسا ليزدجروا(°) ومن يَكُ حازماً فليقسُ أَحياناً على من يرحم هذا العتب (٦) محمود عواقبه ، وهذه النبوة (٧)غمرة (٨) ثم تنجلي (٩) ،وهذه النكبة (١٠) سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ (١١) ، ولن يريبني (١٢) من سيدي إن أبطأً سيبه (١٣) أو تأخر ، غير (١٤) ضنين غناؤه (١٠) ، فأبطأ الدلاء فيضاً (١٦) أملؤها وأثقل السحائب مشياً أحفلها(١٧) وأنفع الحيا(١٨) ماصادف جدباً (١٩) وأَلذ الشراب ما أَصاب غليلا (٢٠) ، ومع اليوم غدُّ ولكل أَجَلَ كتابٌ .

لعل عتبك محمود عواقب وربما صحت الأجسام بالعلل والى المثلين العسرييين « غمسرات ثم تنجلى » و « سحابة صيف عن قليل تقشع » والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير . (۱۲) يجعلني شاكا (۱۳) عطاؤه (۱٤)غير ضنين: احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للايقاع به (١٥) نفعه . (١٦) الفيض: صعود الماء على الضفة ، والمراد هنا مجرد الصعود ، أي أن أبطأ الدلاء صعودا أكثرها امتلاء (١٧) الماؤها (١٨) المطر (١٩) الارض التي لا نبات بها (٢٠) العطش بحرارة ، لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وأن ما حل به عن قريب يزول ، ورأى تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة في محمدة العاقبة ، دفع ذلك معتذرا عن سيده في هذا التأخير معللا بقوله فأبطأ الدلاء فيضااماؤها وأثقل السحاب مشهيا أحفلهاوغير ذلك ممايدل على أن في التأخير ما يفعم البال ويقر الاعين =

⁽۱) سيف (۲) جاليه (۳) رمـح (٤) مقومه (٥) يمتنعـوا: يخاطب نفسه ويساليها ويضرب لها الأمشال ويمنيها ويسسهل عليها ما تعانيه ، ويجنبها ما تعاديه من مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعاله وعمله معه فقد أنزل نفسه منزلة الحساناء التي أجرى دمها السوار ، والجبين الذي اثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذي وضعه على التراب صاقله لصقاه لا لهوانه ، والرمح الذي وضعه على النار مثقفه لتقويمه لا لاحراقه ، والعبد الذي قسى علية سيده رحمــة بــه وأحسانًا لا استخفافًا به وهوانًا ، والبيت لأبي تمسام . (٦) اللوم (٧) الجفوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة (١١) تقاع ، يقرل: أرجو أن يكون هذا الاوم ختام الجفا، ومبدأ الالفة والصفاء وآنهذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول، يشير الى قول المتنبى:

لهُ الحمدُ على اهتبا له(١) ، ولا عتب عليه في اغتفاله(٢) :

فإن يكن الفعلُ الذى ساءَ واحداً فأفعالُه اللائى سَرَرْن أُلوف وأعود فأَقول: ما هذا الذنبُ الذى لم يسعهُ عفوُك، والجهلُ الذى لم يأْت من ورائه حلمك، والتطاول(٣) الذى لم يستغرقه تطولك(٤)، والتحامل(٥) الذى لم يَفِ به احتمالك(٦)؟! ولا أُخلو من أَن أكون بريئاً فأين عدلك؟ أو مسيئاً، فأين فضلك؟

إلا يكن ذنبُ فعدلك وَاسِعُ أو كان لى ذنبُ ففضلك أوسعُ فهبنى مسيئاً كالذى قلت طالباً قصاصاً (٧) فأين الأُخذياعز (٨) بالفضل حنانيك (٩) ، قد بلغ السيل الزُّبى (١٠) ، ونالنى ما حَسْبى به وكنى . وما أرانى إلا ألو مرت بالسجود لآدم فأبيت (١١) واستكبرت !!

⁼ ثم ختم عبارته بما هو أمثل في التسلية وادعى للتصبر من حيث يقول: ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

⁽۱) اغتنامه (۲) تفافله: وهو تركه على ذكر منه بعد أن اعتذر من سيده بما اعتذر وأخذ يمدحه على القاعه به وتفافله منه على أن يرأف به ويعطف عليه والبيت المتنبى (۳) الكبـــر(٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل الا أنه في الأمور العظيمة ، قال النابغة الدبياني الله فحملت برا واحتمات فجــارا * (٧) عقابا (٨) اسم امرأة ، رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت منه الى مافي ضميره من بقايا العتاب فقال يستفهم مريدابذلك الزامه بالصفح عنه بتصيفير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول: ما هذه الحركة التي زلزلت طودك ، ونما هذه الجيفة التي عكرت بحرك ، ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع العاصي و المطيع ، وذكر البيتين تأييدا لما قاله في نشره ، والاول للبحترى والثاني مأخوذ من قول الحماسي:

هبينى ظلومسا نلتسه بمساءة قصاصا فأين الأخذيا عز بالفضل (٩) تثنية حنان ، وهو الرحمة (١٠) جمع زبية ، وهى حفرة تحفر لصيد الأسد فى مكان مرتفع لا يعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجعفا : يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له : حنانيك ، أى رحمة أثر رحمة أطلبها منك فان الذل والهوان قد وصلا النهاية ، والصفار والاحتقار قد بلغا الغاية : وقوله بلغ السيل الزبى مثل عسربى يضرب فى بلوغ الشيء قد بلغا الغاية : وقوله بلغ السيل الزبى مثل عسربى يضرب فى بلوغ الشيء غايته (١١) أمتنعت : ولقد أحسن كل الاحسان وتلطف ماشاء فى عطف =

وقال لى نوحٌ : اركب معنا . فقلت : ساوى(١) إلى جبل يَعْصِمني(٢) من الماءِ، وأُمَرْت ببناءِ صرح(٣) لعلى أَطُّلع إِله موسى وعكَفت (٤) على العجل، واعتديت(°) في السبت ، وتعاطبت(٦) فعقر ثت(٧) ، وشربت من النهر الذي

 قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشــارة مبدعا في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال ، وانه لوقسم على ذوى الذنوب من الأولين والاخرين لكانكافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ، ملمحا الى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة • فقال : وما اراني • • الخ • يشير الى ذنب ابايس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث أمره الله بذلك « فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقال أنا خير منه خاقتنی من نار وخاقته من طین » .

(١) سألجأ (٢) يحفظني ، يشير الى ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه: يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فخالف أباه وقال سآوى ١٠ الـخ ٠ (٣) قصر ٤ بشير الى ذنب فرعون ، وهو انكاره الاله وادعاؤه أنه هو الاله الحقيقى ، وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله ، فقال فرعون « يأيها اللا ما علمت الكم من اله غيرى ، فأوقدلى باهامان على الطين فاجعل لى صرحا »: الآية . (٤) واظبت، يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل ، وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر يقال لبني اسرائيل أن الحاي الذي استعرتموه من المصريين وبقى معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى یأتی موسی ویری رأیه فیه ، ففعلوا ،فأخذه وصاغه عجلا ووضع فیسسه القبضة التي أخذها من اثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عايه السلام ، فصار العجل يمشى ويخور، فقال لبني اسرائيل هذا الهكم واله موسى نسسيه وذهب لطلبه ، فافتتن به كثير منهم وأتبعوه (٥) جاوزت ، يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك أنهم نهوا عن الاصطباد في وكانت الحيتان تأتى فيه بكثرة رافعةخراطيمها حتى تفطى الماء ولا تأتى في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ، ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب .

(٦) تعاطى: قام على اطراف أصابع رجليه . ثم رفع يديه وضرب .

(٧) عقر البعير بالسيف فانعقر ، أي ضرب به قوائمه، يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام ، وذلك أن أمرأة يقال لها عنبرة لها مال وبنات حسان ، وأخرى يقال لها صدوق بنت المحياصاحب أو ثانهم ، كان =

ابتلى الله(١) به جيش طالوت ، وقُدْت الفيل لأَبرهة(٢) ، وعاهدت(٣) قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأوَّلت(٤) في بيعة العقبة(٠) ، واستنفرت إلى العير(٦)

= زوجهاأسلم وأنفق ماله على صالحواتباعه ، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام ، فدعت صدوق مصدقا لنفسها على قتل الناقية ، ودعت عنبرة قدارا على ذلك ايضافذهب شقيا ثمود وكمن كل منهما فى أصل صخرة ، ولما مرت الناقة رماها مصدق بسهم فأصاب ساقها ، وشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقها ، ثم نحروها .

- (۱) اختبر ، وهو يشير الى ذنب معظم جيش طالوت عليه السلام وهو محالفتهم له حينما اشتكوا له قللة الماء ، وهم ذاهبون للقتال ، فقلله لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شربمنه فليس منى ، ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قايلا منهم .
- (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشى ، يشير الى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة ، وسبب ذلك أنه بنى كنيسة بصنعاء ليصرف النساس عن الكعبة فأتى رجل كنانى ولوثها بالعلم وأحرقتها ، فغضب النجاشى لذلك ، وأضرموا نارا بجانبها فهبت الرياح فأحرقتها ، فغضب النجاشى لذلك ، وقام أبرهة وأخذ الفيلة وفى مقدمتها فيل النجاشى المسمى محمودا ليهدم الكعبة ارضاء له ، ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فأبى ، فوجهه الى اليمن فقام مهرولا ، وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيرا ابا بيل ترميهم بحجارة من سحيل فأهلكتهم .
- (٣) أعطيتهم عهدا وميثاقا ، يشير الى ذنب قريش ، وهو اتحادهم على عدم نصرة الدين ، وذلك انهم لما رأواان الدين أخذ فى النمو وأن حميزة وعمر أسلما تعاهدوا على مهاجرة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وعلى قطع العلائق بينهم تماما وكتبروا بذلك صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة عهدا لذلك . (٤) خالفت .
- (٥) طريق وعر فى الجبل . يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة ، وبيعات العقبة ثلاث ، ولم يتأول فيها أحد ، فذكره لها على سبيل الفرض ، اىهب انى خالفت الاجماع وتعديت الحدد وفعلت ما لم يفعله أحد .
- (٦) العير ـ بالكسر ـ الابل التى تحمل الميرة ، وهـ يشـير الى ذنب ضمضم الففارى وهو اسـتنهاض قريش لأبى سفيان ، وذلك أن أباسفيان ابن حرب كان آتيا الشام فى عير ، فذهب رسول الله لقتاله، فشعر بذلك =

ببدر ، وانخذلت (١) بثُلث الناس يوم أُحُد (٢) ، وتخلفت (٣) عن صلاة العصر في بني قريظة (٤) ، وجئت بالإفك (٥) على عائشة الصِّديقية ، وأَنِفتُ (٦)

= أبو سفيان ، فاستأجر ضمضما المذكور ليخبرقريشا · فذهب وصرخ ببطن الوادى واقفا على جمل قد جدعه ، وحول رحله وشق قميصه : يامعشر قريش اللطيمة اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى انتدركوها،الغوث ، فتجهرواجميعا وذهبوا اليه ، وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى، وفيها انتصر النبى عليه الصلاة والسلام انتصارا باهر .

(١) خذله: ترك عونه ونصرته (٢) أحد: جبل بالمدينة . يشير الى ذنب ابن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هـــو ومن معـه من المنافقين ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، وكان من رأى ابن سلول أن يمكث النبي في المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه موافقًا لمعظم الصحابة، فرجع هو ومن معه من المنافقين، وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت (٤) طائفة من اليهود يشير الى حادثة بنى قريظة ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعدر جوعه من غزوة الخندق قال: من كان سميعا مطيعا ، فليصل العصر في بني قريظة، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس، والبعض الاخر رأى ان المقصود الاسراع فصلى في الطريق ، ولمسا اختلف الفريقان في تعيين المصيب ، ترافعا الى الرسول فحكم باصابتهما واذا تكون عبارته كناية فداحة التخلف من الذهاب (٥) الكـذب، يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما في مجاهر تهم بالسوء لزوجية عليه الصلاة والسلام : وذلك انه لما ذهب عليه الصلاة والسلام الى غزوة بني المصطلق كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظر في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لامر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاع هـؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استكبرت ، يشير الى بعض الصحابة ، من حيث استكبروا على أسامة وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشا ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل أبيك فتكلم قوم قااوا: أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصباً وصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه وقال ما معناه : ولئن طعنتم في اسامة فقد طعنتم فيأبيه من قبل وانه لأهل لها فاستوصوا به خبرا.

عن إمارة أسامة ، وزعمتُ أَن خلافة أَبى بكر كانت فلْنة (١) ، وروّيتُ رمحى من كتيبة (٢) خالد ، ومزقت (٣) الأديم (٤) الذي بارَكت يدُ الله عليه ، وضَحّيْتُ بأشمط (٥) عنوان السجود به ، وبذلتُ لقطام (٦) ثلاثة آلاف وعبدُ وقبنةٌ (٧) ، وَضَرْبُ على بالحسام المصمم .

ورويت رمحى من كتيبة خالد وانى لارجو بعدها أن أعمرا (٣) قطعت (٤) الجلد ، يشير الى ذنب أبى لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبا لؤلؤ طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له: انه ليس بكثير وانك لصائع مجيد ، وأريد أن تصنع لى رحى . فقال: سأصنع لك رحى يسمع دويها أهل المشرق والمفرب وكمن له حتى طعنه فى صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير الى ذلك ما قاله بعضهم فى رثائه:

جزى الله خيرا من امام وباركت يد الله فى ذاك الاديم المسرق (٥) مختلط شعر الرأس: يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه وفود كثيرة من الجهات يشهم هو ذاهب فأرضاهم وأرسل محمد بن أبى بكر ليكون واليا على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبدا على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتابا من الخليفة الى عامل مصر يقول: اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل فى قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب لعثمان فأقر بانه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسسله ، فطنب منه احد أمرين : الاعتسزال أو أعطاءه كاتبه الحكم فأبى فحصه الفتنة وحاصروه الى أن قتل ويشير الى ما قاله بعض نعاته :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسميحا وقرآنا (٦) اسم امرأة (٧) جارية: يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على كرم الله وجهه وذلك أن هذه المرأة أعجبته لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما في البيت فقال لها: لك ما طلبت وقال البيت وبعده:

⁽۱) أى من غير احكام ولا روية يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن عليا هو الأحق بالخلافة ، ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم . وفى حديث عمر : « أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها » فقيل : المسراد بالفلتة الخلسة أى الامامة يوم السقيفة مالت الأنفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاسا، ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى (٢) جيش ، يشسير الى ذنب أبو شجرة السلمى وهو فتكه بجيش خالد فى حرب الردة ويشير الى قله فى ذلك ذلك ذلك :

وكتبت إلى عمر بن سعد : أَن جَعْجع(١) بالحسين ، وتَمُثَّلَت عندما بلغني من وقعة الحرة(٢) :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جَزَعَ الخزرج من وَقْع الأَسل ورجمت(٣) الكعبة ، وصلبت العائذ(٤) على الثنية(٥) ، لكان فيا جرى عَلَيَّ(٦) ما يحتمل أن يكون نكالا(٧) ، ويدعى لو على المجاز عقاباً :
وحسبك من حادثات بامرئ ترى حاسديه له رَاحِمِينا

⁼ فلا مهر أغلى من على وأن غلا ولا فتك الا دون فتك أبن ملجم (١) ضيق: يشير ألى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتلل الحسين ، وذلك أنه أبى مبايعة يزيدواراد الذهاب ألى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطا جهز له « شمرا » وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت باستشهاده رضى الله عنه .

⁽٢) أرض بظاهر المدينة كانت بها الوقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة واباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح . فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزيعرى الذكور مظهرا لما فى الضمير المستتروهو كراهة الأنصار والمهاجرين .

٣) رميت بالحجارة (٤) المتاجىء (٥) طريق العقبة: يشهر الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبدالله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه المتجا عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعدما انتصر عليه صلبه منكسا وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت أمه فيه فبعه سنة مرت عليه أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبس قولها شفاعة وأنزله ومن قولها لابنها يوم مقتله: يابنى لا تقبان منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بالسيف فى عز ، خير من ضربة بالسوط فى مذلة . فقال لها: انما أخاف المئلة . قالت : يا بنى ان الشاة لايضرها سلخها بعد ذبحها (٦) حصل لى (٧) عذابا يريد أنى لو أتبت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لى من التعهيب والاهانة واللذل والاستكانة كافيا لتمحيص هذه الذنوب . كيف لا وقد صرت الى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب ، وذلك أدل على طلب الرحمة وأحكم فى الاستعطاف والبيت الذى ذكره للعتهى .

فكيف ولا ذنب إلا نميمة (١) أهداها كاشح (٢)! ونبأ (٣) جاء به فاسق وهم الهمازون (٤) المشاوون (٥) بنميم ، والواشون (٦) الذين لايلبثون (٧) أن يصدَعُوا (٨) العصا ، والغُواة (٩) الذين لايتركون أديم (١٠) صحيحاً ، والسعاة الذين دكرهم الأحنف بن قيس فقال : «ما ظنك بقوم الصّدق محمودٌ إلا منهم ؟؟ » . حلفت فلم أترك لنفسك ريبة (١١) وليس وراء الله للمرء مطلب

والله ما غَشَشْتُك بعدَ النصيحة ولا انحرفت (١٢) عنك بعد الصاغية (١٣) إليك ولا نَصَبْتُ (١٤) الك بعد التشيع فيك ولا أزمعت (١٥) يأساً منك ، مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أُخذه حُسنُ الظن عليك ، ففيم عَبِثَ (١٦) الجفاءُ بأَذَمَّتي (١٧)

⁽۱) نقل الكلام اللافساد (۲) مضمر العداوة « أهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النميمة وأنه معتنى بها كمايعتنى بالهدية للامير (۳) خير (۶) المغتابون (٥) النمامون (٦) الذبن يزينون الحديث للافساد (٧) لبث بالمكان : أقام به (٨) يشقوا (٩) المضلون (١٠) الأديم : الجلد ، يريد سعى النمام وخبر الفاسق وتزيين الفواة والذين يشقون عصا الألفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح في عبارته الى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية ، والى قول كثير عزة :

ولا يابث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هي لم يصلب على البرى عودها (١١) شبهة: يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسكمن براءتي وليس بعد الله يصدق القسم به حتى أقسم به وأذهب اليه والبيت للنابغة الذيباني من اعتذار باته النعمان .

⁽¹⁷⁾ ملت (17) الاصفاء (13) الناصبى فى العرف من كان عدوا لعلى كرم الله وجهه وهو ضد الشيعى (10) خفت ، يقول أقسم بالله أنى مقيم على النصح لك ثابت على الميل اليك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهبا وللم يستفرنى اليأس منك وتلعب بى أيدى الأهواء فان ثقتى بك وحسن ظنى فيك قد ضمنا لى أن أطرر اليأس بالرجاء فى عفوك ، وهذا الكلام من الاستقصاء البديعى بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول (لو) ولا (ليت) استجلابا للرحمة وطابا العفو ، (١٦) لعب وهزل ، (١٧) حرماتى .

وعاث (۱) العقرُوق (۲) في مواتى (۳) ، وتمكن الضياع (٤) من وسائلي (٥) ؟ ولم ضاقت مذاهبي (٦) ، وأكدت (٧) مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب (٨) بالتعليق (٩) ؟ بل من الغنيمة بالإياب (١٠) ؟ وأنى غلبني الغلب (١١) ، وفجر (١٢) على العاجز الضعيف ولممتني (١٣) غير ذات سوار ؟ ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركني ولما أمزَّق (١٤) ؟! أم كيف لا تضطرِمُ (١٥) جوانح (١٦) الأكفاء (١٧) حسدا لى على الخصوص لك ؟ وتنقطع أنفس (١٨) النُّظراء (١٩) منافسة (٢٠) لى على الكرامة فيك

(۱) أفسد. (۲) ضد ألبر . (۳) وسائلي . (٤) الهلاك . (٥) ما أتقرب به . (٦) طرقي . (٧) ردت . (٨) الركوب . (٩) المراد تعليق الأمتعة . (١٠) الإياب : الرجوع . (١١) الغاب : المغلوب مرارا (١٢) فجر : اجترأ . (١٣) ضربتني على وجهي براحتها (١٤) اقطع ، يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل للرضاحتي ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالما واجترأ عليه كل ضعيف وغلبه من كان له غلابا وظلمه من لم يكن له كفؤا. وقد ضمن عبارته من الامتال ما هو كالسحر الحلال (أولها) ارض من المركب بالتعليق يضرب في القناعة بادراك بعض الحاجة (وثانيها) رضيت من الغنيم قول امرىء القيس :

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله:

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغاب وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها (لو ذات سوار للممتنى) قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة والثلاثة تضرب عند العجز والذلة و يشير الى قوله المنقب العبدى:

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فأدركنى ولما أميزق وفي هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه .

(١٥) تتقد . (١٦) أضلاع . (١٧) الأمثال .

(۱۸) جمع نفس ۰ (۱۹) جمع نظیر ۰ (۲۰) رغبة شدیدة ۰

وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني (١) وسم (٢) نعتك ، وأبليت (٣) البلاء الجميل في سماطك (٤) ، وقمت المقام المحمود على بساطك ؟!

ألست الموالى(٥) فيك غُرُّ قصائد هي الأنجُمُ اقتادت مع الليل أنجما(٨) ثناءٌ يظل الروضُ منه منوراً ضُحى ويخال الوشي(٦) فيه منمنما(٧) وهل لبس الصباحُ إلا بُردًا(٨) طرَّزته(٩) بفضائلك ، وتقلدت(١٠) الجوزاء(١١) إلا عقداً فصَّلتُهُ (١٢) بمآثرك ، واستملى(١٣) الربيعُ إلا ثناءً أمليته في محاسنك ، وبثَّ (١٤) المسْك إلا حديثاً أذعته (١٥) في محامدك ؟ (ما يوم حليمة بسرّ) وإن كنت لم أكسك سليباً (١٦) ! ولا حليتك عُطلا ! ولا وسمتك غفلاً (١٧) بل وجدت آجُرًّا(١٨) وجصًّا (١٩) فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت :

الزهو: الكبر (٢) علامة (٣) جربت

⁽٤) السمط: الصف من الناس (٥) المتابع

⁽٦) ضرب من الحرير ذو ألوان (٧) ثوب موشى بألوان فيها البياض _ لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ _ وذلك من الاعتراف لسسيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالانعام بالصلاة حتى انطلق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنحما والثناء الذي زهرت بهاارياض ووشيت به حلل الفضل والبيتان من قصيدة للبحتري بعاتب بها الفتح بن خاقان (٨) رداء (٩) علمته (١٠) لبست (١١) برج(١١) تفصيل العقد: جعل خرزة بين أن فضائلك التي نشرتها في مدائحك ظهرت للعين ظهور الصباح حتى انه لا يضيء الا بسببها: وأن عقد الجوزاء لم ينشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء الملوء بمحاسنك . ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله «مايوم حليمة بسر» بهو مثل عربي بضرب في فشو الأمر وانتشاره (١٦) مساويا (١٧) عادم العلامة (١٨) الطين المحسرق (١٩) الجير : أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدائح وانه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له: انى لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الحصال وحميل الخلال وانما أنا صغتها في القالب الذي يلفت الأنظار ويجلي صدأ الأفكار ٠

حاشا(۱) لك أن أعد من العامِلة الناصبة (۲) ، وأكون كالذبالة (۳) المنصوبة ، تضيء للناس وهي تحترِق ، فلك المثل الأعلى(٤) ، وهو بك وبي فيك أولى ، ولعمرك (۰) ما جهلت أن (صريح الرأى (٦) أن أتحول إذا بلغتني الشمس و (نبا بي المنزل (٧)) وأصفح (٨) عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال فلا (أستوطئ العَجْز (٩)) ولا أطمئن (١٠) إلى الغُرُور (١١) ، ومِنَ الأَمثال المضروبة : خامري (١٢) أم عامر (١٣).

(۱) تنزيها لك (۲) من النصب: وهو التعب (۳) الفتيلة (٤) الصفة العليا بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يسستميله باطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فنزهه عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعنوا فى الدنيا فيما لم يعسدعليهم منه فائدة فى الأخرى ، ويشير الى قوله تعالى: (وجوه يومئسذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية) الآية والى قول العباس بن الأحنف:

صرت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق وبالغ فى التلطف بقوله: فأك المثل الأعلى والصغةالعليا من التجاوز والصغح وانت أولى من صفح عن زلة المسىء ، وأنا أولى من أدخرت مودته بالصفحاء وما أحسن قوله وهو بك الخ ، كأنه يقول هو بك أولى وهو بى كذلك أذا كأن فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما ألطف ما ينسب الى الامسام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الامام أحمد بن حنبل:

قالـوا يزورك أحمـــ وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منــزله أن زرته فلفضـــله أو زارنى فافضله فالفضل فى الحالين لـه (٥) حيامك (٦) شديدة (٧) نبابى المنزل: لم يوافقنى (٨) أعــرض (٩) استوطىء العجز: أجده لينا سهلا (١٠) أميل (١١) ما يغتر به من متاع الدنيا (١٢) اشترى (١٣) كنية الضبع ، يقسم بحياة سيده أنه جهل أن سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها بــه كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع اعناق الرجال وأنه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل الى الفرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الفرور نصيبه والأمل قائده فاغتر كما اغتــر الضبع بقول القائل خامرى أم عامر . بشير الى قول أبى تمام:

وإنى مع المعرفة أن الجلاء(١) سباءُ(٢) والنقلة(٣) مثلةُ (٤) :

ومن يغتربُ عن قومه لم يَزل يَرى مصارعَ مظلوم مجراً ومحسبا وتُدفن منه الصالحاتُ وإن يسي يكن ما أساء النار في رأس كبكبا(°)

عارفٌ أَن الأَدبِ الوطنُ لايُخشى فراقه ، والخليط (٦) لا يتوقع زياله (٧) والنسيب (٨) لا يخفى ، والجمان لا يُجني (٩) .

ثم ما قران(۱۰)السعد بالكواكب أبهى أثرًا ، ولا أثنى خطرا(۱۱)من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً (۱۲) معه ، فإن الحائز (۱۳) لهما الضارب بَسهم فيهما – وقليلٌ ماهم(۱۹) – أينما توجَّه ، وردَ منهل (۱۰) بر ، وحط فى جناب(۱۲) قبول ، وضوحك قبل إنزال رَحله ، وأعطى حكم الصبى على أهله

⁼ وان صريح الرأى والحزم بامرىء اذا باغته الشمس أن يتحولا والى المثل العربى « العجز وطىء » يضرب لن استلان فراش العجنز وقعد عن طاب المكاسب وقوله خامرى الخ مشل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويفتر بها .

⁽١) الخروج عن الوطن (٢) أسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) جبل (٦) المخالط (٧) مفارقته (٨) ذو النسب (٩) لا يهجر: بعد أن بين السيده انه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن يبين له انه يعرف أيضا أنَّ الانتقال فيه التمثيل والنكال وأنالفربة كربة والنوى توى وأن حسنات الفريب مهجورة وسيئاته منشوره فقال أنى مع معرفتى بأن خــروجى من وطنى قسر لى ودفن لمحاسني وانتقالي منه الى غيره مع عدم معرفة أهمل هذه الجهات بما أنا متحل به من العاوم والاداب والكمالات تنكيل بمحاسني وتضييع لبهجة كمالاتى فيجهل قدرى وتهضم حقوقى وتدفن منى الصالحات وتشاع على قلتها السيئات غير اني لآأعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطنى الذي أعول عليه انما هو ملازم لي اينما حللت وارتحلت لااخشى فراقه وهو سميرى الملازم لى فلا أتو قعغيابهوان النسيب اينماحل فهومعروف وأينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من التحول ضيما _ والبيتان للاعشى ،والنقلة مشلة _ مشل مــولد (١٠) مصاحبة (١١)قدرا (١٢) النسق من الكلام وغيرهما جاء على نظام واحد (١٣) الجامع (١٤) قليل ماهم . يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا نظير له في أخلاقه وآدابه (١٥)عين (١٦) ناحية . بعدأن بين أن الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطنافي الغربة وفرجة عند الكربة بين =

وقيل له أهلاً وسهلاً ومَرحَباً فهذا مَبيتٌ صالح ومقيل غير أن الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ ، واللبيبُ يحنُ إلى وطنه ، حنين النجيب(١) إلى عَطَنِه(٢) . والكريمُ لا يجفو أرضاً بها قوابله(٣) ، ولا ينسى بلدًا فيها مراضعُه _ قال الأول :

أُحبُّ بلاد الله ما بين مَنْعَجِ (٤) إلىَّ وسلمى أن يصوبَ سحابها بلاد بها حل الشباب تمائمي(٥) وأُول أَرض مسَّ جلدى ترابُها

= أنه يكون أكبر نفعا وأعظم جدى اذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى بحلاهما القابض على زمامهما أينما يمم فالسعد قرينه والناس أهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لاول وهلة أين جرى نظره يعطونه حكم الصبى على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيدويقولون له لقيت أهلا ونزلت مكانا سهلا واسعا رحبا فأنس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فأنت رب الدار . وقوله ماقران السعاد النج أخدة من قول السعاد النج أخدة من قول السعاد :

وأتم الاشياء نورا وحسنا بكر شكر زفت الى صهرير ماقران السعد بالحدوت أبهى منظرا من قران بر وشكر وقوله أعطى حكم الصبى الخ: عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده وأصل البيت المذكور: فقات له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا البيت صالح وصديق.

(۱) النجيب من الابل الفحل الكريم (۲) مبرك الابل حول الماء (۳) جمع قابلة وهي من تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) تميمة وهو ما يعلق للطفل حفظا له ، بعد أن بين له أن سديد الرأى الانتقال وانه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المسكث فقال أن الوطن محبوب والمنشأ مألوف

ما من غريب وان أبدى تجلده الاسيذكر عند الغربة الوطنا ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ به جسده وأول بقعة نما فيها فكره وأول جهة قضى فيها الشباب مآربه مع اخوان وأحباب وخلان وأتراب لله فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبابه تميدعلى تلك الاوطان وتتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليهاحنين الفريب الى وطنه وانه ليس من كرم الاصل وشرف =

هذا إلى مُغالاتى(١) بعقد جوارك، ومُنافستى(٢) بلحظة من قربك واعتقادى الطمع فى غيرك طبع(٣) والغنى ممن سواك عناء، والبدل منك أعور، والعوض لغاء(٤)، وكل الصيد فى جوْفِ الفرا(٥).

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادَنى ضنا به نظرى إلى الأَمراءِ وفي كلِّ شجر نار ، واستحمد (المرح والعقار)(٦) ، فما هذه البراءَةُ ممن

= المحتد أن يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم في أثناء الصغر فالواجب عليه أن يصلهن في ابان الكبرحتي بجنين ثمرات أتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن والبيتان لبعض الاعراب. (١) مجاوزتي الحد (٢) رغبتي فيك على وجه المبادرة (٣) دنس (٤) خسيس (٥) حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعا الوري واستحمد: استفضل وقيل اقتدح على الهوينا بعد أن بين محبة الوطن وألفة المنشأ ، وسبب ذلك الطبيعي: أراد أن يبين للامير أن ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل على المكث بل انضم اليه ما هو أشد منه تأثير اوأعظم خطرا ألا وهو شدة محبني لجوارك و حظوتي بقربك ، وأنت أكرم من حفظ للجوار حرمته ، وأوضح محجته واعتقادي بأن الطمأنينة الى غيرك غرود والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائي بسواك بدلا ولا بغيرك عوضا وكيف الشتبدل السمين بالغث والراحة بالتعب أم كيف أنظر الى غيرك من الأمراء ، وغيرك فيك:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحسد نعم وان اشتركوا معك فى اللقب الا أنهم لم يشتركوا معك فى كمال الأدب وفى كل شجر نار واستحمد المسرح والعقار وفى ذلك من استمالة القلب ما يدهش الأب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ما يذرى باللآل – فأولها «رب طبع يجر الى طمع » وثالثها «كل الصيد فى جوب الفرا » وهويضرب لن يفضل نفسه على أقرانه وثانيها « البدل منك أءور » يضرب لكل ما لا يرتضى به ، وأصله أن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم يرتضى به ، وأصله أن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحا أعور قال الناس هذا بدل أعور – ورابعها « رضي من الوفاء باللقاء » يضرب لمن يرضى بالقايل من الكثير – خامسها « وفى كل شجر نار واستحمد المرح والعقار » يضرب فى تفضيل بعض المشتركين فى صفة على بعض .

يتولاك(١) ؟ والميل عمن لا يميل عنك ؟ ! _ وهلًا(٢) كان هواك(٣) فيمن هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟ !

يامن يعز علينا أن نُفارقهم وجْدانُنا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ أَعيذك ونفسى من أن أشيم (٤) خلّبا(٥) ، وأستمطرَ جَهَامَا(١) ، وأكادِم (٧) في غير مكدَم ، وأشكو شَكْوَى الجريح إلى الغربان والرَّخم (٨) فما أَبْسَسْتُ (٩) لك إلا لِتَدُرَّ ، ولا حركت لك الحُوار (١٠) إلا لتحن ، ولا نبهتك إلا لأَنام ولا سَريت للا لأَحْمَدَ السُّرَى (١١) لديك .

لا تهنى عسادة اكرامك لى فشدديد عادة منتساعه لا يكن برقك برقا خابسا ان خير البرق ما الفيث معه والى المثل العربى « كدمت فى غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئا من غير أعله ، والى قول المتنبى:

ولا تشكو الى خلق فتشمتهم شكوى الجريحالى العقبان والرخم والى الامثال العربية: « الابساس قبل الايناس » وهو يضرب في الرفق =

⁽۱) مضارع تولاه صار وليه (۲) كلمة تحضيض (۳) ميل النفس: بعد أن بين له أنه لا يرضى سواه وأنه يفضل جواره على ماعداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الأدب من حيث يقول كيف تتبرأ منى وأنا أواليك وتميل عنى وتهجرنى وأنا لا أميل الا اليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبى (٤) شام البرق: نظر الى سحابته أين تمطر (٥) البرق الذى لا يعقبه مطر (٦) السحاب الذى لا ماء فيه (٧) أعض (٨) طائر ضعيف (٩) الابساس: الرفق (١٠) ولد الناقة (١١) السير ليلا عليه عليه أن يجعله كالمسيح الماء من الصخر ، والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهام والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدرادا ، وأن يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا اضرها سهاد الجفوة وأن يحمد اليه سراه ويحسن عقباه ، ولقد رصع عبارته بجواهر الامشسال وصاغها في قالب غرب المثال ، شير فيها الى قولة معد يكرب:

وإنك إن سَنيت (١) عقد امرى تيسر ، ومتى أعدرت (٢) فى فك أسرى لم يتعدر ، وعلمك محيط. بأن المعروف ثمرة النّعمة ، والشّفاعة زكاة المروءة . وفَضَلَ الجاه (٣) يعوذُ به صدقه .

وإذا امرُوُّ أهدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنها من ماله لعلى أُلق العصا بذاك(٤) وتستقرُّ بى النوى(٥) فى ظلِّك، وأستأنف(٦) التأدب بأدبك، والاحتمال على مذهبك، فلا أُوجِدُ للحاسد مجال(٧) لحظه(٨) ولا أدعُ للقادح(٩) مساغُ(١٠) لفظه.

فبالله ثق أن عز ما تبتغي وقل اذا الله سنى عقل أمر تيسرا

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسلسافر (القديد على الأدب جد ا)

^{= «}حرك لها حوارها تحن» وهو يضرب في استنهاض الهمة ، و « لها عمرا ثم » يضرب فيمن يعتمد على غيره ، و « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة .

⁽۱) سهلت . (۲) بالغت فى طاب العذر (۳) المنزلة – يقول لسيده: انى ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأهوال ولا بمعاناة الأحوال ولا بعد نجوم السماء ولا رمال الدهناء ، وانما هو أمر يكبر في عين سائله ويصغر عند باذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وان سهلت عسيره سهل وان التمست المعذرة انتقت الصعوبة ، وأنت تعلم – زادك الله علما – أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها الشفاعة وشفاعة السيان أفضل زكاة الإنسان وبذل الجاه رفد الستعين – وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله أن سينيت مأخوذ من قول بشار:

⁽٤) كل ما استترت به . (٥) ماينويه المسافر من قرب أو بعد د (٦) ابتدى . (٧) جال : طاف · (٨) نظره · (٩) الطاعن ·

⁽۱۰) ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق ـ يقول أرجو من سيدى أن يعفو عن ذنبي وتقصيري وبابي ندائي ، هذا كي أسكن في ظك وكتفك ولا أذهب الى غيرك وتكون غاية آمالي ومنتهى أسفاري وأتوب عما كنتمرتكبه ومتمسكا به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك وأتمسك بطريقتك وأحسذو حذوك وتبع مذهبك وبذلك لايجد عدوى في مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلى ألقى النح حل بيت المعز بن أوس وهو:

والله مُيسِّرك من إطلابى(١) بهذه الطِّلبة (٢) وإشكائى(٣) من هذه الشكوى ، بصنيعة تُصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مُستودع حسبا أنت خليق(٤) له ، وأنا منك حرىُّ(٥) به ، وذلك بيده وهيِّن عليه .

مكاتبات متفرقة

كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدول الأوربية :

أيها الوزير الأفخم - إن لفظة تقسيم (تركيا) إفك لايفوه به عاقل ، ولا يتصوره إنسان ، تكاد تنفطر له الساء دهشة ، وترتج له الأرض وحشة ، بل تخِرُّ دونه الجبال ، وتنفك عنده الآمال ، كأن أوربا تستطيعه ، ولكنها لم تفعله ولن تفعله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، ف «قل اللهُمَّ مالك الملك ، تُوْتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك من تشاء ، وتعزُّ مَن تشاء ، وتذل من تشاء ، وتذل على كل شيء قدير » .

تقسيم تركيا: كلمة ليست أكبر من أوربا فقط، بل هي أكبر من منظومة هذا العالم الشمسي ، الذي تراه ، أو تسمع به ، إن كنت لا تراه ، فلا يليقُ أن يفوه به إلا فم القدرة الإلهية «القائم ع كل نفس بما كسبت والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

تقسيم تركيا: رُما يكون، ولكن متى يكون ؟ حينا يتحلى وجه البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية، يوم ترى الأرض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة حيث تتمشى الدماء على فيروزج الفضاء، محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود

⁽۱) اسعافی (۲) ما اطلبه (۳) ازاء ما اشکوه . (٤) جسدیر . (٥) حقیق : یقول لسیده والحمد لله الذی سهل لك مطلبی واسعافی وازالة ما اشکوه من آلام السجن بمعروف تبذله الأهله وتحفظه عند أمین لوقته حسیما یقتضیه کرم أخلاقك وجمیل صفتك وأنا أحق الناس به لمودتی لك واخلاصی فی ولائك وما ذلك علیك بعزیز :

أن الصنيعة لا تكون صنيعة تحتى تصيب بها مكان المسنع

العدم المطلق: لا أرض لمن تُقِلَّ ، ولا ساء لمن تُظل ، ولا قائم موجود ، ولا دائم مقصود ـ هذالك تتحدث شياطين الخيال فى أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشئوم ، ولا من سميع ، ولا من مجيب ؛ فالويل ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم ، والتّبور إذا تنزلت الساء بقضاء ذلك الهول المقسوم «إن فى ذلك لبلاغاً لقوم يتفكّرون».

وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ ه في شكر صديق له على مراسلته إياه :

وصل ما وصلتنی به (۱) - جعلنی الله فداك (۲) - من كتابك ، بل نعمتك التامة ، ومنتك العامة (۳) فقرت عینی بوروده (٤) ، وشفیت نفسی بوُفُوده (۰) ، ونشرته فحكی نسیم الریاض غِب المطر (۲) ، وتنفس الأنوار فی السّحر (۷) ، وتأملت مفتتحه وما اشتمل علیه من لطائف كلمك ، وبدائع حكمك (۸) ؛ فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك (۹) ، وضرُوب الفضل منك (۱۱) جدًّا وهَزلا (۱۱) ماملاً عینی ، وغمر قلبی (۱۲) ، وغلب فكری ، وبهر لُبِّی (۳۱) ، فبقیت لا أدری ! أسمُوط درً خصصتنی بها (۱۲) ؟ أم عقود جوهر منحتنیها (۱۰) ؟ ولا أدری : أجدك أبلغ وألطف ؟ أم هزلك أرفع وأظرف ؟ وأنا أوكل بتتبع ما انطوی علیه نفساً لاتری

⁽۱) ورد الى كتابك الذى ربطتنى به معك (۲) فداك: أى وضعنى الله مكانك فى كل مكروه حتى تخلص منه (۳) أى الذى ورد الى هـو خطابك الذى أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل . (٤) فاطمأن قلبى بوصوله الى (٥) وطابت نفسى بمجيئه الى (٦) ونشرته أى فتحته فحكى نسيم الرياض غب بالمطر ، أى يشبه الريح التى تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها . (٧) وأشبه تفتح الأزهار فى أواخر الليــل . (٨) أى وتدبرت فى صدره رقى الكلمات الطيفة التى أودعتها فيه والحكم الديعة التى نثرتها فيه . (٩ و و ١٠) أى شاهدت منه أنواعا من الاكرام أثبتها فيه ، وأصنافا من الأفضال دونتها فيه و (١١) من الأمور الهامة الجديدة والامور المفرحة المازحة . (١٢) ملأ عينى : يعنى صرفها عنالنظر الى غير احسانك _ وغمر قلبى أى : لم يدع له منصر فا الى غير أفضالك . (١٣) وغلب فى فكرىأى : استحوذ على عقلى ، وبهرنى أى راع عقلى وسباه (١٢) وعقب فى فكرىأى : استحوذ على عقلى ، وبهرنى أى راع عقلى وسباه (١٤) أى عقود در قصرتها على (١٥) ومنحتنيها أى أعطيتنيها .

إلا ما اقتنيته منه (!) ، ولا تعد الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتّع بتأمله عيناً لا تقر إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ، وأعطيه نظرًا لا يمله ، وطرفاً لا يطرف دونه (٢) ، وأجعله مثالا أرتسمه وأحتذيه (٣) ، وأمتع خلق برونقه ، وأغذى نفسى ببهجته ، وأمزج قريحتى برقته ، وأشرح صدرى بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزًا ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السّحر الحلال .

ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكرى في سفرته إلى الآستانة العلية:

كتابي إلى السيد الأجل، وأنا أحمد الله إليه، وأدعوه أن يديم النعمة والسلامة عليه. وبعد: فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام، إلى قبّة السلام، ودار خلافة الإسلام، وفارقت مصر، وساكنها، وأرباضها(٤)، ومواطنها، ركبت سفينة عَدْوَليَّة (٥) إلى الثغور الفرنجية؛ فجرت في خضم (٦) عجاج، ملتطم الأمواج، له دَوِيٌ من جرجرة (٧) الآذي (٨) أخضر الجلد، كأنه إفرند (٩) تصخب (١٠) فيه النينان (١١)، وتجرى في جوفه الدعاميص (١٢) والحيتان، إذا مازجه الأصيل (١٣) بالعشي خلته كُسِّرت (٤) عليه الْحُلى، أومُزج بالرحيق (١٠) القُطْرُبُلِي (١٦)، وإنلاحت به نجوم الساء، خلته صفائح من فضة بيضاء سمرت عسامير صغار نُضار (٧٠). وأخذت السفينة تشقُّ عُبَابه (٨١)، وتفلق حبَابه (١٩)، مهي تارة في طريق مُعبد (٣٠)،

⁽۱) اكتسبه ، (۲) الطرف العين ، يطرف : يطبق جفنا على الآخر ، (٣) ارسمه في فكرى وأقتدى به ، (٤) مساكنها ، (٥) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين أو نسبة الى صانعها ، والمقصود أنها أضخم سفينة (٢) البحر (٧) الصوت (٨) الموج (٩) جوهر السيف (١٠) تختلط أصواتها (١١) جمع نون وهو الحوت (١١) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى في الماء أذا قل (١٣) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١٤) رددت ووضعت (١٥) الخمر (١٦) بضم القاف وسكون الطاء وضم الراءوتشديد اللام الخمر المنسوب الى قطربل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر الجيدة (١٧) الذهب (١٨) الموج (١٩) بفتح الحاء ما يعلو (٢٠) بضم الراء الريح اللينة (٢١) بفتح الزاءين الريح الشديدة ما يعلو (٢٠) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الأشجار والبيوت (٢٣) مذلل ومسهل

ورميث (۱) مُسرَّد (۲) ، وطوراً فوق حَزْن (۳) وقرْدَد (٤) ، أو على صرح (٥) مُمَرَّد (٢) ، وكان معنا في الفُلك ، رهط. من العرب والترك ، فكنا نتوارد معهم في جوائب (٧) الأَخبار ، وطُرف (٨) الأَحاديث والأَسهار (٩) ، ما يُزْرى (١٠) بالمنهل العَذْب ، واللؤلؤ الرطب ، إلى أن يميلَ ميزان النهار ، وتغرُق ذُكاء (١١) في البحار ، ويُمسى الكون من السواد في لَبُوس حديد (١٢) أو لِباس حداد ، وتبرُق نجومُ الساء في أكناف الظلماء ، كأنها سِكاك (١٣) دِلاص (١٤) ، أو فلق رَصاص ، أوعيون جراد ، أو جمرٌ في خلال رماد ، أو دُرٌ في بحر أو ثُقْبُ في قُبَّة اللَّيْجُور (١٠) ، يلوحُ منها النور ، ويبدو الهلال كأنه خنجرٌ من ضياء ، يَشُقُّ طيالس الظلماء ، فيل وهو ناب ، فذأ خذ (٧١) ، أو سِنان (٨١) لواه الضراب ، أو الليل فيل وهو ناب ، فذأخذ مجلسًا نسمه (١٩) الكافور ، وأرضُه عنبر مذرُور (٢٠) ويُمن فيه وشه ، ويُسط منقوشة :

بُسط. أَجادَ الرسمَ صانِعُها وزها عليه النقشُ والشكْلُ فيكاد يُقطَفُ من أزهارها ويكاد يسقط فوقها النحل وحولهُ شموع تزهو ، وأضواءُ تبهر(٢٠) ، وقد دارت عليه سُقاةً (٢٦) ،

⁽۱) الارض السهلة . (۲) منتظم لا صحوبة فيه . (۳) الارض الصعبة . (۶) الارض المرتفعة الغليظة . (٥) القصر . (٦) مرد البناء : ملسه حتى صار ناعما . (٧) الأخبار الطارئة (٨) المحاسن . (٩) الأحاديث وأصله لأحاديث الليل (١٠) يعيب ويحقر (١١) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم الشمس (١٢) بفتح اللام الدرع (١١) بضم سك المسمار (١٤) بكسر الدال الذي يبرق ويلمع (١٥) الظلم (١٦) بكسر الدال وزن درهم أو بضمهامع ضم اللام : حلى للنساء يابسنه في أيديهن (١٧) المرأة الناعمة لينة الأعطاف (١٨) حديدة الرمصح أيديهن (١٥) المرأة الناعمة لينة الأعطاف (١٨) حديدة الرمصح الوسادة التي يتكأ أو ينام عليها (٣١) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها أيضا (٢٢) جمع نطرح على الهودج ذو لون من الألوان . (٢٥) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضيء وبابهما منع .

كجُمَّاع(۱) الشريا(۲) ، بأقداح الْحُمَيَّا(۳) ، وأكواب(٤) الفانيذ(٥) ، المروق ، وقوارير(٦) الجلاب(٧) المُصَفِّق(٨) ، ثم تجيء قينة (٩) في يدها ذاى ، كأنه صور إسرافيل ، يُحيى الرفات(١٠) ، ويَنْشُر (١١) الأموات ، حتى إذا بدا الضِّياء ، كابتسام الشِّفة اللمياء ، دخلنا المضجَع لهجع ، وهَلُم جرًّا (١٢) ، في أيامنا الأخرى . وكتبت السيدة وردة اليازجية إلى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ ه: سيدتى ومولاتى – أعرض أننى بينها أنا ألهج بذكر ألطافكم السنية ، وأننسَّم شذا أنفاسكم العبقرية ، وأترقب لقاء أثر من لدنكم يتعلل به الخاطر ، ويكتحل بإثمِدِ مداده الناظر .

وصَلَتْنَى مكاتبتكم ، فَجَلَتْ عن العين أقذاءها ، وردت إلى النفس صفاءها ، فتناولتها بالقلب لابالبنان وتصفحت ما فى طيها من السحر البيان ، فقلت : هذا الكتاب الذى هام الفؤاد به يا ليتنى قَلَمٌ فى كف كاتبه ولعمرى إنه كتاب حَوَى بدائع المنثور والمنظوم ، وتحلَّى من دررالفصاحة فأخجلت لديه درارى النجوم ، وقد تطفلت على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقًا بتقصيرى ، وضمَّنتُه من مدح سجاياكم الغرَّاء ، ما يشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى ، لازلتم للفضل معدناً وذخرًا ، وللأدب كنزًا وفخرًا .

وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ ه: أستهلُّ براعة سلام حَمَل الشوق رسالتَه ، وتقلدَ الشفق ما نشقَتْ ناشقة عَرْف الوداد كفالته ، ولو رضيت المجال ، في صدق المقال ، لنطق بخالص الوفاء

⁽۱) بالضم ما جمع وانضم بعضه الى بعض ومراده الغلمان (۲) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض • (۳) الخمر والمراد الشراب (٤) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لا عروة له أو لا خرطوم (٥) نوع من الحلوى فارسى معرب بانيذ • (٦) جمع قارورة: ما يوضع فيهسا الشراب من الزجاج (٧) ماء الورد فارسى معرب (٨) المروق الصافى (٩) المغنية الزجاج (١١) معناه اتصال الأمر واستدامته

مداد حروفه ، وأَقام بـأَداءِ التحية العاطرة قبل فض ختام مظروفه ، ولِعَمرى قد تُوُّجَتُه أَزْهار الثناء بلآلي غَرَّاء، وكللته زواهر الوفاء، من خالص الوداد إلى من لاتزال تَسْتَرُوحِ الأَسهاع بنسيم أنبائها صباح مساء، وتتشوق الأرواح إلى استطلاع بدر إنسانها الكامل أطرافا وآناء ، ومما زادني شوقاً إلى شوق ، حتى لقد شَبَّ فيه طفل الشفق عن الطوق ، اجتلائي حديقة الورد القدسية وذافجة الأدب المسكيَّة ؛ فيالها من حديقة رمتها أحداق الأَذهان ، فاقتبست نَوَرًا ونُورًا وانتشقَتْها مسامٌ الآذان ، فتملت طرباً وسرورًا ، ومنذ سُرَّحتُ في أَرجاءِ تلك اليانعة إنسان العيون ، وشرحت بـأَفكار البصيرة أسرار ذلك الدُّرّ المصون ، لم أَزل بين طَرَب أَتَوَشح بوشاحه ، وأَتعجُّبُ من حسن اختتامه وافتتاحه ، وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيوناً ملكت مني الحواس وهَصَرَتْ من غصون أَلفافها كل ممشوق أَهيف مَيَّاس، وأَتأَدب في حضرة وردها خوفاً من شوكة سلطانها ، وأن حياتي بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن نفيس جُمَانه ، وإذا بالياسميين الغضِّ قد أَلتي نفسه على الثرى وزادى بلسان الإِفصاح: هل لهذه النضرة نظيرة ياترك ؟! فأشار المنثور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ، ونطق الزنبق بلسان البيان : لاتكتموا الشهادة ، فعند ذلك صَفَّقَ الطير بـأَكُفِّ الأجنجة وبُشِّر ، وجرى الماءُ لإِذاعة نباٍ السرور فعثر بذيل النسيم وتكسَّرَ ، وتمايكَتْ أغصانها المُورِقة لسماع مدا الحديث ، وأُخذت نسماتها العاطرة في السير الحثيث، إذاعة لتلك البشائر في العشائر ، ونشرًا لهذه الفضائل التي سارت مسير المَثل السائر، فقلت بلسان الصادق الأَمين، بعد تحقيق هذا النبا اليقين: هكذا تكون الحدائق وإلَّا وكذلك لتكتب الفضائل وتملى: وحَدَّثتني ياسعد عنهم فزدتني غراماً فزدني من حديثك ياسعد فتحمُّل عني أَمها الصديق تحيةً إلى ربَّة هاتيك الحديقة ، واشرح لديها شَغَني بفضلها الباهر على الحقيقة ، واعتذر عن كتابي هذا فقد جاءً يمشى

على استحياء ، وكلما حركه الشَّوْقُ يُبْطئه الحياء . وكيف وقد حلَّ فى منبع الفضائل والمقام لم يدع مقالا لقائل ، فكأنى أهدى التمر إلى هجر ، وأمنَحُ البحر الْخِضَمُّ بالمطر ؛ أدام الله معالى تلك الحضرة ، وزادها فى كل بهجة ونُضْرَة ، ما لاح جبينُ الهلال ، وبلغ غاية الكمال .

وكتب المرحوم السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ ه :

أُستاذى وقُدْوَى ، وملاذى وعُمْدَى ... رَبَّيْتَ فَأَحسنتَ ، وغَدَّيتَ فَأَسَمنْتَ ، مُؤَدِّياً نيئًا ، ولِنْتَ فَسَوَّدْتَ ، وَجُدْتَ فَعَوَّدْتَ ، مُهَذِّبًا غيثًا ، وعَلَّمت فَرَض سَهمك ، وقد نلتَ ما أُمَّلت ، فيمن عليه عَوَّلْتَ بحسن فَهمك :

غلامُك الشهيرُ بالنديم من صار في البَيَان كالنسيم وكيف لايكون لسانى قوس البديع ، وكلامى السهم السريع ، وأنت باريه وراميه! أم كيفلايكون مقامى الحِصْن المنيع ، وقَدْرى العزيز الرفيع ، وأنت مُعْليه وبانيه! فوجْهُ جمالِ العلم أنت غُرَّته ، وإنسانُ عين العلم أنت قُرَّته ، وحاليه وجاليه! وجبينُ العقل أنت طُرَّتُه ، وكتاب الفضل أنت صُورته ، وطاليه وتاليه :

على بابك العالى من الفضل راية فعلمك جُنَّة وحلمك جُنَّة أُ وَحلمك جُنَّة أُ أَرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه إذا رُمْت إنشاء فعن صدق قريحة وكتب أيضاً في التَّودُّد:

على رأس أرباب المعارف تخفق وكلك خيرات وغَيْثُكَ مُغْدِق من الفضل عُرْياناً وغصنك مورق تهادى بكارٍ ، وغيرك يسرق

بينها أنا راكب لجة بحر الفكر ، مُجِدُّ في طلب فريدةٍ بكْر ، تارة أغوص ومرة أسبحُ ، وآونة أقفُ وطورًا أصفح ، لايقرُّ لى قرار ولا يمكنني الفرار ولا يقصر عن طَرْح شباكي ذراع ، ولايُطوَى لسفينتي شراع ، كلما أدركني الملل

هاجت عَلَىّ رياحُ الأَمَل حتى دخلتُ في بحر عجّاج مُتلاطم الأَمواج، فاقتحمت هذا المركب الصعب، وتهتُ بين الجزائر والشّعب، فتعلقت أَفكارى بالصّوارى والحبال، وبتُ بليلة نجومها كواحل، لايُرى فيها برّ ولاساحل، وقلتُ : اشتداد الأَمر يستدعى ضده، ولا يأتى الفرج إلا بعد الشّدَّة ؛ وعينيك ما سل سيفها عَلَى مَفْرق مساها، حتى سمعتُ باسم الله مجريها ومُرْساها، فكان من تمام حظى وسُعُودى أَن تركت لُجّة اليم واستوت على الجودى، وانصرف خوفي وارتباكى، وبادرت بطرح شِباكي، فإذا هي قد مُلِئت بأصداف الجوهر وعلقت بها شجرة العنبر، فتفتح الصدف عن درّ يستخدم الأقمار، وفاح العنبر مما أَذهب شَذَى الأَزهار.

وصرت ما بينهما كسرى الزمان له شمس تُذَادِمُهُ في مجلس عطر اونلتُ أَقصى أَمان كنت آملُها الأُنس في خَلَدِي والنُّور في نظري

ولما جلوت الظَّرْف ، بما فيها من الظُّرْف ، ووقعت عندى الموقع الحسن ، أردت أن أسومها بثمن ، فإذا هي دُرَّة يتيمة ، لايقدر لها أحدُّ عَلَى قيمة ، فاستهديتها من ربها ، لشغني بحبها ، وجعلت القلب لها كنزًا ، والفؤاد لها حِرْزًا ألا وهي محبة العزيز الحافظ. ، أبدع مرثى وأبلغ لافظ.

وكتب إبراهيم بك المويلحي يعزى محمود باشا سامى البارودى: أنت فوق أن تُعَزَّى عن الأَحباب وفوق الذي يعزِّيك عقلا وبأَلفاظك اهتدى فإذا عَزَّا ك قال الذي قلت قبلا وقتلت الزمان علمًا فما يغر ب قَوْلا ولا يُجَدِّد فعلا

نعم ؛ إنك يا «محمود » الخصال و «ساى » الفعال . لأَنت الشهم المُجَرِّب لصُرُوف الحدَثان ، والعالم الخبير بأَحوال الزمان . قد أَعْدَدْتَ لنوازل المقدُور نُرُلاً من الصبر المأَجور ، وصرفت ضيف الشُّجون والهموم ، إِني فرى الفضائل

والعلوم ، وأُخِذت بِسُنَّة السلف الصالح في مقابلة الخطوب الفوادح ، وأنت لاشك عندنا آخذ فيا دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذلك الفيلسوف الحكيم بينا هو جالس يوماً في الدرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أحبره بأن ابنه الوحيد مات وهو رطب الشباب غض العمر ، فلم يتولَّه الفزع، ولم يظهر عليه الاضطراب، ولم يَبْدُ على وجهه الكدر ، وما زاد على أن استرجَعَ ، واستمر في قراءة درسه ، فلما انتهى بادره أحد الحاضرين من أصحابه ممن حَيَّرتهم الدهشة في أمره يسأله: كيف لم يسلبه الحزن ثوب الثبات برهةً عند مفاجأته بالخبر ؟ فقال له «لو فاجأتني النازلة على غِرَّة منى لجزعتُ وحزنت ولكنى مازلت أُقَدِّرُ لابنى منذيوم ولادته ، حُلول أَجله في كل يوم من أَيام حياته ، ولمثل هذا اليوم كنت أُعدّه من زمان طويل ، وكان كلما مضي عام من أعوامه اعتبرتُهُ خُلسة اختلستها من الدهر ، حتى مضى على هذه العارية عِشرون عاماً ، فشكرى لله اليوم على أن أبقاها فى يدى طول هذه المدة ، يقوم مقام الحزن عند غيرى لدى استردادها » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أَقبضْتُم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : أَقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول: ابنوا لعبدى بيتًا في الجنة ، وسموه بيت الحمد » وأنت يامحمود ، صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى: (ولنبلونكم بشيءٍ من الخوفوالجوع ونقصٍ من الأموالِ والأنفس والشمرات ، وبَشِّرِ الصابرين ، الذين إذا أَصَابَتْهُمْ مُصيبة قالوا إِنَّا للهِ وإِنا إِليه راجعون ، أُولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة ، وأُولئك هم المُهْتَدُونَ) أُول من يمتثل لحكم القضاءِ، ويسترجع عند نزول البلاءِ، ويعمل بأدب الدين في التجلد والتصبر، ويأخذ بسيرة الحكماء في التدبر والتصبر:

ومن كان ذا نفس كنفسك حُرَّة ففيه لها مُغْن ، وفيها له مُسل

وكتب سهل (١) بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ فى البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأحنف بنقيس :معشر بنى تميم لانسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفيرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جَمّة ، فتأمل عياباً ، فإنه يعيب الناس بفضل مافيه من العيب . ومن أغيب العيب أن تعيب ماليس بعيب ، وقبيح أن تنهى مُرْشِدًا ، وأن تُغْرَى بمُشْفق ، وما أردنا عا قلنا إلا هدايتكم وتقويم فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم ، وما أخطأنا سبيل حُسن النية فيا بيننا وبينكم ، وقد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا عا اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به فى الآفاق دونكم ، ثم نقول فى ذلك ماقال العبد الصالح لقومه «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيتى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب » فما كان أحقنا منكم فى حُرمتنا بكم ، أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجبب إحقكم ، فلا العُدْر المبسوط بَلغتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم ، ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر ، لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شعلا .

عبتموني أَبقولى لخادمى: أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه ، وأزيدُ في ريعه (٢) ، وقد قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: «املكوا(٣) العجين ، فإنه أحد الريعين ».

وعبتُموني حين ختمتُ على مافيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقيَّة ، ومن

⁽۱) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمسة فى دولتى الرشيد والمأمون وقد وضعع كتابا حاكى به كتاب «كليلة ودمنة» وسماه « ثعلة وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) فى عهد المأمون .

⁽٢) الربع النماء والزيادة . (٣) املاك العجين: انعام عجينة .

فارغ . وقال : «طينه من طيَّه » $^{(n)}$ فأمسكتم عمن ختم على لاشيء ، وعبتُم من ختم على شيء .

وعبتُمونى أَن قلت للغلام: « إِذَا زدتَ في المرق فزدْ في الإِنضاج ، ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق » .

وعبتُمونى بخَصْف (٤) النعل ، وبتصدير (٥) القميص ، وحين زعمت أن المَخْصُوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد ، وإن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التَّضْييع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نعله ويُرَقِّع ثوبه ، ويقول : « لو أُهدى إلى خُراع لقبلت ، ولو دعيت إلى كُراع لأجبت » .

وقالت الحكماء : لاجديد لمن لم يكبس الْخلِق ، وبعث زياد رجلاً يرتاد له مُحكد الله والشترط عليه أن يكون عاقلاً ، فأتاه به موافقاً ، فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا . ولكنّى رأيته في يوم قائظ ، يكبس خلقاً ويكبس الناس جديداً . فَتَفَرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الْخَلِق في موضعه ، مثل الجديد في موضعه ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، وسها به موضعاً ، كما جعل لكل زمان رجالاً ، ولكل مقام مقالاً . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعضِ الحكماء : أريد أن أهدى إليك دجاجة ، فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضاً .

⁽۱) اللكعاء: الحمقاء (۲) المزود: وعاء الزاد والسويق: شراب يتخف من الحنطة أو الشعير (۳) طينه من طان الشيء أي ختمه بالطين «طيه» من الطوى وهو الجوع . (٤) خصف النعل: خرزها (٥) تصمدير القميص: أن يجعل لصدره بطانة .

وعِبْتمونى حين قلت: من لم يعرف مواضع السَّرف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صِرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التَّوْفير عليها من وضِيعة (١) الماء ، وجَدْت فى الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أنْ لوْ كنت سَلكت الاقتصاد فى أوائله لَخَرج آخره على كِفاية أوّله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشَنَّعتم على ، وقد قال الحسن ، وذكر السرف : «أما إنه ليكونُ فى الماء ، والكلأ » فلم يرض بذكر الماء حتى أردفَه الكلاً .

وعبتمونى أن قلت: لا يَعترن أحدكم بطول عمره ، وتَقُويس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته . وأن يرى نحوه أكثر ذريّته! فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السّرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون مُعَمّراً وهو لايدرى ، وممدودا له فى السن وهو لايشعر . ولعله أن يُرزق الولد على اليأس ، ويَحْدُث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يُدركه عقل ، فيسترده ممن لايرده ، ويظهر الشكوى إلى من لايرحمه ، أصْعب ما كان عليه الطّرب ، وأقبَح ما كان به أن يُطلب ؛ فعبتُمونى بذلك . وقد قال الأول : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا» .

وعبتمونى بأن قلت : بأن السّرف والتبذير إلى مال المواريث ، وأموال الملوك ، وإلى مالا يُعَرّض فيه بذهاب الدين ، واهتضام العِرْض ، ونصب البكن واهتضام القلب أسرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنى المحتلب أقرب ، ومن لم يَحْسِب نفقته لم يحْسِب دخله ، ومن لم يحْسِب الدخل ، فقد

⁽١) الوضيعة هنا: النقص •

أَضاع الأَصل ومن لم يعرف للغني قدره ، فقد أُوذِن بالفقر ، وطاب نفساً بالذلّ . وعبْتُموني بأن قلت : إِنَّ كَسْبِ الحلال يضمَن الإنفاق في الحلال ، وإِن الخَبيثُ يَنزع الخبيث، وإن الطيّب يدعو إلى الطيّب، وإن الإِنفاق في الهوى حجاب دون الهُدي ، فعِبتم عَلَى هذا القول ، وقدقال معاوية : لم أَرَ تبذيرًا قط. إلا وإلى جَنبِهِ تَضييع ، وقد قال الحسن : إن أردتم أن تَعرفوا من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فياذا يُنْفِقه ، فإن الخبيثُ إنما يُنفَق في السرف ، وقلت لكم بالشَّفقة عليكم ، وحُسن النظر منَّى لكم ، وأُنتَم في دار الآفات ، والْحُوائج غير مأْمُونات فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يَرْجع إلا إلى نفسه ، فاحذروا النِّقم باختلاف الأمكنة فإن البنية لاتجرى في الجميع إلا بموت الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأَّمة والشَّاة والبعير: فرَّقوا بين المنايا . وقد قال ابن سِيرين لبعض البَحْريين : كيف تَصْنَعون بِأُمُوالِكُم ؟ أ قالوا: نُفُرقها في السفن، فإن عَطِب بَعض سلم بَعض، ولولا أن السلامة أكثر ما حَمَلنا أُموالنا في البحر، قال ابن سيرين « تحسبها خرْقاءَ وهي صَناع »(١) وعبتمونى بأن قلت لكم عند إشفَاق عليكم : إن للغنى لسُكْرًا ، وللمال لِنَزُوْةُ (٢) ، فمن لم يحفظ الغني من سكره ، فقد أَضَاهه ، ومن لم يرْبط. المالَ بُخوف الفقر فقد أهمَله .

فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جَبلة : ليس أَحد أَقصر عقلاً من غنيٌّ أَمِنَ الفقر ، وسُكر الغني أكثر من سُكر الخمْر ؛ وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برْمَك :

وَهُوبٌ تِلادَ المَالُ فيما يَنُوبُه مَنُوعٌ إِذَا مَا مُنْعُهُ كَانَ أَحْزِمَا وعبتموني حين زعمتم أنى أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم ،

 ⁽١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الففلة وهو فطن يقظ .
 (٢) النزوة الثورة أو الوثبة ٠

وبه تقوم النفس، قبل أن تعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع، فقلم: كيف هذا؟ وقد قيل لرئيس الحكماء! الأغنياء أفضَل أم العلماء؟ قال: العلماء . قيل له : فما بال العلماء يَأْتُون أبواب الأغنياء أكثر ممايأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لِمَعْرِفَة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت: حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يَسْتَوِي شيء حاجة العامة اليه، وشيء يَغني فيه بعضهم عن بعض ؟؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ العَنَم ، والفقراء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ العَنَم ، والفقراء باتخاذ الدّجاج . وقال أبو بكر رضي الله عنه : إنى لأبغض أهل بيت إين فقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدُّولي يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتمونى حين قلت: فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت إذا احْتِيج إليها اسْتُعْمِلت، وإن اسْتُغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُصَيْنِ بن المُنْذِر: وَدِدْت أَنّ لى مثل أُحُدٍ ذهبًا لا أنتفع منه بشيء . قيل له : فما كنت تصنع به؟ قال: لكثرة من كان يخدمنى عليه، لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغننى ؛ فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عَدُول ، لكان الحظّ فيه جسيا والنّفع فيه عظيا . ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب اللهو ، ولستم عَلَى تردّون ولا رأي تفنّدون ، فقد موا النظر قبل العَزْم ،

الكلام على الرسالات العلمية

وأَدْرِكُوا مالكم قبل أَن تُدْرِكُوا مَآلِكُم ، والسلام عليكم .

الرِّسالات العلمية ، هي : مقالاتٌ في المطالب العلمية أو المسائل الأَدبية ، وإنما سُمِّيت بالرسالات ، لأَن أَصحابها يرسلونها إلى من اقترحها عليهم ، ويسلك فيها

صاحبها مناهج الاسترسال، والمخاطبات البليغة . وقد أَفردنا لها كتابنا «أُسلوب الحكيم، في منهج الإِنشاءِ القويم» فارجع إليه إِن شئت .

الفنالثاني فيالمناظرات

للمناظرة ثلاثة شروط: (الأول): أن يُجمع بين خصمين متضادين، أو متباينين في صفاتهما ، بحيث تظهر خواصها كالربيع، والخريف، والصيف، والشتاء. (الثاني): أن يأتي كلٌّ من الخصمين في نصرته لنفسه، وتفنيد مزاعم قِرْنه، بأدلة من شأنها أن ترْفَع قدره، وتحُطَّ من مقام الخصم، بحيث يميل بالسَّامع عنه إليه. (الثالث): أن تُصَاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً، وتُرتب على سِياق مُحكم ليزيد بذلك نشاط السَّامع، وتنمى فيه الرّغبة في حلّ المشكل.

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكتَّاب فنقول:

مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنو شروان في شأن العرب

رُوى ابن القُطامى عن الكلّبى قال: قدم النعمان بن المنذر على كيسرى ، وعنده وقُود الرُّوم ، والهند ، والصين ؛ فذكروا من ملوكهم وبلادهم ؛ فافتخر النعمان بالعَرَب وفضَّلهم على جميع الأُمم ، لايَسْتثنى فارس ولاغيرها ، فقال كيسرى ، وأَخَذَتُهُ عزَّة المُلك : يانعمان ، لقد فكَّرْتُ في أَمر العرب وغيرهم من الأُمم ، ونظرت في حالة من يُقدِم على من وفُود الأُمم . فوجدت للرُّوم حَظًا في الجَماع أَلفتها ، وعظم سُلطانها ، وكثرة مدائنها ووَثِيق بُنيانها ، وأَن لها دِينًا يُبيِّن حلالها وحرامها ، ويرد سفيهها ويقيم جاهلها . ورأيت الهندنحوا منذلك يُبيِّن حلالها وحرامها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها . وكذلك الصِّين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وَفُروسيتها ، وهِمَّتها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وأَن لهاملكاً

يَجْمعُها _ والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال فى المعاش ، وقلة الريف والثمار والمُحصُونِ ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لَهم ملوك تضم قواصِيهم ، وتُدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ، ولا قوة ، ومع أن مما يَدُل على مهانتها وذلها ، صِغر هِمتها ، محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لُحوم الإبل التى يَعافها كثير من السباع لِثِقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضعيفاً عَدها مكرمة ، وإن أطعم أكلة عدها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك من حدوها ، ما خلا هذه التنونية التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ، ومنعها من عدوها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن مع ذلك آثاراً ولبوساً ، وقرى وحصُوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس (يعني اليمن) .

ثم لا أراكم تَستكينون على ما بكم من المذَلة ، والقلَّة ، والفاقة ، والبُؤْس ، حتى تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوْق مراتب الناس .

قال النعمان: أصلح الله الملك . حَقُّ لأُمة الملك مِنها أَن يَسمُو فضلها ، ويعظُم خطبها ، وتعلو درجتها . إلا أَنَّ عندى جَواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردً عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أَمّنني من غضبه نطقت به . قال كسرى : قل فأنت آمن . قال النعمان : أما أُمتك أيها الملك : فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها ، وبحبوحة عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأمّا الأُمم التي ذكرت فأية أُمّة تقرنها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحُسن وُجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها وأنفتها ووفائها .

فأَمَّا عزُّها ومنعتها ، فإِنها لم تزَل مُجَاورَة لآبائك الذين دوَّخوا البلاد دالله عزُّها ومنعتها ، فإِنها لم

ووطَّدُوا المُلك ، وقادوا الجنْد ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم يَنلْهم نائل ، حُصونُهم ظُهور خيلهم ومِهَادُهم الأَرض ، وسقوفُهم الساء ، وجُنَّتهم السَّيوف ، وعُدّتهم الصّبر _ إذْ غَيْرها من الأَمم ، إنما عزُّها الحجارة والطين ، وجزائر البُحُور .

وأَما حُسن وُجُوهها وأَلوانها: فقد يُعْرَف فَضْلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنْحَرفين ، والصِّين المُنْحَفة ، والترْك المَشَوَّهة ، والرُّوم المُقَشَّرة . لَهَا وأَما أَنْسَابُهَا وأحسابُها: فليست أُمّة من الأُمْمُ إلا وقد جَهِلت آباءها

واما انسابها واحسابها: فليست امة من الامم إلا وقد جهلت اباءها وأصولها وكثيرًا من أولها ، حتى إن أحدَهم لَيُسْئل عَمَّن وراءَ أبيه دنيا فلا ينبُهُ ولا يعرفه ، وليس أحد من العَرَب إلا يُسَمِّى آباءه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحَفِظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يُدعى إلى غير أبيه .

وأَما سخاوُها : فإِن أَدْنَاهم رَجلاً الذي تكون عنده البَكَرَة والنَّاب، عليها بَلاغه في حموله ، وشَعبه وريه ، فيطرِقه الطارِق الذي يكتني بالفلذة ، ويجتزِي بالشربة فَيعقرها له ، ويَرْضي أَن يخرج عن دنياه كلّها . فيا يكسبه حُسْن الأحدوثة ، وطَيِّب الذِّكر .

أما حِكْمة ألسنتهم: فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ، ورَوْنق كلامهم وحسنه ووزْنه وقوافيه ، مع معرفتهم بالأشياء وضَرْبهم للأمثال وإبلاغهم فى الصَّفات ، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونِسَاؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ، ومَعَادِنَهُم الذَّهب والفضة ، وحجارة جبالهم الْجَزْع ومطاياهم التي لا يُبلغ على مِثْلِها سَفَرٌ ، ولا يُقطع عمثلها بلدَّ قَفْرٌ .

وأما دِينها وشَرِيعتها: فإنهم مُتَمسكون به حتى يبلغ أحدُهم من نسكه بدينه أن لهم أَشْهُرًا حرُماً محرَّماً ، وبَيْتاً محْجوجاً ، ينسكُونَ فيه مناسكَهم ، ويذْبحون فيه ذَبائحهم ، فيكثى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره وإذراك رَغمه منه ، فيكْجزه كرّمه وبمنعه دينه عن تَنَاوله بأذى .

وأمّا وَفاؤها: فإنّ أَحدَهم يلحظ اللحظة ، ويُومِئ الإِيماءة ، فهى وَلْتُ (أَى عهدٌ) وعُقْدَةٌ لا يحلها إلا خُرُوج نفسه ، وإنّ أحدهم يرفع عُودًا من الأَرض فيكون رَهناً بدينه ، فلا يَغلق رهْنُه ، ولا تخفر ذِمّته . وإنّ أحدهم لينلُغه أنّ رجلاً استَجَارَ به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره فيُصاب فلا يرضى حتى يُفنِي تلك القبيلة التي أصابته ، أوْ تَفنَى قبيلته لما أخفر من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفُسهم دُون نفسه ، وأموالهم دُون ماله .

وأَمَّا قولك أَيها الملك يَئِدُون أَوْلادهم فإِنما يفْعله من يفعله منهم بالإِناث أَنفةً منَ العار ، وغَيرَة من الأَزواج .

وأما قولُك إِن أفضل طعامهم لُحوم الإِبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دُونها إلا احتقارًا له ، فعَمدُوا إِلى أَجلِها وأفضلها ، فكانت مراكيهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شُحُوماً ، وأطيبها لُحوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مُضغة ، وأنه لاشيء من اللحمان يُعالج به لُحمها إلا استبان فَضلها عليه . أ

وأما تحارُبُهُمْ وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرَجل يسوسهم وَيَجْمَعُهُم فَإِنما يفعل ذلك من يفعله من الأُمم إذا أنِست من نفسها ضعفاً ، وتخوَّفت نُهوض عدُوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بَيت وَاحِلاٍ يُعرَف فضلُهم على سائر غيرهم ، فَيلقُون إليهم أُمورهم ، وَيَنقادُون لهم بأُزِمَّتهم .

وأما العرب فإنَّ ذلك كثِيرٌ فيهم ، حتى لقد حاوَلوا أَن يكُونوا مُلوكا أَجمعين مع أَنفتهم من أَداءِ الْخَرَاجِ والوطث (أَى الضرَّبِ الشَّديد بالرِّجل على الأَرض) بالعَسف.

وأما اليمن التي وَصفها الملك ، فانما أتى جَدّ الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الجيش له على مُلك مُتَّسق ، وأمر مُجْنمع ، فأتاه مسلوباً طريدًا مُستَصرِخاً ، ولولا

ما وُتِر به مَنْ يليه من العرَبِ لمال إلى مجال ، وَلَوَجَدَ مَنْ يُجيد الطِّعان ، ويَغْضب للأَّحرَار ، من غَلبة العبيد الأَشرار .

قال: فعجب كسرَى لما أَجابه النعمان به ، وقال: إنك لأَهلُ لمَوْضعك من الرِّياسة في أَهل إقليمك ، ثم كسّاه من كسوته وسرَّحه إلى موْضعه من الْحِيرة .

فلمًّا قدِم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تَنقُص العرب وتهجين أمرِهم ، بعث إلى أكثم بن صَينى ، وحاجب بن زُرارة التميميين وإلى الحارث بن ظالم ، وقيس بن مسعُود البَكرييْنِ ، وإلى خالد بن جعفر ، وعَلْقمة بن علاقة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عَمرو بن الشَّريد السَّلمى وعمرو بن معْديكرب الزُّبيدى ، والحارث بن ظالم المُرِّى – فلما قدِمُوا عليه في الْخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الأَعاجم ، وقُرْب جوار العَرب منها ، وقد سمعتُ من كسرى مقالات ، تَخوَّفت أن يكُون لها غوْرٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأَمر أراد أنْ يتخذ به العَرب خولاً كبعض طماطمتِه في تأديتهم الخراج إليه ، كما يفعل بماوك الأَمم الذينَ حوْله – فاقتصَّ عليهم مقالات كسرى ، وما رَدّ به عليه . فقالوا : أيَّها الملك وفقك الله ، وما أحسن ما رَدَدْت ، وأَبلغ ما حَججْتَه ، فمرْنا بأَمرك ، وادْعُنا إلى ما شئت .

قال: إنما أنا رَجلُ منكم، وإنما ملكتُ وعزَرْتُ بمكانكم ومَا يتخوّف من ناحيتكم، وليس شيء أحب إلى مما سدَّد الله أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزركم، والرَّأَى أن تسيرُوا بجماعتكم أيَّهَا الرَّهط.، وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نَطق كلُّ رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظنَّ ، أو حدَّثتهُ نفسه ، وكل ينطق رَجل منكم بما يُغضبُه ، فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مُترَف مُعجبُ بنفسه ، ولا تَنْخذلوا له انخذال الخاضع الذَّليل، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به دمائة حُلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن بين ذلك ، تظهر به دمائة حُلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن بين ذلك ، تظهر به دمائة حُلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن

أول من يَبْدأ منكم بالكلام (أكثم بن صينى) ثم تَتَابعوا على الأَمر من منازلكم التى وضعتكم بها فإنما دعانى إلى التقدمة إليكم علمى بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكونَنَّ ذلك منكم فيجد فى آدابكم مَطْعناً ، فإنه ملك مُترَف ، وقادر مُسلَّط. ، ثم دعا لهم بما فى خزانته من طرائف حُلَل الملوك وأعطى كل رجل منهم حُلَّة ، وعمّمه عمامة ، وختمه بياقوته ، وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مَهْرِية ، وفَرَسٍ نجيبة ٍ ، وكتب معهم كتاباً :

أما بعد: فإن الملك ألى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبته بما قد فهم ثما أحببت أن يكون منه على علم ، وكا يتكجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها ، وحمت ما يليها بفضل قُوَّتها ، تبلغها من الأمور التي يَتعَزَّزُ بها ذَوُو الحزم والقوة والتَّدْبير والمكيدة . وقد أوفدت أيما الملك رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليُغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم .

وقد نَسَبتهم في أَسفل كتابي هذا إِلى عشائرهم .

فخرج القوم فى أُهْبَتهم ، حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان ، فقراً ه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ؛ فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته ، ووجوه أهل مملكته فحضرُوا وجلسُوا على كراسى عن يمينه وشهاله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام التُرْجمان ليُؤدِّى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

فقام أكثم بن صيفي فقال: إِن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمها نَفْعاً ، وخيرُ الأزمنة أخْصَبُها ، وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجاة ، والكذب مَهواة ، والشّر لجاجَة ، والحزم مَركب صعب

والعَجْز مركب وطىء - آفَةُ الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأُمور الصبر ، وحسن الظنِّ ورطة ، وسوء الظن عصمة ، وإصلاح فساد الرّعية خير من إصلاح فساد الراعى ، ومن فسدت بطانتُه كان كالغاصِّ بالماء .

شر البلاد لا أمير بها، وشر الملوك من خافه البرىء، المرء يعجز لا المحالة، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حَسنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل، حَسْبُك من شر سماعه، الصّمت حكم وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفر، ومن تراخى تألف. فتعجب كسرى من أكثم؛ ثم قال: ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك! لولا وضعك كلامك في غير موضعه، قال أكثم: الصّدق ينبئ عنك لا الوعيد، قال كيسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفي، قال أكثم: رُبَّ قول أنفذ من صول. قال كيسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفي، قال أكثم: رُبَّ قول أنفذ من صول. ثم قام حاجب بن زرارة التميمي وقال: ورى زَنْدُك، وعلت يدك ، وهيب سلطانك — إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، واستحصدت مِرَّتُها، ومُنعت مرتبها، وهي لك وامقة ما تألفتها، مسترسلة مالاينتها، سامعة إن سامحتها، وهي

نحنُ وفودُها إليك ، وألسنتها لديك ، ذِمَّتُنَا محفوظة ، وأحسابُنَا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، إن نثوب لك حامِدِين خيرًا ، فلك بذلك عموم محمدتنا وإن نذم لم نُخص بالذم دونها ؛ قال كِسرى : ياحاجب ، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها ، قال كِسرى : كنى ذلك ، ثم قام الحارث البكرى فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظّها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤُه كثر متحه (۱) ، ومن ذهب ماله قل منحه ، تناقل الأقاويل يُعرِّف اللب ، وهذا مقام سيُوجِف (۲) عما تنظق به الرَّكب ، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا

العلقم مرارة ، وهي الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزَّلال سَلاسَة .

⁽١) المنح : الاستقاء (٢) أوجفته : أي أجريته

جمة وجيوشنا فخمة ، إن استنجدتنا فغير رَبُض ، وإن استطرقتنا فغير جُهُض ، وإن طلبتنا فغير غُمُض . لاننشى لذعر ، ولانتنكر لدهر ، رماحنا طوال وأعمارنا قصار . قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك ، وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مِرَّة ؟ (١) قال كسرى : لو قصر عُمرك لم تستول على لسنانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل بنفسه على الكتيبة مُغرِّرًا بنفسه على الموت ؛ فهى منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قُدُماً ، وأحبسها وهى تصرّف بها (٢) حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مقادها رمحى ، وبررْقها سينى ، ورعدها زئيرى ، ولم أقصر عن خوض خضخاضها ، حتى أنغمس فى غمرات لُجَجِها وأكون فُلْكاً لفرسانى إلى بحبوحة كبشها ، فأستمطرها هادماً ، وأترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم .

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أَكَذَلَكُ هُو ؟ قالُوا : فعاله أَنطق من لسانه ، قال : مارأيت كاليوم وفداً أحشد ولا شهوداً أَوْفَد .

ثمقام عمروبن الشريد السلمى فقال: أيها الملك ، نعم بالك ، ودام فى السرور حالك ، إن عاقبة الكلام مُتكبرة ، وأشكال الأمور مُعتبرة ، وفى كثير ثقلة ، وفى قليل بُلغة ، وفى الملوك سورة العزّ ، وهذا منطق له ما بعده : شَرُف فيه من شَرُف ، وخمُل فيه من خمل ، لم نأت لضيْمك ، ولم نفد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك ، إن فى أموالنا مُنتفداً ، وعلى عزنا معتمداً ، وإن أورينا ناراً أثقبنا ، وإن أود دهر بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافحون وين يُحمد الصدر ، ويُستطاب الخبر . قال كسرى : ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ولا مدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحك بِذَمِّك . قال عمرو : كنى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر المناسلة والمدحد بناسلة المناسلة والمدحد بناسلة والمدحد بناسلة والمناسلة والمدحد بناسلة والمناسلة والمدحد بناسلة والمناسلة والم

⁽١) مرة: قوة

إفراطى مخبراً ولم يُلَم من غربت عما يعلم، ورضى من المقصد بما بلغ، قال كسرى: ماكل ما يعرف المرء ينطق به، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال: أحضر الله الملك إسعاداً ، وأرشده إرشاداً ؛ إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غُصَّة ، وعي المنطق أشد من عي السكوت ، وعثار القول أنكأ من عثار الوعث ، وما فرصة المنطق عندنا إلا عا نهوى ، وغُصة المنطق عا لا نهوى غير مستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسى ويعلم من سمعى أننى له مطيق ، أحب إلى من تكلنى ما أتخوف ويتخوف منى ؛ وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعم حامل المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة ونعم حامل المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة بفضل وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن عُلاثة العامرى فقال: نهجت لك سبل الرشاد، وخضعت لك رقاب العباد؛ إن للأقاويل مناهج، وللآراء موالج، وللعويص مخارج، وخير القول أصدقه، وأفضل الطلب أنجحه. إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا، والوفادة قربتنا، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عَرُب عنك، بل لو قِسْت كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا، لوجدت له في آبائه دنيا أنداداً وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسؤد دموصوف، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف، يحمى حماه، ويروى نداماه، ويذو دأعداه، لاتخمد ناره، ولا يحترزُ منه جاره. أيها الملك، من يَبْلُ العرب يعرف فضلهم، فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسي عزّاً والبحور الزواخر طميًّا والنجوم الزواهر شُرُفاً والحصى عددًا؛ فإن تعرف لهم فضلهم يعزوك، وإن تستصر خهم لا يخذلوك. قال كسرى، وخشى فإن تعرف لهم فضلهم يعزوك، وإن تستصر خهم لا يخذلوك. قال كسرى، وخشى أن يأني منه كلام يحمله على السخط عليه: حسبُك، أبلغت وأحسنت.

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المراشد ، وجنَّبك

المصائب. ووقاك مكروه الشدائد. ما أحقنا إذ أتيناك بإساعك مالا يُحْنِقُ صدرك ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم نقدم أيها الملك لمساماة ، ولم ننتسب لمعاداة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم ، أنا في المنطق غير محجمين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جُورِينا فغير مسبوقين ، وإن سُومِينا فغير مغلوبين . فقال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين – وهو يعرض به في تركه الوفاء بضهانه السَّواد – قال قيس : أيها الملك ، ما كُنت في ذلك إلا كواف غُدِر به ، أو كخافر أخْفِر بذمته . قال كِسرى : ما يكون لضعيف ضهان ولا لذليل خِفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيا أخْفِر من ذمتي أحق بإلزامي ولا لذليل خِفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيا أخْفِر من ذمتي أحق بإلزامي العار منك فيا قتل من رعيتك ، وانتُهِك من حُرْمتك . قال الملك : ذلك لأن من التمن الخونة واستنجد الأثمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء . كيف رأيت حاجب بن زُرَارة لم يحكم قُواه فيبرم ويعهد فَيُوفي . ويعد فَيُنْجِز ؟ قال : القوم بزل (١) فأفضلها أشدُها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامرى فقال: كثر فنون المنطق. ولِبْس القول أعمى من حِنْدس الظلماء، وإنما الفخر في الفِعَالِ والعجز في النجدة والسؤدد مطاوعة القدرة، وما أعلمك بقدرنا وأبصرك بفضلنا، والحرى إن دالت الأيام وثابت الأحلام، أن تُحْدِث لنا أموراً لها أعلام. قال كِسرى: وما تلك الأعلام؟ قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومُضَر على أمر يُذكر . قال: وما الأمر الذي يُذكر ؟ قال: ملى علم بأكثر مما خَبَرنى به مخبر. قال: متى تكاهنت يا ابن الطفيل! قال: لست بكاهن، ولكنى بالرمح طاعن. قال: فإن أتاك آت من جهة عينك العوراء، ما أنت صانع ؟ قال: ما هَيْبتى في قفاى بدون هيبتى في وجهى ، وما أذهب عيني عبث ، ولكن مطاوعة العبث.

⁽١) جمع بازل: وهو البعير سن ست سنوات .

ثم قام عمروبن معديكرب فقال: إنما المراء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجدة الارتياد، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجْتَبِذْ طاعتنا بلفظك واكْتَظِي بادرتنا بحلمك وألِنْ لنا كَنفك يَسْلس لك قيادنا، فإنا أناس لم يُوقِّس صفاتنا قِرَاعُ مناقير من أراد لنا قضا، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضها.

ثم قام الحارث بن ظالم المُرِّى فقال : إِن من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملق ، ومن خطل الرأى خفة الملك المسلط. ، فإن أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود وإحكام ولت العقود . والأمر بيننا وبينك معتدل . ما لم يأت من قبكك مَيْل أو زلل . قال كسرى : من أنت؟ قال : الحارث بن ظالم . قال : إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن في الحق مغضبة والسر في التغافل ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة . فلتشبه أفعالك مجلسك . قال كسرى : هذا فتى القوم .

ثم قال : قد فهمت ما نطقت به خطباوكم ، وتفنن فيه متكلموكم . ولولا علمى أن الأدب لم يُثقف أودكم ولم يحكم أمركم . وأنه ليس لكم ملك يجمعكم . فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة . فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم . لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به . وإنى لأكره أن أجبه وفودى أو أحنق صدورهم والذى أحب من إصلاح مدبركم وتألف شواذكم ؛ والإعذار إلى الله فيا بينى وبينكم . وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما فيه من خلل . فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته . وارعوا سفهاءكم . وأقيموا أودهم . وأحسنوا أدبهم . فإن في ذلك صلاح العامة .

رُوى عن الكلبي أنه قال: كان كسرى يَحفِل بالعرب، ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب في سماع محادثاتهم، ومفاخراتهم ومنافراتهم، ولم يَدّخر وسعاً إلا بذله للحصول على ذلك (وبما اتفق له) أن النعمان بن المنذر، كان بمجلسه يوماً، فقال له: هل في العرب من قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: فبأى شيء ؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية روساء، واتصل ذلك بمزية رابعة، فبيته أشرف بيت، وإليه تنسب القبيلة، وبه تعلو على غيرها، قال: أحضر من هذه صفتهم فطلبهم النعمان فلم يُصبهم إلا في آل حذيفة بن بدر، وآل ذي الجدّين ؛ وآل الأشعث بن قبس بن كِنْدة ؛ فأحضرهم في جملة من عشائرهم ؛ فعقد لهم كسرى مجلساً عاماً حضره الحكّام والعدول والأعيان، ثم قال: ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدُق.

فانتصب حذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال: قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم ، فقيل له: لِمَ ذاك يا أخا فزارة ؟ قال: ألسنا الدعائم(١) التي لا ترام ؟! والعز الذي لا يضام ؟ فقيل له: صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارةُ بدرٍ حسبُ بدر نضالها(۲)
بناه لبدرٍ في القديم رجالها
مآثر بدرٍ مجدُها وفعالها
إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها؟
وإن يَفسدوا يفسدُعلى الناس حالها

فزارة بيت العز والعز فيهم لها العزة القعساء (٣) والحسب الذي فهيهات قداً عيا القرون التي مضت وهل أحد إن مد يوما بكفة فإن يصلحوا يصلح لذاك جميعنا

ثم قام الأَشعث بن قيس فقال: لقد علمت العرب أَنا نقاتل عديدها الأَكثر ونقهر جمْعها الأَكبر وأَنّا غِياثُ اللزبات(٤) وبذاة المكرمات، فقيل له لِم يا أَخا

⁽۱) الأركان (۲) محادتها ودفاعها (۳) الرفيعة (٤) بتسكين الزاى : الشدائد .

كِنْدَة ؟ قال : لأَنَّا ورثنا ملك كِندة فاستظللنا بأَفيائِه وتقلدنا منكبه الأعظم ؟ وتوسُّطنا يُحبوحه(١) الأَّكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قِست أبيات الرجال ببيتنا وجَدْت له فضلاً على من يفاخرُ فمن قال : كلَّا أَو أَتانا بخُطَّة يُنافرنا يوماً فنحن نخاطرُ

تعالوا قِفوا كي يعلم الناس أيُّنا له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس؛ فقال: قد علمت العرب أنَّا بُناة بيتها الذي لا يزول ومغرَّسُ عزها الذي لا يحول؛ فقيل له: ولِمَ يا أَخا شيبان ؟ قال: لأَنَّا أَدركهم للثار وأضربُهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، وألدُّهم للخصم .

ثم قام شاعرهم فقال:

وأول بيت العز عز القبائل إذا جَدَّ يوم الفخر كل مناضل(٢) وقائع جدٍّ لا ملاعبُ هازل وأضربهم للكبش يوم التخاذل تذلُّ لهم فيها رقابُ المحافل وعاذ بها ، من شرها ، كل قائل إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

لعمرى بسطام أحق بفضلها فسائل أَبَيْت اللعن عن عز قومها فيخبرك الأقوام عنها فإنها أَلسنا أَعزُّ الناس قوماً وأُسرةً وقائع عزٍّ كلها رَبِعيَّةُ (٣) إِذَا ذُكرت لم يُنكر الناس فضلها وأَنَّا ملوك الناس في كل بلدةٍ

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي ، فقال : قد علمت العرب أنَّا فرعُ دعاتها وقادة زحوفها ؛ فقيل له : لِمَ ذلك يا أَخا بني تميم ؟ قال : لأَنَّا أَكثر الناس عِديداً وأُنجبُهم طُرًّا وليداً ، وأعطاهم للجزيل ، وأحملُهم للثقيل .

ثم قام شاعرهم فقال:

لنا العز قِدماً في الخطوب الأوائل وعز قديم ليس بالمتضائل أغر نجيب ذي فعال ونائل (٣) نسسة الى قبيلة ربيعة

لقد علمت أبناء خندف أنَّا وأَنَّا كِرَامٌ أَهلُ مجدٍ وثروة فكم فيهم من سيِّد وابن سيَّد (۱) وسطه (۲» المجادل

فسائل أبيت اللعن(١) عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل ثم قام قيس بن عاصم السّعدى فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم فى المكرمات وأثبتهم فى النائبات ، فقيل له: لِم ذاك يا أخا بنى سعد؟قال: لأنّا أدركهم للثار وأمنعهم للجار ، لانتكل إذا حملنا ، ولا نُرام إذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال: لقد علمت قيسٌ وخندف أننا وجُلُّ تميم والجموع التى ترى بأنّا لُيوثُ البأس فى كل مأزق إذا جزّ بالبيض الجماجم والطلى وأنا إذا داع دعانا لنجدة أجبنا سِراعاً فى العلائم من دعا فهيهات قد أعيا الجميع فِعالُهم وقاموا بيوم الفخر مَسْعاة من سعى فقال كسرى حينئذ: ليس منها إلا سيد يصلح لموضعه ، ثم أعظم صلاتهم أجمعين ، وردّهم إلى أقوامهم مُعظمين .

مناظرات المهدى ومشاورته لأهل بيته في حرب خراسان

هذا ماتراجع فيه المهدى ووزراؤه ، ومادار بينهم من تدبير الرأى في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحَمَل المهدى مايُحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم ، على أن قال عثرتهم واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولاً بالفضل واتساعاً بالعفو وأخذاً بالحجة ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذحَمَّله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته تسكن إلى كنفه وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولامداهنة ، أثرة للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم فليا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج وطردوا العمال فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج وطردوا العمال

⁽١) أبيت اللعن : بغضته ومنعته أى انك لاتفعل ما يوجب لعنك بل تفعل ما تحمد وتمدح به .

وسألوا ما ليس لهم من الحق، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار، وخصومة بإقرار، وتَنصُّلاً باعتلال. فلما انتهى ذلك إلى المهدى خرج إلى مجلس خلائه، وبَعث إلى نفر من لُحمته ووزرائه، فأعلمهم الحال واستفهمهم للرَّعية، ثم أمر الموالى بالابتداء وقال للعباس بن محمد: «أى عمّ » تعقب قوْلنا وَكُنْ حكماً بيننا. وَأَرْسَلَ إلى ولديه (موسى وهارون) فأحضرهما الأمر وشاركهما في الرأى، وأمر محمد بن الليث بحفظ مُرَاجَعتهم وإثبات مقالتهم في كتاب. فقال سكرم صاحب المظالم:

أيها المهدى ، إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفْرَغَتْ رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعُرِفوا بها وغرِفت بهم ، ولهذه الأُمور التي جعلَتنا فيها غاية ، وطلبَت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الأُمور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، وإخوان التجارب وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سِجالُها ، وفياتهم ظلالُها ، وعضتهم شِدائِدُها وفرَمَتهم نواجِذُها ، فلو عَجَمْت ماقِبلَهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائرتؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك وأحاديث تقوي قلبك ، فأما نحن معاشر عُمّالك وأصحاب دواوينك فَحَسَن بنا ، وكثير منا أن نقوم بثقل ماحمّلتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك .

فأجابه المهدى : إِن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبيرًا يُبطل الآخرُ الأولَ ، ونحن على علم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال: نعم أيها المهدى أنت متبع الرأى ، وثيق العُقْدَة ، قوى المنة ، بليغ الفِطْنة ، معصوم النّية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موقق العزيمة ، مُعَان بالظفر ، مهدى إلى الخير ، إنْ هممْت فنى عزمك مواقع الظن ، وإن اجتمعت صدع فعلك مُلتبسَ الشك ، فاعزم يهدِ الله إلى الصواب قلبك ، وقُلْ يُنطق الله بالحق لسانك ، فإن جنودك جَمة وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

فأَجابه المهدى : إِن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لايملك عليهما رأْيٌ ولا يتغيل معهماحزم ، فأشيروا برأْيكم وقولوا بما يحضُرُكُم ، فإنى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع: أيها المهدى ، إن تصاريف وُجُوه الرأى كثيرة ، وإن الإشارة ببعض معاريض القَوْل يسيرة ، ولكن خُراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشُّقَّة متفاوتة السبيل، فإذا ارتأيت من مُحكم التدبير ومبرَم التقدير وَلُبَاب الصواب رأياً، قد أحكمه نظرك، وقلَّبه تدبيرك؛ فليس وراءه مذهب طاعن، ولا دونه مَعْلقُ لخصومة عائب، ثم خَبَّت البُّرد به، وانطوت الرُّسُل عليه كان بالحِرِي أَن لايصل مُحكمه ، إلاوقد حَدَث منهم ما يَنْقُضه ، فما أَيْسَرَ أَن ترجع إليك الرُّسل ، وَتَرِدَ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أُمورهم فَتُحْدث رأْياً غيره وتبتدع تدبيرًا سواه ، وقد انفرجت الحلَق ، وتحلت العُقد ، واسترخى الحقاب ، وامتد الزمان ثم لَعِلْمك موقع الآخرة كمصدر الأُولى ولكن الرأى أمها المهدى، وفقك الله، أن تصرف إجالة النظر وتقليب الفِكُر فيا جمعتنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم وَالحيَل في أمرهم إلى الطلب لرجل ذي دِين فاضل وعقل كامل ووررع واسع ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهماً في أثرَةٍ عليك ، والاظنينًا على دُخْلة مكروهة والمنسوبا إلى بدعة محذورة ، فيقدح في ملكك وَيُرَيض الأُمور لغيرك ، ثم تُسْنِد إِليه أُمُورَهم وَتُفَوّض إِليه حربهم وتأمُّره في عهدك ، وصيَّتك إياه بلزوم أَمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي ينقَضَّ(١) أَمر الغائب عنها ، ويثبتُ رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ؛ فواثَبَ

⁽١) ينقض: ينهدم .

أَمْرَهُم من قريب ، وسقط عنه ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل وأُحِد النظر إن شاء الله تعالى .

قال الفضل بن عباس:

أَبِهَا الْمَهْدَى ، إِنْ وَلَى الْأُمُورِ وَسَائِسِ الْحُرُوبِ رَمَا نَحَّى جَنُودُهُ وَفَرَّقَ أمواله في غير ماضيق أمر حزبه ، ولاضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عدماً منها فاقدًا لها ، لايتق بقُوَّة ولايصول بعُدَّة ، ولايفرغ إلى ثقة ؛ فالرأى لك أمها المهدى وَقَقك الله أن تعنى خزائنك من الإنفاق للأَموالُ وَجُنودك من مُكَابِدة الأَسفار وَمُقَارِعة الأَخطار وتغرير القتال، وتُسْرع للقوم في الإجابة إلى مايطلبون ، والعطاء لما يسأَّلون ، فيفْسُدُ عليك أُدبهم وتُجَرِّئُ من رَعِيَّتك غيرهم ، ولكن اغْزُهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعْهم باللين وخاتلهم بالرّفق وأبرق لهم بالقول وأرْعد نحوهم بالفعل وابعث البُعُوث وجنِّدَ الجنود وكتِّبْ الكتائب واعقد الأَّلْوِية وانصب الرَّايات وأظهر أنك مُوَجُّهُ إليهم الجيوش مع أحنق قُوَّادك عليهم وأسوئهم أثرًا فيهم ، ثم آدسس الرسل ، وَابْثَثْ الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضا على خوف من وَعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطَوى الصُّدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحَذَر والهيبة . فإن مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة وَالمُناصبة بالكتب ، وَالمُكَايِدة بِالرسل ، وَالمُقَارَعة بِالكلام اللطيف المُدخل في القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبنى على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعى المُواتَاة ؟ أَنفذ من القتال بظُبَات السُّيوف وأمِسنَّة الرِّماح ، كما أن الْوَالِيَ الذي يستنزل طاعة رَعِيَّته بالحيل ، وَيُفَرِّق كلمة عَدوه بالمكايدة أحكم عملاً وألطفُ منظرًا وأحسن سياسة ، من الذي لاينال ذلك إلا بالقتال، والإِتلاف للأَموال والتغرير، وَالْخِطَارِ. وليعلم المهدى ، أنه إن وَجَّه لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة ، وتُقدِم على أسفار ضيِّقة وأموال مُتفرقة وقُوَّاد غششة إن التتمنَهُم استنفدوا ماله ، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له . قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نُورُه ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ومجدحقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذِي عِلم عليم ، ثم نظر إلى ابنه على فقال : ما تقول ؟

قال على : أيها المهدى إن أهل خراسان لم يخلعُوا عن طاعتك ولم ينصبُوا من دونك أحدًا يقدح في تغيير مُلكك ويريض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحالُ أدلَّ ، لأنَّ الله مع حقه الذي لايخذله وعند موعده الذي لايُخْلِفه ، ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبُوا حقًا وسألوا إنصافاً فإن أجبت إلى دعوتهم ونفَّست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدُث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرَّبِّ وأطفأت ثائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجيَّة حلمك وأسجاع خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب إلى ضعف، أَن يكون ذلك فيما بتى دُرْبَة ، وإن منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سأَلوا ا اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب _ فما أرب المهدى آ أَن يَعْدُ إِلَى طائفة من رعيته مُقرِّين بمملكته مُذعنين بطاعته لايخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرئونها من عبوديته فيُملِّكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدِّ المنازعة ومضار المخاطرة _ أَيريد المهدى وفقه الله الأموال؟ فلعمرى لاينالها ، ولايظفر بها إلا بإنفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدّعي قبلهم ، ولو نالها فَحُملت إليه أُو وضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافي لهم عنها وطال عليهم بها ، (١٦ _ جواهر الأدب ج ١)

لكان مما إليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل قرة عينه وجمة نفسه فيه ، فإن قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عُمالنا ، وتحامل وُلاننا ؛ فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية وكسَرُوا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالاً لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى أنه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مُقرّنين فى الأصفاد ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولإقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما فيه من حزبه ، أو لمن بإزائهم من عدوّه لما كان بدعاً من رأيه ولا مستنكراً من نظره .

لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدُّها وقعاً وأصدقها صولة وأنه لا يتعاظمُه عفو ، ولا يتكاء دُهُ صفح ، وإن عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ. بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم براً بهم ، وتوسعاً لهم فإنهم إخوان دولته وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجتهم يقول ، وإنما مثلهم فيا دخلوا فيه من مساخطه وتعرقوا له من معاصيه وانطووا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ماغير من رأيه فيهم أو نُقِل من حاله لهم أو تغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه إلا رقة له ولطفًا به واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبراً به ومرحمة . فقال المهدى : أما على فقد نوى سمت اللّيان وفض القلوب من أهل

فقال المهدى : أما على فقد نوى سمت اللّيان وفض القلوب من أهل خراسان ولكل نبأ مستقر . ثم قال : ماذا ترى ياأبا محمد (يعنى موسى ابنه) فقال موسى :

أيها المهدى ، لا تسكُن إلى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادى بمضمرة شر وخفيّة

حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترا واتخذوا العلل من دونها حجاباً ، رجاءَ أَن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسِرُوا حيل المهدى فيهم ويفنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادَّتهم ، وتستفحل حربهم وتستمر الأُمور بهم ؛ والمهدى من قولهم فى حال غِرَّة ولباس أَمَنَة ، قد فتر لها وأنس بها وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال ، والإضار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لَرَهِبوا عواقب أَخبار الوُّلاة ، وغِبُّ سكِون الأَّمور فَلْيَشْدد المهدى ــ وفقه الله _ أزره لهم ويُكَتُّب كتائبه نحوهم، وليضع الأَمر على أَشد مايحضُرُه فيهم ، ولْيُوقن أَنه لا يعطيهم خُطَّة يريد بها صلاحهم إلا كانت دُرْبة إلى فسادهم وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم وسببًا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إِن أَقَرُّهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر ، لايصلح عليه دين ، ولاتستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُّرْبة لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمؤونة الشديدة . والرأى للمهدى وفقه الله أن لا يُقيل عثرتهم ، ولايقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف، ويستحربهم القتل ويحدق بهم البلائم ويُطبق عليهم الذل ، فإن فعل المهدى ذلك كان مقطعةً لكل عادة سوء فيهم ؛ وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحمال المهدى في مئونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

> فقال المهدى : قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل ! فقال العباس بن محمد :

أَيها المهدى: أَما (المُوالى) فأخذوا بفُرُوع الرأى وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أُمورًا قصَّرَ بنظرهم عنها أَنه لم تأت تجاربهم عليها. وأَما (الفضل) فأشار بالأَموال أَن لاتنفق ، والجنود أَن لاتفرق ، وبأَن لايُعطى القوم ما

ما طلبوا ، ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغارًا لأمرهم ، واستهانة بحربهم ، وإنما يهيج جسيات الأُمور صغارُها .

وأما (على) فأشار باللين وإفراط الرفق ، وإذا جَرّد الوالى لمن غَمِط أمره وسفه حقه اللين بحتًا ، والخير محضاً ، لم يخلطها بشِدّة تعطف القلوب عن لينه ، ولابشر يحبسهم إلى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم ، ووَسَع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولاشدة ، فنزوة في رئموسهم يستدعون بها إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصُّراح ، فذلك ماعليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وما قديشبه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير مالايخطر على قلب بشر ولا تُدر كُه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق نارًا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشدة لالين فيها ، وأن يُرْمَوْا بشر لاخير معه ، وإذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردًا ، والشرّ مجردًا ليس معهما طمع ولا لين يثنهم اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى المادى في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت ، وإما أن ينقادوا بالكره ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق ، فإذا أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدوة أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ. وأشد مما كان .

وقال في قول الفضل: أيها المهدى أكنى دليل، وأوضح برهان، وأبين خبر البأن قد أجمع رأيه وحزم نظره على الإرشاد ببعثه الجيوش إليهم، وتوجيه

البعوث نحوهم مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدى : ذلك رأى .

قال هارون : ما خُلطت الشدة باللين ، فصارت الشدة أَمَرَّ فطام لما تكره ، وعاد اللين أَهدى قائد إلى ماتحب ، ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدى : لقد قلت قولاً بديعًا ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعًا ، والمرء مؤتمن بما قال وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهدى : إِن الحرب خُدْعة ، والأُعاجم قوم مكرة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواءُ منهم فكان باطن مايُسِرُّون على ظاهر ما يُعْلنون ، وربما افترق الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن واستسر عد خولة لاتعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده وموضع ميسمه ، لايتعجل بالدواءِ حتى يقع على معرفة الداءِ ، فالرأى للمهدى وفقه الله أن يَفِرٌ باطن أمزهم فَر المُسِنَّة ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ومظاهرة الرَّسل، وموالاة العُيُون، حتى تُهْتِكَ حُجُب عيونهم، وتكشف أَغطية أُمورهم ، فإِن انفرجت الحال ، وأَفضت الأُمور إِلى تغيير حال ، أوداعية ضلال اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال إليه وامتدت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه وإثم يستحلونه ، عَصَبهم بشدة لالين فيها ، ورماهم بعقوبة لاعفو معها ، وإِن انفرجت العيون واهْتُصِرت الستور وَرُفِعَتِ الحجُّب ، والحالُ فيها مريعة والأمور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدعونها ، وحقوق يسأَلونها ، عاتَّة سابقتهم ودالة مناصحتهم ، فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويَشْعَبَ من أُمرهم ما صدعوا ، ويَرْتَقَ من فتقِهم ما قطعوا، ويولى عليهم من أُحبُّوا ويُدَاوى بذلك مَرَض

قلوبهم وفساد أمورهم ، فإنما المهدى من أمّته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المُجَرِّب الذى يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيَّتِه حتى يُبرئ المريضة من داء علتها ويردُّ الصحيحة إلى أنس جماعتها ثم إن خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة ، وماتة مقبولة ، ووسيلة معرُوفة ، وحقوق واجبة ؛ لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ، ولا التَّوعُر بهم ولا المكافأة بإساءتهم ؛ لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ أحزم في الرأى وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها إلى جُمهورها .

قال المهدى: مازال هارون يَقَعُ وَقْعَ الحياحتى خرج خُرُوج القدح من الماء وانسَل انسلال السيف فيا ادَّعى ، فَدَعُوا ما سبق موسى فيه فإنه هو الرأى وثنى بعده هارون ؛ ولكن من لأَعِنَّة المخيل وسياسة الحرب وقادة الناس إن أمعن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدّالة ؟!

قال صالح بن على : لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسة رأيك وبعض لحظات نظرك ، وليس يَنْفَضُّ عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تقلده حَرْبك وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت ، بحمد الله ، ميمون النقيبة مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولايقفُ نظرك على أحد توليه أمرك وتسند إليه ثغرك إلّا أراك الله ما تحب وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدى: إنى لأَرجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ولكنى أحب الموافقة على الرأى والاعتبار للمشاورة فى الأَمر المهم.

قال محمد بن الليث: أَهل خُراسان قَوْمٌ ذووُ عزَّة ومَنَعة وشياطين خِدَعة ، زُروع الحمِيَّة فيهم نابتة، وملابس الأَنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة والعَجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطركهم وسيُوفُّهم عذلهم ، لأنهم بين سفلة لا يعْدُو مبلغ عقولهم منظر عُيونهم ، وبين رُؤساء لايُلْجمون إِلَّا بشدَّة ، ولا يَفطنون إِلَّا بِالمِّ ، وإِن وَلَّى المهدى عليهم وضيعًا لمَّ تنقد لهُ العظماء ، إِن ولى أَمرهم شريفاً تحامل على الضعفاءِ ، وإِن أَخر المهدى أَمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بني عمه أو بني أبيه ، ناصحًا يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ولاحَمِيَّة تدخلهم ولامصيبة تنفِّرهم ، تَنفَّست الأَّيام بهم وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير، والضياع العظيم مالايتلافاهُ صاحب هذه الصفة وإنجدٌ، ولايستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشركبير ، وليس المهدى -وفقه الله _ فاطمأ عاداتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثل أحد رجلين لاثالث لهما ولاعدل في ذلك مهما : أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويَّكُّهُ ممثلة لعينك وصخرةٌ لا تُزَعزع وبهمة لاتثني ، وبازل لايفزعه صوت الجلجل، نتي العِرْض نزيه النفس جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته فجعل الغرض الأقصى لعينه نصبا ، والغرض الأدنى لقدمه موْطئًا ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدّى أملاً وهو رأْس مواليك وأنصح بني أبيك ، رجل قد غُذّى بلطيف كرامتك ونبت فى ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك فإن قلدته أمرهم وحملته ثقلهم وأُسندت إليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه أمرك وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرًا والإنصاف بينه وبينهم حاكمًا . وإذا حكم المنصفة وسلك المعدلة فأعطاهم مالهم وأخذ منهم ماعليهم ، غَرَس لك في الذي بين صدورهم ، وأُسكن لك السُّويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق باسقة الفروع ماثلة في حواشي عوامهم . متمكِّنة من قلوب خواصهم ،

فلا يبقى ريبٌ إلانفوه ولايلزمهم حقٌّ إلا أَدُّوه ، وهذا أَحدَهما . والآخر عُودٌ من غيضتك ، أَو نَبعةٌ من أَرُومَتِك ، فتي السِّن كهلُ الحلم ِ راجح العقل محمود الصَّرَامة مأمُّون الخلاف يُجرِّد فيهم سيفهُ ويبسط. عليهم خيرَه بقدر مايستحقون وعلى حسب مايستوجبون وهو «فُلَان » أَيُّهَا المهدى ــ فسلطه أُعزَّك اللهُ عليهم ، ووجِّههُ بالجيوش إليهم ولا تمنعك ضرَاعة سِنِّه وحداثة مولده فإن الْحِلم والثقة مع الحداثة خيرٌ من الشكِّ والجَهل مع الكُهُولة ، وإنما أحداثُكم أهلَ البيت فيا طبعكم الله عليه ، واختَصَّكم به من مكارم الأَّخلاق ومحامد الفِعال ومحاسن الأُمورَ وصواب التَّدْبير وصرَامة الأَنفس كفراخ عِتاق الطير(١) المُحكمة لأَخذ الصَّيد بلا تَدْريب ، والعارفة لوُجُوه النفع بلا تأديب ، فالحلم ، والعلم ، والعزم ، والحزم ، والتُّؤَدة ، والرِّفق ، ثابت في صُدُوركم مزروع في قَلوبكم ، مُستحكم لكم متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغَرائز ثابتة . قال معاوية بن عبد الله :

أَفتاءُ (١) أَهل بيتك أيها المهدى في الحلم على ماذُكر ، وأَهل خُراسان في حال عز على ماوُصِف ؛ ولكن إِن ولى المهدى عليهم رجلاً ليس بقدر الذِّكرُ ف الجنود ولا بنبيه الصوت في الحروب ولابطويل التَّجْرِبة للأَّمور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيان ، وخطران مهولان أَحدهما : أَن الأَعداءَ يَغْتَمِزونها منه ويحتقرونها فيه ويجتَرِثون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأُمره ، والتكشفِ لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس إذا لم يختبروا منه البأس والنَّجْدة ، ولم يعرفوه بالصِّيت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم واستأخرت طاعتهم ، إلى حين اختبارهم

 ⁽۱) عتاق الطير: الجوارج منها.
 (۲) أفتاء: اصحاب الفتوة من الشبان ، جمع فتى ، كيتيم وأيتام .

ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار قبل الاختبار ، وبباب المهدى – وفقه الله – رجل مهيب نبيه حَنِيك صيِّتُ له نسب زاك وصوْت عَالٍ قد قاد الجيوش وساد الحروب وتألف أهل خراسان ، واجتمعوا عليه بالمِقَة (١) ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدى أَمْرَهمُ لكفاه الله شَرهم .

قال المهدى: جانبت قصد الرميّة وأُبيْتَ إِلا عصبية ، إِذ رأْيُ الحدث من أهل بيتنا كرأًى عشرة حُلَمَاء من غيرنا ؛ ولكن أين تركتم وَلِيَ العهد ؟

قالوا: لم يَمْنعْنَا من ذكره إلاكونُه شبيه جده ونسيج وحده، ومن الدين وأهله، بحيث يقصُر القول عن أدنى فضله، ولكن وجدنا الله عزّ وجل حجب عن خلقه وستر دون عباده علم ماتختلف به الأيام، ومعرفة ماتجرى عليه المقادير من حوادِث الأُمور، ورَيب المنون المخترمة لخوالى القُرون، ومواضى المملوك، فكرهنا شُسُوعَه عن محلة الملك ودار السلطان، ومقرِّ الإمامة والولاية، المملوك، فكرهنا شُسُوعَه عن محلة الملك ودار السلطان، ومقرِّ الإمامة والولاية التي وموضع المدائن والخزائن، ومستقر الجنود ومعدن الجود، ومجمع الأموال التي جعلها الله قُطبًا لدار الملك، ومصيدة لقلوب الناس، ومثابة لإخوان الطمع وثُوّار الفِتن، ودواعي البدع، وفرسان الضَّلال، وأبناء الموت؛ وقلنا: إن وَجّه المهدى ولى عَهْده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد يحدث بجنود الرسل من قبله، لم يستطع المهدى أن يُعقبهم بغيره إلا أن ينهض إليهم بنفسه، وهذا خطر عظيم وهوّل شديد، إن تنفست الأَيام بمقامه واستدارت الحال بإمامه، حتى يقع عوض لا يُستغنى عنه، أو يحدث أمر لا بد منه الحال بإمامه، حتى يقع عوض لا يُستغنى عنه، أو يحدث أمر لا بد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً، وأجل خطرًا له تبعًا وبه متصلاً.

قال المهدى: الْخطب أَيْسَر مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأَمرعليه . والله المهدى: الخطب أَيْسَر مما تذهبون إليه ، ومواقع الأُمور على سابق من العلم ،

⁽١) القة: الحبة •

ومحتوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ونبَّأتْ عليه الرسُل ، وقد تناهي ذلك بِأَجْمَعِه إِلَينا وتكامل بحذافيره عندنا ، فيهندبّر وعلى الله نتوكل. إنه لا بُدَّ لِوَلِّي عهدى وولى عهد عَقِبِي بعدى ، أَن يقود إلى خراسان البعوث ويتجه نحوها بالجنود ؛ أمَّا الأُوِّل فإنه يقدم إليهم رسله ويُعمل فيهم حيكه ثم يخرج نشيطاً إليهم حَنِقاً عليهم ، يريد أَن لا يَدَع أحداً من إخوان الفِتن ودواعي البدع ، وفُرْسُان الضلال إلا توطأًه بحرّ القتل وألبسه قِنَاع القهر ، وقلده طوقَ الذلّ ؛ ولا أُحداً من الذين عمِلوا في قص جناح الفتنة وإخماد نار البدُّعة وَنُصْرَة وُلاة الحقّ إِلاَ أَجْرى عليهم دِيمَ فضله وجَدَاول نهاه ، فإِذا خرج مُزْمِعاً به مجمعاً عليه لم يسِرْ إلا قليلاً حتى تَأْتِيه أَن قد عملت حيلُه ، وكدحتْ كُتُبه ونفذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتكمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وَبَرًا بهم وتعطفاً عليهم إلى عَدَو قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجَّاجُهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارَهم رزْق الله الحلال . وَأَمَّا الآخر ، فإنه يُوَجه إليهم ، ثم تُعقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون ، فإذا سَمعت الفرق بقراباتها له وجنح أهل النَّواحي بأعْناقهم نحوه ، فأصغت إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوُّفودُ قصدَ الأَّول ناحية بمجعت بطاعتها وأَلقت بأزمَّتها ، فألبَسها جنَاحَ نعمته وَأَنزلها ظلَّ كرَامته وَخصهابعظيم حَبائه ، ثمَّ عمَّ الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرّحمة فلاتبقى فيهم ناحية ذاتية وَمالا فرْقة قاصية إلا دخلت عليها بركته ووصلتْ إليها منفعته فأغنى فقيرها وجبر كُسيرها ورفع وضيعها وزادرفيعها ، ما خلا ناحيتين : ناحية يَغلب عليها الشِقاءُ وتستميلهم الأهواء، فتستخف بدعوته ، وتُبطئ عن إجابته وتتثاقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعث وأبطأً مَنْ يوجه ، فيصطلى عليها مَوجدة ويبتغي لها علة ، لايلبَث أن يجدُّ بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرُّ بهم القتل ويُحيط بهم الأسر ويُفْنيهم التَّتبع حتى يُخَرّب البلادويينم الأولاد. وناحية لايبسط لهم أماناً ولايقبل لهم عهداً ولايجعل لهم ذمة لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض فى شق العصا ولكنه يَقْتُل أعلامهم ويأسر قوادهم ويطلب هُرّابهم فى لُجَج البوار وقُلل الجبال وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلاً وتنكيلاً حتى يدع الدِّيار خراباً والنساء أيامى . وهذا أمر لا نعرف له فى كتبنا وقتاً ولا نصحّح منه غير ما قلنا تفسيرا و أما (موسى ولى عهدى) فهذا أوان توجُهه إلى خراسان وحلوله بحر جان وما قضى الله له من الشُّخوص إليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله بإذن الله عاقبة بحيث يغمر لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتذاءب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث: أيها المهدى - إن ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علماً قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سَمْته أبصارها ، وقد كان لقُرْب داره منك ومحل جواره لك عطل الحال عُفل الأمر واسع العُذر ، فأما إذا انفر دبنفسه وخلا بنظره وصار إلى تدبيره ، فإن من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه . وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله فى بره ومرحمته ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم وأمالك وسياسته وزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم وأمالك الأمور بهم وألزمها لقلوبهم وأشدها استالة لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم ، فلا يفتأ الهدى وفقه الله ناظراً له فيا يُقوِّى عمد مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزين لحاله ، وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ، وأجل موقعاً فى قلوب رعيته ، وأحمد حالا فى نفوس أهل ملّته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغ فى استعطاف القلوب عليه من مرحمة منظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومحبة للخير وأهله - وأن يختار المهدى وققه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواماً

تسكن العامة إليهم إذا ذكرُوا ، وتأنس الرّعية إذا وُصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سُبل الإحسان ، وفتح باب المعروف ؛ كما قد كان فتح له وسُهِّل عليه .

قال المهدى: صدقت ونصحت ؟ ثم بعث في طلب ابنه موسى ، فقال له:

أَى بُني _ إِنك قد أُصبحت لِسَمت وجوه العامة نُصْباً ، ولمثني أعطاف الرُّعيَّة غايةً ، فحسنتك شاملة وإساءتك نائية ، وأمرُك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سُخط. الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فإِن الله عزوجل كافيك من أُسخطه عليك إيثارُك رضاه ، وليس بكافيك من يُسْخطه عليك إيثارُك رضا من سواه ـ ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدِّد حبل الإسلام بدعواهم ويشيِّد أركان الدين بنُصرتهم ويتخذ لأولياء دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عدله أعواناً ، يَسُدون الخلل ويُقيمون المَيْل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم، وندافع ريب الزمان بعز المهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم فهم عماد الأَرض إذا أَرجف كنفُها وخوْف الأَعداء إذا برزت صفحتها ، وحصون الرعية إذا تضايقت الحلل بها ، قدمضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات أُخمدت نيران الفتن ، وقسمت داعي البدَع ، وأَذلَّت رِقاب الجبَّارين ، ولم ينفكوا كذلك ما جَرُوا مع ريح دولتنا، وأقامُوا في ظلِّ دعوتنا، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذاتهم ورفع بها ضِمَتهم ، وجعلهم بها أرباباً في أقطار الأرض ومُلوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذُّل وقِنَاع الخوف ، وإطباق البلاء ومُحالفة الأَسَى وجهد البأْس والضر فظاهر عليهم لِبَاس كرامتك ، وأَنزِلْهُم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دوالَّتهم وماتة سابقتهم ، وحرمة مُناصحتهم بالإحسان إليهم والتوسعة عليهم ، والإثابة لمحسنهم والإقالة لمسيثهم .

أَى بُنَى ، ثم عليك العامّة فاستدع رضاها بالعَدْل عليها ، واستجلِب مودَّنها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وَتَوثق به في عين رعيتك ، واجعل عُمَّال العذر ووُلَاة الْحُجِج مُقدمة بين يدى عملك وَنَصْفَةً منك لرَعِيَّتك ، وذلك أن تأمر قَاضِي كل بلد ،وخيار أهل كل مصر أن يختارُوا لأَنفسهم رجلا تُولِّيه أمرهم وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم فإن أحسنَ حُمِدْتَ ، وإن أَسَاءَ عُذِرْتَ ، هؤلاءِ عُمَّالِ العُذْرِ ووُلَاةِ الْحُجِجِ ، فلا يسقطنَّ عليك ما في ذلك ، إذا انتشر في الآفاق وسبق إلى الأسماع من انعقاد ألسنة المُرْجفين وَكَبْتِ قلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولا ينفكنُّ في ظل كَرَامتك نازلًا ، وَبِعُرَا حَبْلِكَ متعلقاً رَجُلان : أحدهما كريمة من كَرَائيم رجالات العرب وأعلام بُيُوتَات [الشَّرَف، له أدب فاضل وَحُلم راجع وَدِين صحيح والآخر له دِين غيرُ مَغْمُوز، وموضع غير مدخول ، بصيرٌ بتَقليب الكلام ، وتصريف الرأى ، وأنحاء العرب ووَضْع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الْخُطوب، يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من مَحَاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذِكْرَك فَتَسْتَشِيرُهُ في حَرْبك وتدخله في أمرك ، فرجُلٌ ,أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلَّتي وَيَرْعَي في خُضرة جِنَاني ، ولا تدع أن يختار لك من فقهاء البُلْدَان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جِيرانك وَسُمَّارك ، وأهل مُشَاورتِك فيما تُورد ، وأصحاب مُناظرتك فيما تُصْدر ، فَسِرْ على بركة الله ، أَصْحَبَك الله من عَوْنه وتوفيقه دليلاً يهدى إلى الصواب قلبَك ، وهادياً يُنْطِق بالخير لِسَانَك .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

استأذنت بَكَّارَة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فَأَذِنَ لها ، وهوَ يومئذ بالمدينة فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أُسَنَّت وعشِي بصرُها وَضَعُفَت قوتها ، وترْعَشُ بين خادمين لها ؛ فَسَلَّمت وجلست ، فَرَدَّ عليها مُعَاوِية السلام ، وقال :

كيف أَنْتِ يا خالة ؟ فقالت : بخيريا أمير المؤمنين ، قال : غَيَّرَكِ الدهر، قالت : كذلك هو ذو غِيرٍ ، من عاش كبر ، ومن مات قُبِر ، فقال عمروبن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا سيفاً حُسَاماً في التراب دفينا قد كُنْتُ أَذْخُرُه ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزمان مصونا وقال مروان: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هِنْدٍ للخلافة مالكا هيهات ذاك وإِن أَراد بعيدُ مَنَّتك نفسك في الخلاءِ ضلالَةً أَغْرَاك عمرو للشقا وسعيدُ وقال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كُنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أُميَّة خاطبا فالله أُخَّرَ مُدَّتِى فتطاولت حتى رأيتُ مِنَ الزَّمَان عجائبا في كلِّ يوم لا يزال خطيبُهم بَيْنَ الجميع لآل أحمد عائبا ثم سكتوا، فقالت: يا معاوية، كلامهم أعشى بصرى، وَقَصَّرَ حُجَّتِي، أَنا والله قائلة ما قالوا، وما خنى عليك مِنِّى أكثر، فضحك معاوية وقال: ليس يَمْنَعُنَا ذلك من بِرِّك، اذْكُرِى حاجتك، قالت: أما الآن فلا.

مناظرة السيف والقلم

لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩هـ

لمَّا كان السيفُ والقلَمُ عُدَّتى العمل وَالقَوْل ، وَعُمْدَى الدُّول ، فإِن عَدِمَتهما دولةٌ فلا حَوْل ، وَرُكْنَى إسناد الْمُلْك المعربيْن عن المخفوض والمرفوع ، وَمُقَدِّمَى نتيجة الجدل الصادر عنهما المحمولُ والموضوع فكَّرْتُ أَيهما أعظم فخراً وأعلى قدراً فجلستُ لهما مجلس الحكم والفتوى ، ومثلتُهما في الفكر حَاضِرَيْنِ للدعوى وسويتُ بين الخصمين في الإحرام ، واستنطقتُ لسان حالهما للكلام . فقال

القلم : بسم الله مجريها ومُرْساها ، والنهار إذا جَلَّاهَا والليل إذا يغشاها ، أما بعد حمد الله خالق القلم ، ومشرفه بالقسم ، وجاعله أولماخلق، جَمّل الورق بغصنه كماجَمّل الغصن الورق، والصلاة على القائل: جفت الأُقلامُ، فإن للقلم قصب السباق، والكاتِبُ بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السبع الطباق، جَرَى بالقضاء والقدر، ونَابَ عن اللِّسان فيما نهى وأَمَرَ ، وطالما أربى عَلى البيض والسُّمْر في ضرابها وطعانها ، وقاتل في البعد والصوارم في القُرْبِ مل، أَجفانها ، وماذا يُشْبِه القلم في طاعة ناسه؟ ومشيه لهم على أُمِّ راسه؟ قال السيف: بسم الله الخافض الرافع، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع ، أما بعد حمد الله الذي أنزل آية السيف فعظم بها حرمه الْجَرْح وآمن خيفَةَ الخيف، والصلاة على الذي نفذ بالسيف سطور الطروس، وخدمته الأَقلام ماشية على الرُّوس، وعلى آله وصحبه الذين أَرْهِفَتْ سيوفهم ، وبنيت ما على كسر الأعداء حروفهم ، فإن السيف عظيم الدولة شديد الصُّولة ، محا أسطار البلاغة ، وأساغ ممنوع الإساغة ، من اعتمد على غيره في قهر الأَّعداء تعب، وكيف لا وفي حَدِّه الْحَدُّ بين الجدِّ واللعِبِ؟! فإِن كَان القلمُ شاهدًا، فالسيف قاض ، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعه السيف بفعل ماض ، به ظهرَ الدينُ ، وهو العُدّة لقمع المعتدين ، حَمَلَتْه دون القلم يد نبيَّنَا ، فَشَرُف بَذَلِكَ فِي الأَمْمِ شَرِفاً بِينًا ، الجنة تحت ظلاله ، ولاسيا حين يُسَلِّ فترى وَدْقَ الدم يخرج من خلاله ، زينت بزينة الكواكب سهاه غمده ، وصدَق من قال «السيف أَصْدَقُ إِنْبَاءً من ضده » لا يعبث به الحاملُ ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المُشَبُّه بقوم عُرُّوا عن لبوسهم ، ثم نكسوا كما قيل على رُ مُوسهم ، فكأَن السيف خُلِق من ماءٍ دافق ، أو كوكب راشق مقدرًا في السرُّد ، فهو الجوهر الفَرُّد ، لا يشتري كالقلم بثمن بخس، ولا يبلي كما يبلى القلم بسواد وطمس ، كم لقائمه المنتظر ، من أثر في عين أو عين في أثر ، فهو في جراب القوم قوامُ الحرب، ولهذا جاءَ مطبوع الشكل داخل الضرب، قال

القلم: أَوْمَنْ يُنْشَأُ فَى الحلية وهو فى الخصام غير مُبِين ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشال ، وأنا الجالس على اليمين ؟! أنا المخصوص بالرأى وأنت المخصوص بالصّدى ، أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى ، ما لِنْتَ إلابعد دخول السعير ، وما حُدّدت إلا عن ذنب كبير ، أنت تنفع فى العمر ساعة ، وأنا أفنى العُمْر فى الطاعة ، أنت للرَّهَب ، وأنا للرغب ؛ وإذا كان بصَرُك حديدًا فبصرى ما في ذهب ، أين تقليدُك من اجتهادى ، وأين نجاسة دمك من تطهير مدادى ؟ فل السيف: أمثلك يُعيِّرُ مثلى بالدماء ؟! فطالما أمرتُ بعض فراخى وهى السكين – فأصبحت من النقاثات فى العقد يامسكين ، فأخلت من الحياة جُمَانك ، وشقّت أنفك وقطعت لسانك .

ويلك! إن كنت للديوان فحاسِبٌ مهموم ، أو للانشاء فخادمٌ لمخدوم ، أو للتبليغ فساحر مذموم ، أو للفقيه فناقص فى المعلوم ، أو للشاعر فسائل محروم ، أو للشاهد فخائف مسموم ، أو للمعلم فللحيّ القيُّوم . أما أنا فلى الوجه الأزهر والحلية والجوهر والهيبة إذ أشهر ، والصعود على المنبر . ثم إنى مملوك كمالك ، فاتك كناسك ، أسلك الطريق ، وأقطع العلائق .

قال القلم: أما أنا فابن ماء الساء ، وأليف الغدير وحليف الهواء ، أما أنت فابن النار والدخان وناثر الأعمار وخوان الإخوان تفصل ما لايفصل وتقطع ما أمر الله به أن يُوصَل ، لاجرم أن صَعَر السيف خده وصقل قفاه ، وسُقِى ماء حميا فَقَطَع مِعَاه ، ياغراب البين ، وياعُدّة الحيْن ، ويامُعْتَل وسُقِى ماء حميا فَقَطَع مِعَاه ، ياغراب البين ، وياعُدّة الحيْن ، ويامُعْتَل العين ، وياذا الوجهين ، كم أفنيت وأعدمت ؟ وأرملت وأيْتَمْت ؟

قال السيف: يا ابن الطين! ألست ضامرًا وأنت بطين!؟ كم جَرَيت بعكس وتصرفت في مكس ، وزَوَّرْت وحرفت ، ونكرت وعرفت ، وسَطَّرت هجوًا وشيًا ، وخلدت عارًا وذمًّا ، أبشر بفرط رَوْعتك ، وشدة خيفتك ، إذاقِسْت بَيَاض صحيفتى بسواد صحيفتك ، فألِنْ خطابك فأنت قصير المدة ، وأحسن بياض صحيفتى بسواد صحيفتك ، فألِنْ خطابك فأنت قصير المدة ، وأحسن

جُوَابِكَ فعندى حده ، وأَقلَل من غلظتك ، وجبهك ، واشتغل عن دم فى وجهى بِقَيح في وجهك ، وإلا فأدنى ضربةٍ منى تروم أرومتك ، فتستأصلكَ وتجتثُّ جر ثومتك، فسقيًا لمن غاب لك عن غابك، ورعيًا لمن لوأهاب بك لسلخ إهابك. فلما رأًى القلم السيفَ قد احتد ، ألان له من خطابهِ ما اشتد ، وقال : أما الأَدب فيؤخذ عنِّي ، وأَما اللطف فيكتسب منِّي ، فإن لِنْتَ لنتُ ، وإن أَحسنت أحسنت ، نحن أهل السمع والطاعة ، ولهذا نجمع في الدواق الواحدة منا جماعة ، وأَما أَنهُ فأَهل الحِدة والخلافِ ، ولهذا لايجمعون بين سيفين في غلاف . قال السيف: أمكرًا ودعوى عفة ؟ لأمر ماجدع قصير أنفه! لوكنت كما زعمت ذا أدب ، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب ، أنا ذو الصِّيت والصوت ، وغرارى لسان مشرَف يرتجل غرائب الموت ، أنا مِن مارج ٍ من نار ، والقلم من صلصال كالفخار، وإذا زعم القلم أنه مثلى، أمرت من يدق رآسه بنعلى. قال القلم: صَهْ فصاحب السيف بلاسعادة ، كأعزل . قال السيفُ: مهْ فقلم البليغ بغيرحظ مغزل، قال القلم: أنا أزكى وأطهر، قال السيف: أنا أبهى وأبهر؛ فتلا ذو القلم لقلمه إِنَّا أَعْطِيناكَ الكوُّثَرَ ، وتَلَا صاحب السيف لسيفه : فصلِّ لربُّكَ وانْحَرْ . فتلاذو القلم لقلمه : إِن شَانِئُكُ هُوَ الأَبتر ، قال : أَمَا وكتابي المسطور ، وبيتي العمور ، والتوراة والإِنجيل ، والقرآن ذي التبجيل ، إِن لم تكف عنِّي غرَّبك ، وتُبعد مني قُرْبك ، لأَكْتبنك من الصُّم البُّكم ، ولَأَسطرنْ عليك بِقلمي سجلاً بهذا الحكم . قال السيف: أما ومَتْني المتين ، وفتحي الْمُبين ، ولساني الرطبين ، ووجهى الصلبين ، إِنْ لم تغب عن بياضي بسوادك ، لأَمسَن وجهك بمدادك ، ولقد كسبت من الأُسد في الغابة ، توقيع العين والصلابة ، مع أني ما أَلُوتُكُ نصحاً أَنْنَصْرِب عَنْكُمُ الذَّكُرُ صَفِحاً ؟ قال القلمُ: سَلَمَ إِنْ كَنْتَ أَعْلَى فَأَنَّا أَعْلَم، وإن كنت أَحلي فأنا أَحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم، أو كنت ألوى فأنا ألوم،

أُوكنت أَطرى فأَنا أَطربُ ، أَوكنت أَغلى فأَنا أَغلب ، أَوكنت أَعنى فأَنا أَغلب ، أُوكنت أَعنى فأَنا أَعتبُ ، أوكنت أَقضى فأَنا أقضب . قال السَّيف : كيف لا أَفْضُلك ، والمقرُّ الفلانيُّ شادٌّ أَزرى . قال القلم : كيف لا أفضلك وهو (عرَّ نصرهُ) ولى أمرى ؟!

قال الحكمُ بين السيف والقلم: فلما رأيتُ الحجَّتيْن ناهضتين ، والبيِّنتيْن بينتيْن مُتعارضتين ، وعلمتُ أنَّ لكلِّ واحدٍ منها نشبةً صحيحة ، إلى هذا القرِّ الكريم ، ورواية مُسندةً عن حديثه القديم ، لطفتُ الوسيلة ، ودققت الحيلة حتى رددت القلم إلى كنَّه ، وأغمدتُ السيف فنام ملَّ جفنه ، وأخرت بينهما الترجيح ، وسكت عمّا هو عندى الصَّحيح ، إلى أن يحكم المقرُّ بينهما بعلمه ، ويسكِّن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه .

مناظرة للآمدي بين صاحب أبي عام _ وصاحب البعتري

صاحب أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البُحترى أشعرُ من أبى تمام ، ومن أبى تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذى ، ومن معانيه استقى ! حتى قيل الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر !

صاحب البحترى: أما الصحبة له فما صحبه ولاتتلمذله ، ولاروى ذلك أحد عنه ولا نقله ، ولا رأى قط أنه محتاج إليه ، ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتاعهما وتعارفهما عند (أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى) وقد دخل عليه البحترى بقصيدته التي أولها وأفاق صب من هوى فأفيقا وأبو تمام حاضر فلما أنشدها على أبو تمام منها أبياتا كثيرة ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير ، ما ظننت أن أحدًا يُقدِم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم . ثم اندفع ينشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة . فبهت البحترى ، ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أنى سعيد . فحينئذ قال له أبو تمام : أيها الأمير والله ما الشعر إلاله ؛ وإنه أحسن فبه

الإحسان كله ، وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى ضاعف له الجائزة .

فمن كانيقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أن أبا تمام جدير به أن يستغني عن أن يصحبه أو يتتلمذ له أو لغيره من الشعراء ، على أنني لا أنكر أنه استعار بعض معانى أبي تمام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحترى من شعره ، وليس ذلك بمقتضٍ أن يكون أبو تمام أستاذ البحترى ، ولا بمانع أن يكون البحترى أشعر من أبي تمام . فهذا «كُثير» قد أخذ من «جميل» واستقى من معانيه ، فما رأينا أن أحدًا قال إن «جميل» أشعر من معانية ، فما رأينا أن أحدًا قال إن «جميل» أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل .

صاحب أبى تمام: إن البُحترى نفسه يعترف أن أبا تمام أشعرُ منه ، فقد سُئل عنه وعن أبى تمام فقال: إن جيّده خيرٌ من جيدِي ، وجيدُ أبي تمام كثيرٌ .

صاحب البحترى: إن كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبحترى لاعليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبى تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء ، والمُستوى الشعر أولى بالتَّقدُمة من المختلف الشعر ، وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحترى يعلو بتوسط ولا يسقط. ومن لا يسقط. ولا يُسِفُ أفضلُ ممن يسقط. ويسف.

صاحب أبي تمام: إن أبا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه أولاً ، وإماما متبوعاً ، وشُهر له حتى قيل هذا مذهب أبي تمام وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره ، وهي فضيلة عرى عن مثلها البحترى .

صاحب البحترى: ليس الأمر على ماوصفت، وليس أبو تمام صاحب هذا المذهب، ولا بأوّل فيه ولا سابق إليه، بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد

واحتذى حذُّوهُ ، وأَفرط فى ذلك وأسرف ، حتى زال عن النَّهج المعروف ، والسنن المألوف .

بل إن مُسلماً غير مبتدع ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسم البديع متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدها ، وأكثر فى شعره منها ، ولكنه حرص على أن يضعها فى مواضعها ، ولم يَسْلم مع ذلك من الطعن عليه ، حتى قيل إنه أول من أفسد الشعر . فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فَسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظ . والمعانى استكراها ، ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه . فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وكل ما فى المسألة أنه استكثر منه وأفرط . فكان إفراطه من أعظم ذُنُوبه ، وأكبر عبوبه .

أما البحترى فإنه فارق عمود الشعر، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعارة والتجنيس والمُطابقة، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبُعد عن التكلف والتّعمل سبباً في إجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله، ونَفَاقُ شعر الشاعر دليلٌ عَلَى علوٌ مكانته، واضطلاعه عما يلائم الأَذْوَاق، ويُلامس القلوب، من أساليب الكلام ومناهجه.

صاحب أبى تمام: إنما أعْرَض عن شعر أبى تمام مَنْ لم يفهمه للرقّة معانيه وقُصُور فهمه عنه، أما النّقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره، وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضرُّه طعنُ من طعنَ بعدها عليه *

صاحب البُحترى: لايستطيع أحدُ أن يُنكر منزلة ابن الأعرابي، وأحمد بن يحيى الشيباني ودُعبل الخزاعي من الشعر، ومنزلتهم من العلم بكلام العرب. وقد علمتم مذهبهم في أبي تمام وازدراءهم بشعره، حتى قال دُعبل: إن ثلث شعره محال(١)

⁽١) المحال: الفاسد،

وثُلثه مسروق وثلثه صالح ، وقال : ما جعل الله أبا تمام من الشعراء ، بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه بالشعر . وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام : إنْ كان هذا شعرًا فكلام العرب باطلٌ . وهذا محمد بن يزيد المُبَرديقول : ما علمناه دُوِّنَ له كبير شيء .

صاحب أبي تمام: إن دُعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور فلا يقبل قول شاعر في شاعر . وأما ابن الأعرابي فكان شد يد التّعصب عليه لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنف أن يقُول لا أدرى فيعدل إلى الطعن عليه .

ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس .

صاحب البُحترى: لا عَيبَ على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام إلى الخطأ والإحاطة، والعيبُ في ذلك يلحق أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية.

صاحب أبى تمام : إن العلم فى شعر أبى تمام ، أظهر منه فى شعر البحترى والشاعر العالم .

صاحب البحترى: كان الخليل بن أحمد عالماً شاعرًا ، وكان الأصمعي شاعرًا عالماً ، وكان الكساني كذلك ، وكان خلف بن حبان الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان زمانهم من الشعراء غير العلماء ، والتّجويد في الشعر ليست علته العلم ، والشائع المشهور أن شعر العلماء دُون شعر الشعراء ، وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب . أما البّحترى فلم يقصد هذا ولا اعْتَمَده ، ولا كان يعده فضيلة ولا يراه علماً ، بل كان يرى أنه شاعر ، لا بُدله أن يقرّب شعره من فهم سامعه ، فلا يأتي بالغريب إلا أن يتفق له في الله ظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه ، عَلَى أن هذا

العلم الذي تؤثرُون به أبا تمام لم ينفعه ، فقد كان يلحن في شعره لحناً يضيقُ العذر فيه ، ولايجدالمتأوِّل له مخرجاً منه ، إلابالحيلة والتحمُّل الشديد .

صاحب أبي تمام: لسنا نُنكر أن يكون صاحِبُنا قد وهم في بعض شعره ، وعلك عن الوجه الأُوضح في كثير من معانيه ، وغير غريب عَلَى فكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ، أن يلحقه الكلال في الأوقات ، والزلل فالأحيان، بل من الواجب لن أحسن إحسانهُ أن يُسَامح في سهوه، ويتجاوز له عن أخطائه ، وما رأينا أحدًا من شعراءِ الجاهلية سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب، وكذلك ما أخذته الرّواة عن المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ ، واللحن أشهرُ من أن يحتاج إلى أن نُبرهنَه أو ندل عليه ، وما كان أحد من أولئك وهؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل ، بل عفا إحسانهم عَلَى إِساءتهم وتجويدهم عن تقصيرهم .

صاحب البُحترى: أما أخذُ السهو والغلط. عَلَى من أُخِذَ عليهم من المتقدمين والمتأخرين فني البيت الواحد والبيتين والثلاثة . أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات ، يكون فيها مفسدًا أو مُحيلًا أو عادلًا عن السنن أومستعيرًا استعارةً قبيحةً ، أو مخطئاً للمعنى بطاب الطباق والتجنيس، أومبهماً بسوء العبارة والتعقيد ، حتى لايُفهم ولايوجدله مخرج .

صاحب أبي تمام : تُذكرُون على أبي تمام من الفضل ما يعترف به البُحترى نفسه ، فقدر ثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره.

صاحب البُحترى: لم لا يفعل البحترى ذلك ؟؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين ، وأخوين متصافيين ، يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ، فليس بمُنكر ولاغريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويصفه بأحسن ما فيهِ وينحله ماليس فيه ، على أن الميت خاصة يُعطى في تأبينه من التقريظ. والوصف وجميل الذكر أضعاف ما كان يستحقه . صاحب أبي تمام: كيفما كان الأمر لانستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء ، أن جيداً بي تمام لايتعلق به جيد أمثاله ؛ وإذا كان جيده بهذه المكانة ، وكان من الممكن إغفال رديئه واطِّراحه كأنه لم يَقُلْهُ فلا يبتى ويب في أنه أشعر شعراء عصره ، والبحترى واحد منهم .

صاحب البحترى: إنما صار جيّد أبى تمام موصوفاً ومذكوراً لِنُدْرَته ووقوعه في تضاعيف الردىء، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه، وجيد البحترى كجيد أبى تمام، إلا أنه في جيد مثله أو متوسط، فلا يفاجئ النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه.

مناظرة بين الليل والنهار

لمحمد أفندى المبارك الجزائري

لما أسفر النهار عن بياض الغُرَّة قابله الليل بسواد الطُّرَّة ثم صار الهزل جَدًّا ، واشتد النزاع بينهما جِدًّا ، فاستنجد كلَّ منهما أميره ، وأفشى له سره وضميره ، وإذا بالليل حمل على النهار ، فصبغ حُمْرة وردته بِصُفْرة البهار ، وخطر يَجُرُّ ذيول تيهه وعجبه ، مُرَضَّعًا تيجان مفاخره بدرر شبهه ، ثم قال : « والليل إذا يَعْشَى » «إنَّ فى ذلك لعبرة لمن يَخْشَى » ففتح باب المناقشة فى هذا الفصل ، وعقد أسباب المنافسة بقول الفصل « فإن الحرب أولها كلام » ثم تَنْجَلى عن قتيل ، أو أسير بكلام .

ولما بلغ الليل غايته بزغ الفَجْرُ ورفع رايته ، وقال إذ جال فى مُعترك المنايا «أنا ابن جَلَا وطَلَّاع الثنايا » ، فتقدم فى ذلك المكان وجلى ، تالياً قوله تعالى « والنَّهَارِ إذا تجلَّى » ثم استوى على عرش السنا والسناء ، وأطلع شموس طلعته فى الأرض والساء ، فأعْرَبَ عن غوامض الرقائق والحقائق ، وأغرب فى نشر ما انطوى من الأسرار والدقائق ، وماانحدر من منبره حتى أيد دعوى خبره بشاهد

مخبره ، فانتدب إليه «الليل» ومال عليه كل الميل ، وقال : أحمد من جعلنى خلوة للأَحباب ، وجلوة لعرائس العرفان ونفائس الآداب ، وخلقنى مثوى لراحة العباد ، ومَأْوَى لخاصة النسَّاك والعبَّاد ، ولله درُّ من قال فأَجاد :

أيها الليل طُل بغير جُنَاح ليس للعين راحة في الصباح كيف لا أبغض الصَّباح وفيه بانَ عني نور الوُجُوه الصِّباح

أتردّد على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب، وأتودّدُ إلى أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب، تدور في ساحتهم بدورُ الحسن والبهاء، وتدارُ من راحتهم كووس الأُنس والهناء فتُحيِّهم نغمات السمر، وتُحييهم نسمات السحر، فأحيان وَصْلِي بالتهاني مُقْمرة، وأفنان فضلي بالأماني مُشمرة، وحسبي كرامة أنى للناس خير لباس أقيهم بلطف الإيناس من كل باس، ومَنْ واصل ألا للناس خير لباس أقيهم بلطف الإيناس من كل باس، ومَنْ واصل الإدلاج وَهجَرَ طيب الكرى قيل له (عند الصَّباح يحمد القومُ السُّرَى).

وَمَا الليلُ إِلا للمُجِدِّ مَطِيَّةً وَميدان سبق فاستبق تبلغ المُنى

ففتن بمعانى بيانه البديع ، وتفنن فى أفانين التصريع والترصيع ثم أتم خطبته بالماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهى الغفلة ودواعى اللهو . فوثب إليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قهار ، وصعد على منبره ثانيا ، فوثب إليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قهار ، وصعد على منبره ثانيا ، وقد أضحى التيه لعطفه ثانيا ، فأثنى على من جلا ظلمة الحجاب ، وتجلى له باسمه النور وتوجه بسورة من الكتاب وزانه بأبي سراج وهاج ، فأوضح بسناه السبيل والمنهاج ثم صاح : أيها الليل ، هكلا قصرت من إعجابك الذيل؟! ولئن دارت رحى الحرب واستعرت نار الطعن والضرب ، فكلاً شبين مُخدراتك ، وهي عن الوجوه حاسرة ، وأنت تتلو يومئذ « تلك إذًا كرَّة خاسرة » . فما دعاك عن الوجوه حاسرة ؟ وها دهاك حتى عرضت بنفسك للمُناضلة ؟! وهل دأبك إلى حلبة المفاضلة ؟ وما دهاك حتى عرضت بنفسك للمُناضلة ؟! وهل دأبك إلا الخداع والمكر ؟! وترقب الفرصة وأنت داخل الوكر ؟! أما حَضَ القرآن

على التعوُّذ بربِّ الفلق وندب « مِنْ شرَّ ما خلقَ ومن شرِّ غاسِق إِذَا وَقَبَ الفبرى يُسْتَعَاذ من شَرِّك ويستعان على صنوف صروف غدرك ، وهَبْ أَمْك تجمع المحب بالحبيب ، إذا جار عليه الهوى وحار الطبيب ، فكم يُقاسى منك في هاجرة ، ويئن أنين الثكلي حتى مطلع الفجر ؟! .

يبيتُ كما بات السليمُ مُسَهَّدًا وفى قلبه نارٌ يَشُبُّ لها وَقَدُ فيُسَاهر النجوم، ويُسَاور الوجوم، وقد هاجت لَوَاعج غرامه، وتحركت سواكن وجده وهُيَامه؛ فأنشد وزفيره يتصعد:

أقضى نهارى بالحديث وبالمُنى ويجمعنى والهمّ بالليل جامعُ نهارى نهار الناس حتى إذا بدا ليّ الليلُ هَزَّتنى إليك المضاجعُ

على أن العاشق الوله ، يشكو منك في جميع أحواله ، فكم قطع آناءك بمواصلة أنينه متململاً من فرط شوقه وحنينه ، فلما أن خُظِي بالوصال تمثل بقول من قال: الليلُ إِن وَاصَلَتْ كالليل إِن هجرَتْ أَشكو من الطُّولِ ما أَشكو من القيصر

ولئن افتخرت ببدرك الباهر الباهي، فإنما تُبارى ببعض أنوارى وتُباهي، وهل للبدر عند إشراق الشمس من نور؟ أو لطلعة حسنه من خُدُور البطون ظهور! ومن ادَّعي أنك تساويني في الفضل والقدر! أو زعم أن الشمس تقتبس من مشكاة البدر! ومني استمدت الأصول من الفروع « وما أغنى الشموس عن الشموع » فبي تَنْجَلي محاسن المظاهر الكونية وتتحلي بجواهر الأعراض اللونية، أو يحني حسني وجمالي على مشاهد؟ أو يفتقر فضلي وكمالي إلى شاهد! وعِرْضِي عار من العار، وجميع الحسن من ضيائي مُستعار!

وليس يصحُّ في الأَذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل أما كفاك بيِّنَة ، وزادك ذكرى أو تبصرة ، قوله تعالى: « فَمَحَوْنَا آية اللهار مُبْصِرة » و «هل يَسْتوِى الأَعمى والبصير ، ،

أم تستوى الظلمات والنور» وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور! وإن كنت مغنى الأنس والأفراح ، تفعل بعقول الناس فعل الرَّاح ، فهل حسبتأن السكوت خير من الحركة ، وقد أجمع العالم على أن الحركة بركة ، فإن لى بكل خطوة حَظُوة وليس لجوادي كَبْوَة ، ولا لِصَارِي نَبْوَة ، وإِنْ صَرَّحْتُ للذينَ يبيتُونَ لِرَبُّهُم سجدا وقياماً ، معرضاً بكل غافل لاه ، في كل مجال رجال لاتلهيهم تجارةً ولابيع عن ذكر الله ، وأين من احتجب بظلماتٍ بعضها فوق بعض ، ممن أضحى منظر بعين الاعتبار في ملكوت السموات والأرض! وقد أتحفني الله بالصلاة الوسطى فأُوترُ بها صلواتي، وشرع فيها الإِسرارلأمرار اختصت بها أَهل جلواتي، وكفاني شرقاً « شَهْرُ رمضان الذي أُنزل فيه القرآن » ، فمآثري مأثورة في القديم والحديث، ومفاخري منثورة في الكتاب والحديث، ومحاسِني واضحةٌ لأولى الأبصار، وهل تخفي الشمس في رابعة النهار! فاكفف عن الجدال وَأَمْسِك، ولا تجعل يومك مثل أمسك ، وسالم من ليس لك عليه قُدْرَة ، فقد قيل : هِ مَا هَلَكَ امْرُوُّ عُرَفَ قَدْرَه » ، أقول قولى هذا وأستغفر الله من آفة العُجْب والكبرياء . ولما انهار ركن النهار ، إِنْهَارُّ (الليل) وتبرقع بالاكْفِهْرَار ، فسدُّ ما بين الخافقين بسواده ، وطَفِقَ يَرْمى بسهام جَدَله في جلاده ، وقدم بين نجواه سورة القدر ، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر ، وثني بقوله تعالى : « سبحانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلا » فأَشار إلى الحبيب حين تجلت له قوة عينه ليلا ، ثم قال : « سُحْقًا لك أما النهار ، فقد أُمَّست بنيانك على شفا جُرْف هَارٍ ، ومنى كان انسلاخُك وظهورك ، وتفاضلى وبي أُرُّخَت أَعوامك وَشهورك _ أَلم يأن لك أَن تخشع للذكر(١) ! فتعترف برتبة التقديم في الذكر (٢) ، وكيف تُعَيِّرُني بلون السَّواد! وهل يقبح السواد

⁽١) الذكر: القرآن.

⁽٢) الذكر هنا: الشرف.

إلا في الفواد؟! أو كيف تعيبني بالخداع (وَالحَرْبُ خُدْعة) وليس الشيء في موطنه بغريب ولابدْعة؟! أما تشهد العوالم من هَيْبَتِي حَيَاري ؟ «وترى الناس سكاري وماهم بِسُكَاري » فكم أرّقتُ (١) ملوكاً أكاسرة ؟ وأرقت (٢) دماء أسوير كاسرة ، وكم أوريتُ نار الوغي تحت العجاج ؟ وقد ازورَّت اللحاظ واغْبَرَّت الفجاج ، فأنا البطل الذي لا يُصْطلي بناره ، ولا يأخذ منه الموتور بثاره ، وافتِخارُكَ على بالصلاة الوسطى ، ليس إنصافاً منك ولاقسطاً ، وهب أنك انفردت بتلك الصلاة الجليلة ، فأين أنت مما أوتيتُهُ من الصلات الجزيلة ، أما كان افتراض الصلاة في ليلة العروج ؟! فما بالك تدعى الارتقاء إلى هذه البُرُوج ؟! وما أعجَبَتْني قَطُّ دعوى عريضة ولوقام في تصديقها ألف شاهد وما أعجَبَتْني قَطُّ دعوى عريضة ولوقام في تصديقها ألف شاهد

وما اعجبتى قط دعوى طريصه ولوقا على السبع المثانى والقرآن، وما نزل فيه من السبع المثانى والقرآن، فهل صح لك صيامه إلا بى بَدْ الله وختاماً ؟! وقد تميّزتُ عليك بفضيلة إحياته تهجدًا وقياماً ، على أنى محل النيّة «ونية المرء خير من عمله » لأنها بمثابة الروح له ، وبها يحظى الراجى ببلوغ أمله ، هذا : وإنى أتكفّل للصائم بمديد الراحة ووافر الأجرحي يتبيّن له الخيط الأبيض من الأسود من الفجر ، وكيف تفتخر بالكتاب المنزه في مزاياه عن المشاركة ؟ والله تعالى يقول فيه : « إنّا أنزَلْناه في لَيْلَة مُبَارَكة » وهل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين؟! أم على جناح جُنحك أشرى بنور طلعة الكونين؟! عُرجَ به عليه الصلاة والسلام إلى منزلة قاب قوسين ، وهل في تجليات أسحارك يقول الرب : هل من سائل ؟ فيناجيه العبد منضرعاً إليه بقلب خاشع ودمع سائل .

ومما اختصصت به من الفضائل والمفاخر ، أنه في دولتي وُلد سيد الأوائل والأواخر ، ونَاهِيك بليالي شهر الله رجب ، وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت آمنة بسيّد العَجم والعرب .

⁽۱) أرقت: أسهرت . (۲) أرفت : أسلت ٠

فطلع (النهار) طلوع الأسد من غابه ، وكسر جُيوش الدجى حين كَشَّر عن نابه ، وَشَمَّر للحرب العَوَان غير نَاكِل ولاوَانٍ ، ناشرًا في الأَفق رايته البيضاء ، وأَسِنَّتُه لامعة بين الخضراء والغبراء ، وقال : والذي كساني حُلل الملاحة ، وأطلق لساني بالبلاغة والفصاحة ، لأَمحونَّ سطور الدجى من طُرُوس الوفاء الوجود ، ولأَثبتن حسن أحوالي في مقامات أهل الشهود : فإني معروف بالوفاء وصدق الخبر ، موصوف بالصفاء الذي لايشوب صفوه كَدَر ، كيف يُباهبني وصدق الخبر ، موصوف بالصفاء الذي لايشوب صفوه كَدَر ، كيف يُباهبني (الليل) عكارم الأُخلاق ، ومحاسن الشِّيم ، وأنا أتحدث بنعم الله وهو موسوم بكُفْرَان النَّعُم ؟ أَلست مظهرَ الهداية والدلالة ، وهو مظهر الغواية والضلالة ؟! فكم أَرشدت مَنْ أَضله ، وأَعززت من أهانه وأذله ، وكم أظهرت عينه حُزْناً «واشتعل الرأس شيبًا» :

ومن جَهِلَتْ نفسه قدره ﴿ رأَى غيره منه مالا يرى

وكيف يزعم هذا العبد الآبق أنه لسبده في حَلبة الشرف سابق، وقد قال الواحد القهار: «ولا اللّيلُ سابقُ النّهارِ) إِن هو وأيم الله كافر، وبشموس أنوار الشهادة غير ظافر، لوكان من السّعداء لفاز بدار النعيم، ولولا شفاؤه لل شابه سواد طبقات الجحيم، وماذا يُومِّله من الجزاء ويرجوه «يَوْم تَبْيَضُّ وُجُوه» أما درى أن صحيفته سوداء مظلمة، وصحيفتي تفصح عن نفسٍ مؤمنة بالله مسلمة! وأني يرقى كتابه إلى عليّين، وهو من ظلمات الحجاب في سِجّين!

ثم أقبل عليه ، وأنشد مشيرًا إليه :

يا مُشبهًا في فِعْلِهِ لَوْنَه لم تَعْدُ ما أوجبت القِسْمَه

خُلُقك من خلقك مستخرجٌ والظلم مُشْتَق من الظلمه

وقال : كيف تدعى فوق حالك ، وأى فضل لمن منظره أسود حَالِك !

أما علمت أن الظاهر للباطن عنوان ، كما أن اللسان عن الجنان ترجمان ، قال
أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام : «ابتغوا الخير عند حِسان الوجوه» وقال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر فأنا مِفْتاح خزائن الأرزاق ، وبي يستفتح باب الكريم الرزاق ، وكفانى دليلاً على الفضل والكمال « إن الله تعالى جميل يُحب الجمال » لقد سمعت أقاويلك التي قدمتها بين يديك ، وزعمت أنها حُجَّة عليك(١) ، ولا جَرَم أن لسان الجاهل مفتاح حَثْفه ، وكم من باغ قتل بصارم بغيه وحَيفه . أما انسلاخي منك فمن أمْلك الملحلي والغُرر ، وهل يحق لأصناف الأصداف أن تُنافس نفائس الدُّرر ؟ أليست « تَلِدُ الأَمة ربتها حُرَّة نجيبة » وقد قالوا : « إن الليالي حَبالي يلِدُن كل عجيبة » ، وأما تَقَدَّمك عَلَي فمن العادة تقدم الخدم بين يدى السادة :

أو ما يُرى أن النبيّ محمدًا فاق البَرِيّة وهو آخر مُرْسَل على أنه «أولُ ما خلق الله النّور» كما ورد عن جابر في الخبر المأثور وأما تحلّي صفوتك بتجلّي الحق تعالى في السّحر ، فليس إلا لمن أحيا أحيانك بالمجاهدة والسهر ، وأما زَهُوك بقصة ظهور سيد ولد آدم الذي هو نتيجة مُقَدمات الكون وَزُبدة العالم ، فهل وقع اتفاق الرواة على ذلك؟ وَأنّى لك هذا ، وصُبْح طلعته تمحو سوادك الحالك ، وأما خبر الإسراء فعنّى روته الأمّة (٢) ثم بلّغه الشاهد للغادب بعد أمة (٣) ؛ فما لاحت أسراره إلا بمطالعي ، ولا راحت أستاره إلا بطوالعي ، وما أشرت إليه من بقية معانيك التي أضاءت بها في الخافقين نجوم معاليك ، فلين أنت من يوم عرَفَة ، الذي عرفه بأبهي الخصائص مَنْ عرفه ، وأين أنت من يوم عاشوراء ، الذي يَعظم فيه الشكر والصبر على السراء والضراء! وناهيك بسُمُوّ شأن العيدين ، فما أجلّهما من موسمين سعيدين ، وكيف تُفَاخر في بساعة تبلو العيدين ، فما أجلّهما من موسمين سعيدين ، وكيف تُفَاخر في بساعة تبلو منك مرة في كل عام ، ولى كل أسبوع أمدٌ تمتد فيه موائد الْجود والإنعام منك مرة في كل عام ، ولى كل أسبوع أمدٌ تمتد فيه موائد الْجود والإنعام منكور والكورة والإنعام من موسمين سعيدين ، وكيف تُفاخر في بساعة تبلو منك مرة في كل عام ، ولى كل أسبوع أمدٌ تمتد فيه موائد الْجود والإنعام منه والديرة والكورة والإنعام من موسمين سعيدين ، وكيف تُفاخر في موائد الْجود والإنعام منكورة والمنورة والمنورة والمنورة والمنورة والإنعام من موسمين سعيدين ، وكيف مؤلد الْجود والإنعام من موسمين سعود المناكور والمنورة والإنعام من عورة والمناكورة والمناكورة والإنعام من موسمين سعود المن موسمين سعود المن كل عام ، ولى كل أسبوء أمدُ تمتد فيه موائد المؤورة والإنعام والمناكور المناكورة والمناكورة والمؤورة والمؤلد المؤرد والمؤرد والمؤرد والمؤرد والمؤرد والمؤرد والمؤرد والمؤرد والإنعام والمؤرد والم

⁽١) هكذا بالاصل والاصح أن يقال: « وزعمت أنها حجة لك مع أنها حجة عليك » . حجة عليك » . (٢) الأمة: أهل الدين (٣) الأمة: الحين من الدهر ؛ أي مدة ؛ أو وقت.

فأَخبارُ أَخبارى سارت بها الركبان ، وماسَت بنسيم رقَّتها معاطف البيان ، وقدرى فوق ماتصفه الأَلْسُن ، وعندى « ما تشتهيه الأَنْفُس وتلذ الأَعْيُنِ ، فقد بين الصبح لذى عينين » . فدع عنك قول الزُّور وَالْمَيْنِ « فقد بين الصبح لذى عينين » .

ولمّا أفاض (النهار) في حديث يفضح الأزهار، أبدع في كنايته وتلويحه وأعْرَب في تعريضه وتصريحه. ابتدر إليه (الليل) وأجلب عليه بالرَّجل والخيل وامتطى جواده الأدهم، واعتم بعمامة سوداء وتلتَّم، فأنسى بفتكاته عنترة بنى عبس ، حين أمسى يتوعّد عمارة بالقتل والرّمس، ثم نشر في الأفق ذوائبه السود، وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود، وقال: « فلا أقسمُ بالشفق، والليل وما وسَق، والقَمَر إذا اتَّسَق ، لأَسبينَّ رُوميّ النهار، ولأَجعلنه عبرة لذوي الاعتبار؛ فلقد تزييّ المملوكُ بِزِيِّ الملوك، وادَّعي مقام الوصول إلى صاحب السير والسلوك، أما كفاه ازدرائي وتحقيري؟! حتى حكم بتضليلي وتكفيري! كم أسبكت على عوراته ذيل سترى، وهو لا يُبالى متك أستارى؟ وكم أودعتُ مكنون سرَّه في خزانة سرَّى، وهو يبوح عصون أسرارى! أف له وكم أودعتُ مكنون سرَّه في خزانة سرَّى، وهو يبوح عصون أسرارى! أف له من المفاضح؟!

أَنَمٌ بِمَا اسْتُودَعْتُهُ مِن زِجَاجِةٍ يُرى الشيءِ فيها ظاهرًا وهو باطن

كيف احتج لتقدمه بحديث جابر ، مع أن مارواه لِكَسْرى أعظمُ جابر ، فإنه برهنَ على تقدى عليه لو أدرك سر ما أوماً إليه ، وعلام جعل السوادَ على النقص علامة ، وهو مُشتقُ من السُّؤدَد لدى كل علَّامة ؟ أما درى أنى حُزْتُ من الكَّمَال الحظ الأَوْفَر ، حتى تحلى ببديع وصنى العنبرُ والمسكُ الأَذفر!

إِنْ كُنتُ عبدًا فنفسى حُرَّة كرماً أُو أَسُودُ الْخَلق إِنى أَبيض الْخُلْق وَ وَهُل يُزرى بالخال سواده البارع ، أُو يُغْرِى بالبرص بياضه الناصع ، وف بياض المشيب عِبْرَة وأَى عَبْرَة ، فكم أُجرى من الآماق أعظم عَبْرَة .

له منظر في العين أبيضُ ناصع ولكنه في القلب أسود أسفَعُ

ومن عاب نعت الشباب ، وفضل وصف الشيب ، فقد غاب عن شهود العيب وعالم الغيب «فما كلَّ بيضاء شَحْمَة ولاكلُّ حمراء لحمة » ؛ ولمَّا أَنهى مقاله ، ومل مقامه شَمَّر للرحلة أذياله ، وقوض خيامه . فتهلل وجه الصباح وهلل بذكر فالق الإصباح وازدهاه السرور والابتهاج ، كأنه ربُّ السرير والتاج :

فكأن الصبح لمَّا لاح من تحت الثُّريَّا ملكٌ أَقبل في التا ج يُفدَّى ويحيًّا

برز إلى المبارزة من بامها ، إذ كان في فرسانها وأربامها ، فسلب (الليل) الباسه وأَذاقه شدته وباسه ، وقال له : أَمها المَعجبُ بنفسه ، المغرب في نفشه صحيفة زوره بنقشه(١) « ما كل سَوْدَاءَ تمرة ، ولا كل صَهْباء خمرة ، ألم تعلم أَيَّنَا أَسِي محيًّا ، وشتان ما بين الثرى والثريًّا ، أين سوادك من بياضي؟ ! وما زهر نجمك إن تلألاً من زهر رياضي ! وكم أطلعت بُدورًا في مواكب السيارة ، فأضحت تزهو بجماله على الكواكب السيارة ، وهل لك مثل الغزالة ؟ التي انفردت في الملاحة لامحالة ! فأنا الذي ضاء صباح الصبَّاحة من محياه ، وضاع عَبير العنبر من نشر أنفاسه وطيب رياه ، ولولاى ما عُرِف الحسن والجمال ، ولا سعى على وجه الأرض بدر الكمال . فوجم (الليل) لبراعة تلك العبارة ، وبلاغ ما لاح له من الرمز والإِشارة ثم وثب للمقال كأَنَّمَا أَنشط من عِقال ، وقال : «رُبُّ ملوم لاذنب له »، ومظلوم خيب الدهر أمله ، فإلى متى يسوعُنى النهار؟ وحتَّامَ يسومني عذاب النار؟ طالمًا أعرتُهُ أَذِناً صاء ، وعينًا عمياء ، وهو لاينثني عن المقابلة ، ولا يرعوى عن المحاربة والمقاتلة . أما تعلم أيها المغتر ببياضك أَن السواد حِلية أَهل الزهد والصلاح ، وهل يسترقُّ الأُسود إلا سود أُحداق

⁽١) النقش: ما يكتب به من مادة، يريد سواده .

المِلَاح! بيد أن الحر لا يُبَالى بالجمال الظاهر، وإنما يُبَاهى بالفعل الجميل، والقلب الطاهر، فإن تفاوُت المراتب، بحسب تفاوت المناقب.

وما الحسن في وجه الفتي شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق وكم أعددت للأنس مقاعد ، وفي الأمثال : «رُبَّ ساع لقاعد » فإن ظلّى ظليل ونسيمي عليل بليل ، تهدأ بي الأنفاس وتسكن الأعضاء والحواس . فقام (النهار) يعثر بذيله ، وقد كفكف واكف سيله ، فما لبث أن تنفَّس الصباح ، وأظهر من سناه ما أخني ضوء المصباح ، ورفرف بجناحه الأبيض على الدُّجي ، فاقتنصه من وكره بعد ما سكن وسَجَا :

فكأن الصباح فى الأُفْق باز والدُّجَى بين مِخْلَبَيْهِ غُرَاب وقال: تَبَّا لك أيها (الليل) فلقد أُوتيت من المينِ أُوفر نيل، أَى حديث لك صحيح وضعتُه، وأَى حق لك صريح أَضَعْتُهُ ؟!

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد آبْع رضا الله فأغبى الوركى من أسخط الموْلى وأرضى العبيد نعم لك فى السمر خبر مرفوع ، بيد أنه مكروه فى السنة موضوع ، قد اشتهرت لكن بأقبح الأوصاف ، وعدلت لكن عن سبيل العدل والإنصاف ، تكتم عن المرء ما يُرْدِيه « وتخفى فى نفسك ما الله مُبْديه » وفى المثل: « الليل أخنى للويل » فما أصعب مراسك قبل افترار سُهيل ، وهل يترنم بذكرك إلا غافل ؟ وأنى يغتر بك عاقل ، ونجمك آفل ؟ وكيف تفتخر على ، وأنت تفتقر إلى ؟ ولما سلب النهار بأساليب بيانه العقول ، وسكت الليل مَلِيًّا أنشاً يقول : فعين الرِّضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السُّخط تبدى المساويا كيف أتصدي للكذب ، وأتردي باللهو واللعب !! وأنا المنعوت باللطف كيف أورث الغرور ، وأوثر الغفلة والظرف والموسوم بالصمت وغض الطرف ، كيف أورث الغرور ، وأوثر الغفلة

على الحضور ، وأنا الداعي لذكر الله وحده ؛ والساعي في رُدّ الكثرة الوهمية إلى عين

الوَحْدَة وأَنا الموصوف بالسَّتْر الجميل ، والمعروف بشكر المعروف والجميل ، وهل أَحْجِبُ البصر عن شهود عالم الكثافة ، إلا لأَكشف لعين البصيرة عن عالم اللطافة ، وبذلك يتحقق العبد بفنائه عن وُجُوده ، فَيمده الرب تعالى بسر بقائه من خزائن جُودِهِ . ثم قال (النهار لليل) وقد هجم عليه هُجُوم السيل : أيها المدعى مقام الدعوة إلى الله، وهو في حال الغفلة عن مولاه لاه ، كيف تَسَنَّمْتَ ذَروَة هذا المِنْبر ؟ كأنك تكتُبُ بالمِسْك وتختم بالعنبر! لقد أَطلت فيما « لا طائل تحته » ولا معنى ، فكم ذا « أَسْمَعُ جَعْجَعَةً ولا أرى طَحناً » فلو كنت ممن انتخب غُرر الشُّيم وانتقى، لاتَّعظت بقوله تعالى: «فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتَّقى». فتنبه من غفلتك أيها « الليل » قبل أن تدعو بالثُبور والويل ، وإلا فَرَّقْتُ طلائع سَوَادِك أَى تفريق ، ومزقت سوابغ ظلامِك أَى تمزيق ﴿فَمَا كُلُّ مَرَّةٌ تَسْلَمُ الجَرَّة ». فاسود وجه الليل، وانقلب «بحَشف وسُوء كيل » وندم على مناضلة النهار ، نَدَامة الفرزدق حين فارق النَّوَّار(١) ولما سُقِط. في يَدِه ، ورُزِئَ في عدده وعُدَده ، تردى بالسواد ، ولبِسَ ثياب الحداد ، ثم لاح هلاله للعين ، كمِنْجُل صيغ من لُجين :

انْظُر إِلَى حُسْنِ هلال بدا يَجْلو سنا طَلْعته الحنْدِسا كَمِنْجَل قد صيغ من فِضَّة يَحْضُدُ من زهر الدجى نرجسا

⁽۱) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها فی مجلس عبد الملك بن مروان و دلك أن الفرزدق قال فی المجلس ـ وفیه جریر ـ النوار طالق ثلاثا أن لم أقل بیتا لایستطیع جریر أن ینقضه أبدا فقال عبد الملك : ماهو ؟ فقال : فانی انا الموت الذی هو واقع بنفسك فانظر كیف انت مزاوله فقال جریر : أم حرزة طالق منی ثلاثا ان لم أكن نقضته وزدت علیه و فقال عبد الملك هات فأنشد:

أنا الدهر يفنى الموتوالدهرخالد فجئتنى بمثل الدهر شيئا يطاوله فقال عبد الملك: فضلك والله با أبا فراس وطلق عليك .

وقال : من يُنْصفني من هذا الجائر ؟ وينْصِتُ لى فأَبِثه شكوى الواله الحائر ، فحتام أعانى حَدَّ الظبا ، وقد بكغ السيل الزُّى .

وكنت كالمُتمنى أن يرى فلقاً من الصباح فلما أن رآه عمى فانتبه طرف (النهار) وازدهر سراحه أى ازدهار ، وشرع يتلو سورة النور بكمال الابتهاج ، والشمس ترقمُ آية جماله بالذهب الوهاج .

وقابل الصُّبْح جُنْح الليل فارتَسَمَت سُطورُه البيضُ في ألواحه السود

ثم قال: أيها « الليل » البهيم « تالله إنّك لنى ضَلَالِك القديم » كيف تدعى أنك مظلوم ، وتشتكى من جورى وأنت الظلوم ؛ وهب أنى قاتَلْتُكَ ظلماً فأنت البادى ، وهل قابلتك إلا بما واجهتنى به في المبادى ، وها أنا بَرْهَنت على فضلى بشهود عُدول ، ليس للمنصف على تزكية شهادتهم عدول ، فاستقل من دعوى المجد والفخر ، « فقد حَصْحص الحق » ووضح الفجر ، وإن أبيت سلوك محجى ولم تتضح لك أدلة حُجَّى ، فهلم إلى « حضرة الأمير » ولا ينبئك مثل خبير . فأنكر الليل زعمه التفرد بالفضل وادعاء ، وأجاب في عرض أمرهما على (الأمير) دعاء ، وقال : على الخبير ، سقطت ، وعند ابن بجدتها حططت .

وكتب أيضا في مناظرة بين الارض والسماء

جالت الساء في ذلك المضار وصالت ، ونوهت برفيع قدرها وقالت: تبارك الذي جعل في الساء بروجاً ، ومنح أشرف الخلق إلى عُرُوجا ، وقدمني في الذكر في محكم الذكر ، وشرفني بحسن القسم ، وأتحفني بأوفر القسم ، وقدسني من النقائص والعيوب ، وأطلعني على الغوامض والغيوب ، وقد ورد أن الرّب ينزل إلى كل ليلة ، فيولى من تعرض لنفحاته بره ونيله ، فيالها من تحفة جليلة ومنحة جزيلة يحق لى أن أجر بها ذُيول العزة والافتخار ، وكيف لا والوجود بأسره باسط إلى أيدى الذلة والافتقار ، فلى العز الباذخ ، والمجد الأثيل الشامخ ، لتفردي بالرفعة والسمو وعُلُو المنزلة دون غلو . فقالت لها «الأرض » ويحك لقد لتفردي بالرفعة والسمو وعُلُو المنزلة دون غلو . فقالت لها «الأرض » ويحك لقد

أكثرت نزراً وارتكبت بما فُهْتِ به وزراً ، أما إنه لا يُعْجَبُ بنفسه عاقل ، ولا يأمن مكر رَبه إلا غافل ، ومن ادّعى ماليس له بقوله أو فعله ، فهلاكه أقربُ إليه من شراك نعله ، وقد قيل : « من سعادة جدِّك ، وقوفك عند حدِّك » ومن فعل ما شاء لتى ما ساء ، أوما كفاك أن خطرت فى ميادين التيه والإعجاب ! حتى عرضت لشتمى « إنَّ هذا لشيءُ ءُجَاب » ! وهل اختصك الله بالذكر ؟ أو أقسَم بك دونى فى الذكر ؟ أو آثرك بالتقديم ، فى جميع كلامه القديم ، حتى ترديت بالكبرياء وتعديت طوْر الحياء !

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستَح فاصنَع ما تشاء فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تزدرين أهلى بالذُّنوب والمعاصى! وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصى ؟ فقابلتها «السهاء» بوجه قد قطبته ، ومِجَنَّ قد قلبته ، وقالت لها فى الحال أَيتها القانعة بالمحال ، ما كنت أحسب أنك تجترئين على مُبارزة مثلى ، وتنكرين على ما ترنمت به من شواهد مجدى وفضلى ، وهَلْ خِلتِ أَن التحدث بالنعم مما يلام عليه ؟ مع أنه أمر مندوب إليه ؟ ومن أمثال ذوى الفطنة والعقل «ليس من العدل سرعة العذل» وكيف جَحَدْت ظهور شمس كمالى ؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كمالى ! ولكن لك عند عُذراً جلياً ، وإن كنت «لقد جئت شيئاً فَرياً».

قد تذكر العينُ ضوء الشمس مِنْ رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَم طعم الماء من سَقم ولو رأيت ما فيك من المساوى عيانا ، لما ثنيت إلى حَلبة المفاخرة عِناناً . فأنّى تفوزين بأشرف الأقدار ، وأنت موضع الفضلات والأقدار ؟ وما هذا التطاولُ والإقدام ، ووجهك موطئ النعال والأقدام ، إن هذا إلا فعل مكابر ، دَعوى عريضة وعجز ظاهر ، وهل يحق للكثيف أن يتغالى على اللطيف ، أم ينبغى للوضيع

أن يتعالى على الرفيع ؟ فقالت لها «الأرض» أيتها المُغترة بطوالع أقمارها والمُعترَةُ بلوامع أنوارها «ما كلّ بيضاء شَحْمة ، ولا كل حمراء لحمة » فبم تزعمين أنك أتق منّى وأنقى ، وما عند الله خير وأبقى ، وأنت واقفة لى على أقدام الخدمة جارية في قضاء مآربي بحسب الحكمة ، قد كفلك الحق بحل مَوُونتى ، وكلّفك بمساعدتى ومعونتى ، ووكلك بإيقاد سراجى ومصباحى ، ووكلك إلى القيام بشئونى فى ليلى وصباحى ، وليس عُلوُّكِ شاهداً لك بالرتبة العليَّة ، فضلا عن أن يُوجب لك مقام الأفضلية _ فما كل مُرْتفع نجد ، ولا كلَّ مُتعاظم ذُو شَرف ومجد . وإن علاني من دونى فلا عجب لل أسوة بانحطاط الشَّمس عن زُحل فمن أعظم ما فقت به حسناً وجمالا ، وكدت بإخمصى أطأ الثريا فضلاً وكمالا تكوين الله منّى وجُود سيّد الوُجود ، فأفرغ عَلَى به خلع المكارم فهو وكمالا تكوين الله منّى وجُود سيّد الوُجود ، فأفرغ عَلَى به خلع المكارم فهو بلد الكمال وشمش الجمال :

وأجملُ منك لم تر قط عين وأكملُ منك لم تلد النّساء خُلقت مبرًا من كل عيْب كأنك قد خلقت كما تشاء فأكرم به من نبى أَسَرَنى به وأرضى ، كيف لا ولولاه ما خلق ساء ولا أرضا ، وجعلنى له مسجداً وطهورا ، وأقرّ به عينى بطوناً وظهورا .

فأَبْرَقِت «السَّماءُ» وأَرعدَت ، وأَرغت وأَزبدَت ، وقالت : إِن لَم تَتخطِّى خطَّة المكابرة وتتخلِّى عن هذه المثابرة ، لأَغرقنَّك فى بحر طوفانى ، أَو أَحرقنَّك بصواعق نيرانى ، وهل امتطيت الساكين ، أَو انتعلت الفرْقدَيْن ، حتى تفتخرى على ، وتشيرى بالذم إِلى ، وتلك شهادة لى بالكمال ، ولقد صدق من قال :

وإذا أَتَنْكَ مَذَمَّتِي من ناقص فهى الشهادة لى بأَنى كامل أم حسبت أن لك فى ذلك حجة ، فخاطرت بنفسك فى ركوب هذه اللُّجّة وكنت كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارِنَ أنفه بِكَفِّه :

لكل داء دَوَاء يُستطَبُّ به إلَّا الحماقة أَعْيت مَنْ يُدَاويها

أَمَّا دعواكِ أَنَى واقفةٌ لك على أقدام الخِدْمة ، فهي مما يُوجِبُ عِليكِ شكر الفضْل والنعمة ، فلو تفكُّرتِ أَنَّ خادم القوم هو السيد والموْلي ، وعرفت الفاضل من المفضول ، أو تَدَبَّرْتِ أَنَّ «اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلي» لاسْتَقلت من هذا الفضول ، فإنَّ قيامي بشئونك أوْضحَ أمارة . وأمَّا قولك منِّي سيد الوُجود ومن اصطفاهم لحضرته الملكُ الوَدُودُ ، فإن كنت تفتخرين بأُشباحهم الظاهرة ، فأنا أَفتخرُ بأرواحهم الطاهرَة ، أمَّا علمتِ أَنها في ملكوتى تغذُو وتروحُ ، وبواردَى (١) بَسْطى وقبضى تَشْدُو وَتنُوح ، فأَنا أَوْلى بهم ، وأحرَى بالافتخار بحزبهم .

فلما سمعت الأرض من السماء مقالة تقطر من خلالها الدِّماء ، أطرقت لمحة بارقِ خاطف، أَو نُغبة (٢) طائر خائف، ثم قنّعتْ رَأْسها ، وصعّدت أنفاسها وقالت: لقد أكثرتِ ياهذه اللغط. ، وما آثرتِ الصوَابِ على الغَلط. ، فعلامَ تَهْزئين بي وتستخفين بحسبي ونسبى ؟ وإلام تنقيضين عُرى أدلتي ، ولاتعاملينني بالَّلَى ؟ وحتَّام تُقابِلَينَي بِأَنُواعِ التأنيبِ ، ولِمَ لا تقني على حقيقتي بالبَحْث والتنقِيب؟ أحسبتِ أن الجسم ما خُلق إلا عبثاً ، ولا كان للنفس النفيسة إلا جَدثاً؟ وفي ميدانه تتسابق الفُهوم ، وَتُدْرك عوارف المعارف والعلوم ، وبه تترقى الأَرواح في مراقي الفلاح! وكيف لا يكُون مقدساً من كلِّ غي ومينن؟ وهو لا يَفْتُرُ عن تسبيح بارئِه طرفة عيْن ! وإلى متى أَنتِ على مُتحاملة ؟ وعن آية العدُّل والإحسان مُمّاحلة ؟ وأنا لك أسمُع من خادم ، وأطوَع من خاتم ؛ على أن لى مِن الفضائل ما ثبت بأصح البراهين والدلائل، أما في بقعة من أشرف البقاع عن الإطلاق، لضمُّها أعضاء مَن تمَّمَ اللهُ به مكارم الأَّخلاق! وفيّ روضةٌ من رياض الجنَّة ، كما أفصحت عن ذلك ألسنةُ السُّنة ، ومنِّي الكعبة والمشعرُ الحرام والحجر وَزمزُم والركنُ والمقام ، وعَلَيَّ بُيوتُ الله تشد إليها الرِّحال ، ويسبِّح (٢) النفية: الجرعة.

⁽١) وارد : طريق ٠

فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال ، وأخرج منى طبِّبات الرزق فأكرم بها عبادة ، وأتم نعمت عليه من وأتم نعمت عليه من الرياض والغياض ، ذات الأنهار والحياض ، التى تُشنى بنسيمها العليل ، وتنفى ببرد زُلالها حَرَّ الغليل :

لِمَ لاأَهيمُ على الرِّياضِ وطيبها وأَظلُّ منها تحت ظِل ضَافٍ والزهرُ يَضحك لي بثغر باسم والنَّهْرُ يلقاني بقلب صافي فَأَسفرت عن بدر طلعتها «السهاء» وهي تزهو في بُرُود السَّنا والسناء، وقالت تناجى نفسها عند مارق السَّمر ، حتَّام أريها السهى وتُريني القَمر ؟ ثم عطفت عليها تقول ،وهي تسطو وَتصول: أيتها المتعديةُ لمفَاضَلتي ،والمتصدِّية لمناضلتي مَتي قِيس التراب بالعسجد؟ أو شُبِّه الحصى بالزبرجد؟! إن افتخرت بشرف هاتيك البقاع التي زها بها منك اليكفاع والقاع ، فأين أنت من عرش الرَّحمن؟ الذي تعكفُ عليه أَرْواحُ أَهِلِ الإيمان ؟ وأين أنت من البيت المعمور ؟ والكرسي المكلِّل بالنُّور ؟ ! وكيف تفتخرين على بروضة من رياض الجنة ، وهي على بأسرها فضلا من الله ومِنَّه ! أم كَيف تزعُمين أنه كُتب لك بأوفر الحظوظ، وعندى القلم الأعلى واللُّوح المحفوظ ؟ وأما ازْدهاؤك بالحِياض والأنهار، والرياض المبتهجة بورُود(١) الورْد وَالْأَزْهَارِ ، فليت شعرى هل حويت تلك المعاني إلابنفحات غُيوثي وأمطاري ؟ أم أشرقت منك هاتيك المغاني إلا بلمحات شموسي وأقماري ؟! فكيف تُباهِيني مَا منحتُكَ إِياه ، وعطَّرتُ أَرْجاءَك بـأَريج نَشره ورَياه ؟! ويا عجبًا منك كلما لاحَ على شعار الحزن ، خطرت في أَبْهي حُلة من حلل الملاحة والْحُسن ، وإن افترَّت ثُغُور بِدُور أَنسي ، وقرت ببديع جمالي عين شمسي ، زفرْت زفْرَة القيظ. ، وكدت أَن تَتَميزِي من الغيظ. ، ما هذا الجفاء يا قليلة الوفاء ؟! وهل صفت أوقاتك إلابوجودى ، أوطابت أوقاتك إلا بوابل كرمى وجُودى ؟! ولو قطعت عنك (١) وردت الشهجرة ورودا اذا اخرحت وردها .

لطائف الإمداد لخلعت ملابس الأنس ولبست ثياب الحداد! أو حجبت عنك الشَّموس والأَقمار لما ميّزت بين اللَّيل والنهار! كُنت بفضلى معترفة حيث إنك من بحر فَيْضى مغترفة ؟! فَنَزعت «الأَرض» عن مُقاتلتها، وعلمت أنها لا قِبَل لها بمقابلتها. وحين عجزت عن العوم في بحرها، واستسلمت تمائمها لسحرها، بسطت لها بساط العتاب، مُتمثلة بقول ذي اللطف والآداب:

إذا ذهب العِتَابُ فليسَ وُدِّ وَيَبْقَى الوُدُّ مَا بَقِىَ العِتَابُ ثم قالت: اعلمى أيتها الموسومة بسلامة الصَّدر، الموْصوفة بسموِّ المنزلة وَعُلُوِّ القدر، أَن الله مَا قارن اسمى باسمك، ولاقابل صورة جسمى بجسمك إلا لمناسبة عظيمة، وأُلفة بيننا قديمة، فلا تُشمِي بنا الأعداء، وتَسِينى الأَحبَّاءَ والأودَاء، فإن ذلك من أعظم الرزايا، وَأَشَدُّ المِحَن والبلايا.

كلّ المصائب قد تمرُّ على الفتى فتهونُ ، غير شهاتة الأَعداءِ أَلا وَإِنَّ العبد محلُّ النَّقصِ وَالخلل ، وهل يسُوغ لأَحدٍ أَن يُبَرَّئ نفسه من الزلل ؟! وَمَنْ ذا الذي يسلم من القَدْح ، ولو كان أقوام من القِدْح (١):

وَمَنْ ذَا الذَى تُرجى مزاياه كلها كنى المرة نُبلا أَن تُعدُّ معايبُهُ هذا ، وإِن لى مفاخر لاتُنكر ، ومآثر تجل عن أَن تحصر ، كما أنك ف الفضل أشهر من نار على عَلَم ، وأَجَلُّ من أَن يحصى ثناة عليك لسان القلم ، فإلى متى ونحن فى جدالٍ وجلاد ، نتطاعن بأسنة ألسِنة حداد ، وهل ينبغى أَنْ يجُر بعضنا على بعض ذَيل الكِبْرِ والصّلف ، عفا الله عمًا سلف ، وهذه لعمرى ، حقيقة أمرى ، فانظرى إلى بعين الرّضا واصفحى بحقّك عما مضى .

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التي تجنَّحُ إلى طلب السِّلم والإقالة ، قالت لها: مآربُ لا حفاوة ، ومشرب قد وَجَدْتُ له حلاوة ، وما ندبت إليه من المودة

⁽١) القدح: يكسر القاف السهم قبل أن يرأش ويركب نصله .

والأُلفة ، فلاً مر ما جدَع قصير أنفه ، ولو لم تُلْتي إلى القياد ، لعاينت منّى مادونه خوط القتاد ، ولكن لاحرج عليك ولاضير ، فإنك اخترت الصلح والصلح خير ، وكيف جعَلْت العتاب شرطاً بين الأحباب أو ماسمعت قول بعض أولى الألباب : إذا كنت في كلّ الأمور مُعاتباً صديقك لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبه وإن أنت لم تشرب مِرارًا على القذى ظمئت وأى النّاس تصفو مشاربه وها أنا رَادّة إليك عوائد إحساني ، وموائد جُودي وامتناني ، فقرِّى عيناً وطيبي نفسًا ، وتيهي ابتهاجاً وأنسًا ، وأبشرى ببلوغ الوطر ، وزوال البُوس والخطر . فسجدت الأرض شكرًا ، وهامت نَشُوة وسُكرًا ، وتهلل وجهها سُرُورًا ، وامتلاً وحُبورًا .

مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي المتوفي سنة ٤٠١ هـ

قال الرَّبيع: أنا شبابُ الزمان، وروح الحيوان، وإنسان(ا)عين الإنسان أنا حياة النفوس، وزينة عروس الغروس، ونزهة الأَبصار، ومنطق الأَطيار، عرف(۲) أوْقاتى ناسم، وأيامى أعياد ومواسم، فيها يظهر النَّبات، وتنشر(۳) الأَموات، وتُردُّ الودائع، وتتحرك الطبائع، ويمرح(٤) جنيب(٥) الجنوب(٣)، وينزح(٧) وجيب(٨) القلوب وتفيض عيون الأَنهار ويعتدل الليل والنهار، كم لى عقد منظوم، وطراز وشي مرقوم، وحلَّة فاخرة، وحلية ظاهرة، ونجم سعد يُدنى راعيه من الأَمل، وشمس حُسْن تنشدنا (٩): « بُعد ما بين بُرْج يُدنى راعيه من الأَمل، وشمس حُسْن تنشدنا (٩): « بُعد ما بين بُرْج النجري مشهورة فمن سيف غُصْن فَصْن

⁽۱) مایری فی سوادها (۲) الریح الطیبة (۳) تحیا (٤) ینشط (٥) مجنوب و الجنوب ریح تخالف الشمال ، مهبهامن مطلع سهیل الی مطلع الثریا (٦) ریح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خیر کثیر (۷) یبعد ویذهب (۸) کثر قفقیه ها (۹) تقول لنا من انشاد الشعر (۱۰) برج فی السماء وهو تحد البروج الاثنی عشر التی تعر بها (۱۱) برج فی السماء ایضا .

مجوْهر، وَدِرْع بنفسج مُشْهَر، وَمِغْفر (۱) شَقِيق (۲) أَحمر، وتُرْس بهارٍ يَبهر، وسَهم آس يرْشقُ فينشق، ورمُح سوسن (۳) سِنانه أَزرق، تحرسها آيات، وتكتنفُها أَلوية ورايات. بي تحمر من الورد خُدُوده، وتهتز من البان قُدُودُه، ويخضر عذار الرَّيحان، ويَنتبه من النرْجس طَرفه الوسنان (٤)، وتخرج الخبايا من الزَّوايا، ويفتر ثُغْرُ الأَقْحُوان (٥) قائِلا (أَنَا ابنُ جَلا وَطلاع النَّنَايا): إنَّ هذا الرَّبيعَ شيء عجيب يضحِك الأَرض مِنْ بُكاءِ السَّاءِ فَهبً حيث دُرْنا وفضة في الفضاءِ فَهبً حيث دُرْنا وفضة في الفضاءِ فَهبًا ودُرُّ حيث دُرْنا وفضة في الفضاءِ

(وقال الصيف): أنا الخِلّ الموافق، والصديق الصادِق، والطبيب الحاذق أجتهد في مصلحة الأحباب، وأرفع عنهم كُلْفة حَمْل الثياب، وأخفّف أثقالهم، وأكفيهم المؤونة، وأجزِلُ لهم المعونة، وأغنيهم عَنْ شراءِ الفِرا، وأحققُ عندهم (أن كل الصيد في جَوْف الفَرا) نُصِرتُ بالصبا، وأوتيت الفِرا، وأحققُ عندهم (أن كل الصيد في جَوْف الفَرا) نُصِرتُ بالصبا، وأوتيت الحكمة في زمن الصّبا، بي تتضحُ الجادة (٦) وتنضج من الفواكه المادة، ويزهُو البُسَرُ والرّطب وينصلحُ مِزَاج العِنب، ويقوى قلبُ اللوز، ويلين عطف البُسَرُ والرّطب وينعقِدُ حَبُّ الرمان، فيقمع الصفراء، ويسكنُ الخفقان، وتخضبُ وجنات التُّفَّاح ويذهب عرف(٧) السَّفرجل مع هُبوب الرياح، وتسودُ عيون الزيتون وتخرُج تيجان النَّارنج والليمون، مواعدى منقودة، وموائِدِي عيون الزيتون وتخرُج تيجان النَّارنج والليمون، مواعدى منقودة، وموائِدِي مَمْدُودة، الخير موجود في مَقَامي، والرزْق مقسومٌ في أيامي.

الفقيرينصاع(^) بملءِ مُده وصَاعه ، والغنى يرتعُ فى ربع مُلكه وإِقطاعه ، والوحش تأتى زرافاتٍ(٩) ووحداناً ، والطير تغدو خِماصاً وتروح بطاناً(١٠) .

⁽۱) زرد ينسبج من الدروع على قدر الرأس (۲) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (۳) نباب طيب الرائحة (٤) النعسان النفلان (٥) البابونج نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر (٦) الطريق (٧) رائحته الطيبة (٨) يقفل راجعا مسرعا (٩) جماعات (١٠) تذهب جائعة وترجع ممتلئة .

مصيفٌ له ظل ظليل على الوَرَى وَمَنَّ حلا طعماً وحللَ أخلاطا يعالج أنواع الفواكه مُبدياً لصحَّتها حفظاً يُعجز بقراطا(١)

(وقال الخريف): أنا سائق الغيوم، وكاسر جيش الغموم، وهازم أحزاب السّموم (۲) ، وحادى نجائب السحائب، وحاسِر نقاب المناقب. أنا أصد الصدى (۳) وأجود بالندى، وأظهر كل معنى جلى ، وأسمو بالوسمى (٤) والولى؛ في أيامى تقطف النار، وتصفو الأنهار من الأكدار ويتروّق (٥) دمع العيون، ويتلون ورق الغصون، طور يحاكى البقم، وتارة يُشبه الأرقم، وحيناً يبدو في حلته الله بية فيجذب إلى خلته القلوب الأبية، وفيها يُكنى الناس هم الهوام، ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام! وتقدّمُ الأطيارُ مُطربةً بنشيشها رافلة في الملابس المجددة عن ريشها، وتُعصرُ بنت العنقود وتوثقُ في سجن المدنّ بالقيود، على أنها لم تجترح إثماً، ولم تعاقب إلا عُدواناً وظلماً، بي تطيب الأوقات، وتحصلُ اللذّات، وترق النسمات، وترمى حصى الجمرات، الأوقات، وتحملها للنقع المتعدى لازم، ورقها على الدوام غيرُ زائل، وقدُود أغصانها تُخْجل كل رُمح ذابل:

إِن فصل الخريف وافى إلينا يتهادّى فى حُلة كالعروس غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس (وقال الشتاء)، أنا شيخ الجماعة ، ورب البضاعة ، والمقابل بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب ، وأسدل عليهم الحجاب ، وأتحفهم بالطعام والشراب ، ومَنْ ليس له بى طاقة أغلق من دونه الباب ، أميل للمطيع ، القادر

⁽١) بقراط الحكيم اليوناني وهو لغظ يوناني معناه ناسك الصبح (٢) الربح الحارة (٣) العطش (٤) المطرالذي يأتي في الخريف ، والولى الذي يأتي بعده (٥) ترقرق الدمع في العين تحرك .

الستطيع المعتضد بالبرود والفرا ، المتمسك من الدينار بأوثق العُرى ، ومن يَعْشُ عن ذِكْرِى ، ولم يمتثل أمرى ، أرجفته بصوت الرَّعد ، وأَنْ جَزْتُ له من سيف البرق صادق الوعد ، وسرْتُ إليه بعساكر السحاب ، ولم أقنع من الغنيمة بالإياب معرُوفي معروف ، ونيل نيلي موصوف ، وثمار إحساني دانية القطوف ، كم لى من (وابل) طويل المدى (وجود) وافر الجدا (وقطر) حلا مذاقه (وغيث) هيد العفاة إطلاقه (وديمة) تُطرب السمع بصوتها (وحياً) يحيى الأرض بعد موتها ، أيامي وجيزة وأوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة بذوى السيادة ، مغمورة بالخير والمير والسعادة ، نُقلها يأتي من أنواعه بالعَجَب ، ومناقلها تسح بذهب اللهب ، وراحُها تُنْعش الأرْواح ، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح ؛ إن رُدتها وَجَدْت مالا محدود ا ، وإن زُرْتها شاهدت لها بَنين شهودا .

مناظرة بين البر والبعر لبعض الادباء

قال (البرّ): یا صاحب الدّر، ومعدن الدّر، أطرقْت ریاضی، ومزّقت قصوری وأحواضی، وأغرقت جثتی، ودخلت جنتی، وتلاطمت أمواجك علی جنتی، وأكلْت جزائری وجروفی، وأهلكْت مَرْعی فصیلی وخروفی، وأهزلت ثوری وحملی وفرسی وجملی، وأجریت سفنك علی أرض لم تجرّ علیها، ولم تمل طرف غرابها إلیها، وغرست أوتادها علی أوتاد الأرض، وعرست فی مواطن النفل والفرض، وجعلت مَجْری مَراكبك فی مَجری مراكبی، ومَشَی حوتك علی بطنه فی سعد أخبیة مضاربی، وغاص ملاحك فی دیار فرَحی، وهاجرت من القری إلی أم القری وحملت فلاحی أثقاله علی القری، وقد تلقیتك من الجنادل بصدری، وحملتك إلی برزخك علی ظهری، وقبلت أمواجك بثغری وخلفت مقیاسی فرحاً بقدومك إلی مصری وقد جُرْت وعدلت وفعلت ما فعلت، فلعلك تفیض، ولایكون ذهابك عن ذهاب بغیض، أو تفارق هذه

هذه الفجاج ، وتختلط بالبحر العَجاج ، وإن لم تفعل شكوناك إلى من أنزلك من السماء ، وأنعم بك علينا من خزائن الماء :

إذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تُغث عباداً فمولاهم يُغيثُ ويرْحمُ وإن صدرت منهم ذنوبٌ عظيمة فعفو الذي أجراك يا بحر أعظم غد الله أيدياً لم نَمُدها إلى غيره والله بالحال أعلم غد البر البحر): يابر وإذا البر ومنبت البر هكذا تخاطب ضيفك وهو يخصك شتاءك وصيفك وقد ساقني الله إلى أرضك الجرز ومعدن الد والخرز لا بمح ذرعها وخيلها وأخرج أبها ونخيلها وأكرم ساكنك ، وأنزل البركة في أماكنك ، وأثبت لك في قلب أهلك إحكام المحبّة ، وأنبت بك لهم في كلّ سُنبلة مائة حبّة ، وأحييك حياة طيبة ، يبتهج بها عمرك الجديد، وتتلو في كلّ سُنبلة مائة حبّة ، وأحييك حياة طيبة ، يبتهج بها عمرك الجديد، وتتلو «كذلك يُحيى الله المؤتى » ألسنة العبيد ، وأطهرك من الأوساخ ، وأحمل إليك عصرك القائم بنصرك به من عرق السباخ ، وأنا هدية الله إلى مصرك ، وملك عصرك القائم بنصرك ، ولولا بركاتي عليك ، ومسيرى كل مسرى إليك عصرك القائم بنصرك ، ولولا بركاتي عليك ، ومسيرى كل مسرى إليك ،

سَرَيتُ أَنَا مَاء الحياةَ فَلا أَذَى إِذَا مَا حفظتُ الصحب فالمال هيّنُ فَكَن خَصْراً يَا بِرٌ واعلَم بِأَنَى إِلَى طينكُ الظمآن بالريِّ أُحسنُ وأسعى إليه من بلادٍ بعيدةٍ وأحسنُ أجرى بالتي هي أحسنُ إذا طاف طُوفاني بمقياسك الذي يُسرُّ بإتيان الوفاءِ ويُعُلنُ فقمْ وتلقّاه ببسطتك التي لرَوْضتها فضلٌ على الرَّوْض بَيّنُ ولعمرى: لقد تلطف (البرُّ) في عتابه وأحسن ، ودفع (البحرُ) في جوابه بالتي هي أحسن ، وقد اصطلحا وهما بحمد الله أخوان مُتضافران على عمارة بلاده ، ونشر الثرُّوة ونمو الخيرات بين عباده ، فالله تعالى يخصب مراهما ويحرسهما ويرعاهما .

مناظرة بين الهواء والماء لبعض الأدباء

قال (الهواءُ): الحمد لله الذي رفع فلك الهواء، على عُنْصر التراب والماء. وأما بعد » فأنا الهواءُ الذي أولف بين السحاب وأنقلُ نسيم الأحباب، وأهبُ تارةً بالرَّحمة وأخرى بالعذاب، وأنا الذي شير بي الفلك في البحر كما تسير العيسُ في البطاح، وطاربي في العبوِّ كل ذي جَناح، وأنا الذي يضطربُ مني الماء اضطراب الأنابيب في القنا، إذا صَفَوْتُ صفا العالم، وكان له نضرة وزهوًا، وإذا تكدَّرْتُ انكدرت النجوم وتكدر الجوُّ، لا أتلوَّن مثل الماء المتلوِّن بلوْن الإناء، لولاي ما عاش كل ذي نفس، ولولاي ما طاب الجوُّ من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس، ولولاي ما تكلم آدميٌ ولا صوَّت حيوان، ولا غرَّد طائر على غُصن بان، ولولاي ما شمع كتاب ولا حديث، ولا عُرف طَيِّب المسموع والمشموم من الخبيث؛ فكيف يُفاخرني الماء الذي إذا طال مُكثه، ظهر خبثه، وعلت فوقه الجيك وانحطَّت عنده اللآليءُ في الصدف.

فقال (الماء): الحمدلله الذي حلق كلّ حيّ «أما بعد» فأنا أول مخلوق ولافخر، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر، وأنا الجوهر الشفاف، المشبّه بالسيف إذا سُلّ من الغلاف، وقد خلق الله فيّ جميع الجواهر حيى اللآئي والأصداف، أحيى الأرض بعد مماتها، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها، وأكسو عرائس الرياض أنواع الحلل، وأنثر عليها لآئي الوبل والطلل، حتى يضرَب بها في الْحُسن المثل، كما قيل:

إِن السَّمَاءَ إِذَا لَم تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَم تَضْحَكَ الأَرْضُ عَن شَيءٍ مِن الزَّهر فكيف يُنْكِرُ فضلى مَنْ دَبِّ أَو درَج ؟ وأَنا البحرُ الذي قيل عنه في الأَمثال «حدِّث عن البحر ولا حرَج» وأَما أَنت أَيها الهواء: فطالما أَهْلكت أُناً بسمُومِك وزمهريرك ، ولا تقوَّم جَنَّتُك بسعيرك .

وأما قولك: لولاى ماعاش إنسان، ولابقى على الأرض حيوان، فجواب :

لَوْ شَاءَ اللّٰهُ تعالى لعاش العالم بلاهواء، كما عاش عالم الماء في الماء، وأنشدك الله
أما رأيث ما حباني الله به عظيم المِنّة، حيث جعلني نهراً من أنهار الجنة، وأنا
أرفع الأحداث، وأطهر الأخباث، وأجلو النظر، وأزيل الوضر، أما رأيت
الناس إذا غِبْتُ عنهم يتضرّعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء
ويسألونه تعالى إرسالى من قِبل الساء ؟ واعلم أنني ما نلتُ هذا المقام الذي
ارتفعت به على أبناء جنسي إلابانحطاطي الذي عيَّرْتني به وتواضعي وهضم نفسي

وقد كثرَ بينهما النزاع والجدال ، حتى حكم بينهما أميرٌ وقال :

إِنْ كَلاَ مَنْكُمَا مُحِقَ فَيَا يَدَّعِيهُ ، فَمَا أَشْبِهِكُمَا فِي السَّمَاءِ بِالفَرْقدين ، وَفِي الأَرْضُ بِالعَيْنِينَ ، إِلا أَنْ مِر آة الحقِّ أَرَتْنِي فَضِيلةً تَفْضُلُ بِهَا أَيْهَا المَاءُ أَخَاكُ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ الْهُواءَ ، وهي (أَنْ الله تَعَالَى خَلْقَ الْهُواءَ ، وهي (أَنْ الله تَعَالَى خَلْقَ الْهُواءَ ، وهي (أَنْ الله تَعَالَى خَلْقَ آدَمَ مَنَ المَّاءِ) فَاعْتَرِفُ لأَخِيهِ بِالفَضِلُ والذَّكَاءِ .

مناظرة بين الجمل والحصان للمقدسي المتوفي سنة ٥٧٥ هـ

قال (الجمل): أنا أَحْمِلُ الأَحْمَالَ الثقال، وأقطع بها المراحل الطوال، وأكابدُ الكلال، وأصبرُ على مُرِّ النِّكال، ولا يعتريني من ذلك مَلال، وأصول صولة الإدلال، بلى أنقادُ للطفل الصغير، ولو شئت استصعبت على الأمير الكبير فأنا الذَّلول، وللأثقال حَمُول، لستُ بالخائن ولا الغلول، ولا الصائل عند الوصول، أقطعُ في الوحُول ما يَعْجَزُ عنه الفحول، وأصابرُ الظلماء في الهواجر ولا أحُول، فإذا قضيتُ حقَّ صاحبي، وبلغت مآربي ألقيتُ حَبْلي على غاربي، وذهبت في البوادي أكتسبُ من الحلال زادي، فإن سمعتُ صوت حادي سلمتُ وذهبت في البوادي أكتسبُ من الحلال زادي، فإن سمعتُ صوت حادي سلمتُ إليه قيادي، وواصلتُ فيه سُهادي، وطلقتُ طيّب رُقادِي، ومددتُ إليه عُنتي لبلوغ مرادي؛ فأنا إنْ ضَللتُ فالدليلُ هادي، وإنْ زللتُ أَخَذَ بيدِي مَن إليه لبلوغ مرادي؛ فأنا إنْ ضَللتُ فالدليلُ هادي، وإنْ زللتُ أَخَذَ بيدِي مَن إليه

انْقِيادى ، وإن ظمِئتُ فَذِكرُ الحبيب زادى ، وأَنا المسخر لكم ، بإشارة «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ " فَلَم أَزل بين رحلة ومقام ، حتى أَصِلَ إلى ذلك المقام .

فقال (الحصان): أنا أَحْمِلُ صاحبي على كاهلي فأَجتهدُ به في السير ، وأَنطلقُ به كالطير، وأُهجم هجومَ الليل، وأُقتحمُ اقتحام السيل، فإن كان طالباً أَدْرَك بِي طلبه ، وإن كان مطلوبًا قطعت عنه سببه ، وجعلت أسبابَ الرَّدي عنه محتجبة ، فلا يُدْرَك مِنِّي إلا الغبار ، ولا يُسْمع عَنِّي إلا الأَخبار ، وإن كان الجملُ هو الصابر المُجرَّب، فأنا السابق المُقرَّب، وإن كان هو المقتصد اللاحق، فأَنا المقرِّب السابق، فإذا كان يوم اللقاءِ قدمتُ إِقدام الوَالِه، وسبقت سبق نبالِه ، وذلك مُتخلف لثقل أحْمَاله ، وإِن أولق سائسي قيدي وأمِن قَائِدِي كيدي أُوثِقت بِشكالى ، لكيلا أَحُول على أشكالى ، وأَلْجِمْتُ كيلا أَكِلَّ عن إِقْدَامِي ، فأنا الموعُود بالنجاة ، المعدُّود لِنَيل الجاه ، المشدود للسلامة ، المقصود للكرامَة قد أُجزل المنعم على إنعامه ، أَمضى بالعناية الأَزليَّة أحكامه «فإن الخير معقودٌ بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » خُلِقْتُ من الريح ، وأُلهمت التسبيح ، وما برِح ظهرى عِزًّا، وبطني كنزأً، وصَهْوَتي حِرزاً، فكم رَكَضتُ في ميدان السباق وما أبديت عَجزا ، وكم حززت رءُوس أهل النَّفاق حزًّا ، وكم أُخليت منهم الآفاق (هل تحسُّ منهم من أَحَدٍ أُو تسمعُ لهم ركزا).

الفن الثالث في الأمثال

المثل عبارة عن تأليف لاحقيقة له في الظاهر، وقد ضُمَّنَ باطنه الْحِكمِ الشَّافية وهي ثلاثة أقسام مفترضة مكنة، ومخترعة مستحيلة، ومختلطة: (١) الأَمثال المفترضة المكنة: هِيَ ما نُسِبفيها النطقوالعمل إلى عاقل(١).

⁽۱) وتختلف عن الحكاية من وجهين: الأول أن لها مغزى ، والثاني كونها غير واقعاة وأن كانت في حيز الامكان .

(٢) والمخترعة المستحيلة: ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات فيُعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان.

(٣) والمختلطة : ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق .

وشروط المثل أربعة: (الأول) أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليُفضى المقصودُ منه إلى ذهن السامع. (الثانى) أن لا يكون مسهباً مُمِلًا (الثالث) أن يبهج السامع بطلاوته ويفكه فكرته بهزل كلامه وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة وفضًّ مُشكلها (الرابع) أن يُور دبصورة محتملة.

وفوائد المثل جَمَّة ، منها نزهة البال وترويح الخاطر، ومنها استقصاء الحكم ؟ وهى قديمة العهد جدًّا ، ولا يعرف اسم أول من تكلم بها ، وكما تكون نشرا تكون نظماً ـ ونذكر لك من الأمثال ما طاب وراق فنقول :

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الكريم قسمان : ظاهرٌ مُصَرَّحٌ به ، وكامنٌ لاذِكر للمثل فيه ، أما أمثاله الظاهرة : فكقوله تعالى في شأن المنافقين «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ في ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُون نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَ فيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدُ صُمَّ بُكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاء فيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدُ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُجِيطً وَبَرْقٌ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُمْ مَشُوا فِيهِ وَإِذَا بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُمْ مَشُوا فِيهِ وَإِذَا بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُمْ مَشُوا فِيهِ وَإِذَا فَلُمُ عَلَيْهِمْ وَأَمُوا ، ولَوْ شَاء اللهُ لذَهب بِسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ » .

وقوله سبحانه تعالى في شأن الذى يُنفق أمواله ابتغاءَ مرضاة الله ، والذى ينفقها رياءً : « يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلوا صدَفَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ، كالذِى يُنفِقُ مَالَهُ رَثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُوْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلَهُ كَمثَلِ

⁽۱) مطو .

صَفْوَانِ (۱) عليه ترابُ فأصابه وابِلُ (۲) فتركه صلدا (۳) لايقدرُون على شيء مما كَسَبُوا والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثلُ الذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مَرْضَاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جَنَّة برَبْوَة (٤) أصابها وابلُ فآتت أكلها ضِعْفَين فإن لم يُصِبها وابلُ فطلُ (٠) والله بما تعملون بصير ، أيود أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الشمرات وأصابه الكِبَرُ وله ذُرِّيةً ضُعفَاءُ فأصابها إعْصَارُ (٢) فيه نَارُ فاحترقت كذلك يُبَيِّنُ الله لكم الآيات لعلكُم تَتفكّرُون » .

وقوله تعالى فى تمثيل الحق والباطل: «أنزل من السَّماء ما قسالت أودية بقدرها فاحتمل السَّيْل() زبدًا رابيًا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأمَّا الزَّبدُ فيذهب جُفَاةً(^) وأما ما ينفع الناس فيمكُث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال».

وقوله تعالى فى تمثيل الحكمة وضدها: « أَلَمْ تَرَ كيف ضربَ الله مثلا كلمة طيِّبة كشجرة طيِّبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء توْتى أكلها كلَّ حين بإذْنِ رَبِّها، ويضْرِب الله الأَمْثَالَ للناس لعلهم يتذكَّرُون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة خبيثة خبيثة خبيثة اجْتُشَّتُ (1) من فوق الأَرض ما لها من قرار».

وقوله جل شأنه فى حال الكفار وما يعبدون من دون الله : «يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له ، إِنَّ الذين تَدْعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب » .

وقوله تعالى: « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت التخذت بيتاً ، وإنَّ أَوْهَن البيوت لبيت العَنْكَبُوت لو كانوا يَعْلَمُون » .

⁽۱) حجر أملس (۲) مطر شدید (۳) صلدا نقیا من التراب (۶) مکان مرتفع (۵) مطر خفیف (۲) ربح شدید (۷) مایعلو علی وجه الماء من قذر ونحوه (۸) باطلا مرمیا به (۹) قطعت من اصلها

⁽ ١٩ ـ جواهر الأدب جـ ١)

وقوله تعالى في أنَّ عمل الكافرين يذهب هباءً تذرُّوه الرِّياح :

«مثل الَّذِين كَفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشْتَدَّت به الرِّيح في يَوْم ٍ عاصف لا يقدرون ممَّا كَسَبُوا على شيء » .

وقوله تعالى: «والَّذِين كَفرُوا أَعمالهم كَسَرَاب (١) بقيعة (٢) يحسبه الظمآن مَاءً حتى إِذَا جَاءَه لم يجده شيئاً ووَجد الله عنده فوقّاه حسابه والله سريع الحساب أو كَظُلُمَات في بحر لُجِّي (٣) يغشاهُ مَوْجٌ من فوقه مَوْجٌ من فوقه سحاب ، ظُلمات بعضها فوق بعض إِذَا أَخْرَج يَدَهُ لم يَكَدُ يراها ، ومَنْ لم يجعل الله له نورًا فما له مِنْ نور » .

وقوله تعالى في أنَّ الدنيا ظِلُّ حائل وخيال باطل :

«واضْرِبْ لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أَنزلناهُ من السَّماءِ فاختلط. به نبات الأَرض فأُصبح هَشِيها(٤) تَذْروه الرِّياح » .

وقوله تعالى: «اعلموا أَنَّمَا الحياة الدنيا لعبُّ ولَهْوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بَيْنَكُم وتكاثرٌ في الأَموال والأَولاد كمثل غيث أَعجب الكُفَّار نباته ثمَّ يهيج فتراه مُصفرًا ثم يكون حُطَاماً ».

وأما أمثاله الكامنة ، فهي الآداب البارعة ، والحكم الباهرة ، فمن ذلك قوله تعالى :

⁽١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهاد •

⁽٢) جمع قاع وهو الارض المستوبة (٣) عميق (٤) يابسا متفرقة الجزاؤه

٣ واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك لَكَ لَكَ لَكُ مُور لَكِ عَزْمُ الأُمُور

٤ فصبر جميلٌ

واصبر على ما يَقُولُون واهجرهم هَجُرًا جميلاً

فى العلم والاسترشاد

١ إِنَمَا يَخْشَى الله مِنْ عباده العُلَمَاءُ

٢ وما يعقِلها إلا العالِمُون

٣ قُلُ هَلُ يستوى الذين يَعْلمون والذين لا يَعْلمون

٤ فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم
 لاتعلمون

فى الاتحاد والوئام بعد الخصام المعد الخصام المعدد واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا واذكرُوا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم

بنعْمَته إِخواناً

٢ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبُرِيحُكُم
 ٣ ولا تكونوا كالتي نَقَضَت غَزْلَها
 منْ بَعْدِ قوَّةٍ أَنكاثًا

فى العفو

١ فاصفح الصفح الجميل

٢ والكاظمين الغيظ.والعافين عن الناس

٣ فمن عفا وأصلح فأجْرُهُ على الله
 ٤ عفا الله عَمَّا سَلف

فى الوفاءِ

١ وَأَوْفُوا بِالْعَهْلِهِ إِنَّ العَهِدَ كَانَ
 مسئولا

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمانات
 إلى أَهْلِهَا

في الاقتصاد

١ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عُنقلك ولا تبشطها كلَّ البَسْط. فَتَقْعُدَ مَلومًا مَحْسُورًا

٢ إِنْ المُبَدِّرِين كانوا إِخوان الشَّيَاطين

٣ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا

فى الأَمر بالمعروف

١ خُدِ العَفْو وَأْمُرْ بِالغُرْفِ وَأَعْرِض
 عن الجاهلين

٢ وَلْتَكُن مِنْكُم أُمة يَدْعُون إِلَى الخير
 ويأْمُرُون بالمعْرُوف وينْهَوْنَ عن

ريد روز العلام المنظر المفلوحُون المنكر وأولئيكَ هُمُ المفلِحُون

٣ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدُوّان

إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذِى القُرْبَى وَيَنهى عَنِ الفَحْشاءِ والمنكر والبَغْي

ببعض

بر الوالدين والقريب والجار والصاحب ١ وَقَضَى ربك أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ا وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ } } وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِين عندكَ الكِبَر أَحَدُهما أَو كلاهما فلاتقل لهما أُفٍّ ولاتنهرهما وَقُلْ: لهما قولاً كرمماً ، واخفضْ لَهُمَا جذاحَ الذُّل من الرَّحْمَة وقُلْ رَبِّ ارْحمهما كما رَبياني صَغيرًا ٢ وَأُولُو الأَرحام بعضهم أَوْلَى

> ٣ وبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَي وَالْبَتَامَى والمساكين وَالْجَارِ ذَى القربي والجار الجُنب والصاحب بالْجَنْب وابن السبيل وما مَلكَتْ أَعَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يحبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فخوراً

في النصيحة 1 إنى لك من النَّاصحين ٢ وأنا لكم ناصح أمين ٣ وَنَصَحْتُ لكم ولكن لا تُحِبُّونَ الناصحين

> في الشكر ١ لئن شكَرتُم لأَزيدَنَّكُمُ

۲ وقليلٌ من عبادى الشكور

٣ ومن شكَر فإنما يشكُر لنفْسِهِ

فى الإغضاء والتغافل واللين

١ أُولٰئِكَ الذين يَعْلَم اللهِ مافى قَلوبهم فَأَعْرِض عنهم وَعظهم وَقُلْ لهم فى أنفسهم قولاً بليغًا

٢ لاتثريبَ عليكمُ اليوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لكم

٣ ادفع بالتي هي أحسن

٤ فاصبر على مايَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ هجرًا جمىلاً

ه ولو كنتَ فَظًّا غليظَ القَلْب لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

٦ فِأَسَرَّهَا يوسفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لهم

٧ وإِذًا خاطبَهُمُ الجاهلون قَالُوا سلاماً

في المدح

١ ما هٰذَا بَشرًا إِنْ هٰذَا إِلا مَلَكُ

٢ إِذَا رَأْيَتُهُمْ حَسِبْتُهُمْ لَوَاوًا منثورًا ٣ إنك اليومَ لدينا مكين أمين

٤ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الفضلُ المبين

ه وإنك لَعَلَى خُلُقٍ عظيم

٦ ختَامُهُ مسكِ

٧ ذرِّيَّةً بعضُهَا من بعض

٨ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكَنْ جَبَّارًا
 عَصيًّا

٩ ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا

١٠ أُولٰئك هم خير البرية

١١ رضي الله عنهم ورَضوا عنه .

١٢ وكلُّ من الأُخيار

١٣ سِيمَاهُم في وُجُوههم

١٤ وكانوا أَحَقُّ بها وأَهلها

١٥ أُولٰئِكَ الذين هَدَى الله يَّفِيهُدَاهِمُ أَنَّ
 اقتكده

فى التبرئة والتنزيه

﴿ حَاشًا الله ما علمنا عَلَيْهِ من سُوءً

٢ أُولَٰثِكَ مُبَرَءُون مما يقولون

٣ فبرأُهُ اللهُ مما قَالُوا

فى حُسْن الخلق ١ ما شَاءَ الله

٢ وصوركم فأحسن صُورَكم

٣ يزيد في الخلق ما يشاء

٤ فتبارك الله أحسنُ الخالقين ٢

ه صُنْعَ الله الذي أَتقنَ كل شَيءٍ

فى الكذب والزُّور

١ وإنهم ليَقُولُونَ منكرًا مِنَ القولِ
 وَزُورًا

٢ إن مٰذَا إلا اختلاق

٣ كَبُرَتُ كلمة تخرج من أفواههم
 إن يقولون إلا كَذِبًا

٤ فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ

لهم مما يكْسِبُون

ه فَبَدُّلَ الذينَ ظلموا قولاً غيرَ الذي

قيل لهم

آنظر کیف کذبوا علی أنفسهم
 وَضَلَّ عنهم ما كانوا يفترون

فى الخيانة ونقض العهد

١ أَوَ كَلَّمَا عاهدوا عهدًا نَبَدَهُ فريق

٢ وما وجدنا لأكثرهم من عهد

٣ إنهم لا أعان لهم

جعلنا لِوَلِيَّهِ سُلطانًا فلا يُسْرِفُ في القتل إِنَّهُ كان مَنْصُورًا ٣ ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهْلكَة ٤ ولا تقتلوا أَنفسَكُم إِنَّ الله كانَ بكُم رحيا

في الزنا

١ ولا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كان فَاحشةً
 وسَاء سبيلا

٢ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتكم على البِغَاءِ
 إِنْ أَرَدْنَ تحصُّنًا لتبتغوا عَرَضَ
 الحياة الدنيا

فى الخمر والميسر ا يسألونك عن الخمرِ والمَيْسِر قُلْ فيهما إثمُّ كَبير ومنافعُ للناسِ وإثمُهما أَكْبَرُ من نفعهما

لا يا أيها الذين آمنوا إِنما الخمرُ والميسرُ والأَنصَابُ والأَزلَام رِجْسُ منْ عَملِ الشَّيْطَانِ فاجتنبوهُ لعَلكم تُفْدِحُون إِنما يريد الشَّيْطَان أَنْ يُوقِعَ بينكُمْ العَدَاوَةَ والبغضاءَ في الخمر والميسر ويصُد كمُ عنْ ذكر الله وعن الصَّلاة فهل أَنتم مُنْتهون ؟!

٤ فمنْ نكث فإنما يَنْكُث على نفسه
 ٥ إِنَّ الله لايحبُّ من كان خَوَّانًا
 أثيا

و أنَّ الله لا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ السُّخرية والغيبة والنميمة والجهر اليَسْخر قَوْمٌ الله الذين آمنوا لايَسْخر قَوْمٌ من قوم عسى أنْ يكونُوا خيرًا منهم ولانساء من نساء عسى أنْ يكونُوا خيرًا يكنَّ خيرًا مِنْهُنَّ ولا تَلْمِزوا ليكنَّ خيرًا مِنْهُنَّ ولا تَلْمِزوا أَنْفَسَكُم ولا تنابزوا بالأَلقاب عضكم لا تَجَسَّسُوا ولا يَغْتب بعضكم

٣ لايُحِبُّ الله الجهر بالسُّوءِ منَ القول إلا مَنْ ظُلِمَ

٤ وَيْلُ لَكُلِّ هُمَزَة لُمَزةٍ

ه وإذا مَرُّوا بهم يتخامزون

فى القتل والانتحار

١ ولا تقتلوا أولادكم خَشْية إِمْلاق نَحْنُ نرزقهم وإياكُم إِنَّ قَتْلَهم
 كان خِطئًا كبيرًا

٢ ولا تقتلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله
 إلا بالحقِّ وَمَنْ قتلَ مظلوماً فقد

فى البخل وحب المال

١ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنمَا يَبخُلُ عَلَى نَفْسه
 والله الغَنِيُّ وأَنتُم الفقراء

٢ والذين يَكْنِزُونَ الذهب والفِضَّة ولا يُنفقونها في سبيل الله فبَشِّرهم بعذاب ألم

٣ الذي جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده أن

٤ وتأكلون التراث أكلاً لَمَّا وتحبون
 المال حُمَّا جَمَّا

في الرِّبَا

١ وَأَحَلَّ الله البيعَ وحرَّم الرِّبَا

٢ يمْحَقُ الله الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقات

فى العُجْب والكبر

١ واسْتَكُبُر هو وجنودُه في الأرض
 بغير الحق

٢ ثم ذهب إِلى أَهْله يَتَمَطَّى

٣ داني عطفه ليُضل عن سبيل الله

٤ أليس في جهنم مَثْوَى للمُتكبرين

ه إِنْ فى صدورهم إلا كبر ما هم
 ببالغيه

ولا تُصعِر خَدَّك للناس ولا تمش
 في الأرض مَرَحًا

في الاستبداد والأشرة

١ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى
 وَعَنْ مَعَهُ

٢ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه
 مُذعِنين

٣ مِا أُرِيكُم إِلا ما أَرَى

فى التفرق والاختلاف ١ تَحْسَبهم جميعًا وقلوبُهم شتَّى

٢ كلّ حِزب بما لديهم فَرِحُون

٣ فاختلف الأحزابُ من بينهم

إنكم لنى قول مختلف
 ف الجُبن والفرار

١ إِن يُرِيدُون إِلَّا فِرَارًا

٢ يَحْسَبون كل صَيْحَةٍ عليهم هم
 العَدُوُّ

٣ أَشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوفُ رَأَيتَهم ينظرون إليك تَدورُ أعينهم كالذى يُغَشَى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سَلَقوكم بألسِنة حِداد

ولا يعمل

١ أَتَأْمُرُونَ الناس بالبِرِّ وتَنْسُوْنَ أنفسكم

٢ لِمَ تقولون مالا تَفْعَلُون ؟

٣ كمثل الحمار يَحْمِلُ أَسفارًا

في الغفلة

١ لعمرُك إنهم لني سكرَتِهم يعمهون

٧ قُتل الخرَّاصُون الذين هُمْ في غَمْرَة ساهُون

٤ فويْلٌ للْمُصَلِّينَ الذينَ هُمْ عَنْ صلاتهم سَاهُون

ا ٥ إِذْ قَضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ الْأَمْرُ

٦ يعلمُون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هُمْ غافلون

في إنكار الجميل

١ فلمَّا كشفْنَا عنهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لم يَدْعُنا إِلَى ضُرٌّ مَسَّهُ

۲ ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضُرُّ للَجُّوا في طُغْيَانهم يعْمَهُون

٣ ولو بَسَط. اللهُ الرِّزْق لعباده لَبَغَوْا فى الأرض

فِيْمَنْ يِأْمِر بِمَا لَا يَفْعَلُ ويعَلِمُ ۗ ٤ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رآه اسْتَغْنَى • قُتِلَ الإِنسان ما أَكْفَرَه ؟!

فى الذم والإهانة والتهكم والتَّحْقير

١ أَنتم شرٌّ مَكاناً!!

٢ فَلْيَنْظُر الإنسانُ مِمَّ خُلِق ؟ ؟

٣ خُذُوه فَغُلوهُ

٤ مَا نَفْقَهُ كثيرًا مَّا تقول

ه كلما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُختَهَا

٦ لايُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوع

٧ إِنا تَطَيَّرْنا بكم

٨ سَوَاءً مَحْيَاهُمَ ومماتهم

٩ لمَقْتُ اللهِ أَكبرُ مِنْ مَقْتكم أَنْفُسَكُمْ

١٠ يُعْرَف المُجْرِمون بِسِياهُمْ

١١ ذُق إنك أنت العزيز الكريم

١٢ ذوقوا فِتْنَتَكُم هذا الذي كُنْتُم

به تُسْتعجلون

١٣ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِم

١٤ وما أُوتِيتم من العلم إِلا قليلا

١٥ ذلك مَبْلَغَهُمْ مِنَ العلمِ

١٦ فَمَثْلَهُ كَمَثُلُ الكلب إِن تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ أُو تتركُه يَلْهَثْ

١٧ كَمْنُلِ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا الْمَوْيَةُ الْمَوْيَةُ الْمَوْيَةُ الْمَوْيَةُ الْمَارِيَّةُ الْمَارِ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ منَّاعٍ للخير مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلِّ بعد ذلك زَنيمٍ ٢٠ إنك لَغُويَّ مُبين ٢١ إن شانِئك هُو الأَبتَر ٢٢ أُولئك لاَخلاق لهم في الآخرة ٢٢ أُولئك حزبُ الشَّيطَان بخير ٢٢ أُولئك حزبُ الشَّيطَان ٢٣ أُولئك حزبُ الشَّيطَان ٢٠ التَّخذُوا أَيمَانَهُمْ جُنَّةً ٢٠ فِما لِهُولاءِ القوم لا يكادون يفقهون حديثًا يفقهون حديثًا

فى الضالين والمُضِلِّين

إنهم أَلْفَوْا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يُهْرَعُون

٢ الشَّيطان سوَّل لهم وأَمْلي لهم

٣ وإِنَّ كثيرًا ليُضِلُّون بأهوائهم بغير عِلْم

٤ ولقد ضَلَّ قبلهم أَكثَرُ الأولين
 ٥ وإخوانهم يَمُدُّونهم في الغَيِّ ثم
 لا يُقصرون

٢ ربَّنَا إِننا أَطعْنا سادتنا وكُبراءنا
 فأضلونا السبيلا

فيمن عميت بصيرتهم وأضلهم هواهم الهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لا فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الى في الصدور

٣ أفرأيت مَنِ اتخذ إلهه هواه وأضله
 الله عَلَى عِلْم ؟!

فى قرناء السوء ، والغاوين ، **والنهى** عن اتباعهم

١ ولا تُطع مَن أغفلنا قلبه عن ذِكْرِنَا واتبع هواه وكان أمْرُه فرُطاً
 ٢ يدْعُو لمَنْ ضَرَّه أقرب من نفعه لبئسَ المؤلى ولبئسَ العَشير

٣ ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار

٤ ولاتتَّبعان سبيل الذين لايعلمون
 ٥ وإخوانهم يَمُدُّونهم في الغيِّ ثم
 لايُقصِرُون

آ يا ليت بينى وبينك بُعْدُ المشرقين
 فبئس القرين

٧ ياوَيْلتَا ليتني لم أَتخِذ فلاناً خليلا

فى التنبيه على الخطأ والضلال

١ ما لُكُم كيف تحكمون ؟

٢ فأين تذهبون؟

٣ أَتَسْتبدلون الذي هو أَدْنَى بالذي
 هو خيرٌ ؟

٤ تلك إِذَن قسمةٌ ضِيزَى

ه تالله إنكَ لني ضلالك القديم

٦ ذلك هو الضلالُ البعيد

٧ ويحْسَبون أنهم على شيء

٨ وهم يحسبون أنهم يُحْسِنون صنْعًا

فى المنافقين والمرائين

١ قد بكت البغضاء من أفواههم
 وما تُخنى صدورُهم أكبرُ

٢ وإذا خَلَوا عَضوا عليكم الأَنامِل
 مِنَ الغَيظ.

٣ يقولون بألسِنتهم ما ليس في قلوبهم

٤ يُرْضُونَكُم بِأَفُواهِهِم وَتَأْبِي قَلُوبُهُم

وليخْلِفُنَّ إِن أَردنا إلا الحُسْنى
 والله يشهدُ إِنهم لكاذبونَ

٢ إِنْ تَمْسَسْكُمُ حَسنةٌ تَسُوْهم وإِنْ تُصِبكم سيئةٌ يفرَحوا بها ، وإِنْ تَصبرُوا وتنقوا لايضركم كَيدهم شيئاً

٧ مُذَبْذَبين بين ذلك لا إلى هؤلاء
 ولا إلى هؤلاء

٨ يبغونكم الفتنة وفيكم سَمَّاعون لهم
 ٩ لقد ابتغوا الفتنة مِنْ قبلُ وقلبوا
 لك الأمور حتى جاء الحق وظهرَ أمرُ الله وهم كارهون

١٠ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم
 منكم ولكنّهُم قوم يفرقون

تمثيل أعمال المرائيين والمنافقين

١ فَمَثْلُهُ كَمَثُلِ صَفْوانِ عليه ترابً
 فأصابه وابِلُ فتركه صَلْدًا

۲ أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
 فی يوم عاصف

٣ أعمالُهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يَجِدْهُ شيئًا

١٥ إنه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهزل
 ١٦ ذَرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلههمُ
 الأملُ فسوف يعلمون

الاملَ فسوف يعلمون ١٧ سيعلمون غدًا مَنِ الكذَّابُ الأَشِرُ ١٨ سيُهزَم الجمع ويُولُون الدبُر ١٩ لتُنَبَّوْنَ مَا عملتم

 ٢٠ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدجر

۲۱ اعملوا ما شئتم

۲۲ فستعلمون مَنْ هو فی ضلال مبین

٢٣ إِن ما توعدون لواقع

٧٤ فستذكرون ما أَقول لكم

٢٥ فليضحكوا قليلا ولْيَبْكوا كثيرًا

٢٦ فإن للذين ظلموا ذَنُوباً مثل ذَنُوب
 أصحابهم فلا يستعجلون

۲۷ اعملوا على مكانتكم إنا عاملون
 وانتظروا إنا منتظرون

۲۸ كلًا سيعلمون ، ثم كلًا سيعلمون
 ۲۹ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا
 بهم وضربنا لكم الأمثال

٣٠ كلوا وتمتعوا قليلا إِنكم مجرمون ٣١ ولنخرجنَّهم منها أَذلَّةً وهم صاغرون في الإِندار والوعيد

١ فمن اعتدى بعدذلك فله عذاب أليم
 ٢ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به
 يستهزئون

٣ لكلِّ نبإ مُستقرُّ وسوف تعلمون ٤ وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نَعُدْ . ولن تُغنى عنكم فئنُكم شيئًا ولو كثرَتْ

ه فانتظروا إنى معكم من المنتظرين
 ٦ واتقوا فتنة لا تُصِيبن الذين ظلموا
 منكم خاصة منكم

٧ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض
 وفساد كبير

٨ ذلك وعدُّ غير مكذوبَ

٩ وما هي من الظالمين ببعيد

١٠ هذا بلاغٌ للناس ولْيُنذروا بـــــ

١١ عما قليل ٍ ليُصْبِحُنَّ نادمين

١٢ وسيعلم الذين ظلموا أى مُنقلَبٍ ينقلبون

١٣ فسيعلمون من هو شرٌ مكاناً وأضعفُ جُندًا

١٤ اعْمَلُوا على مكانتِكُم إِنى عامل
 فسوف تعلمون

٣٢ وقد أَفلحَ اليوم من اسْتَعْلَى ٣٣ ولا تعجبْك أَمْوَالهم ولا أُولادهم إِمَا يُرِيدُ اللهِ أَن يُعَدِّمِم مِا في الدُّنيا ٣٤ لقد كُنْت في غفلة منْ هذا فكشفنا عَنْك غِطَاءَك ٣٠وليعلمنَّ نَبَأَهُ بَعِد حين ٣٦ سَنُسِمُه عَلَى الخرطوم ٣٧ أُولَمْ يَعْلَمُ أَنَّ الله قد أَهْلك مِنْ قبلهِ من القرون مَنْ هُوَ أَشد منهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ٣٨ كلا لَا وَزَرَ ٣٩ إِنَّا مِنَ المجرمين مُنْتَقِمُون ٤٠ سَنُسِتدرجهم مِنْ حيث لايعلمون

٤١ سَنَنْظُر أَصَدَقت أَم كُنْت مِنَ الكاذبين

فى الحياة الزوجية ١ وَمِنْ آياته أَنْ خلق لَكُمْ مِنْ أَنفسِكُمْ أَزواجاً لتسكُنُوا إليها وجعلَ بَينَكُمُ * مَوَدَّةً ورحمة ٢ وَأَنْ تعفوا أَقرب للتَّقْوَى ولا تَنْسوا الفضل بينكُمْ ٣ وَإِنْ خِفْتُم شِقَاقَ بِينْهِما فابعثوا حكمًا مِنْ أَهله وَحَكَمًا مِنْ أَهْلها

إِنْ يُرِيدا إصلاحاً يُوَفق الله بينهما

فى الصلح والسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينِكُم

٤ وَلَهُنَّ مثل الذي عليهِنَّ بالمعرُّوفِ وللرِّجَالِ عليهن دَرَجَة

٥ وإنِ امرأةٌ خافت مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أُو إِعْرَاضاً فلا جُنَاحَ عليهما أَنْ يصلحا مابينهما صلحاً والصّلح خير

٦ وعَاشروهُنَّ بِالْمُروف

٧٠ وَائْتُمِرُوا بِينكُم بَعْرُوف

في آداب النساء

١ وَقُلْ للمُؤْمِنَاتِ بِكَغْضُضِنَ مِن أبصارهن ويحفظن فروجهنً ولايبدين زينتهن إلاما ظهر منها وَلْيَضربن بخُمُرِهنَّ على جُيوبهِنَّ ٢٠ وَقَرْنَ فِي إليوتكُنَّ ولا تَبَرَّجْن تُبَرُّج الجاهلية الأُولى

٣ محْصَنَاتٍ غير مسافحاتٍ ولا مُتَّخَذَات أَخْدان وقلن قَوْلا معروفاً ٤ إِن اتقَيْتُنَّ فلا تخضعْنَ بالقَوْلِ فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلن قَوْلا معروفاً

٢ إنما المؤمنون إِخُوةٌ فَأَصْلِحُوا بين
 أُخَوَيْكُم

٣ وَالصُّلحُ خيرٌ

٤ وإِنْ جنحوا لِلسلمِ فَاجْنَح لَهَا

ه يا أَيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كَافَّةً ولا تَتَبِعُوا خُطُوات الشيطان

الناس بخير ما تباينوا

﴿ وَلُو شَاءَ رَبِكَ لَجِعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَا مَنْ رحم ربك ولذلك خلقهم

۴ وَرَفَعنا بعضهم فوق بعض درجات لِيَتَّخِذ بعضُهم بعضًا سُخْرِيًّا

فى الحثِّ على الصدقة والنهى عما سطلها

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفقونَ أَمُوالَهُمْ فِي سَبِيلُ اللهِ كَمثَلِ حَبَّةٍ أَنبتت سبع سَنابِلُ فَي كُلِّ شُنبِلَةً مائة حبَّةً

٢ لَنْ تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مِمَّا تحبُّون تحبُّون

٣ يا أَيُّهَا الذين آمنوا لَا تُبْطِلُوا صدقاتِكُمْ بالمَنِّ والأَذى

عَوْلٌ معروف ومغفرةٌ خيرٌ مِنْ
 صدقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى

وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم
 وأمَّا السَّائل فلا تَنْهَر

في التحية والاستئذان

١ وإذا حُيِّيم بتحيَّة فحيُّوا بأَحْسَنَ منها أَو رُدُّوهَا

٢ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ٣ يا أيُّهَا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بُيُوتكُمْ حتى تستأنسُوا وتسلموا عَلَى أهلها

٤ فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يُؤذن لكُم

 ه فإن استأذنوك لبعض شأمم فأذن لن شئت نهم

فى آداب المشى ١ وَاقْصِد فى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِك

٢ ولا تمش في الأرض مَرَحًا إِنكَ
 لَنْ تخرِقَ الأرضَ وَلَنْ تَبْلغَ
 الجبال طولا

٣ وَعِبَادُ الرحمن الذينَ يَمْشُون على
 الأَرضِ هَوْنًا

فى التلطف والدعوة والطلب ١ إِن أُرِيدُ إِلا الإِصلاح ما استطعت ٢ ياقوم اتبعونِ أَهْدِكُم سبيلُ الرشاد

علمت رشدًا

٤ فَقُلْ هلْ لك إِلى أَنْ تزكَّى

ه ٳنی لکُم رسولٌ أَمین

٦ فاتبعنى أَهْدِكَ صِرَاطاً سويا

في الشُّورَي

١ وشاورٌهمْ في الأَمر ﴿

۲ وأَمْرهم شورى بينهم

٣ أُفْتُونِي فِي أَمْرِي

في الشفاعة

١ مَن يَشْفع شفاعة حسنةً يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفْل منها

فى الخطإ والاضطرار ١ وليسَ عَليكم جناحٌ فيها أَخْطَأْتُم به ولكن ما تُعَمَّدَت قلوبكم

٢ فمن اضطرَّ غير باغ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه

في المسئوليَّة عن العمل ١ ولا تنزر وازرةٌ وزْرَ أُخرى ٢ وأَنْ ليس للإنسان إلا ما سَعى ٣ كلَّ آمرئ بما كسبَ رَهين

٣ هل أتبعك على أَنْ تُعَلِّمَنِي مِّمَّا ﴿ ٤ وَكُلَّ إِنسَانَ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرِهِ في عنقه ٥ لايضركم مَنْ ضَلَّ إذا اهتديتم في الجهاد

١ وَأَعِدُوا لهم ما استطعتم مِنْ قُوَّة وَمِنْ رباطِ الخيل ترْهِبُونَ بهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّ كُمِ

٢ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ فِتُنَّةً

٣ وَفَضَّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما

٤ ولولا دفع الله الناسَ بعضَهم ببعض لَفَسَدَتِ الأَرضِ

> في الاعان ١ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ

٢ ولا تجعلوا اللهَ عُرْضَة لأَيمانِكُمْ

٣ ولا تنقضوا الأَمان بعد توكيدها

فى الكلام والاستماع

١ أَلِم تُرَكيف ضَرَبَ الله مثلاكلمة طيِّبَةً كشجرةٍ طيِّبَة أصلها ثابت وَفَرْعها في السَّماءِ تُوثِّني أُكلها كل حِين بإذْنِ رَبِّهَا

٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُشُّتْ مِنْ فوق الأَرض مِما لها مِنْ قُرَار

٣ الذين يَسْمَعُون القَوْل فَيتَّبِعُون أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الذين هداهُم اللهُ وأُولئك هُم أُولُو الأَلْبَاب ٤ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

آه يا أَيُّهَا الذين آمَنُوا اتقوا الله وقولوا قَوْلاً سديدًا

٦ وإذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ
 ٧ وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِرَاماً

فى الْجَدل والمناظرة

ا ولا تُجَادِلُوا أَهْلِ الكتاب إلابالتي
 هي أَحْسَنُ إلا الذين ظلموا منهم
 أَدْعُ إلى سبيل رَبِّكَ بالحكمة
 وَالمَوْعِظة الحسنة وجَادِلهم بالتي
 هي أَحْسَنُ

فى تباين المذاهب وتفاوت الدرجات ١ لكلِّ جَعَلنا مِنْكُم شِرْعَةً ومنهاجاً

٢ ولكلِّ وَجْهَةُ هو مُوَلِّيها

٣ قَلْ كُلُّ يَعْمَل على شاكلته

٤ واللهُ فَضَّلَ بعضكُمْ على بَعض
 فى الرِّزْق

ه وَمَا مِنَّا إِلا له مقام معلوم ؟ ٣ وفوق كل ذى عِلْمٍ عَلَيْمٍ

وأنا منا الصالحون ومنا دُون دُلك وبضدها تتميز الأشياء
 أقُلُ لايستوى الخبيث والطَّيِّبُ ولو أَعْجَبك كثرة الخبيث
 أفمن أسس بُنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمْ مَن أسس بنيانه على شفا جُرُف هار فانهار به فى نار جهنَّم هار فانهار به فى نار جهنَّم مثل الفريقين كالأَعْمَى والأَصم والبصير والسميع هَلْ يستويان مَثلا

٤ وما يستوى البحران هذا عَذْبُ
 فراتُ سائغ شرابه وهذا مِلْحٌ
 أُجاجُ

أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا على وَجْهِهِ
 أَهْدَى أَم مَنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى
 صِرَاطٍ مُسْتقيم

٢ قل هل يستوى الذين يَعْلَمُونَ
 والذين لايَعْلَمُون

فى الحث على العمل والسعى والتنافس والمهاجرة ١ ولكلِّ دَرَجَات مما عملوا

٢ وفى ذلك فلْيَتَنَافس المتنافِسُونَ
 ٣ أَلَمْ تكُن أَرضُ اللهِ وَاسِعَةً فتهَاجرُوا
 فيها ؟ ؟

٤ فامشوا فى مَنَاكِبها وكلوا مِنْ رِزْقِه
 في الجزاء على العمل

الفسادُ في البرِّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهُم برُجعون بعض الذي عَمِلوا لعَلَّهُم يَرْجعون إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا

٣ فمنْ يَعْمَل مِثْقَال ذرة خيرًا يَرَهُ وَمَنْ يعمل مِثْقَالَ ذرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ وَمَنْ يعمل مِثْقَالَ ذرَّةٍ شَرًّا يَرَه عَي وأن ليس للإنسان إلَّا مَا سَعَى وأن سَعْيه سوف يرى ثمَّ يُجْزَاه الجَزاء الأَّوْفَى

الجزاء من جنس العمل

ا وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحُ لَهَا

ا فَمَا استقاموا لَكُم فَاستقيموا لَهُم

وإِنْ عَاقبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقبتم به

وَجَزَاءُ سَيِّتَةً سَيِّتَةً مِثْلُهَا

فمن اعْتَدَى عليكُم فاعْتَدُوا عليه
 مثل ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

٦ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
 ٧ للذين أَحْسَنُوا الحسنى وزيادة
 ٨ فاذكُرُونى أَذكُرُكُم
 ٩ وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا

١٠ إِنَّ الله لايُغَيِّرُ مابِقَوْم حَى يُغَيِّرُوا
 ما بأنفسهم
 ١١ وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُم
 ١٢ وما كان ربك ليهلك القرى
 بظلم وأهلها مُصاحون

١٣ جَزَاءً وفاقاً

شبيه الشيء منجذب إليه

١ الخبيثاتُ للخبيثينَ والخبيثونَ للطبيئين للخبيثاتِ ، والطبيئاتُ للطبيئين
 والطبيئونَ للطبيئاتِ

فى الإنساد والبغى والنهى عنهما

١ وَلاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها
٢ ولا تبغ الفساد فى الأرض
٣ وإنَّ كثيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ ليبغى

بعضهم على بعض

٤ ولا تَعَاوَنُوا على الإِثْم والعدوان
 ف المفسدين المكابرين

١ وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض

قالوا إِنما نحنُ مُصْلِحُون أَلا إِنهم

هم المفسدون ولكن لايشعرون .

٢. الذين ضلَّ سعينهُمْ فى الحياة الدنيا
 وهم يَحْسَبُون أَنهم يحسِنُون صنعاً

٣ ويَحْسَبون أَنهم على شيء أَلا إِنهم هم الكاذِبُون .

في غرور الظلمة واستدراجهم

١ يُوحى بعضهم إلى بعض زُخْرُفَ
 القول غرُوراً

٢ يَعِدُهم ويُمنَّيهم وما يعِدُهم الشيطان
 إلا غُرُوراً .

٣ بل إنْ يَعِد الظالمونَ بعضُهم بعضاً إلا غُرُوراً .

٤ ولا تَحْسَبَنَ الله غافلا عما يعمَلُ
 الظالمون .

وَأُمْلِي لهم إِن كَيدِى مَتين .

٦ فَذَرْهُمْ فَي غَمْرَتِهِمْ حَتَى حَيْنٍ .

٧ فلا تَعْجَل عليهم إِنما نَعُدُّ لهم عَدًا

٨ سَنَستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون

٩ ذَرهم يأكلوا ويتَمَتَّعُوا ويُلههمُ
 الأمل فسوف يعلمون .

فى سوء عاقبة الظالمين والشهاتة ما يصيبهم

١ فَغُلِبُوا هُنالكَ وانقلبُوا صَاغِرين.

٢ انْقَلَبَ على عَقِبَيْهِ خَسِرَ الدنيا
 والآخرة ذلك هو الْخُسْرَان المبينُ

٣ فانظرْ كَيْفَ كان عاقبة الظالمين.

٤ فجعلْنَاهم أحاديث ومَزَّقْنَاهُمْ كلَّ
 مُمَزَّق .

ه فأتى الله بُنيانهم مِنَ القواعِلِ .

٢ فَخَرَّ عليهم السَّقفُ مِن فَوْقهم
 وأتاهُم العذابُ من حيث لا
 تُشْعُرون .

٧ فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق
 بهم ما كانوا به يستهزئون .

٨ فأصبح يُقلِّب كَفَيْهِ على ما أنفق فيها .

الإعراض عن الدعوة

١ وإذا تتلَى عليه آياتنا ولى مُسْتكبراً
 كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً
 ٢ كأنهم حُمُرُ مُستنفرةٌ فَرّت مَنْ

كأنهم حُمَر مُستنفرة فرَّت مَنُ

٣ ثمّ نظر ، ثمَّ عبسَ وبسرَ ، ثمَّ أدبر واستكبر

(٢٠ ـ جواهر الأدب ج ١)

فى التدخل فى مالا يعنى والنهى عنه

١ ولا تقْفُ ما ليس لَكَ به علم

لانسألوا عن أشياء إن تُبند لكم
 تُسُوع كم .

٣ عليكم أَنفسكم لايضرُّكم من ضلّ

٤ فلا تُسأَلن ما ليس لكَ به عِلم .

ليس لك من الأمر شيء .

فى الكرم والإكرام والضيافة

۱ ادخلوها بسلام آمنین

۲ كلوا واشربوا هنيئًا .

٣ فكُلُوه هَنيئاً مَرِيثاً

٤ فكُلِي واشربى وقَرِّى عينًا .

ه وفاكهة ِ مِمَّا يَتَخَيرُون ولحم طيْرٍ مما يشتهون .

٢ وَيُؤْثِرُونَ على أَنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فى التعزية وتهوين الخطب

١ وَيَخْلُقُ ما لا تعلمون .

٢ كل نفس ذائقة الموت .

٣ كلُّ مَنْ عليها فان

٤ كلُّ شيءٍ هالكُ إِلا وَجْهَهُ .

 ه فإنَّ مع العُسْر يُسْرًا إِنَّ معَ العسر يسرًا.

٦ ولا تيناً سُوا مِنْ رَوْح الله .

لا تَذْهَب نفْسُك عليهم حسرات
 ٨ ولا تخزن عليهم ولا تك ف ضَيْق
 ما دَمْكُ ون

٩ ولا يَحْزُنْكَ قَوْلهم .

١٠ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بعد عُسْرِ يُسْرًا .

فى الكيل والميزان

المُخسرين وَزِنُوا بالقسطاس المُخسرين وَزِنُوا بالقسطاس المستقيم ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءهم ولا تَعْشُوا في الأرض مفسِدين .

٢ ويلٌ للمُطَفِّفِينَ الذين إِذَا اكْتَالوا
 على الناس يَسْتُوْفُونَ وإِذَا كَالُوهِم
 أو وزَنُوهِم يُخْسِرُونَ

في النهي عن الرِّشْوَة

ولاتأكلوا أموالكم بيْنكم بالباطل
 وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّام لِتَأْكُلُوا
 فريقًا مِن أموال الناس بالإثم
 وأنتم تعلمُون .

٢ يَا أَمَّا الذين آمنوا لا تأكلوا

أَمْوَالكم بينكم بالباطل إلا أَن تكُون تجَارَةً عن تراضٍ مِنكم

في مال اليتيم ومتاعه ١ ولا تَقْرَبُوا مال اليتيم إلا بالتي

هي أُحْسَنُ .

٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم
 إنه كان حُوباً كبيرًا.

٣ إِن الذين يأْكلون أَموال اليتامى ظلمًا إِنمَا يأْكلون في بطونهم نارًا وسيَصْلَوْنَ سَعِيرًا .

٤ فأمَّا اليتيم فلا تَقْهَرْ .

في صكِّ الدَّيْنِ وإنظار المُعْسِر

١ يا أيها الذين آمنوا إذا تَدَايَنْتُم
 بديْنٍ إلى أجلٍ مُسمَّى فاكتبوه .

٢ وإن كَان ذُو عُسْرَةٍ فَنَظَرَةٌ إلى
 مَيْسَرَة .

فى الأحكام والْحُكَّام

١ وإذا حكمتم بين النَّاس أن
 تحكموا بالعدل .

٢ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان
 ذا قُرْبَى .

٣ ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنآنُ قَوْمٍ

على أَلَّا تَعْدِلُوا ، ٱعْدِلُوا هُوَ أَقربُ لِلتَّقوَى .

٤ ولا تُلْبِسُوا الحقَّ بالباطلِ
 وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون .

فى اتِّهام الأبرياءِ

١ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم
 يَرْم به بريئاً فقد احْتَمَلَ بهْتَاناً
 وإثماً مُبيناً

٢ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكُونُ
 لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا
 بُهْتَانٌ عظيم .

إذ تلَقُونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحْسَبُونه هيِّناً وهو عند الله عظيم
 لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كِبَرَه منهم له عذابٌ عظيم .

في المُكابرة في الحق والمعاندة

١ ويُجادل الذين كفروا بالباطل
 لِيدُدْحِضُوا به الحق .

٢ وجَحَدوا بها وَاسْتَيْقَنتها أَنفسهم ظلماً وعُلوًا .

٣ ما ضرَبوه لك إلا جَدَلا.

لَوْ يُرْدِدُونَ أَن يُطفِئُوا نورَ اللهِ
 بأفواهِهم .

• يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّنَ - يا يَّ مِنْ عَلَيْ الْمِنْ عَلَيْ الْمِنْ عَلَيْ الْمِنْ الْمِنْ

٢ وإنَّ فريقاً منهم ليكُتُمُون الحقَّ
 وهم يعلمون .

القطر كيف نصرًف الآيات ثم
 هم يَصْدِفون .

في الحقِّ والباطل

١ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ويُبْطلَ الباطلَ\ ولو كره المجرمُون

٢ الآن حَصْحَصَ الحقُّ.

٣ فأمًا الزَّبَدُ فيذهَبُ جُفَاءً ، وأمَّا ما ينفع الناس فيمكُثُ في الأرض.

٤ قضي بالحق وخسر هُنالك
 المُبْطلون .

ه الحقُّ أحقُّ أَن يُتَّبع .

٦ فماذا بعد الحقِّ إِلَّا الضلال .

لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم
 للحق كارهون .

٨ فوقع الحقُّ وبطل ما كانوا
 يعملون

٩ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك
 بالحق وأحسن تفسيرا .

في أداء الشهادة

١ يا أيها الذين آمنوا كُونوا قوامين
 بالقسط. شهداء للهولو على أنفسكم
 أو الوالدين والأقربين

آلا ولا تكتموا الشهادة ومن يكْتُمها فإنهُ آثِمُ قلبُهُ .

٣ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فَأَشْهِدُوا
 عليهم .

٤ ولا ينُّابِ الشُّهداءُ إِذَا مَا دُعُوا .

ه وأشهدُوا إذا تبايعتم ولا يُضارً [[اكاتب ولا شهيد

٦ وأنا على ذلكم من الشاهدين .

٧٠ وما شهدنا إلا بما علمْنَا .

أأأأأ في الخبر اليقين

ً١ ما زاغ البصرُ وما طغى ."

٢ فلنقصَّنَّ عليهم بعلم وما كُنا
 غائبين .

٣ نحنُ نقصٌ عليك نبأهُم بالحقِّ.

٤ أحطتُ بما لم تحط به .

ه ولا يُنبِّئكَ مثل خبير .

في الإستنكار والتعجب

١ إنى لعملكم مِنَ القالين .

٢ لقدْ جئتم شيئاً إِدًّا .

٣ لقدْ جِئْت شيئاً إِمْرًا .

٤ لقدْ جئتَ شيئاً نُكرًا.

ه مَا سَمِعْنا بهذا في آبائِنا الأُوَّلين .

٦ إِنَّ هذا لشيءٌ عَجيبٌ .

في المحاماة والدِّفاع عن الأَّمْةِ المَّانَّم هؤلاءِ جادَلْتُمْ عنهم في الحياةِ الدُّنيا فمن يجادِلُ الله عنهم يومَ القيامةِ أُمَّنْ يكُونُ عليهم وكيلا.

٢ ولا تُجَادِلُ عن الذين يختانون
 أنفسهم .

٣ ولا تعاونوا على الإِثْم والعُدُّوان .'

٤ فلن أَكُونَ ظهيرًا للمجرمين .

فى التحدِّى وعدم المبَالاة

١ فاقْضِ ما أَنت قاض .

٢ فإن كان لكم كيد فكيدون
 ٣ فكيدون جميعاً ثم لا تُنظِرُون
 ٤ قل هاتوا بُرهانكم إن كُنتم

قل هاتوا بُرْهانكم إن كنتم
 صادقين .

قل هل عندكم مِنْ علم فتُخرجوه
 لنا .

في النَّجوى والمؤامَرَة ١ فتَنَازَعُوا أَمَرَهم بَينَهُمْ وأَسَرُّوا النجوَى

لا خير في كثير مِنْ نجْواهُمْ
 لا خير في كثير مِنْ نجْواهُمْ
 لا نسمعُ سِرَّهم
 ونجواهم

فى الظَّنِّ والشكَّ ١ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَ الظَّنَّ وإِن الظنَّ لا يُغنِى من الحق شيئاً.

٢ وَإِنْهُمْ لَنَّى شَكٌّ منه مُريب.

٣ وإنَّا لَنَى شَكِّ مِمَا تَدْعُونِنَا إِلِيهُ مُريبْ.

إِنْ يَتَّبُعُونَ إِلاَ الظن ومَا تَهوى النَّنفش .

ه وما يَتَّبِعُ أَكثرهم إلا ظنًا إنَّ
 بَعض الظنِّ إثمُّ

ف التبرُّؤ والتنصُّل التبرُّؤ والتنصُّل عَلَى المَّا تراءَتِ الفِئتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وقال إنى برىءُ منكم إنى أَرَى مالا تروُن .

٢ أنتم بَرِيئونَ مما أعملُ وأنا برىءً
 مما تَعْلمون

٣ فلا تلومونى وَلُومُوا أَنفُسَكُم في في موقف الظلمة والمجرمين

أمام العدالة

١ وقفوهُم إِنهم مسئولون .

٢ هذا يَوْمُ الفصل جمعناكُم وَالأُوَّلِين

٣ مكانكُم أنتم وشركاؤكم

٤ خُلُوهُ فغلُّوهُ

ه ما لَكُم لا تنطقونَ

٦ مالَكُم لا تناصَرُون

٧ لا تختَصِمُوا لَديَّ

فى حيرة المجرمين وإشفاقِهم عند ظهور الحق

١ فَعَمِيَتْ عليهمُ الأَنباءُ يومئِذٍ
 فَهُمْ لا يَتساءَلُونَ

٢ ووقع القول عليهم بما ظلموا
 فهم لا ينطقون

٣ وَوُضِع الكتاب فترى المجرمين
 مُشْفِقِين مما فيه .

فى الإفحام والإلزام ١ إقرأ كتابك كفى بِنَفْسِك اليوم عليك حَسِيباً.

٢ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كُنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون
 ٣ ووجدوا ما عملوا حاضراً

فی الیناًس والتینیس ۱ قُضِی الأَمْرُ الذی فیه تستفتیان ۲ فنادوا وَلات حین مناص ۳ اصْبرُوا أو لا تصبرُوا

٤ وَلا تَخَاطَبْنِي فى الذين ظلموا
 ٥ لا تَعْتَذِرُوا اليَوْم

فى إمضاءِ الأَمر

١ فإذا عزمت فتوكل عَلَى اللهِ
 ٢ وكان أمرًا مَقضيًا

إفعل ما تُؤمَر
 فافعلوا ما تُؤمرُون

فى حال المجرمين وهم يعذبون ١ كلما أرادوا أنْ يخرُجُوا منها أعيدوا فيها ٢ لهم فيها زَفِيرٌ وَشهيقٌ

٣ يَتَجَرَّعُهُ ولا يكادُ يُسِيغه ٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كلما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلودًا غَيْرَهَا لِيَدُوقُوا العَدَابَ .

فى الشيب والكبرو الضعف ا رَبِّ إِنَّى وَاشْتَعَلَ العَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شيباً.

٢ وقد بَلغتُ من الكِبَرِ عِتِيًّا .

٣ وَمَنْ نُعَمِّرُهُ نُنكسه في الخلقِ

٤ ومنكم مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ
 الكيلا يَعْلَمَ بَعْدَ علم شيئًا .

جزع الناس ومظاهرهم عند البلاء

١ مُهْطِعِينَ مُقْنِعى رُءُوسِهم لايَرْتَدُّ
 إليهم طَرْفهم وأَفشدتُهُمْ هواء

٢ وترك النّاس شكارى ومَاهُمْ
 بشكارى

٣ هَلْ تُحِيثُ منهم مِنْ أَحَدٍ أَو تسمَعُ لَهُمْ ركزًا .

٤ وَوُجُوهُ يومئِذِ عليها غَبَرَةٌ تَرْهَقها قَتَرَةٌ الفَجَرةُ الكَفَرَةُ الفَجَرةُ

ه فانطلقوا وَهُمْ يَتَخَافتون

فى صفات الإنسان الفطرية ١ إِنَّ الإِنسان لظلومٌ كفّار ٢ وكان الإنسان أكثر شيء جَدَلا

٣ خُلِقَ الإِنسان مِنْ عَجَلٍ

٤ فطرَةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها

لاتبديلَ لخلق الله

ه وَخلقَ الإِنسانُ ضعيفًا

إنّ الإنسان ليطغى أن رآ ه اسْتَغْنَى
 إنّ الإنسان خلقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ

الشرُّ جَزُوعًا ، وإذا مَسَّمهُ الخيرُ مَنْوعًا .

٨ قُتِلَ الإِنسان ما أَكْفَرَه !
 ف الخوف

١ فأَصْبَحَ فَى المدينَة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

٢ فَخَرَجَ منها خائفًا يَتَرَقَّبُ

 ٣ لو اطلعت عليهم لولينت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا

٤ ذلك الذي يُخَوِّفُ الله به عِبَادَه

ه فأوْجَسَ منهم خيفة

٦ إِننَا نخافُ أَنْ يَهْرُط علينا أَو
 أَنْ يطغين.

٧ إِنَى أَخافُ أَن بِكَذِّبُون

٨ إِذْ دَخُلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرْعَ مِنْهُم

٩ إِنَّا مَنكُمْ وَجِلُونَ

في التضجر والتحسر وإظهار الضعف

١ القَدُ لَقِينًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

ا ٧ ياليتني كُنْتُمعهم فأَفُوز فوزًاعظيا

٣ ياليتني مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُاً نَسْيًا مَنْسِيًّا

هذا منْ عَملِ الشيطان إنه عَدُوَّ
 مُضلُّ مُبِين

• هذا يَوْمٌ عَسِر ... الله ع

٦ يا ليتها كانت القاضية

٧ وَيَضِيقُ صَدْرِى ولاينطلق لساني [

ا في النفس الأمارة بالسوء

١ ما أصابك مِنْ حَسَنَةٍ فمنَ اللهِ وما

أصابك مِنْ سَيِّنَةٍ فمن نفسك

٢ وما أُبَرِّيءُ نَفسى إِنَّ النفس
 لأَمَّارَةُ بالشَّوءِ إِلا ما رَحِمَ رَبِّي

في الخجل والاستحياء

١ فجاءته إحداهن تمشي على استيحياء

٢ يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ شُوءِ
 ما يُشَرَ به

ف النسيان ١ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أَنْ أَذْكُرَه

٢ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ لَهُ عَزْمًا

٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَا ذكَّرُوا به

٤ ولا تَنْسوا الفضل بينكُم
 ٥ واذكُ من الفضل بينكُم

ه واذكُرُ ربكَ إِذَا نَسِيت

٦ سَنُقُرِئكَ فلا تَنْسَى

٧ لاتُؤاخِذْنى بما نَسِيتُ

في الروبيا والأحلام

١ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلهِ إِنَّا نِرَاكَ مِنَ
 المحسنين

٢ أَفتونى فى رُؤيايَ إِن كُنْمَ لِلرُّؤْيا
 تَعْبُرُونَا أَنْ مَا يُؤْمِنُا اللهِ عَبْرُونا أَنْ اللهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرُونا اللهِ عَبْرُونا اللهِ عَبْرُونا اللهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرُونا اللّهِ عَلَيْنَا اللّهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرُونا اللّهِ عَبْرَائِيا الللّهِ عَلَيْنَالِي عَلَيْنَا اللّهِ عَبْرُونا اللّهُ عَلَيْنَا اللّهُ ع

٣ أَضْغَاثُ أَحلام وما نحنُ التَّأُويلِ الأَحلام بعالمين

٤ أَنَا أُنَبِّتُكُم بِتِأُويِلِهِ

هذا تأويل رُونيكاي مِنْ قَبلُ قَد
 جعلها رُبِّي حَقَّا .

الفرح بزوال المكروه

١ وكَني اللهُ المؤْمنين القِتَالَ

٢ الحمدالله الذي أذهبَ عَنَّا الحَزَن

٣ الحمدُ للهِ الذي نَجَّانًا مِنَ القَوْمِ الظَّوْمِ الظَّلْينِ

٤ فقطع دابرُ القوْم الذين ظلموا
 والحمد لله رَبِّ العالمين

ه فَوَقعَ الحقُّ وبطلَ ما كانوا يَعْمَلون

٢ فانقلبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفضلِ
 لم يَمْسَسُهم سُوء

٧ فوقاه الله سَيِّئَاتِ ما مَكَرُوا

فى النعيم والسرور والقصور

وما حَوَت

١ تَعْرِفُ فَى وُجُوهِهِمْ مُنْصُرَة النعيم
 ٢ إذا رَأْيتَهُم حَسِبْتَهُمْ لؤلؤًا مَنْثُورًا

٣ وُجُوهٌ يَوْمَثِلَا مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ

ع فيها سُرُر مرفوعة وأكواب
 مَوْضُوعَة ونمارِق مَضْفُوفة وزَرابِي مَثْوثة

ه مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشِ بَطَائنُهَا مِن السَّائِنُهَا مِن السَّبُرُق

٢ وَيُطَاف عَلَيْهِمْ بِآنِيةٍ مِنْ فضةٍ
 وأكواب كانت قواريراً

٧ مُتَّكِئِين فيها عَلَى الأَرائِكِ

في الجبال والبحار والسفن والأمواج

١ وَمِنَ الجبال جُدَدُ بِيضٌ وحمرٌ
 مختلفٌ ألوانها وَغَرَابِيبُ سُودٌ

۲ وقال اركبوا فيها باسم الله مَجْرِيها
 وَمُرْسَاها

٣ وهي تجرى بهم في مَوْج كالجبال ٤ أو كظلمات في بحر لُجَّيٌ يَغْشَاه مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلماتٌ بعضها فَوْق بعض إذا أُخرج يكه لم يكد يراها

هَ فَغَشِيهُمْ من اليمِ ما غَشِيهم
 وحال بيشهما الموجُ فكان مِنَ
 المَغْرَقِين

٧ وله الجوار المنشئات في البحر
 كالأعلام

فى المطر والبرق والرعد والريح ١ يكاد سَنَا بَرقِهِ يذهب بالأَّبصار ٢ هذا عارضٌ ممطرُنا

٣ ريحٌ فيها عذاب أليم

٤ وهو الذي يُرْسِل الرِّيَاحَ بُشْرَى بينَ يَدَى رحمتِهِ
 بينَ يَدَى رحمتِهِ

فى البساتين والروح والريحان ١ وَدَانِيَةً عليهم ظِلَالُهَا وَذُلِّلتُ قطوفها تَذْليلا

٢ فيها فاكِهة والنخل ذاتُ الأكمام

وَالْحَبُّ ذو العَصْف وَالرَّيْحَان ع في سِدْرٍ مَخْضُود وَطلح مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُود ، وماءٍ مَسْكُوب ، وظلٍّ مَمْدُود ، وماءٍ مَسْكُوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة

> فى التَّفكُّر والنظر والاستدلال على الخالق

ا وَمَا مِنْ دَابة فِي الأَرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمَمُ أَمثالُكُم وترى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنعَ الله الذي أَتْقَنَ كلَّ شيءٍ.

وهو الذي يَبْدَأُ الخلق ثم يُعِيدُه
 وهو أَهْوَنُ عليه

عا خَلْقُكُم ولا بَعْنُكُم إلا كنفس
 واحدة

ه لخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبر
 من خلق الناس ولكنَّ أكثر
 الناس لا يعلمون

٦ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين

٧ وفى أنفسِكُم أفلا تُبْصرون
 ٨ فلينظر الإنسانُ إلى طَعَامِهِ

٩ فلينظر الإنسانُ ممَّ خُلقَ

١٠ وَاللهُ أَنْبَتَكُم من الأَرض نباتاً ثم يُعيدكم فيها ويُخرجكم إِخْرَاجاً ١١ وجعلنا الليلَ والنهار آيتين فمحَوْنَا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبْصِرةً لتَبْتَغُوا فضلاً من ربِّكُم ولتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ وَالحساب ولتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ وَالحساب عليها المَاءَ اهتَزَّت وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ من كلِّ زَوج بهيج

في العِظّة وَالعِبْرَة

ا إِنَّ فى ذلك لذكرى لمنْ كان لَهُ قَلْبُ أَو أَلْقَى السَّمع وهو شَهيدٌ
 ٢ فَاعْتَبرُوا يا أُولى الأبصارِ

٣ ذلك ذِكْرَى للذَّاكرينَ

 ٤ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعِية

إِنَّ فى ذلك لعِبْرَةً لمن يَخْشى
 إِن فى ذلك لعِبْرَةً لأُولى الأَبصار
 وما يَذَّكُّر إِلَّا أُولُو الأَلباب
 لقد كان فى قصصهم عِبْرَةٌ لأُولى
 الأَلداب

في نِعم الله وفضله

١ ذلك تخفيفٌ مِنْ ربِّكُم ورحمة . ١ قُلْ مَتاعُ الدنيا قليل .

٢ يريدُ الله بكمُ اليسرَ ولا يريدُ
 بكمُ العُسرَ .

٣ وما مِنْ دابة في الأرض إلا عَلَى
 الله رزقها .

٤ وإِن تعُدُّوا نعمة الله لاتحصوها .

ه وإِنَّ ربَّكَ لذو مَغْفرَةٍ للناسِ
 عَلَى ظلمهم .

ما استأثر الله بعلمه

ا إِنَّ الله عنده علم الساعة وَيُنَزِّل الغيث ويعلمُ ما في الأَرحام وماتَدْرِي نفسٌ ماذا تكْسِب غدًا وماتَدْرِي نفسٌ بأَى أَرض تموت إِنَّ اللهَ علم خبير.

٢ ويسألونك عن الرُّوح قُلِ الروح
 مِنْ أَمرِ ربى .

فى العمل لوجه الله لا لجزاء الناس

إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لانريد
 منكم جزاء ولا شكُورًا .

وصف الدنيا وتحقير متاعها ١ قُلُ مَتاعُ الدنيا قليل .

٢ إنما الحياة الدنيا لَعِبُ وَلَهُو .

٣ ومَا الحياةُ الدنيا إِلامتاع الغرور .

فى التحذير من النفس والشيطان وغرور الدنيا

١ الشيطانُ يَعدُكُم الفقر ويأمركُم
 بالفحشاء .

٢ إِنَّ النَّفُسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .

ولا تغرّنكم الحياة الدنياولايغرّنكم
 بالله الغرور

فى التسليم بقضائه تعالى وقَدَرِه ا قُلْ لن يُصِيبنا إلا ما كَتَبَ اللهُ لذا هُوَ مولانا .

٢ ولو شاءَ ربك ما فعلوه .

٣ ليقضِيَ الله أمرًا كان مفعولاً.

٤ إِنَّ الله بالغُ أَمرِهِ .

ه أَلَا لَهُ الخلقُ والأَمرُ .

٦ اللهُ يَبْسُطُ. الرِّزْقَ لمنْ يَشَاءُ وَيَقْدِر

٧ وربك يخلقُ ما يشاءُ ويختار .

٨ لِلَّهِ الأَّمر من قبلُ ومن بعدُ .

٩ أَلَا إِلَى الله تِصِيرُ الأُمُورِ . .

١٠ لا يُسْأَلُ عَمَّا يفعلُ .

فى الترغيب والتقوى والإحسان

١ مَنْ جَاءَ بِالحسنَةِ فِللهُ عَشْرُ أَمْثَالِها .

٢ إن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات .

٣ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم .

٤ ورحمةُ رَبِك خَيْرٌ مما يَجمعون .

• للذين أَحْسَنُوا الحسني وَزيَادةً . [

فى الاعتماد على الله والتوكل

١ وعلى الله قصدُ السبيل .

٢ وما ذلك على الله بعزيز . إ

٣ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكيل .

٤ إِنَمَا أَشْكُو بَنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ .

ه اليس لها من دُونِ اللهِ كاشفة . ٢ والله المستعانُ .

فى الموت وعدم تخلف الآجال

١ كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت.

٢ لكلُّ أَجَلٍ كتابٌ .

في التوبة والإنابة التوبة على الله للذين يعملون

السُّوء بجهالة شمُّ يتوبونَ منْ

٢ وكيست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدم أحدم الموث قال إنى تُبت الآن.

٣ وَمَنْ يَعْمَلُ شُوءًا أَو يَظلم نَفسهُ شَمَّ يَشْتَعْفُر اللهَ يَجدِ اللهَ عَفُورًا رَحِماً .

فى الدعاءِ والتضرع إلى الله تعالى

١ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنا إِنْ نَسِينَا أَوْ
 أَخْطَأْنَا .

٢ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنكَ ذُرِيَّةً
 طَيِّبَةً إِنك سَمِيع الدُّعاءِ .

٣ رَبَّنَا فَاغْفِر لنا ذُنُوبَنا وكفر أَعَنَّا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

٤ رَبِّ أَدْخِلنى مُدْخل صِدْقٍ وَأَخْرِجْنى مخرج صِدْقٍ وَاجْعَل لى مِنْ لَدُنك سلطاناً نصيرًا .

رَبَّنَا آتنا من لَدُنك رَحْمَةً وَهَيِّى مَ
 لنا من أمرنا رشدًا

۲ رَبِّ اشْرَح لی صَدْرِی وَیَسُّرْ لی
 أمْرِی .

فى فضل القرآن الكريم

١ ولقد يَسَّرْنَا القرآن لِلذِّكْرِ فهل
 مِنْ مُدَّكِر

٢ إِنَّ هذا القرآن يهْدِي للتي هي أَقْوَمُ .

٣ فاقرَّءُوا ما تيسر مِنَ القرآن.

٤ وإذا قُرِىء القرآن فاستمعوا لهُ
 وَأَنْصِتُوا لعلَّكُم تَرْحَمُون .

فى الإِنباءِ والاستنباءِ

١ عَمَّ يَتَسَاءَلُون عَنِ النَّبَإِ العظيم
 الذي هم فيه مختلفون .

٢ فَأَقْبَلَ بَعضُهُمْ على بعض يَتْسَاءَلُونَ .

٣ عَرَّف بعضه وَأَعرض عَن بعض .

٤ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا .

ه هل أتاك حديث الجُنود .

في الكُتب والكتابة والرسالة

١ إِذْهَبْ بكتابي هذَا فَأَلْقِهُ إِليهم .

٢ ولقدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القول .

٣ فيها كُتُبُّ قَيِّمَة .

٤ هاؤمٌ اقرأوا كتَابِيَهُ .

في الاقتراب والدنو ١ اقتربتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ .

٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقريب ؟؟

٣ أَزِفتِ الآزِفةِ .

٤ فَكَانَ قَابِ قَوْسَيْنِ أَو أَدنى .

ه قلْ عَسَى أَن يكُون قريبًا .

في الضعف والعجز

 ١ فما استطاعُوا مِنْ قيام وما كانوا مُنتَصرين .

٢ فما استطاعوا أن يظهَرُوه وما
 استطاعوا له نَقبا .

۳ وما ينبغي لهم وما يستطيعون .

٤ إنك لن تستطيع معى صَبراً .

ه وإِنَّ أَوْهَنَ البُّيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكُبوت.

٦ ضُعُفُ الطالب والمطلوب .

٧ فما له مِنْ قوَّة ولا نَاصِرٍ .

٨ وَخُلِقَ الإِنسانُ ضعيفًا .

فى البلاء وما يصاب به الناس ١ فَجَعَلناها حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ .

٢ إِنَّ هذا لَهُوَ البلاءُ المبين .
 ٣ فأصبحوا لا يرى إلا مَسَاكِنُهُمْ

٤ مَا تَذَرُ مِنْ شيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا

جعلتهُ كالرَّمِيمِ .

 هُ فَتَرَى القوم فيها صَرْعَى كأنهم أعجازُ نَخْل خاوية .

٦ وَأَخْرَجَتِ الأَرضُ أَثْقَالهَا .

٧ فجعلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول .

فى الاغترار بالمظاهر

١ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لِقَوْلهم كأنّهم خُشب مُسندة .

٢ يَحْسَبُهُ الظمْآنُ مَاءً حتى إذا جاءهُ
 لم يَجِدْهُ شيئًا .

٣ يَحْسَبهم الْجَاهِلُ أَغنياء مِنَ
 التَّعْشُف .

٤ تَحْسَبَهُمْ جميعًا وقُلوبُهُمْ شَتَّى .

ه وَتَحْسَبهم أَيقاظاً وَهُمْ رُقُودً .

فى البشرى والتهنئة

١ يا بُشْرَى هذا غُلَام .

٢ بُشْرَاكُم اليومَ .

٣ بَشَّرْنَاك بِالحقِّ فلا تَكُنَّ مِنَ القانطين .

٤ وَبَشَّرُوهُ بغلام عَليم .

ما يقال عند الظفر بالحاجة

١ هذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي .

٢ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الفَوْزُ العظم .

٣ فَضْلا مِنَ اللهِ ونعمة .

٤ ذلك ما كُنَّا نَبْغ ِ .

فى الامتنان بالنعم

١ أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صدركَ.

٢ أَلَم يجِدْكَ يَتيما فَآوَى ، وَوَجَدَكَ
 ضالا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عائلا فأغنى.

٣ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنعمتُ عليكُمْ .

٤ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامِكُمْ .

ولولا أَنْ ثَبَّتْنَاك لقدْ كِدْتَ تركنُ
 إليهم شيئًا قليلا .

في التحدث بالنعمة

١ وَبَرًّا بوالدتى ولم يجعلْنِي جَبَّارًا
 شَقيًّا

٢ ولؤلاً نعمة ربى لَكُنْتُ منَ المُخْضَرين .

٣ وَأَمَّا بنعمةِ ربكَ فحِدِّث.

التأمين والطمأنينة

١ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ.

٢ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظالمين

نبين. ٧ ولا تخَافى ولا تَحْزَنى إِنَّا رَادُوهُ

إليكِ .

٨ لَنْ يُصلوا إليك.

٩ ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأَعْلَوْنَ
 والله محكم .

٣ أَقْبِلُ ولا تخف إنك من الآمنين.
 ٤ ولكن لِيَطْمَئِنَ قلبي.

ه لاتَخَفْ إنك أنت الأعلى.

وما أريد أن أشق عليك ستجدني
 إن شاء الله من الصالحين

أمثال مختارة للعرب

إِن من البيان لَسحرًا(١)، إِن البلاء مُوكل بالمنطق(٢)، إِن المُوصِّينَ بَنُو سَهُوان(٣)، إِن السَّقَ وافدالبراجم (٤)، إِن البُغَاث بأرضنا يَسْتَنْسِرُ(٥)، إِن الجبان المحديد من فوقه (٦)، إِن المُعَافى غيرُ مخدوع (٧)، إِن فى الشرخيارًا، إِن الحديد الحديد يُفْلحُ، إِن الشفيق بسوءِ ظَنَّ مُولَعُ (٨)، إِنّ وراء الأَكمة ماوراءها، إِن العصا من العُصِيَّة (٩)، إِن العَوان لاتُعَلِّمُ الخمرة (١٠)، إِن الغنى طويلُ الذيل مياس (١١)، إِن العيل طويلُ وأنت مُقمر (١٢)، إِن العصا قُرِعَت لذى الْجلم (١٣)، إِن الحبيب إلى الليل طويلٌ وأنت مُقمر (١٢)، إِن العصا قُرِعَت لذى الْجلم (١٣)، إِن الحبيب إلى الإِخوان ذو المال، إِن الهزيل إِذا شبعَ ماتَ (١٤)، إِن غدًا لناظره قريب، إِن أَخاكَ مَنْ آساك (١٥)، إِنك لاتجنى من الشوك العنب، أَتتك بحائن رجلاه، أَخاكَ مَنْ آساك (١٥)، إِنك لاتجنى من الشوك العنب، أَتتك بحائن رجلاه،

⁽۱) يضرب في استحسان المنطق(۲) يضرب لمن أسىء اليه ، (۳) يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، (٤) البراجم: بطن من تميم ، يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا ، (٥) يضرب للضعيف يصير قويا ، (٦) يضرب في أن الحدر لاينجي من القدر ، (٧) يضرب لن يخدع فلا ينخدع ، (٨) يضرب لمن يفشى على نفسه أمرا مستورا ، (٩) يضرب في مشاكلة الفرع للأصل ، وأله الموان: المرأة النصف ، والخمرة:لبس الخمار ، يضرب في استغناء المجرب عن الارشاد ، (١١) أي لا يستطيع ذو الفني أن يكتمه ، الجرب عن الارم بالتصبر في طلب الحاجة ، (١٣) يضرب لمن اذانبه انتبه ، (١٤) يضرب في الحث على ما عاة الاخوان ، هم اعاة الاخوان ،

إنما أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض ، إن يبغ عليك قومك لايبغ عليك القمر(١) ، والكنت الله المنتريحاً فقدلاقيت إعصارا(٢) ، إن ترد الماء عاء أكيس(٣) ، إحدى حُظيًات لقمان(٤) ، أكل عليه الدهر وشرب(٥) ، إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف(٢) كل لحمى ولاأدعه لآكل(٧) ، إياك وما يُعتذر منه ، إذا زَلّ العالم زَل بزلته عالم ، أنت تثيق وأنا مئت فمي نتفق(٨) ، إياك أعنى واسمعى ياجارة ، إذا حان القضاء ضاق الفضاء (٩) ، أم الجبان لا تفرح ولا تحزن ، إذا جاءت السنة جاءمعها أعوانها (١٠) إن حالت القوسُ فَهْرِي صائب (١١) ، ألامن يشترى سهرًا بنوم (١٢) ، إذا ما القارظ العنزى آبا(١٣) ، وإن كُنت كذوباً فكُن ذكورًا (١٤) ، إذا تضرقت الغنم قادتها العنز الفضل (١٥) ، إذا تحاصم اللصان ظهر المسروق (١٦) ، إذا أردت أن تطاع فسل ما يُستطاع المجرباء إذا عاب البزاز ثوباً فاعلم أنه من حاجته (٧١) ، إذا أردت أن تطاع فسل ما يُستطاع المجرباء إذا عدم الإخاء سمح الثناء ، بلغ السيل الزي ر١٨) بعض الشرأهون من بعض (١٥) ، بلغ السكين العظم (٢٠) باقعة من البواقع (٢١) المؤلى المنافع (٢٠) باقعة من البواقع (٢١) المنافع المنافع المنافع المنافع المنافع المنافع المنافع المنافعة من البواقع (٢٠) المنافع المنافعة من البواقع (٢٠) المنافعة من البواقع (٢٠) بالغالمة عنون العرام المنافع المنافعة من البواقع (٢٠) المنافعة من المنافعة من البواقع (٢٠) المنافعة من المنافعة من البواقع (٢٠) المنافعة من المنافعة منافعة من المنافعة منافعة منافعة من المنافعة منافعة منافعة منافعة منافعة منافعة منافعة منافع

⁽۱) يضرب للامر المشهور ، (۲) يضرب للمداهى الشديد يبلى بمن هو ادهى منه واشد ، (۳) يضرب للاخذ فى الامور بالاحتياط ، (۶) يضرب فى الشر يصدر عمن عرف به ، وحظيات لقمان : سهامه (وفى القاموس خطا) الشر يصدر عمن عرف به ، وحظيات لقمان : سهامه (وفى القاموس خطا) (٥) يضرب لن طال عمره ، (٦) يضرب فى المجرب المحنىك ، (٧) يضرب فى الرجل ينصر قرينه وان كان عدوه ، (٨) التئق : السريع الى الشر ، والمئق: السريع الى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقا ، (٩) يضرب لمن يخساطب شخصا وهو يريد غيره تعريضا ، (١٠) السنة القحط وأعوانها الجراد والامراض ، يضرب فى تجمع الشدائد. (١١) حالت القسوس : زالت عن استقامتها ، يضرب في من زالت نعمته ولم تزل مروءته ، (١٢) يضرب لمن غمط النعمة وكره العسافية ، (١٣) يضرب فى امتداد البعد والغيبة غمط النعمة وكره العسافية ، (١٣) يضرب فى امتداد البعد والغيبة (١٤) يضرب فى القوم يختلفون فيسود فيهم الاشرار ، (١٧) البزاز :بائع الثياب (١٦) يضرب فى القرين يختار أهونهما (٢٠) يضرب لمن جاوز الحد . (١٨) يضرب فى الشرين يختار أهونهما (٢٠) يضرب لمن جاوز الحد . (١٩) يضرب فى الداهية يقال فى الرجل يكون داهيا منكرا .

إِبدأُهم بالصُّراخ يَفِرُّوا(١) . أَبدى الصريح عن الرغوة(٢) . بعض الجدب أَمرأً للهزيل(٣) . بنان كف ليس فيها ساعد(٤) . بعد البلاء يكون الثناء . أَبِلغ من قُسٌ . أَبِخل من مادر . أَبِصر من زرقاء اليامة ، ومن غُراب . أُنتى من الدهر . أُبتى من وَحْي في حجر(٥) . أُبينُ من فلق الصبح . أُبكَرُ من غَراب . ترك الذنب أيسر من طلب التوبة . تجوع الحرَّة ولانأ كل بشدييها (٦) . تسأَّلني برامتين سلجما (٧) تجشأً لقمان من غيرشبع (٨) . تضرب في حديد عِارد . تلدغ العقرب وتصيء(٩) . تركتهم في حَيْص بَيْص (١٠) . تطلب أَثرًا عِعدعين (١١) . تسمع بالمُعيدى خير من أنتراه (١٢) اتخذ الليل جملا (١٣) . ترى الفتيان كالنخل وما يُدريك ما الدخل(١٤) . التثبت نصف العفو . تقطع أعناق الرجال المطامع. أتبع السيئة الحسنة تمحها. اتق شرُّ من أحسنتَ إليه (١٥) تَضَرُّع إِلَى الطبيب قبل أَن تمرض(١٦) . تجرى الرياح بما لاتشتهي السفن . التقدير أحد الكاسبين . التدبير نصف المعيشة . جزاء سنار . أسمع جعجعة ولا أَرى طحنًا . جَوِّع كلبك يتبعك (١٧) . جاوز الحزام الطبيين (١٨) جانيك من يَجْنَى عَلَيْكُ(١٩) . جَلَيْسُ السَّوِّ كَالْقَيْنِ(٢٠) ، إِنْ لَمْ يَحْرَقَ ثُوبِكَ دُخَّنَهُ ،

⁽۱) يضرب في الظالم يتظم ليسكت عند (۲) يضرب عند انكشاف الامر وظهدوره (۳) يضرب فيمن لايحسدن احتمال الفني بل يطغي فيه (٤) يضرب فيمن له همدة ولا قدرة له على بلوغما في نفسده (٥) الوحي: الكتابة (٦) أي لاتكون مرضعا ، يضرب في صديانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب . (٧) السلجم : اللفت ، نضرب لمن يطاب شيئا في غير موضعه (٨) يضرب لمن يدعي ما ليس يماك . (٩) يضرب لمن يظم ويتظام وصاءت العقدرب : صوتت (١٠) يضرب فيمن وقع فيما لامخلص له منه (١١) يضرب فيمن ترك الشيء ثم طابه بعد ذهابه . (١٦) يضرب فيمن منظره دون مخبره (١٣) أي أدى واجبه من العمل ليلا (١٤) يضرب للى المنظر لا خير فيه . (١٥) يضرب في مقابلة الاحسان بالاساءة (١٦) يضرب فيمن بعد ولا يغي (١٥) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللئيم (١٨) يضرب في تفساقم الامر (١٧) رأى لاتزر وازرة وزر أخسري (٢٠) القين : الحداد .

جاءُوا على بكرة أبيهم(١)، أجود من حاتم ومن كعب بن مامَة، أجبن من صافر ومن نعامة (٢) ، أجهل من فَراشة ، أجمع من نملة ، حال الجريض دون القريض (٣) ، حَنّ قِدْ ح ليس منها (٤) ، حسبك من شرسهاعه ، حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق(٥) . حُبُّكالشيءَ يُعمى ويُصِم ،الحديثذو شَجون(٦) ،حافظ على الصديق ولو في الحريق ، أَحَشْفًا وسوء كيلة (٧) ، الحكمة ضالة المؤمن ، الحباري خالة الكروان ، الحاجة تَفْتُقُ الحيلة (^) ، أحمق من هَبَنَّقَة ، أحلم من الأحنف، أحكم من لقمان ، أحذر من غُراب ومن ذئب ومن ظلم (٩) ، أحفظ. من الشعبي ، خذمن جذع ما أعطاك(١٠) ،خالف تذكر ،خرقاء وجدت صوفاً (١١) ،خير المال عين خرًّارة في أرض خوًّارة (١٢) ، أخطب من سحبان ومن قس ، أخون من ذئب ، دون ذا وينفق الحمار (١٣) ، أدهى من قيس بن زهير ومن عمرو بن العاص . ذهبوا أَيدى سبا(١٤) ، الذئب خالياً أسد ، ذكرتني الطعن وكنت ناسيًا (١٠) ، رَمتني بدائها وانسلت (١٦) ، رماه الله بثالثة الأَثافي (١٧) ، رُبَّ قول أَشد من

⁽۱) أى جاءوا جميعا (۲) الصافر من الطيور بغاثها وضعافها (۳) الجريض الغصة والقريض: الشعر . يضرب فى الامر يتيسى حين لاينفع (٤) يضرب فى الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه (٥) يضرب فى القالة السيئة وما يخشى منها . (٦) الشجون: الفنون . يضرب فى الحديث يتذكر به غيره (٧) يضرب فى الجمع بين خصلتين مكروهتين . (٨) يضرب فى مناسبة أحد الشيئين للاخر . (٩) الظليم: ذكر النعام (١١) جلاع: اسم رجل . يضرب فى اغتنام مايجود به البخيل (١١) الخرقاء التي لاتحسن العمل ، يضرب لمن يفسدعمله بسوء تصرفه (١٢) الخوارة: الارض التي فيها لين وسهولة (١٣) يضرب فى المبالغة فى المدح بغير الحتياج اليه (١٤) أي تفرقوا تفرقالا اجتماع معه كما تفرقت سبأ . احتياج اليه (١٤) الاتق بغير ماحبه بعيب (١٥) يضرب في تذكر الشيء بغيره ، (١٦) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه . (١٧) الاتافى: جمع ثفية وهى الحجر توضع عليه القدر ، وهما اثنتان وثالثتهما الحبل ، والمراد بها الداهية العظيمة .

صَوْل (۱) ، رُب أَخ لِكُ لِم تلِدُه أَه ك ، رجع بخنى حنين (۲) ، رُب رمْية من غير رام ، للرّاوِية أَحدُ الشاتمين (۳) ، رُب كلمة سلبت نِعمة ، رُب مَلوم لاذَنب له ، رُب للرّاوِية أَحدُ الشاتمين (۳) ، أروَى من ضَب (٤) ، أرق من النّسِيم ومن رقراق السّراب ومن غِرق البَيض (٥) ، الزيت في العجين لا يضيع (٦) ، زكاة النّعم المسروف ، أزكنُ مِن إياس ، أزهى من طاووس (٧) ، سَبق السيف العَدْل (٨) ، أَساء سَمْعًا فأساء إجابة ، سكت ألفًا ونطق خُلفاً (٩) ، سُرق السّارِق فانتحر (١٠) السليم لا ينام ولا يُنيم (١١) ، سحابة صيف عن قليل تَقشّع ، شرُّ الرأى اللّبَرى (١٢) ، شخبُ في الإناء وَشُخبُ في الأرض (١٣) ، شنشنة أغرِفُهَا من اللّبَوس ، ومن أخراب البين (١٥) ، أشكر من كلب ، صَدقني سنّ بكره (١٦) ، أحمر عاد ، ومن غراب البين (١٥) ، أشكر من كلب ، صَدقني سنّ بكره (١٦) ، صادف دَرْء السّيل در الله يصدعه (١٧) ، صدرك أوسَع لسرّك ، أصدق من

⁽۱) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به (۲) يضرب فى الخيبة (۳) هذا كقولنا شتمك من بلغك (٤) تزعم العربان الضب لا يحتاج الى شرب الماء يفتح فاء للهواء فيكون فى ذلك ريه (٥) الغرقىء القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيضة (٦) يضرب فى الاحسان الى الاقارب (٧) الزهو: العجب (٨) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه الخلف: الردىء من القول (١٠) يضرب لمن تنتزع مس يده ما ليس له فيجزع عليه .

⁽١١) السليم: الملدوغ . يضرب فيمن لايستريح ولا يريح غيره .

⁽۱۲) الدبرى مايسنح بعد فوات الفرصة .

⁽۱۳) الشخب: ماخرج من الضرع ممتدا من اللبن ، يضرب فيمن يصيب مرة ويخطىء أخرى .

⁽١٤) الشنشنة: الطبيعة والعادة يضرب في مشابهة الفرع لأصله في الشر.

⁽١٥) البسوس: هي المرأة التي هاجت بسببها حرب بكر وتغلب ، واحمر عاد هو أحمر ثمود وهر الذي عقر الناقة فحل العذاب بثمود من حيزاء عمله .

⁽١٦) يضرب في الانسان يقول الحق على غير قصد منه .

⁽١٧) هذا كمن قال: لايفل الحديد الا الحديد.

قطاة (۱) ، أصعبُ من ردالشُّخْب فى الضَّرع ، ضرَب أخماساً لأسداس (۲) ، أضيقُ من ظِلِّ الرمح ، أضعف من بعُوضة ، أضبطُ. من نملة ، أطرق كرا (٣) ، إنَّ النعامة فى القرى أطولُ صُحبة من الفرقدَين ، أطمعُ من أشعب ، طبيبٌ يُدَاوى الناس وهو مريض ، طفيليّ ومُقترح ، ظِئر رَءُوم خير من أم سَئوم (٤) ، عند الصباح يَحْمَدُ القوم السرَى (٥) ، عند جُهينةَ الخبرُ اليقين (٢) ، عرض عليه خَصْلتى الضَّبُع (٧) ، عِش رجبًا تر عجباً ، أعط القوس باريها ، أعرض ثوب الملبس ، العَوْدُ أحمد ، عند الامتحان يُكُر م المرءُ أو يُهان ، أعزٌ من كليب وائل ، أعيى من باقل ، أحمد ، عند الامتحان يُكُر م المرءُ أو يُهان ، أعزٌ من كليب وائل ، أعيه من دنب أعدى من الظليم ، ومن الشّنفرى ، ومن السليك ، أعق من ذِئبة ، أعقدُ من ذنب الضَّبِ ، وأعجزُ ممن فتل الدخان (٨) ، غدة كغدة البعير ، وموت فى بيت سلوليَّة (٩) ، غَمُّك خير من سَمِين غيرك ، فى الصيف ضَيَّعت اللبن (١٠) فى بيته سلوليَّة (٩) ، غَمُّك خير من سَمِين غيرك ، فى الصيف ضَيَّعت اللبن (١٠) فى بيته يُؤتى الحكم ، فى كل شَجَر نار ، واستحمد الذ ح والعقار (١١) ، أفرسُ من بسطام ، أفتك من عمرو بن كلثوم ، قطعت جهيزة قول كل خطيب (١٢) ، قبل الرِّماء تملأُ الكنائن (١٤) ، اقتلونى قد أنصف القارة من راماها (١٣) ، قبل الرِّماء تملأُ الكنائن (١٤) ، اقتلونى قد أنصف القارة من راماها (١٣) ، قبل الرِّماء تملأُ الكنائن (١٤) ، اقتلونى

⁽۱) لأن صوت القطاة واحد لا يتغير (۲) يضرب فيمن يريد الشيء ويظهر غيره . (۳) الكرا: الكروان ، يضرب فيمن يتكلم بما لا يقدر عايه . (۶) الظئر: الحاضنة والرءوم: العطوف (٥) يضرب في تحمل التعب رجاءالراحة (٢) يضرب في الرجل يعرف الشيء على وجهه كقولهم: على الخبير سقطت . (٧) تزعم العرب أن الضبع صادت ثعلبا وخيرته بين أن تأكله وأن تمزقه. يضرب فيمن يسوم غيره ما لاخيار له فيه من البلاء . (٨) يضرب فيمن اذا سألته عن أمر أبهم الجواب (٩) ساول قبيلة ذليلة، يضرب في اجتماع خصلتين من الشر (١٠) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه (١١) المرحوالعقارة شيجرتان قويتا النبار . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض . شيرب لمن يقطع على الناس ماهم فيه بحماقة يأتي بها (١٣) القارة: قبيلة من أبرع الناس في المراماة .

⁽١٤) يضرب في الاستعداد للامر قبل الشروع فيه .

ومالكاً (١) ، القول ما قالت حذام ، كان كُراعا فصار ذراعا (٢) ، كلام كالعسل وفعل كالأسل(٣) ، كل فتاة بأبيها مُعجبة (٤) ، كطالب القرن جُدِعت أذنه (٥) ، كمُجِير أمّ عامر (٢) ، كيف أعاو دك وهذا أثر فأسك (٧) ، كأن على رمُوسهم الطير ، كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنار ، لو ذات سوار لطمتني (٨) ، لو خُيرت لاخترت ، لوترك القطا ليلاً لذام (٩) ، لعل له عُذرا وأنت تلوم ، لأمر ما جَدَع قصير أنفه ، لكل مقام مقال ، لا مخبأ لِعِطره بعد عروس (١٠) ، لا تعدم الحسناء ذامًا (١١) ، لا تهرف عا لا تعرف (١٢) ، لا ناقتي فيها ولا جملي ، لا في العير ولا في النير (١٤) ، لا يفل الحديد إلا الحديد ، لا تأمن الأحمق وبيده سكين (١٤) ، لا تجزعَن من سُنّة أنت سرتها ، ما وراءك يا عصام ، ما يوم حليمة بسر (١٥) ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، مَرْعَي ولا كالسعدان (١٦) ، ما كل بَيْضاء شَحْمة ، منك أنفك وإن كان أجدع (١٠) ، من استرعى الذئب ظلم ، من مأمنه يُوتي الحذر ،

⁽۱) يضرب فيمن يريد يصاحبه المكروه وان ناله هو منسه ضرو (۲) يضرب في الذليل يصبح عزيزا (۳) الأسل : الرماح (٤) يضرب في عحب الرجل رهطه وعشيرته (٥) أصل المثل في النعام ، ويضرب في طاب الأمر يفضى بصاحبه الى التلف (٦) أم عامر الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب في الذي يجزى على احسانه بالسوء (٧) يضرب فيمن لايفي بالعهد (٨) يضرب في الوضيع يقع منه العدوان (٩) يضرب فيمن حمل على مكروه من غير ارادته (١٠) يضرب فيمن لايدخر عنسه نفيس (١١) يضرب في الشيء الحسن لايخلو من عيب (١١) يضرب لمن يتعجل في مدح الشيء قبل تمام معرفته .

⁽١٣) يضرب في الوضيع ليس فيه شيء من خلال الشرف

⁽١٤) يضرب في عسم الجاهل اذا قدر

⁽١٥) حليمة بنت ملك غسان ، يضر ب للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل

⁽١٦) السعدان: نبت من أنفع الأعشاب للأبل ، يضرب في الشيء يفضل على أشكاله وأقرانه

⁽۱۷) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره .

مواعيد عرقوب ، مُكره أخوك لابطل(۱) ، أمنع من عُقاب الجو ، نفس عِصام مواعيد عصاماً (۲) نعيم كلب فى بُؤس أهله (۳) أَنْدَمُ من الكُسَعى ، وافق شن طبقة (٤) أوردها سعد وسعد مشتمل (٥) ، أوفى من السموأل ، ومن الحارث بن عباد ، مما كفرسى رهان ، يَدَاك أو كتا ، وفُوكَ نفخ (٦) ، اليوم خمر وغدا أمر (٧) .

الفن الرابع في الأُوصاف

الوصف(^) عبارة عن بيان الأَمر باستيعاب أَحواله وضروب نُعُوته المثلة له . وأُصولُه ثلاثة :

الأول : أن يكون الوصف حقيقيًّا بالموصوف مفرزًا له عما سواه .

الثانى : أن يكون ذا طلاوة ورونق .

الثالث: أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكتنى بما كان مناسباً للحال. وأنواعه كثيرة ، ولكنها ترجع إلى قسمين: وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص _ أمَّا الأشياء الْحَرية بالوصف فهى كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة.

وأمًّا وصف الأُشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفهما معاً ، ولنذكر لك فِقرًا جارية على أَلسنة البلغاء في صفات شيى ، ثم نتبعها عقالات في الوصف نثرًا ونظماً .

⁽۱) يضرب فيمن يحمل على ماليس من شأنه (۲) يضرب فى سؤدد الرجل (۳) يضرب فى التابع - كالخادم - يشغل سادته بمصيبته فيغنم ما قدر عليه من أموالهم (٤) يضرب فى تمسام المشاكلة والاتفاق (٥) يضرب للمقصر فى الأمر (٦) يضرب لن يجنى على نفسه (٧) يضرب فى تقلب الأيام (٨) أحسن طريقة للاجادة فى الوصف أن ترسم أولا فى بدء وصفك منظرا عاما جامعا لمجمل الأمر الذى تحاول وصسفه ثم تأخذ بايراد مختلف الأجزاء قسما فقسما وذلك اما على تتابع ورود هذا الأجزاء ، أو ايثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغانه .

وصف البلدان

بَلْدَة كأنها صورة جَنَّة الْخُلد، منقوشة في عرض الأَرض. بلدة كأن محاسِنَ الدنيا مجموعة ومحصورة في نواحيها. بلدة ترابها عنبر، وحصباؤها عقيق، وهواؤها نسيم، وماؤها رحيق. بلدة معشوقة السكني، رحبة المَثْوى(١)، كوكبها يَقْظان، وجوُّها عُريان، يومُها غداة، وليلها سحر. بلدة واسعة الرقعة، طيِّبة البقْعَة، واسطة البلاد وسرَّتُها، ووجهها وغُرَّتها.

وصف القلاع

قلعة حلقت (۲) بالجو تناجى السهاء بأسرارها . قلعة تتوشح بالغيوم ، وتجتلى النجوم . قلعة مُتناهِية في الحصانة ، ممتنعة عن الطلب والطالب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب ، لم تزدها الأيام إلا نبو (۳) أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قدمل الملوك حصارها ، ففارقوها عن طماح (٤) منها وشاس (٥) وسئمت الجيوش ظلّها ، فغادرتها (٦) بعد قنوط وإياس ؛ فهي حمى لايراع (٧) ومَعْقِل لا يُستطاع ، كأن الأيام صالحتها على الإعفاء من الحوادث والليالي ، وعاهدتها على التسليم من القوارع (٨) .

وصف الدور

دَارُ قرارٍ تُوسِعُ العين قُرَّة ، والنفس مسرة ، كأن بانيها استسلف الجنة فعجّلت له . دار تَغَارُ منها الدور ، وتتقاصر عنها القُصُور . دار اقترن الْيُمن(٩) بيمناها واليسر بيسراها ، الجسوم منها في حضر ، والعيون على سفر ، دار دار بالسعد نجمها وفاز بالحسن سهمها ، يخدمها الدهر ، ويأويها البدر ، ويكنفها لنصر . هي مرتع النواظر ، ومتنفس الخواطر ، أخذت أدوات الجنان ، وضَحِكت من العبقري(١٠) الحسان .

⁽۱) الاقامة (۲) ارتفعت (۳) بعدا (۶) كبر وفخر (۵) اباء وامتناع (۲) تركتها (۷) لا يفزع ولا يخاف أحدا (۸) الحوادث والنوائب (۹) البركة (۱۰) البسط المعجب شكلها

وصف الديار الخالية

دار لبِست البِكَى وتعطلت من الحلى ، صارت من أهلها خالية ، بعد ما كانت بهم حالية ، قد أنفد البَيْنُ سكانها ، وأقعد حيطانها . دار شاهدُ اليأس منها ينطق ، وحبلُ الرّجاءِ فيها يقصر ، كأن عمرانها يُطْوَى ، وخرابها يُنشر ، أركانها قيامٌ وقُعود ، وحيطانها رُكَّع وسجود .

بَكَت دارهم من بَعْدهم فتهلّلت دموعی فأی الجازعین ألوم أُمُستعبرًا يبكی على اللهو والبِلَى أم آخر يَبْكی شجوه فيهيم ؟ وصف أَيام الربيع

يَوْمٌ جلابيب غيُومه رواق(۱) وأودِيَةُ نَسِيمه رقاق ، يوم سمَاؤه فَاخِتِيَّة ، وأرضه طَاوُوسيَّة ، يوم مُسّلُك السماء ، مُعصفَرُ الهواء ، مُعَنْبرُ الروض ، مصنْدَل الماء ، يوم تبسَّم عنه الربيع ، وتبرج عنه الروض المريع ، يوم كأنَّ سمَاء و مُحِدُ تتباكى وأرضه عروس تَتَجَلَّى ، يوم دجنه (۲) عَاكف ، وقطره واكف (۳) .

وصف الرياض

رَوْضَة رقت حواشيها وتأنق واشيها (٤) ، روضة كالعقود المنظمة على البرود المنمنمنة ، روضة قد راضتها أكف المطر ، ودبجتها أيدى النّدى . رياض كالعرائس فى حليها وزخارفها ، والقيان (٥) فى وشيها ومطارفها (٦) ، باسطة زرابيها وأنماطها ، ناشرة برودها ورياطها ، زاهية بحمرائها وصفرائها ، تائهة بغيدانها وغدرانها ، كأنما احتفلت لوفد ، أوهى من حبيب على وعد . روضة قد تضوعت (٧) بالأرج (٨) الطيب أرجاؤها ، وتبرجَتْ (٩) فى ظلل الغَمَام صَحراؤها ، وتنافحت

⁽۱) الكسماء المرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الارض (۲) الغيسم الله . ۱۹۱

⁽٤) حائكها وناقشها (٥) جمع قين : المفنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام والزرابي البسط ، والأنماط الأثواب التي تطرح علي الهوادج ، الرباط الاثواب الرفاق (٧) تحركت (٨) النفع : الريح الطيب (٩) تزينت .

بنوافح المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيارُها ، بُسْتَان أنهارُه محفوفة بالأزهار ، وأشجاره مُوقرة بالنار ، أشجار كأن الحور أعارتها قُدودها وكستْهَا بُرُودها ، وحلنها عُقودها ، شقائق كتيجان العقيق على رعوس الزنوج كأنها أصداغ الميسْك على الوجنات الموردة ، كأن الشقيق جام(١) من عقيق أحمر ، مُلِئت قرارته بمسك أذفر ، الأرض زُمُردة ، والأشجار وَشَى ، والماء سيوف ، والطيور قِيان(٢) قد غردت خطباء الأطيار على منابر الأنوار والأزهار .

وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة قُص جناحها، وضل صباحها . ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا تتخللها أنوار . ليل ثابت الأطناب (٣) بطى أالغوارب طامع الأمواج وافى الذوائب . بات بلية ساورته (٤) فيها الهموم ، وسامرته النجوم ، واكتَحَل السهاد ، وافترش المقتاد ، واكتَحَل عاء السهر ، وتململ على فراش الفكر ، قد أقض مِهادُه (٥) وقلِقَ وساده ، هموم تفرق بين الجنب والمِهَاد ، وتجمع بين العين والسهاد .

وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم

قداكته ل(٦) الظلام ، قد نَصَّفنا عمر الليل واستغرقنا شبابه ، قد شاب رأس الليل ، كاديتم النسيم بالسحر ، قد انكشف غطاء الليل وستر اللجى ، هَرِم الليل وشمِطت ذوائبه ، قُوضت (٧) خيام الليل ، وخلع الأفق ثوب اللجى ، تبسم الفجر ضاحكا من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل أفقه ، اقتنص بازى الضوء غراب الظلام ، وفَضَّ كافور النور من الغَسَق مسك الختام ، طرز قميص الليل بغرة الصبح ، باح الصبح بسره ، خلع الليل ثيابه وحَدَر (٨) الصبح نقابه ، بث الصبح طلائعه ، تبرقع الليل بغرة الصبح ، أطار منادى الصبح غراب الليل ،

⁽۱) اناء (۲) مغنيات (۳) حبال الخيمة (٤) شغلته وقاومته (٥) خشن وتترب (٦) صاد كهلا تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز الأربعين سنة . (٧) هدمت . (٨) أنزل ·

عزلت نوافج الليل بجامات الكافور، وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور، مالت الجوزاء (١) للغُرُوب، وولَّت مواكب الكواكب، وتناثرت عقود النُّجوم، وَوَهى نطاق الجوزاء، وانطفأً قنديل الثريا.

وصف طلوع الشمس وغروبها

بكا حاجبُ الشمس، ألقت الغزالة (٢) لُعَابها وضَرَبت الضَّحى (٣) أَطنَابها، انتشر جناح الضوء في أفق الجوّ، استوى شبابُ النهار على رونق الضحى، ابلغت الشمس كبد السهاء، قام قائمُ الهاجرة ورمت الشمس بجمرات الظهر اصفرَّت غلالة (٤) الشمس، وصارت كأنها الدينارُ يلمع في قرارالماء، نفضت تبرًا على الأصيل، وشدت رَحْلها للرَّحيل، جنحت الشمس إلى مغاربها، دلكت (٥) دلوح (٦) واغبرَّ لَوْحُ اللوح (٧) تصوبت الشمس للمغيب، وتَضيَّفت للغُرُوب، فآ ذن جنبها بالوجوب (٨)، شاب النَّهار وأقبل شباب الليل استتر وجه الشمس بالنقاب وتوارت بالحجاب وكأن هذا الأَمر مِنْ مطلع الفَلق إلى مجمع الغسق .

وصف الرعد والبرق

قام خطيبُ الرَّعد. نَبَض (٩) عِرْق. سحابة ارتجزت (١٠) رُعُودُها. وذهبت بِبُروقها بُرُودها. نطق لسانُ الرِّعد. وخَفَقَ قلبُ البرق. فالرعد ذوصخب (١١) وانبرق ذو لهب. ابتسم البَرْق عن قَهقهة الرعد. زأرت أُسُود الرعد ولمعت سُيوف البرق. رعدت الغَمائم وبرقت. وانحلت عُرى السماء فطبقت. هدرت رواعِدُها، وتربت أَباعدها. وصدقت مواعدها.

⁽۱) برج فى السماء (۲) الشمس (۳) الضحى جمع ضحوة ، مؤنث والضحا تذكر على أنها اسم (۶) الثوب الرقيق (۵) غربت (٦) السحابة (٧) واللوح اللمح واللمعان من لاح يلوح لوحا (٨) وجبت الشمس وجيبا ووجوبا غابت (٩) تحرك (١٠) الرجز ضرب من الشعر ويقال رجيز الراجز وارتجز أيضا (١١) كثير اللغط والحامة .

وصف مقدّمات المطر

لبِست السهاءُ سِرْبالها ، وسَحَبت السَّحبُ أَذيالها ، قد احْنَجَبَتْ السهاءُ فى سُرادق الغيم ، لبسَ الجو مُطرَفَه (۱) الأَدكن (۲) ، باحَتِ الرِّيحُ بأَسرار النَدَى ، ضربت خيمة الغمام ، ابتلّ جناح الهواء ، واغْرَوْرقت مُقلة السهاء ، هبّت شائل الجنائب ، لتأليف شمّل السحائب ، تألفت أَشْتَات الغيوم ، وأَلقَتْ الستور على النجوم .

وصف الثلج والبَرْد وأَيام الشتاء

مَدّ الشتاءُ رواقه ، وألتى أوراقه (٣) وحلّ نطاقه . أناخ بنوازِلهِ ، وأرسى بكلاكله ، وكلح بوجهه ، وكشر عن أنْيابِه ، قد عادت الجبالُ شببًا ، ولبست من الثلوج ملاءً قشيبًا (٤) . شابت مفارق البُرُوج بتراكم الثلوج ، ألمّ الشيب بها ، وابيضت لمَمُهَا(٥) ؛ بردٌ يقضقضُ (٦) الأعضاء ، وينقضُ الأحشاء ، برد يُجمّدُ الريق في الأشداق والدمع في الآماق ، يوم كأن الأرض شابت لهوله ، يوم فضى الجلباب مسكى النقاب ، عبوس قمطرير(٧) ، شابت لهوله ، يوم فضى الجلباب مسكى النقاب ، عبوس قمطرير(٧) ، كشر عن ناب الزمهرير ، وفرش الأرض بالقوارير(٨) ، يوم أرضه كالقوارير اللامعة ، وهواؤه كالزنابير اللاسعة .

وصف المطر والسحاب والماء والغدران

ماءٌ إذا مسته أيدى النسيم (٩) ، حكى « السل الفضة ؛ غديرٌ ترقرقت (١٠) فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرِّياح الغرائب ، انحل عقد الساء وانهلَّ دمع الأَنواء (١١) ، انحل سلك القطر عن دُر البحر ، سحابةٌ تحدو من الغيوم جمالاً ، وتمدّ من الأمطار جبالاً . سحابة ترسل الأمطار أمواجًا

⁽۱) رداء من خز مربع ذو اعلام (۲) المائل الى السواد (۳) جمع روق ، وهو والرواق بمعنى (٤) جديدا (٥) جمع لمة للشعر الذى يجاوز شحمة الآذان . (٦) يكسر ويضعف (٧) شديد مظلم (٨) جمع قارورة وهي الاناء من الزجاج (٩) شابته (١٠) تحركت (١١) جمع نوء: المطر

والأَمواجَ أَفواجًا . سحابة يضحك من بكائها الروض ، وتخضر مِن سوادها الأَرض ، سحابة لا تجف جفونها ، ولايخف أنينها ، ديمة (١) روّت أديم (٢) الثرى (٣) ، ونبهت عيون النور من الكرّى (٤) ، سحابة ركِبت أعناق الرياح ، وسَحّت كأَفواه الجراح . مطر كأَفواه القرب

وصف القيظ. وشدة الحر

حرَّ يشبه قلب الصب ، ويُذيب دماغ الضبّ (٥) قوى سلطان الحرّ ، وبسط بساط الجمر ، أوقدت الشمس نارها ، وأذكت (٦) أوارها(٧) ، حرَّ يلفح حرّ الوجه ، هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نار الفيراق ، هاجرة تحكى نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر ، حرَّ تهرب له الحجرْباءُ (٨) من الشمس ، قد صَهَرَت (٩) الهاجرة الأبدان ، وركبت الجناذيب (١٠) العيدان ، حرَّ ينضج الجُلود ، ويذيب الجلمود ، أيام كأيام الفرقة امتدادًا ، وحركحرِّ الوجه اشتدادًا ، هاجرة (١١) كالسعير الهاجم ، يحز أذيال السمائم (١٢)

وصف الشيب

ذوى(١٣) غصن شبابه ، بدت فى رأسه طلائع المشيب ، أقمر ليل شبابه ، ظهرت غرة القمر ، وأوْمض (١٤) البرق فى ليل الشَّعْرِ ، رمى فاحم العود (١٥) بضدِّه واشتعل المبيض فى مسوده ، لمع ضوء فرعه ، وتفرق شمل جمعه ، علاه غباره وقائع الدهر ، بينا هو راقد فى ليل الشباب ، إذ أيقظه صبح المشيب ، طوى مراحل الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب ، جاوز من الشباب مراحل ،

⁽۱) المطر بلا رعد (۲) وجه الأرض (۳) التراب (٤) النوم (٥) حيوانبرى لا يعيش الا في الجهات الشديدة الحر (٦) أوقدت (٧) نارها (٨) حيـوان يستقبل الشمس ويدور معها كيغمادارت ويتاون الوانا بحر الشمس (٩) اذابت . (١٠) الجراد . (١١) شدة الحر عند الزوال (١٢) الرياح الحارة (١٣) ذبل . (١٤) برق ولمع(١٥) معظم شعر الرأس مما يلى الأذن

وورد من الشيب مناهل ، فَلَّ (١) الدهرُ شباته ، ومحاسن رُواته ، طار غراب شبابه ، انتهى شبابه ، وشاب أترابه ، استبدل بالأَدهم (٢) الأَبلق (٣) وبالغراب العَقْعَق (٤) ، استعاض (٥) من الغراب بقادمة النِّسر ، أَسَفَرَ صبحُ المشيب ، علتهُ أهبةُ الكبرِ ، نفض جبة الصبا ، وتولى داعبة الْحِجا (٦) ، الشيب زُبدة مخضتها الأَيام ، وفضة محضّتها التجارب . سرى في طريق الرُّشد بمصباح الشيب ، الشيب ، الشيب خطام المنيَّة ، الشيب نذير الآخرة .

وصف آلات الكتابة الدواة ــ المداد ــ الأُقلام

الدواةُ من أَنفع الأَدوات ، وهي للكتابة عتاد(٧) ، وللخاطر زناد ، عدير عدير لا يرِدُ غير الأَفهام ، ولا يمتح(٨) بغير أرشية (٩) الأَقلام ، غدير تقديض ينابيع الحكمة من أقطاره ، وتنشأ سحب البلاغة من قراره .

مِدَاد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولُعاب الليل ، وأَلوان دُهم الخيل ، مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه شرَّخ الشباب (١٠) أَقلام جَمَّة المحاسن ، بعيدة عن المطاعن ، أَنابيب ناسبت رماح الخط

افلام جمه المحاسن ، بعيده عن المطاعن ، انابيب ناسبت رماح المحد قى أجناسها ، وشاكلت الذهب فى ألوانها ، وضاهت الحديد فى لمعانها ، أقلام كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الخنى قوية القُوى . قلم لاينبُو(١١) إذا نبت الصّفاح ، ولا يُحْجِم (١٢) إذا أحجمت الرّماح ، قلم يسكتُ واقفا ، وينطق ساكتًا .

وصف الخطباء

جَلُوا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة ، ونبهوا

⁽۱) هزم (۲) الأسود (۳) الأبيض وأصله للرخام (٤) طائر قدر المحمامة (٥) جعله عوضا (٦) العقل (٧) ما يعده الانسان لحوادث الدهر (٨) لا يبرح (٩) حبال الدلاء (١٠) ربعانه (١١) لا يبغد (١٢) لا يتأخر

القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، خطيب لا تناله حبسة ، ولا ترتهنه لكنة ، ولا تتمشى فى خطابه رُنة (١) ، ولا تتحيف (٢) بيانه عجمة ، ولا تعترض لسانه عقدة ، خطيب جواهر نفثاته صحاح ، وعرائس أفكاره صباح ، خطيب تزينت بِدُرَر ألفاظه عقود المُلح ، لاعيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر ، خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المكنون ، هو الخطيب المصقع المذى أشخص بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاها ، هو الخطيب المصقع الذى تتلاعب بالعقول معانيه ، ويصاغ الدر من لفظ فيه ، هو الخطيب الذى تتزل ما المنابر ، وتنقاد إليه كلمات السمو متسابقة ، آخذاً بعضها برقاب بعض .

وصف العُلماء

بكر العلوم اللائح، وقطرُها الغادى والرائح، وشبيرها(٣) الذى لايزحم، ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الأسحم (٤) ، أما فنون الأدب فهو ابن بجدتها (٥) وأخو جُملتها وأبو عذرتها ، ومالك أزِمّتها ، تستخرج الجواهر من بحوره ، وتحلى لمعات الطروس بقلائد سطوره ، وتآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها ، له بدائع مائسات(٢) الأعطاف ، بحر البيان الزّاخر ، شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه زمامُها ، لديه تنشد ضوال الأعراب ، وتوجد شوارد اللغة والإعراب ، مالك أعِنّة العلوم وناهج طريقها ، والعارف بترصيعها وتنميقها ، النّاظم لعقودها الرّاقم لبُرُدها ، المُجيد لإرهافها (٧) العالم بجلائها وزفافها ، ملك رق الكتابة والإنشاء ، وتصرف في فنون الإبداع كيف شاء ، عالم يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الْحِكمة من نواحيه ،

ولطفها .

⁽۱) العجمة . (۲) بمعنى تنقص (۳) المثابر المواظب · (٤) الأسود . (٥) العالم بها المتقن لها . (٦) متبخترات ماثلات . (٧) لرقتها

صاحب المصنفات التي دلت على وفرة اطلاعهِ ، وغزارة مادته ، وحُسْن بيانِه ، لم يترك معنى مغلقًا إلافتح صياصيه (١) ، ولامشكلا إلا أوضح مبانيه . وصف الله الله المناء

فلان يحوكُ الكلامَ على حسب الأمانى ، ويخيطُ الألفاظ على قدُود المعانى ، يجتبى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثمارها ، يعبث(٢) بالكلام ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد فى التسابق إلى خواطره ، والمعانى تتغايرُ في الانثيال (٣) على أنامِله . بليغ نسق (٤) من جواهر كلامه أكاليل دُرّ ، ما لمنظومها سلك بليغ تُفكُ سهام أفكاره الزرد ، ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة ، إذا أوجز أعجز ، وإذا شاء أطال ، وأطلق من البلاغة العقال ، إذا أذكى سراج الفيكُر ، أضاء ظلام الأمر ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع الغُيوب .

وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مقذِف حصى القريض وجماره ، ومطلع شموسه وأقماره ، نثره سِحْر البيان ونظمه قطع الْجُمان ، طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره ، وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره ، شاعر توقدت جمرات أفكاره ، شاعر عرائس أفكاره صباح ، إن نثر فالنجُوم فى أفلاكها ، أو نظم فالجواهر فى أسلاكها ، أخذت بمجامع القلوب كلمه ، إذا كتب انتسب إليه السَّحْر أصح انتساب ونسق (ه) المعجزات نسق حساب ، وأرى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب ، إن نثر رأيت بحرًا يزخر ، وإذا نظم أزرى بنظم العقود بالجوهر، وأتى بأحسن من رقم البرود ، إذا كتب ملاً المهارِق (٦) بياناً ، وأرى

⁽۱) جمع صيصة: الحصن المنيع (۲) يلعب (۳) الانصباب (٤) نظم (٥) نظم (٦) جمع مهرق حرير ثوبأبيض ينقى الصمغ منه ويغسل ثم

السحر عياناً ، هو الكاتب الذي تحسند أرقام الطراز سطور قلمه ، ويود التبر لو كان مداد كلمه ، هو الكاتب الذي تنقاد إلى يراعه (١) دقائق المعانى صَاغِرةً بزمام ، نشر كنشر الورد ، و ظم كنظم العقد ، نشر كالسّحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق ، نشركما تفتّح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر ، رسالة تضحك عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على حبو ودر ، كلام كما هَب نسيم السّحر ، على صفحات الزّهر . كتاب مطلع مطلع أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد ، كتاب حسبته يطير من يدى ليخفته ، ويلطف عن حسى لقتلته ، صحائف انطوت المحاسن تحت رق منشورها ، وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها ، صحائف تنوب عن الصفائح ، وقراطيس تَرُفُ إلى الأسماع عرائس القرائح ، صحائف ألبسمها المجبر أثواباً من المُجبر (٢) ، ودبجها (٣) صوب (٤) الفكر ، لا صوب المطر .

وصف الأُمراءِ والأَشراف

فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم (٥) ، أصل راسخ ، وفرع شامخ (٦) ، ومجد باذخ (٧) ، قد ركّب الله دَوْحته (٨) ، في قرارة المجد وغرس نبعته (٩) في منبت الفضل ، المجد لسان أوْصافه ، والشرف نسب أسلافه . دَوْحة رسب (١٠) عِرْقها وبَسَق (١١) فرْعها وطلب عُودُها واعتدل عمودها وفيّات ظلالها ، وتهدّلت (١٢) ثمارها وتفرّعت أغصانها ، وبرد مقيلُها (١٣) ، أمير جيشه الهمم ، دَوْحة مجده وريفَة (١٤) الظّلِّ وريقة (١٠) أمير العيب في نداه (١٦) إلا أنه يستعبد كلّ حُرّ . هو غَرَّة الجمال ، وصورة أمير لاعيب في نداه (١٦) إلا أنه يستعبد كلّ حُرّ . هو غَرَّة الجمال ، وصورة

ولا تيب و تستوولهم مير و الحقيقة ليس بعيب بل نهانة في المدح .

⁽۱) أقلامه (۲) الحبرات التى تلبسها النساء المصريات اذا خرجين (۳) نقشها (٤) المطر (٥) الخالص(٦) المرتفع (٧) الهالى (٨) الشجرة العظيمة (٩) الشجر أيضا (١٠) نبت (١١) ارتفع (١٢) تدلت (١٣) مكانها . (١٤) ممتدة متسعة (١٥) مورقة (١٦) عطائه وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقرل بعضهم : ولا عيب في معروفهم غير انه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

الكمال . عقد المناصب به نضيد ، أميرٌ عَبَقت من شَائله نَسَات النَّد، وقطرت من سلسبيل أوصافه مياهُ المجد، جامعٌ ماتفرق من شمل الفضائل، ناظم ما انتشر من عقد المَآثر، أَنارت به نجوم المعالى وشموسها، له شرف باذخ تعقد بالنَّجوم ذوائبه ، ألقت إليه الرياسة مقاليدها(١) ، وملكته طريفها وتليدها(٢) . أُمير تَفرُّعَ من دَوْحة سناء(٣) ، وتحدّر من سُلالة أَكَابِرِ ، ورُقاة أُسرة ومنابِر ، مُرْتضع تُدْى المجد ، ومفترش حِجْر الفضل ، له صدر تضيق به الدُّهْناءُ(٤) ، وتفزع إليه الدّهماءُ(٥) ، له في كلِّ مَكْرُمَة غُرَّة الإِصباح ، وفى كل فضيلة قادمة الجناح ، له صورة تَسْتنطق الأَفواه بالتسبيح ، ويتَرقرق فيها ماءُ الكرم ، وتقرأُ فيها صحيفة البِشْر ، ينابيع الجود تتفجر من أنامله ، وربيع الساك يضحك من فواصله ، له أخلاق خلقن من الفضل وَشيم تشام (٦) منها بوارق المجد، أَرجَ (٧) الزمان بفضله، وعِقم النساءُ عن الإِنيان بمثله ، ماله للعفاة(^) مباح ، وفَعَالُه(٩) في ظلمة الدهر مصباح ، مناقب تشدخ (١٠) في جبينها غُرَّة الصباح ، وتتهادي أنباء ها (١١) وُفود الرياح ، سألت عن أُخباره فكأنى حركت المسك فتيقًا ، أو صبَّحت الروض أَنيقًا(١٢) هو رائش(١٣) نبلهم ، ونبْعة(١٤) فضلهم ، وواسطة(١٠) عقدهم ، له هِمَّة علا جناحها إلى عنان النجم ، وامتد صباحها من شرق إلى غرب ، همُّتُه أبعد من مناط(١٦) الفرقَد ، وأُعلى من منكِب الْجوزاء(١٧) ، موضعه من أهل الفضل موضع الواسطة من العقد ، وليلة التمُّ من الشهر، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر ، هطلت عليُّ سحائب عنايته ، ورفرفت

⁽۱) مفاتيحها . (۲) حديثها وقديمها (۳) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسعة (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء :كرمه (١٠) تفاق (١١) أخبارها (١٣) معجبا (١٣) السهم ذى الريش(١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهي أحسنه (١٦) محلعلاقته (١٧) برج في السماء

حولى أجنحة رعايته، وقد استظهرت على جَوْر الأَيام بعدله، واستَتَرْتُ من دهرى بظله، قد غَرَّقتنى نعمه حتى استنفدت شكر لسانى ويدى ، وتتَابَعَتْ نعمه تتابع القطر على القفر، وترادفت مِننه ترادُف اليسر إلى ذوى الفقر، له أياد قد عمَّت الآفاق، وطوقت الأَعناق، أياد قد حبست عليه الشكر، واستعبدت له الحر، مِنن توالت توالي القطر، واتسعت سعة البرِّ والبحر، وأثقلت كاهِل الحر.

وصف القلم

القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطِب للغُيُوب ، بسرائر القلوب ، على لُغات مختلفة من معان معقولة ، بحروف معلومة ، متباينات الصور مختلفات الجهات ، لِقاحُها التفكر ونِتاجها التَّدبر ، تخرس منفردات ، وتنطق مُزدوجات يلا أصوات مسمُوعة ، ولا ألسُن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حَرَّف باريه قَطَّته ، ليتعلق المداد به ، وأَرْهفَ جانبيه ليرُدُّ ما انتشر عنه إليه ، وشق رأْسه ليحتبس المداد عليه ، فهُنالك استمد القلم بشقّه ، ونشر في القرطاس بخطه حروفاً أَحكَمها التفكر ، وأولى الأسماع بها الكلام الذي سداه العقل ولحمته اللسان ونهسَتْه اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه، ووَعَنُّه الأَسهاع عن أَنحاءٍ شتَّى من صفات وأَسهاء، قال البُحترى: طعانٌ بأَطراف القوافي كأنه طعانٌ بأَطْرَاف القَنا المتكسِّر وقال ابن المقفّع: «القلم بريد القلب: يُخبر بالخبر، وينظر بلانظر». وقال أُبو دُلَف: « القلم صائغُ الكلام يفرغ ما يجمعُه العلم ». وقال الجاحظ : «الدواة منْهَل ، والقلم ماتح ، والكِتاب عَطَن » . وقال سهل بن هارون: «القلم أنف الضمير، إذا رعف أعْلَنَ وأبان آثاره» وقال عمرو بن مسعدة : «الأُقلام مطايا الفيطن » .

وقال المأمون : « لله دَرّ القلم كيف يَحُوك وَشْي المملكة » .

وقال جالينُوس : «القلم طبيب المنطق » .

وقال أَحمد بن عبد الله : «القلم راقدٌ في الأَفئدة ، مُسْتيقظ في الأَفواه » وقيل : «عُقول الرجال تحت أَقْلَامها » .

وقال آخر : «القلم أَصم يسمع النَّجْوى، وأخرسُ يفصح بالدعوى ، ووجاهل يعْلَم الفَحْوى ».

وقال أَيضًا أَحمد بن يوسف : «عبرات الأَقلام فى خدود كتبها أَحسن من عَبَرات الغوانى فى صُحون خدودها » .

وقال أَيضاً: «القلم لسان البَصر يُناجيه بما استترعن الأَسماع ؛ إذا نَسَج حلله ، وأودعَهَا حكمه » .

وقال العتابى : «الأُقلام مطايا الأَذهان » .

وقال عبد الحميد: «القلم شجرةٌ ثمرتها الأَلفاظ، والفكر بحر لُولُوه الحكمة » وقيل: «بِرِيّ القلم تروى القلوب الظَّمِئة ».

وقال ابن أبي دواد: «القلم سفير العقل، ورسوله الأنبلُ، ولسانه الأَطول، وترجمانه الأَفضل».

وقال أيضاً : « القلم الدنيا والآخرة » .

وقال آخر : «بَنُوْءِ القلم تصوب الحكمة ».

قال ابن مَيثَم: «من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قطُّ إلابه » وقالوا: «القلم قسيم الحكمة ».

وقال يحيى بن خالد البرمكى : «الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة وقدمُها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول».

ووصف أحمد بن إسماعيل خطاً حسنًا فقال : « لو كان نباتاً لكان زَهْرًا ولو كان نباتاً لكان زَهْرًا ولو كان معدناً لكان تبرًا ، أو مَذَاقاً لكان حلوًا ، أو شراباً لكان صفوًا » .

وقال إقليدس : «الخط. هندسة رُوحانيَّة ، وإن ظهرت بآلة جسمانية ». أخذه النَّظام فقال : «الخط. أصل في الروح وإن ظهر بالجسد » .

وقال بعض الملوك اليونانية: «أَمر الدِّين والدُّنيا تحت شيئين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم».

وقال أفلاطون : «الخط. عِقَالُ العقل » .

وقال أرسططاليس: «القلم العلَّة الفاعلة والمداد العلَّة الهيولانيَّة ، والخط. العلَّةُ الصُّورية ، والبلاغة العلَّة السامية ».

سئل بعض الكُتّاب عن الخط : متى يستحق أن يُوصف بالجودة ؟ فقال : «إذا اعتدلت أقسامُه ، وطالت ألفه ولامُه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره ، وتفتّحت عيونه ، ولم تشبه راءه نونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع إلى العيون تَصوّره ، وإلى العقول ثمره ، وقُدِّرت فُصُوله ، وانْدَمجت وصوله ، وتناسب رقيقه وجليله ، وخرج عن نمط الوراقين ، وبعد عن تصنع المحبرين ، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية » .

وقالوا: «القلم أحدُ اللِّسانين ، والعمُّ أحد الأَبوين ، والتَّنبُّت أحد العفوين ، والمَطْل أحد الْمَنْعين ، وقلَّة العيال أحد اليَسَارَيْن ، والقناعة أحد الرِّزقين ، والوعد أحد الضَّرْبين ، والإصلاح أحد الكسبين ، والرَّاوية أحد الهاجيين ، والهجر أحد الفراقين ، واليأسُ أحد النَّجْحين ، والمزاح أحد السبابين » .

وقال آخر: «مَساقُ الدُّنيا بسين وقاف فيقال سق » يريد السيفوالقلم وقال آخر: «القلم لسانُ اليد».

حدثى يحيى البحترى قال: حدثنا أبي عن ابن الترجمان _ وكان الواثِقُ أَنفذه إلى ملك الروم بهدايا _ قال: وافقت لهم عيدًا ، فرأيتُهم قد علّقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة ، فسألت عنها ، فقيل :

هذه كُتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا فحدثت أنا بهذا الحديث أبا عُبيد الله محمد بن داود بن الجرَّاح فقال: هذا حق، قد كتب سلمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم فى أيام المُعتمد فقال: ما رأيت للعرب شيئًا أحسن من هذا الشكل، ولست أحْسِدُهم على شيء حسدى إيَّاهم عليه ، والطَّاغية لايقرأ العربى ، وإنما راقه اعتداله وهندستُه وحُسْنُ موقعه ومراتبه .

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي : انظر ، كم على هذا الميل من عدد الأميال ، وكان الأعرابي لايحسنُ أن يقرأ فمضى ونظر ثم عاد فقال : رأيتُ كرأس المحجن مُتصلا بحلقة صغيرة ، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة ، تفضى إلى هنة كأنها رأس قطاة بلا منقار . ففهم بوصفه أنها خمسة .

حدثني يعقوبُ بن بيان الكاتب قال : قال بعضُ الكُتَّاب « القلمُ الرَّدىءُ كالولد العاقِّ » .

وقالوا: «رَكَاءَةُ الخط. إحدى الزّمانتين ، كما أن حسنه إحدى البلاغتين » حدثني طلحة بن عبد الله قال:

اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى خطّه قبيحًا ، فوقع فى رقعته : «أردنا قبولَ عُذرك ، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطّك ولو كنت صادقاً فى اعتذارك اساعدتك حركة يدك ، أو ما علمت أنّ حسن الخطّ يناضل عن صاحبه بوضوح الْحُجَّة ، ويُمكِّن له درك البغية »! وكان أبو هَفَّان عبد الله بن أحمد المُهتزى من أقبح الناس خطًّا وكان يَبْتَدئ الخط من رأس الورَقة ويعوِّج سطُوره حتى يبتى آخر سطر فى الورقة كلمةً واحدةً فرثاه يحيى بن على فقال فى مرْثيَّته :

مع خط كأنَّه أرجُل البط أو الحطِّ في ذوى الفتيان! قالوا: « رُداءة الخط. زمانة الأدب » .

نظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كُتَّابه فلم يرضه ، فقال : «نَحُوهُ هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط ، ولا يُومن أن يُعدى غيره» .

أنشدني العنزي بن على في قبح الخط:

جزعت من قُبح خطى وفيه وضعى وحطًى رجعتُ من بعد حِذْق إلى تعلم حطًى

حدثنا أبوالعباس الرّبعي قال حدثنا الطلحي قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال : دخل على الرَّشيد أعرابي فأنشده أرجوزة – وإساعيل بن صبيح يكتب بين يديه كتاباً ، وكان أحسن النَّاس خطًّا ، وأسرعهم يدًا – فقال الرشيد للأعرابي : صف هذا ، فقال له ؛ ما رأيتُ أطيش من قلمه ، ولا أثبت من حلمه ، ثم قال :

له قلمٌ بُؤسى ونعمى كلاهما سحابته فى الحالتين درور يناجِيك عمَّا في ضميرك لحظُه ويفتح باب النَّجح وهو عسير

فقال الرشيد: «قد وجب لك يا أعرابي عليه حقّ ، هو يقضيك إياه » وحق علينا فيه نحن أن نقوم به ، ادفُعوا إليه دِيهَ الحر » فقال له: «على عبدك دية العبد ».

جاء يوماً عبد الله بن المُعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد ابن يحيى ليسلم عليه فقام له وأجلسه مكانه ، فداس ابن المُعتز قلمًا فكسره ، فلما جلس قال لمنْ حوله :

لكفِّى ثُأْرٌ عند رجلى لأَنها أَثارتْ قتيلاً ما لأَعظمه جبرُ فعجب الناس من سرْعة بدلهته .

وأهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلمًا وكتب إليه:

قد وجهت إليك أعزَّك الله بمفاتح العلوم ، بادٍ جمالُها ، تام كمالها ، فهي كما قال الشاعر :

ليس فيها ما يقالُ له كملت لو أن ذا كَمُلا

كلّ جزءٍ من محاسنها كائنٌ من حسنه مَثلًا وقال أحمد بن إساعيل :
وإذا نَمْنَمتْ بَذانك خطًّا مُعرباً عن إصابة وسَدَادِ عجبَ الناس من بياض مَعانٍ يُجتنى من سواد ذاك المِدَاد حدثنا أحمد بن يزيد المهلِّي قال حدثنى أبو هفّان ، قال سألت ورّاقًا عن حاله فقال :

«عَيشِي أَضِيقُ من محبرةٍ ، وجِسْمِي أَدَقُ من مِسطرةٍ ، وَجاهي أَرقَ من الزجاج ، ووَجهي عند النّاس أَشدُّ سوادًا من الحبر ، وحظى أَحقرُ من شَقّ القلم ، وَبَدَنِي أَضعف من قصبة ، وطعامي أُمرٌ من العَفْص ، وسُوءُ الحال أَلزمُ لي من الصبغ » فقُلت له عَبَّرْتَ عن بلاءٍ بِبلاء(١) .

وسُئِلَ ورَّاقُ عن حاله فقال :

وإذا كنت بالليل لا أكتُب وطُول النهار أنا ألعبُ فَطَوْرًا يبطلني مشربُ الفَهَا وطورًا يبطلني مشربُ الفَا دام هذا على ما أرى فبيتي أولُ ما يخربُ وصف الكتاب

الكتابُ نعْمَ الأنيس في ساعة الوَحدة ، ونعْم المعرفَةُ في دار الغُرْبة ، ونعم القرين والدَّخيل ، ونعم الزَّائر والنزيل ، وعَاءٌ مُليءَ علما وظرفاً ، وإناءٌ مُليءَ مزْحاً وجدًّا ، وحبَّذا بستان يحمل في خرج ، وروض يقلب في حِجْر ، هليء مزْحاً وجدًّا ، وحبَّذا بستان يحمل في خرج ، وروض يقلب في حِجْر ، هل سمعت بشجرة توتى أُكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ؟ هل سمعت بشجرة لاتذوى وزهر لايتوَى (٢) وغر لايفني ، ومن لك بجليس

⁽۱) ومثله قول قائلهم: تبالسرزق نازل تباله، تباله (۲) سوى: بهلك.

من شق هذى القصبه ما أتعبه ، ما أتعبه

يفيد الشيء وخلافه ، والجنس وضِدّه ، يَنطقُ عن الموْتي ويُترجم عن الأَحياءِ ، إِن غَضِبتْ لَم يَغضب وإِن عَربدتْ لَم يَصخْب(١) ، أَكتَمُ من الأَرض وأَنمُّ من الرِّيح وأهوَى من الهوى ، وأخدءُ من المُنِّي ، وأمتع من الضحي ، وأنطلق من سحبان وائل ، وأُعيى من باقِل(٢) هل سمعت ععلم تَحَلَّى بخلال كثيرة وجمع أَوصافاً عَديدةً ، عَرَنيُّ فارسيُّ يُونانيُّ هندى سِندى رومى ، إِن وعظـ أَسمع ، وإِن أَلهي أَمتع ، وإِن أَبكي أَدمعَ وإِن ضرب أُوجع ، يُفيدك ولا يستفيكُ منك ، ويزيدك ولا يستزيد منك إن جَدّ فعبرة ، وإن مَزَح فنُزهة . قبرُ الأُسرار ومخزَن الودائع ، قيد العلوم وينبوعُ الحكم ، ومعدن المكارم ومؤنسٌ لاينام . يفيدك علم الأولين ، ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخّرين . هل سمعت في الأولين أو بلغك أن أحدًا من السَّالفين جمع هذه الأوصاف مع قلة مؤنته ؟ وخفة محمله ، لا يرْزؤك (٣) شيئًا من دُنياك ، نعم المدّخر لعُدَّة (٤) ، والمشتغل والحرفة ، جليس لايطريك (٥) ورفيق لايَملك ، يطيعك في الليل طاعته في النهار ، ويطيعك في السَّفر طاعته في الحضّر. إِن أَطلت النَّظر إليه أَطال إمتاعك(٦) وشحذ (٧) طباعك ، وبسط. لسانك وجوَّد بيانك ، وفخَّم أَلفاظك ، إِنْ أَلِفْته خلد على الأَيام ذكرك ، وإِن دَرُسْتُه رفع في الخلق قدرك ، وإن نَعَتُّه نوه عندهم باسمك ، يُقْعد العبيد في مقاعد السَّادات ، ويُعجُّلس السوقة في مجالس الملوك ، فأكرم به من صاحب ، وأعْزز به من موافق .

⁽۱) لم يصوت (۲) رجل من اياد يضرب به المثل في العي ، ومن عيه انه اشترى طيبا فجعله على عاتقه، فسئل عن ثمنه ، فحل عنه يديه و فتحأصابعه وأشار بها ، وأخرج لسانه ، يريد أنه بأحد عشر درهما ، ولم يلهم أن يخبر عن سره بلسانه ، فصار عيه مثلا .

⁽٣) لاينقصك (٤) ما يعده الانسمان لحوادث الدهر من سلاح وغيره (٥) لا بمدحك (٦) انتفاعك

⁽٧) أحدها وأقواها

وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ.

أَتى عارض فى ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة ، وكانت فيه ظُلُمات متكاثِفة وبُرُوق خاطفة ورياح عاصفة ، فقويَت أهويتُهَا ، واشتدَّ هُبوبها فتدافعت لها أعِنة مُطلقات ، وارتفعت لها صواعق مُصعِقات ، فرَجَفَت هُبوبها الْجُدران واصطفَقَت ، وتلاقت على بُعدها واعْتنقت ، وثار بين السَّماء والأَرض عجَاج فقيل لعلَّ هذه على هذه أطبقت .

وتحسب أنَّ جهنم قد سالَ منها وادٍ وعدا منها عادٍ ، وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت مصابيح النُّجُوم ، ومُزِّق أديمُ السَّاءِ ومُحى ما فوقهُ من الرقوم ، لا عاصِم من الخطف للأبصار ، ولا مَلجأ من الخطب إلَّا معاقل الاستغفار ، وفرّ النّاس نساءً ورجالاً ، ونفرُوا من دُورهم خفافاً وثِقالاً ، لايستطيعون حِيلة ، ولا يهتدُون سبيلا ، فاعتصمُوا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنّازلة بأعناق خاضعة ، ووجوه عافية ، ونُفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون مِن طرفْ خفي ، ويتوقعون أيَّ خطب على ، قد انقطعت من الحياة عُلُقهم وعميت عن النّجاة طرُقهم ، ووقعت الفيكرةُ فيا هُم عليه الحياة عُلُقهم وعميت عن النّجَهم وَودُوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون ، قاد الله في الرُّكود وأسَعَف الهاجدينَ بالهجود .

وَأَصِبِحَ كُلُّ يِسلمُ عَلَى رَفِيقَه ، وَيُهنَّتُه بِسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بُعثَ بِعدَ النفخة ، وأَفاقَ بِعدَ الصَّيحة والصَّرْخة ، وأَنَّ الله قد ردَّ له الكرَّة وأَدبَهُ بِعدَ أَن كَاد يِأْخُذَه على غِرة ؛ وورَدتْ الأَخبار بِأَن كَسِرَت المراكبُ في البحار ، والأَشجار في القفار ، وأُتلِف خلقُ كثير من السّفار ، ومنهم من فرَّ فلم ينفعه الفرار .

وصف العلم لبديع الزَّمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ

العلم شَيْءٌ بعيد المرام ، لايصادُ بالسّهام ، ولا يقسم بالأزلام (١) ، ولا يُرك في المنام ، ولا يُضبط باللجام ، ولا يكتب للئام ، ولا يُورثُ عن الآباء والأعمام .

وزُرْع لا يزكو(٢) إلا مَتَى صَادَفَ من الحزم ثرى طيِّبًا ، ومن التوفيق مطرًا صيبًا ، ومن الطبع جوًّا صافيًا ، ومن الجهد رَوْحًا(٣) دائمًا ، ومن الصبر سُقْيًا نافعًا .

وَغَرضٌ لا يصاب إِلَّا بافتراش المدر(٤) ، واستناد الحجر ، ورد الضجر ، ورد الضجر ، ورد الخطر ، وإدمان السَّهر ، واصطحاب السَّفَر ، وكثرة النَّظر ، وإعمال الفك

وصف رجل لخصمه

كان أحمدُ بن يوسُف(٥) مُنصرفاً عن غَسَّان بن عباد، وجرت بينهما هنات(٦) بحضرة المأمون، ثم قال المأمون يوماً لخاصة أصحابه: «أخبروني

⁽۱) الأزلام: جمع زلم - بفتحالزاى أو ضمها مع فتح اللام - وهى سهام لا نصل لها ولا ريش ، كان العرب اذارادوا القمار أحضروا جزورا فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ، ثم اتوا بعشرة ازلام ، فرسموا على واحد منها خطا ، وعلى الشائن ثلاثة ، وهكذا الى السابع ، فيكون عليه سبعة وهسوالسمى بالقدح المعلى ، وتبقى ثلاثة مفلا لا يرسم عليها شيء ، ثم يضعون الجميع فى خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلما باسم واحسد من المقامرين ، فان كان مرسوما له عليه شيء أخذ من أقسام اللحم بقدره ، وانكان غفلا غرم ثمن الجزور ، والمقصود من هذه العبارة أن العلم لا ينال بطريق البحث والمصادفة ، كما ينال اللحم المقسوم .

⁽٢) يزكو: ينمو ويطيب · (٣) الروح - بفتح فسكون - نسيم الريح · (٤) المدر: قطع الطين اليابس ، وافترش المطر: نام عليه

⁽٥) كاتب بليغ من كتاب المأمون ، وكان بارعا في الرسسائل ، ويكنى : أبا جعفر (٦) الهنات : جمع هنة ، وقد تجمع على هنوات ، والمراد : أمون

عن غَسّان بن عباد ، فإنّى أريده لأمر جَسيم » وكان قد عزم على تقليده السّند . فتكلم كلّ بما عنده في مدحه أن فقال أحمد بن يوسف : هوا يا أمير المؤمنين رجل محاسنه أكثر أمن مساويه ، لا يتطرق(۱) إلى أمرا إلا تقدّم فيه ، ومهما تُخُوّف عليه فإنه لن يَأْتى أمرًا يُعْتَذَرُ منه . قَسَم أيامه البين أفعال الفَضْل ، فَجَعَل لكلِّ خلق نوبة (۲) إذا نظرت في أمره لم تكدر الله عقله ؟ أمْ مَا اكتسبه بأدبه ؟ فقال له أي حالاته أعجب : أمَا هَداه إليه عَقْله ؟ أمْ مَا اكتسبه بأدبه ؟ فقال له له المأمون : لقد مدحته على سُوء رأيك فيه . قال : لأنى في أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كُنى ثُمنًا لِما أُسديتَ أَنِّى نَصحتُك فى الصّدِيق وفى عَدَائى وإنِّى حين تَنْدُبنى لِأَمر يكون هَواك أُغلبُ مِنْ هوائى (٣) [] [[القال]] [[القال

دخَل أَبو دُلف (٤) على المأْمون بعد الرِّضا عنه ، فسأَلهُ عن عبد الله ابن طاهر (٥) فقال : خَلفته يا أُميرَ المؤمنين أَمينَ غَيب ، نَصيحَ جَيب (٦) الله أُسدًا عاتيًا قائمًا على بَرَاثِنه ، يَسْعَد به وليَّك ، ويشتى به عَدوّك ، رَحْبَ

⁽١) تطرق الى الأمر: ابتفى اليه طريقا.

⁽٢) النوبة: الفرصة والدولة والمرة ، جمعها نوب كغرف ب

⁽٣) يرييد هواي ، ومده للضرورة .

⁽٤) أبو دلف _ كعمر _ هو القاسم بن عيسى البكرى من قواد المأمون ثم المعتصم ، وكان جوادا شجاعا ، وفيه يقول الشاعر:

انما الدنيا أبو دلف بين ناديه ومحتضره فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفى سنة ٢٢٦ هـ .

أَنَّ (٥) هو عبد الله بن طاهر بن الحسن ، من كبار ولاة المأمون ولى مصر مدة سمتين تقريبا . قال صاحب كتاب ادب الخواص: ان البطيخ العبدلاوي الموجود بالديان المصرية منسوب اليه ، اهن .

⁽٦) يقال: هو ناصح الجيب ، أي القلب والصدر .

الفيناء لأهل طاعتك ، ذا بأس شديد لمن زاغ عن قصد محجَّتك ، قد فقه الحزم ، وأيقظه العزم ، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير ، يبرمها بأيده (۱) وكيده ، ويفُلُها بحده وجِده ، وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرْداس :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالى أحتْفي كان فيها أم سواها فقال قائل: ما أفصحه على جبليَّته! فقال المأْمون: إن بالجبل(٢) قوماً أمجادًا (٣) كراماً أنجادًا (٤) ، وإنهم لَيُوفون السيف حظه يوم النزال ، والكلام حقه يوم المقال.

وصف أعرابي الرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال:

إِنْ سَأَلَ أَلَحَفَ ، وإِنْ شُئل سَوَّف ، وإِذَا وعَدَ أَخَلَف ، وإِذَا صَنعَ الله مَ الله عَلَى الجميل توقف ، ينظر بنظر الحسود ، ويُعْرِض أَتَلَف ، وإذا هم بنظ هو خِلُّ وَدُود ، إذا هو خَلُّ وَدُود ، فناؤه شاسع ، إعراض الحقود ، بينا هو خِلُّ وَدُود ، إذا هو خَلُّ وَدُود ، فناؤه شاسع ، وضيفه جائع ، وشرّه شائع ، وسرّه ذائع ، ولونه فاقع(١) ، وجفنه دامع ،

⁽١) الأيد: القوة .

⁽٢) الجبل . بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الدلم .

⁽٣) الأمجار - جمع ماجد أو مجيد ، كأشهاد في شاهد وشهيد - والماجد والمجيد : الحسن الخلق السمح ،

⁽٤) الانجاد - جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها - وهو الشديد الباس ، ومن كلام على: أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد .

⁽٥) فناء البيت: الساحة أمامه ، وجمعه أفنية والشاسع: البعيسد ، والجملة كناية عن أنه بخيل ، لأن من عادة البخيل عندهم أن يبنى خبساء ، بعيدا عن الحى حتى لا يقصد ، ، قالت الفارعة:

ولا يحل اذا ما حلل منتئيا يخشى الرزية بين الماء والبادى (٦) الفاقع: الشديد الصفرة ، وربما أكد به الأبيض.

ودياره بَلاقِع ، رَدِىءُ المَنْظَر ، سَيِّى المَخْبَر ، يَبْخُل إِذَا أَيسر ، ويَهلَع(١) إِذَا أَعسر ، ويَهلَع(١) إِذَا أَعسر ، ويكُذِب إِذَا أَخْبر ، إِنْ عَاهَد غَدَرَ ، وإِنْ خَاصَم فَجَر ، وإِنْ خُوطبَ نَفَر .

وصف الإمام العادل

كتب عُمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لمّا وَلَى الخِلافة إلى الحسن ابن أبى الحسن البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل . فكتب إليه الحَسَنُ :

اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله جعل الإمام العادل قوام كلّ ماثل، وقصد كلّ جائر، وصلّح كل فاسد، وقُوَّة كل ضعيف، ونصفة كلّ مظلوم، ومفزع كلّ ملهُوف. والإمام العادلُ يا أمير المؤمنين كالرَّاعي الشّفيق على إيله، الرَّفيق الذي يرْتَادُ لها أطيب المراعي، ويذودُها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السِّباع، ويكنفُها من أذى الحر والقرّ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويُعلمهم كبارًا، يكتسبُ لهم في حياتِه ويدّخِرُ لهم بعد ثماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشّفيقة، في حياتِه ويدّخِرُ لهم بعد ثماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشّفيقة، البررَّة الرَّفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربّته طفلًا، تسهرُ بسهره، وت كُن بسكونه، تُرضِعهُ تَارَةً، وتَفطمه أخرى، وتفرح بِعَافيته، وتغذيمُ بشكايته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصيَّ اليتَاكي، وخازنُ المساكين، يُركي صغيرَهم ويُمون كبيرَهم، والإمام العادل يا أمير المومنين، كالقلب بين الجوّانح، تصلُح الجوّانح بصلاحه، وتفسدُ بفساده، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، يُركي صغيرَهم ويُمون كبيرَهم، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، الله وببن عباده، يسمع كلام الله العادل يا أمير المؤمنين، هو القائمُ بين الله وببن عباده، يسمع كلام الله العادل يا أمير المؤمنين، يسمع كلام الله العادل يا أمير المؤمنين، هو القائمُ بين الله وببن عباده، يسمع كلام الله

⁽١) الهلع: أشد الجزع .

ويُسْمِعَهُمْ ، وينظرُ إِلَى الله ويُربِهم ، وينقادُ إِلَى الله ويَقُودُهم ـ فلا تكن يا أَميرَ المومنين فيا ملَّكك الله كعبد ائتَمَنَهُ سيِّده ، واستحفظه ماله وَعِيَالَه ، فبَدد المال ، وشرَّد العِيَال ، فأَفقرَ أَهلَه وفَرَّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحُدُودَ لِيزْجُرَ بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟! وأنَّ الله أنزل القصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم؟! واذكر يا أمير الومنين الموت وما بعده ، وقلَّة أشباعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتزوّد له ، ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين ، أنّ لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواوئك ، ويفارقُك أحبَّاوَك ، يُسْلمُونك في قعره فريدًا وحيدًا ، فتزوَّد له ما يصحبُك ، يَوْمَ يفرُّ المرء من أخيه ، وأُمِّه وَأَبيهِ وصَاحبتِه وبنيه .. واذكر يا أمير المومنين، إذا بُعثرَ ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدُور؛ فالأُسرار ظاهرة ، والكتَابُ لا يُغَادرُ صغيرةً ولا كبيرة إِلَّا أحصاها _ فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حُلول الأَجل ، وانقطاع ِ الأَمل ــ لاتحكم يا أُمير المومنين في عباد الله بحُكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظَّالمين ، ولا تُسلّط المستكبرين على المستضْعفين ، فإِنّهم لايرقبُون في مُؤمن إِلاًّ ولا ذمّة ، فتبُوء بأوْزارك وأوْزار مع أوْزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أَثْقَالَكَ ، ولا يَغُرِّنَّكَ الذين يتنعَّمون عا فيه بُؤسك ، ويأْكلُون الطَّيبات في دُنياهم بإذهاب طيِّباتك في آخرتك ، ولا تنظر إلى قُدْرَتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدْرَتك غدًا ، وأنت مأسورٌ في حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمُرْسلين ، وقد عنت الوُجوه للحيِّ القيُّوم . إنى يا أمير المؤمنين ، وإنا لم أبلغ بعظتي ما بلغهُ أُولُو النُّهي من قبلي فلم آلُكَ شفقةً ونُصحًا ، فأنزل كتابي إليك كمداوى حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريمة ، لما يرجُو له في ذلك مِنَ العافية والصحة .

وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مصر تُرْبَةً غَبْرًاء ، وشجرةٌ خضراء ، طُولها شهر ، وعرضها عشر(١) ، يَخُطُّ وسطها نهر ميمون الغَدَوات ، مُبارك الروحات ، يجرى بالزيادة أ والنَّقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوان تظهر به عُيون الأرض ويَنابيعها ، حتى إذا أصلح عجاجه ، وتعظّمت أمواجه ، لم يكن وصول أهل القرى إِلَى بعض إِلا في خِفافِ القُوارب(٢) وصِغار المَرَاكب ، فإِذا تكاملت زيادته نكص(٣) على عَقِبِيه كَأُوَّل ما بدأ في شِدَّته ، وطَما (٤) في حِدَّته ، فعند ذلك يخرجُ القوم ليحرُثوا بُطُون أَوْدِيتِهِ وروابيه فيبذرون الحَبُّ ويَرْجُون الثِّمَار من الرب ، حتى إذا أشرق وأشرف ، سقاه من فوقه النَّدى ، وغذاه من تحته الثرَى ، فعند ذلك يدُرُّ حلابُه ، ويغنى ذبابه – فبينما هي يا أُمير المؤمنين درّة بيضاء ، إذا هي عَنبرَة سوداء ، فإذا هي زبرجدة خضراء ، فتدارك الله الفعال لما بشاء .

وصف حرب لأَني منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ عند ما دارت رَحا الحرب، صَمَتَتْ الأَلْسَنةُ، ونَطَقت الأَسِنَّةُ، وخطبت السُّيوف على منابر الرِّقاب، وأُقدمت الرماح على الخطط. الصَّعاب، وتلاصقت القنا والقَنابل(٥) ، وتعانقت الصّوارم (٦) والمناصل ، وبلغت القلوب الحناجر ، وأَدْركت السيوفُ المناحرَ ، وضاقَ المجال ، وتحكُّمت

⁽١) أي عشر ليال ، لأن عادة العرب السير في الليل .

⁽٢) السفن الصغيرة (٣) رجع (٤) ارتفع (٥) القنا: الرماح والقنابل: جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعدا من (٦) السيوف القاطعة ، وكذا المناصل

الآجال ، فلا ترى إِلَّا رُءُوساً تُنْدَر(١) وَدِماءً تهدَرُ ، وأعضاء تتطاير وتتناثر ، وأجساماً تتزايل وتمايل حتى ثملت الرِّماحُ من الدِّماءِ ، فتعثرَت في النحور ، وتكسّرت في الصدُور ، فرجعوا الأَعداء من جوانبهم ، وتمكّنوا من فض مُواكبهم .

وصف المطر شعرًا لأَبي الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هم مقدمة لعمر بن على المطوعي في وصف ذلك المطر نثرًا

حكى عمرُ بن على المطوعى قال: رأى الأمير السيدُ أبو الفضل عبد الرحمن أبن أحمد أدام الله عزّه أيام مُقامِه بجُوين(٢) أن يطالع قرية من قرى ضياعه (٣) تُدعى «بجاب» على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جُملة من استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق أن وصلنا والسهاء مُصحية (٤) ، والجو صاف ، لم يُطرز ثوبه بعلم الغمام (٥) والأُفق فَيْرُوزجُّ لم يعبق به كافور السحاب (١) . فوقع الاختيار على ظل شجرة باسِقة الفُرُوع (٧) ، مُتسعة الأُوراق والفصّون ، قد سترَت ما حَواليها من الأَرض طولاً وعرْضاً ، فنزلنا تحتها مُستظلين بِسهاوَةِ أَفنانها (٨) مُستترين من وَهَج الشمس بستارة أغصانها (٩) ، وأخذنا نتجاذب أذيال المُذَاكرة (١٠) ، ونتسالب بستارة أغصانها (٩) ، وأخذنا نتجاذب أذيال المُذَاكرة (١٠) ، ونتسالب

⁽۱) تسقط (۲) كورة بخراسان ، وبلدة بسرخس من بلاد فارس . (۳) والضياع : جمع ضيعة ، وهي العقار والأرض المغلة (٤) لا غيم فيها (٥) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٦) أي لونه مثل الفيروزج وهو الزرقة ، ولم يعبق به : لم يلصق به ، والكافور : طيب يسمتخرج من شجر كبير ، ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عماية تعمل فيه ، والمعنى : أنه لا يرى شيء من السحاب في الأفق (٧) طويلتها (٧) الأفنان : الفصون ، وسماوتها : يعنى أوراقها العريض المتلاحمة تلاحما يجعلها تشبه السقوف (٩) وهج الشمس : شدة حرها وتوقدها

⁽١٠) عبارة عن تذاكرهم

⁽١١) عبارة عن تناشدهم الأشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاورا أدبيا

وأبرقت (١) وأظلمت بعد ما أشرقت ، ثم جادت بمطر كأفواه القرب ، فأجادت (٢) وحكت أنامل الأجواد ، بل أوفت عليها وزادت (٣) ، حتى كاد غيثها يعود عيشًا (٤) وهم وبلها أن يستحيل ويلا (٥) فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عن قليل تقشع (٦) فإذا نحن قد أمطرتنا برد الثغور ، لكنها من ثغور العذاب (٧) لا من الثغور العذاب (٨) ، فأيقنا بالبلاء ، وسلمنا لأسباب القضاء (٩) ، فما مرت ساعة من النهار ، حتى سمعنا خرير الأنهار (١٠) ورأينا السيل قد بلغ الزبي (١١) والماء قد غمر القيعان والربا (١٢) فبادرنا إلى حصن القرية ، لائذين من السيل بأفنيتها (١٣) ،

⁽۱) يقال: رعدت وبرقت ، أى جاءت بالرعد والبرق ، وأرعدت وأبرقت يعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق . (۲) جادت: تكرمت وأجادت: أحسنت (۳) حكت: شابهت: وأنامل الاجواد: المقصود أيدى الكرام ، ومحاكاتها لأيدى الكريم يعنى مشابهتها لايديهم في السلطاء ، وأوفت وزادت بمعنى واحد .

⁽٤) الفيث: المطر ، والعيث: الافساد (٥) الوبل: المطر العظيم القطرات والوبل: الشر (٦) أي لا تمكث الا قليلا وتذهب (٧) البرد بفتحات مقطرات المطر المتجمدة تنزل على الأرض كالحب في شكل الثاج أو الجليد، تشبه به أسنان الغواني وثناياها عندافترار الثفور ، والثغر: الغم ، وثغور العذاب: فتحاته .

⁽٨) من الثفور العذبة الريق . (٩) وخضعنا لحكم المقادير .

⁽١٠) يعنى جرى الماء بشدة ، فصاريسمع له صوت كصوت مياه الانهار .

⁽۱۱) السيل: الماء العظيم الذي يتجمع من المطر، ويسيل بشكة، والزبى - جمع زبية - وهي الأرض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لا يعلوها الماء عادة، أو حفرة تحفر فيها ليصاد فيها الأسد.

⁽١٢) الربا - جمع ربوة - الأرض المرتفعة ارتفاعا ، والقيعان - جمع قاع - وهو الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام .

⁽١٣) فبادرنا: أسرعنا ، والحصن: الموضع الحصين المنيسع ، الذى لا يوصل الى جوفه ولائذين: محتمين متحصنين ، والأفنية _ جمع فناء _ وهو المتسع أمام الدار.

وعائذين من القطر بأبنيتها(۱) ، وأثوابُنا قد صَنْدَل كافورَها ماء الوبل(۲) ، وغلف طرازها طين الوَحْل (۳) ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان ، وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان (٤) ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ، شكر التاجر على بقاء رأس المال ، إذا فُجع بالأرباح (٥) فبتنا تلك الليلة تحت سهاء تكف ولانكف (٦) ، وتبكى علينا إلى الصباح بأدمع هوام (٧) ، وأربع سجام (٨) ، فلما سُلَّ سيفُ الصبح من غمد الظلام (٩) ، وصُرف بوالى الصحو عاملُ الغمام (١٠) ، رأينا صواب الرأى أنْ نوسع الإقامة بها رفضا (١١) ، ونتخذ الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضًا فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً (١٢) ، فلما نفضنا غُبَار ذلك المسير (١٣) ، الذي جعلنا في ربقة الأسير (١٤) ، وأفضينا إلى ساحة التيسير (١٥) بعد ما أصِبْنا بالأمر العسير ،

⁽۱) عائدين: ماتجئين ، والقطر: ما نزل من ماء المطر ، والأبنية: المبانى (۲) صندل: استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضاربا الى السواد ، والكافور والوبل تقدم معناهما (۳) غلف الشيء: جعل له غلافا أى حجابا وسترا ، والطهراز: رسم الثوب ، والمعنى : أن رسم الشهوب ستره الطين المتناثر من الوحل .

⁽٤) الأردان: أصــول الأكمام (٥) أى أوجع بعدم الارباح وفقد الكاسب (٦) تكف: تمطر ،ولاتكف: لاينقطع مطرها (٧) هوام ـ جمع هام ـ من همى يهمى بمعنى سال (٨) لعـله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيرا . (٩) أى الصبح الشبيه بالسيف ، والظلام الشبيه بالغمد (١٠) الوالى : العامل أو الحاكم ، والمعنى أزال الصحو الغمام (١١) أى أن نرفض الاقامـة بها رفضا باتا

⁽١٢) وافينا: أنينا ، والمستقر: السكن ، وركضا: يعنى عدوا ، وجريا على الأقدام .

⁽١٣) يعنى لماأزلنا وسخهذا السير بمعنى استرحنا (١٤) الربقة: عروة تجعل فى حبل مع عرى غيرها ، ويربط فى هذا الحبل (ويسمى الربق) أولاد الضأن والمعز والبقر (١٥) افضينا: وصلنا ، والساحة : رحبة واسعة بين الدور ، والتيسير : بمعنى اليسر والتسميل .

وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمُشقة ، في قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة (١) أُخذ الأُمير السيد أَطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأُبيات ارتجالا :

بغيث على أُفقه مُسْبلِ(٢)	دَهَتْنا السِهاءُ غَدَاة السَّحَاب
كرنةِ ثكلي ولم تثكل(٤)	فجاءً برَعْد لهُ رَنَّةٌ(٣)
فعادَ وبالا على المُمحلِ(٦)	وثني بِوبْل ِ عدا طَوْرهُ(٥)
على خَطَرٍ هائل مُعضلِ(٧)	وأشرَفَ أصحابنا مِنْ أَذاهُ
وآو إلى نَفْقٍ مُهملِ(٩)	فمنْ لائذٍ بفناءِ الجِدَارِ(^)
هذاكَ ومن صارخ ٍ معوِلِ(١٠)	ومن مُسْتَجير يُنادِي الغرِيق
بدمع من الوَجدِ لَمْ يُهمل(١١)	وجادَتْ علينا سهاءُ السقوف

⁽۱) طى تلك الشيقة: أى قطع تلك المسافة (٢) الغداة: أول النهار ، يعنى دهمتنا السماء بمطر فى أول النهار الذى كان فيه غيم ، والغيث: المطر، والمسبل ، الهاطل يعنى دهمتنا السماء بمطر هاطل على الأفق الذى كان السحاب مخيما عليه

⁽٣) له رنة: أى دوى وصوت هائل ٠

⁽١) الثكلى: التى فقدت ولدها ، ولم تثكل: يعنى لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الفائب عنها ولدها، مع أن الله لم يهلكه ، فهى تصوت على غيابه ولم ينقطع أملها من وجوده

⁽٥) الوبل: تقدم تفسيره وهو المطرالشديد ، وعدا طوره: تجاوز حده .

⁽٦) فصار ثقيلا وخيما على المكان المحل الجدب المنقطع عنه المطر ٠

⁽٧) أشرف على كذا: قرب منه ، والمعضل: الذي لا دواء له .

⁽ ٨ و ٩) فمن متحصن بالأراضى المجاورة للجلدران ، ومن لاجيء الى سرب في الأرض لم يتعهده احد

⁽١٠) ينادى الغريق: أى يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه ، والمعول: الرافع صوته بالبكاء

⁽١١) همل الدمع: سال ، والمعنى : اتها جادت بدمع لم يكن السبب في السبب في السباله لا الفرام ولا الوجد

يبيسًا مِن الأَرض لم يبلل (١)	كأن حراماً لها أن ترى
فأُدبَرَ كل عن المُقبل(٣)	وأَقبل سيلٌ له رَوْعَةٌ(٢)
وما يُلقَ من صخرة يحمل(٥)	يُقلعُ ماشاءَ من دَوْحة(٤)
ومن مُعلم عاد كالمجهل(٧)	فَمِنْ عامرٍ رَدَّهُ غامِرًا(٦)
فقد وجب الشكر للمفضل(^)	كفانا بَليتَّهُ رَبُّنَا
فإنا رَجعنا إِلى المنزل	فقل للسماء ارْعدى وابرق(٩)

وصف حديقة لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٩٧٧ هـ

لما صدأت مِرآةُ الجنان(١٠) قصدتُ لجلائها بعض الجنان(١١) فدخلت إليها، وما كدتُ أَن أَقدِمَ عليها، فإذا هي جنةٌ عاليةٌ (١٢) قطوفها دانية (١٣) وطلحها مَنضود(١٤)، وظلها مُمْدُودٌ (١٠)، وأعلام أشجارها مرفوعة (١٦) وفاكهتها

⁽۱) كأن حراما لها ، أى كأن السماءمحرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء .

⁽٢) الروعة: الفزعة . (٣) كل واحد يولى وبهرب ممن نقابله

⁽٤) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظيم

⁽٥) يحمل كل ما يلقاه من الصخور الضخام

⁽٦) رده غامرا: صيره خرابا (٧) من معاوم صار كالمجهول

⁽٨) كفانا الله شره . فوجب الشكر له لأفضاله علينا

⁽٩) ايت بالرعد والبرق

⁽١٠) الجنان: القلب ، وصدئت مرآته علامة على الوسخ ، والمعنى: لما كل القلب ، ومل العمل .

⁽۱۱) لجلائها: أى ازالة الوسخ الذى علاها ، والجنان - جمع جنة - وهى الحديقة ذات النخل والشجر (۱۲) أى مرتفعة (۱۳) عناقيدها متدلية قريبة من الجانى .

⁽١٤) الطاح: الأشجار العظام ، ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض (١٥) أي متسع (١٦) أي أغصانها مرتفعة .

كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة (١)، تجوس المياه خلال ديارها (٢) وتُشْرِق بآفاقها أَنوارًا نوّارها (٣)، نزهة النواظر(٤)، وشرك الخواطر(٥)، بها أشجار لا تحصي (٦)، وثمار لا تُعدُّ ولا تُسْتَقصي (٧).

وصف البيان لأمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

البيان تُرْجمان القلوب ، وصقيل العقول (^) ، وَمُجْلِي الشبهة (٩) ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع إلى الفهم تلقيه ، أو موجزًا ليخف على اللفظ، تعاطيه .

ووصف أيضاً المكارم فقال:

لن تكسب َ أعزك الله َ المحامل ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تُنالُ بغير مؤونة لاشترك فيها السفل(١٠) والأحرار ، وتَسَاهَمَها الوضعاء (١١) وذوو الأخطار ، ولكن الله تعالى خصّ الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها وسَوَّعهم فضلها وحظرها(١٢) على السفلة لصغر أقدارهم عنها وَبُعْد طباعهم منها ، ونفورها عنهم وَاقْشِعْرارها منهم .

ووصف أيضاً القرآن الكريم فقال :

فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي

⁽۱) لا تقطع عن الطالب ولا تمنع عنه (۲) أى تتردد بين بيوتها (۳) النوار: الزهر (٤) تتنزه فيهاالعيون (٥) تصطاد الخواصر وتسبى العقول

⁽٦) لا يمكن الاتيان على عددها (٧) لايتأتى ادراك آخرها (٨) جلاؤها

⁽٩) كاشفها (١٠) السفل: جمع سفلة ، وهم طفام الناس وغوغاؤهم .

⁽١١) جمع وضيع: وهو الساقط (١٢) منعها

يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، وَوَهْن (١) المتكلفين ، وهو المبلِّغُ الذي لايمَلُ ، والمجديدُ الذي لايخلقُ (٢) والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق الذافي للكذب ، ومفتاح الخير ، ودليلُ الجنة _ إن أَوْجَز كان كافيًا وإن أكثر كان مُذكِّرًا ، وإن أمر فناصحًا ، وإن حكم فعادلًا ، وإن أخبر فصادقًا . سراجٌ تستضيءُ به القلوب ، وبحر العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر الكلم .

وصف البلاغة لفحول البلغاء

- (۱) قال الجوهرى : أحسن الكلام نظاماً ماثقبته يد الفكرة ، ونظمته الفطنة ووُصل جوهر معانيه في سُمُوط(٣) ألفاظه ، فاحتملته نُحُورُ الرواة .
- (٢) وقال العطَّار: أطيبُ الكلام ما عُجِنَ عنبرُ ألفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم نشقه(٤) وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة ، وتعطرت به السراة .
- (٣) وقال الصائغ: خير الكلام ما أَحْميتُه بكير الفكر، وسبكتهُ بمشاعل النظر، وخلَّصته من خبَث الإطناب، فبرزَ بُرُوزَ الإبريز، في معنًى وَجِيز(٥).
- (٤) وقال الصيرفي : خير الكلام ما نقدته عين البصيرة ، وجلتهُ يَد الرويّة وَوَزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظرٌ يزيفه(٦)؛ ولاسَماع يُبهرجه(٧) .

⁽۱) ضعف (۲) لا يبلي

⁽٣) السمط: الخيط الذي ينظم فيه (٤) النشق: الاستنشاق، العبق: لصوق الطيب بالشيء، وتغلف الرجل بالطيب: ادهن به، والسراة: الأشراف.

⁽٥) الكير: رق ينفخ فيه الحداد ، والمشاعل: جمع مشعل وهو القنديل وهو موضع شعل النار أى الهابها . (٦) زيف الدراهم: أي انها زائعـه أي مغشوشة .

- (٥) وقال الحداد: أحسنُ الكلام ما نصبت عليه منفَخَة القريحة ، وأشعلت عليه ورَقَّقْتُهُ بغطيس وأشعلت عليه ذار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الإفخام ورَقَّقْتُهُ بغطيس الأَفهام(١).
- (٦) وقال النجار: خير الكلام ما أحكمت بحر معناه بقَدُّوم التقدير، وَنَشرته عِنشار التدبير، فصار باباً لبيت البيان، وعارضةً (٢) لِسَقف اللسان.
- (٧) وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه، بسُدَى معانيه مفوفاً منيرًا، موشى محبرًا (٣).
- (٨) وقال الجمَّال : البليغ من أَخذ بخطام (٤) كلامه ، فأناخه فى مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عِقالا ، والإِجادة له مجالا ، فلم (٠) يند عن الآذان ولم يشذ عن الأذهان .

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صَوْحان : صِفْ لى عُمر بن الخطاب فقال : كان عالما برعيته ، عادلاً في قضيته ، عادياً من الكبر قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ولا جاف للغريب .

⁽۱) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (۲) العارضة: الخشبة العايا التى يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه . (۳) المفوف: الرقيق من الثياب أو الذى فيه خطوط بيض، والمنير: المنسوج على نيرين أى المضاعف النسج ، والموشى: المنقوش والمحبر: المحسن (٤) الخطام: كل ما وضع فى أنف البعير ليقاد به ، وجمعه: خطم (٥) ند: هرب

وصف على بن أبى طالب

قال مُعاوية لِضرار الصدائى: ياضرار صف لى عليًّا قال: اعفى يا أمير المومنين قال: لتصفنه ، قال: أما إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى(١) شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلمُ منجوانبه وتنطقُ الحكمة من نواحيه ، يَستوحشُ من الدنيا وزَهرتها ، ويَستأنسُ بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويُخاطبُ نفسه ، يُعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يُجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقُربه منا ، لا نكادُ نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يُعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يبالس الضعيف من عدله .

وصف كلام العرب لعتبة بن أبي سفيان

قال عُتبة بن أبي سفيان: إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مَرَقَ من أفواههم مرُوق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عُطلت(٢) ، وإن بُدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها لُكْنة إذا سُمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طُلبت(٣) .

⁽١) المدى: الفاية

⁽٢) التعطيل: ترك الشيء ضياعا

⁽٣) هذا النوع من الكلام يسمى المتنع

وصف الكتاب للجاحظ.

قال الجاحظ : الكتاب وعَامُّ مُلِيءَ علمًا وظَرْفُ حشى ظُرْفًا ، وبستان يحملُ في رُدْن (١) وروضةٌ تقلب في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأَحياءِ ، ولا أَعلم جارًا أبر ، ولا خليطًا أنصف ، ولا رفيقًا أطوع ، ولامعلمًا أخضع، ولاصاحبًا أظهر كفاية، وأقل جناية، ولا أقل إملالًا وإبراماً، ولاأقل خلافًا وإجرامًا ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عَضْبهة (٢) ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولاأقل صلفًا (٣) وتكلفًا ولا أبعد من مراء ، ولا أترك لشغب ، ولاأَزهدُ في جدال ، ولا أَكفُّ عن قتَال _ من كتَاب ، ولا أُعلم قرينًا أحسن مواتَاة (٤) ، ولا أُعجل مكافأة ، ولا أُخصر معونة ، ولا أقل مؤونة ، ولاشجرة أَطول عمرًا ولا أجمع أمرًا ، ولا أَطيب ثمرة ، ولا أَقرب مُجتنى ، ولا أَسرع إِدراكا في كل أُوان ، ولا أُوجد في غير إِبان _من كتاب ، ولا أُعلمُ نتاجا في حداثة سنهِ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغربية ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأُخبَار اللطيفة ، ومن الحكم الرقيقة ، ومن المذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة والإِخبَارِ عِن القرون الماضية والبلاد المتراخية والأَمثَال السَائرة والأَمم البَائدة(٥) ما يجمع الكتاب .

وقيل لبعض العلمَاءِ : ما بلغَ من سرورك بكتبك ؟

فقَال : هي إِن خلوت لذتي ، وإِن اهتممتُ سلوتي ، وإِنْ قلت : إِنَّ زَهر البستَان ونور الجنَان يجلوان الأَبصار ، ويمتعَان بحسنهما الأَلحَاظ، فإِن

⁽۱) الردن: الكم ، وجمعه أردان . (۲) العضبهة: البهتان والنميهة . (۳) الصلف: تمدح المرء بما ليس عنده . (٤) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة وأصاله بالهمزة وفي الحديث: خير النساء المواتية لزوجها . (٥) القديمة الهالكة .

بستان «الكتب» يَجلو العقل، ويَشْحذُ الذَّهْن، ويُحيى القلب، ويُقوِّى القريحة، ويُعين الطبيعة، ويبعثُ نتائجَ العقول، ويستثير دفائن القلوب، ويُمْتِعُ في الْخَلوة، ويُونس في الوحشة، ويضحك بنوادره، ويَسُرُّ بغرائبه، ويُغيد ولا يستفيد، ويُعْطى ولا يأخُذ، وتَصِل لَذَّته إلى القلب من غير سآمة تُدْركك، ولا مَشَقَّة تعرض لك.

وصف التاريخ لابن الأثير

التاريخ: مَعَاد(۱) معنوى ، يعيد الأعصار وقد سَلفت ، وَيَنْشُر أهلها ، وقد ذهبت آثارُهم وعفت(۲) ، وبه يستفيدُ عُقول التجارِب مَنْ كان غِرًا ، ويلقى مَنْ قبله من الأُمم وهَلُمَّ جَرًّا . فهم لديه أحياء ، وقد تَضَمَّنتهم بُطونُ القبور ، وعنه غُيَّبُ وقد جعلتهم الأخبار في عِدَاد الحضور ، ولولا التاريخ لجهلت الأنساب ونُسِيت الأحساب ، ولم يعلم الإنسانُ أَنَّ أصله من تراب ، وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها وَعَمِى (٣) على الأواخر حال قدمائها ، وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها وعَمِى (٣) على الأواخر حال قدمائها ، ولم يخط علمًا بما تداولته الأرض من حوادث سمائها ، ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب مِنْ كُتُبِ الله المنزلة ، فمنها ما أتى بأخباره المُجْمَلة ، ومنها ما أتى بأخباره المُعْمَلة ، وقد وردفى التوراة مُفردًا في سِفر من أسفارها ، وتضمَّن تفصيل أحوال الأُمم السالفة ومُدَد أعمارها .

وقد كانت العرب على جهلها بالقلَم وخَطِّه ، والكِتَاب وَضَبطه ، تصْرِفُ إِلَى التواريخ جُمَل دواعيها ، وتجعل لهُ أَوَّل حَظِّ من مساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتَعْتَاضُ برقم صُدُورها ، عن رقم سُطُورها ،

⁽١) معاد: يقصد أنه كاليوم الآخر . (٢) عفا الشيء: هلك .

⁽٤) عمى عليه الأمر: التبس وكذلك عمى عنه.

كل ذلك عِناية منها بأَحبار أَوَائِلِها ، وأيام فضائلها ، وهل الإِنسان إلا ما أَسَسهُ ذِكْرُهُ وبناه ؟ وهل البقاءُ لِصُورَة لحمه ودَمه لولا بقاءُ معناه !!

وصف الرَّجُل الكامل

كتب الحسن(١) بن سهل إلى محمد(٢) بن سَمَاعَة القاضى ، يَصِفُ لهُ الرَّجُلَ الكامل :

أما بعدُ : فإنى احتجتُ لبعض أمورى إلى رجل جامع لخصال الخير، في عِفَّة ونزاهة ، طُعمة (٣) قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، ليس بظنّين (٤) في رأيه ، ولا بمطعُون في حَسبه ، إن أوتمن على الأسرار قام بها ، وإن قُلِّد مهما من الأمور أجزاً (٥) فيه ، له سِن مع أدَب ولسان ، وتُقعدُه الرزانة ، ويسكنه الْجِلْم قد فرّ (٦) عن ذكاء (٧) وفطنة ، وعَضَّ على قارحة (٨) من الكمال ، تكفيه اللَّحظة وترشدهُ السكتة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام في أمورهمُ فحمد فيها له أناةُ الوزراء ، وصولة الأَمراء ، وتواضع العلماء! وفهم الفقهاء وجواب الحكماء ، لايبيعُ نَصِيبَ يومه بحرْمان غَده ، يكاد يسترق (٩) قلوب الرجال بحلاوة لِسَانه ، وحُسْنِ بيانه ، دلائلُ الفضل عليهِ لائحة ، وأماراتُ العلم شاهده .

⁽۱) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفى سنة ٢٢٦ هـ (٢) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة توفى سنة ٢٢٣ ، وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس . (٣) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الأكل والسير فيه . (٤) الظنين : المتهم (٥) أجرأ : أغنى (٦) فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها (٧) الذكاء تمام السن واكتماله أو حدة الذهن . (٨) الفرس القارح الذي استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره في الابل البازل ، والسن التي تنبت له عند قروحه تسمى قارحا وقارحة والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال (٩) يستعبد .

مُضطلعًا(١) بما استنهض ، مستقلا(٢) بما حُمِّلَ ، وقد آثرتك بطَلَبِه وحبَوْتك بارْتِيَادِه(٣) ، ثِقَةً بفضل اختيارك ، ومعرفةً بحُسْنِ تأتِّيك(٤) .

وصف قذاة السويس

للمرحوم أحمد شوقى بك

مَخاطبًا ابنيه يوم أَنْ عبرَ قناة السويس ميممًا الأَندلُس حينها نَفَتْه الأَحكام العُرْفيَّة إِبانَ الحرب العالميَّة [الأُولى]

يا بَنَى : القناة لقومكما فيها حياة ، ذِكْرى إسماعيل ورَيَّاه (٥) ، وعُلْيَا مَفَاخِرِ دُنْيَاه ، دولة الشرق المرجاة ، وسلطانُه الْوَاسِعُ الْجَاه ، طريقُ التَّجَارة ، والوسيلة والمنارة ، ومشْرَع(٦) الحضارة .

تعبرًانها اليومَ على مُزْجَاة (٧) كأنها فُلْكُ النَّجَاة ، خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطُغْيَان الكَوَارث ، تفارق برًّا مُغْتَصبهُ مُضَرِيُّ (١) الغَضْبة . قد أَخَذَ الأُهْبَة ، وَأَسْتَجْمَعَ كَالأَسد للْوَثْبَة ، وتلَا فِي بحرًا جُنَّت جواريه ، ونزت (٩) بالشَّرِ نوازيه ، وتمثَّلَت بكل سبيل عواديه مملوءًا ببغتات الماء ، مُترعاً بفجاءات السماء من نون (١٠) ينْسِف الدوارع ، أو طَيْرٍ (١١) يَقَدْفُ البيض مصارع ، فقلت : سِيرِي ، عَوّذْتك بِوَدِيعة (١٢) التابوت ، وبِصَاحب (١٣)

⁽۱) يقال هو مضطلع لهذا الأمر وبه اذا كان قديرا عليه • (۲) استقل بالحمل نهض • (۳) والارتياد: الطلب • (٤) تأتى للامر: ترفق وأتاه من وجهه • (٥) الريا: الرائحة الطيبة(٦) المشرع: المورد • (٧) زجاء وأزجاه: ساقه وسيره (٨) مضر فخذ من أفخاذ العرب ينسب لمضر بن نزار وهاذا مأخوذ من قول بشار:

اذا ما غضب المفسرية هتكنا حجاب الشمس أو قطر الدما (٩) النزو: الوثب ، والنازية: حدة الرجل الوثاب الى الشر وجمعه واز . (١٠) النون الحوت والمراد الغواصة (٧) يريد بالطير الطائرات وبالبيض ما ياقى منها من مهلكات القذائف (١٢) هو موسى كليم الله (١٣) هو نبى الله يويس .

الْحُوت ، وبالحيِّ الذي لا يموتُ ، وَاسْرِي يا ابنة اليَمِّ زَمَامُك الروح(١) ، ورُبَّانك(٢)نوح ، فكم عليك من مَنْكُوب ومجرُوح .

إِن للنفي لرَوْعَة ، وإِن للنَّأَى للوعة ، وقد جرت أَحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ، حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو مُنتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جَذْلان مُبتسم ، يَهْزَأ بالدمع ، وإِن لم ينسجم (٣) . نفاذا حُكَّام عُجم ، أعوان العدوان والظلم ، خَلَفناهم يفرحُون بذهب اللجم ، ويمرَحُون في أَرسانِ يُسَمُّونها الْحُكم ، ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يَرْفَعُوه ، أو يضعُوه ، سامحهم في حقوق الأَفراد ، وسامحوه في حقوق البلاد ، وما ذَنْبُ السيف إذا لم يستَح الجلّد !!

ماذا تهمِسَانِ ! كأنى أسمعكما تقولان : أى شيءٍ بدا له ، على هذه الضاحية (٤) وماذا شَجا خياله من هذه الناحية ! أى حسن أو طيب لملح يتصبب فى كثيب ماءِ عكر فى رمل كدر !!

قذاة حَمِئة (٥) كأنها قذاة صَدِئة ، بل كأنها وَعِبْرَيْهَا (٢) رمال بعضها منهال ، وكأن راكب البحر مُصْحِر (٧) ، وكأن صاحب البرّ مُبحر! رُوَيْدُكُما : ليس الكتاب بزينة جلده ، وليس السيف بحلية غمده . تلك التنائف (٨) من تاريخكم صحائف ، وهذه القفار كتب منه وأسفار ، وهذا المجاز هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشّقاء أو السعادة ، خيط الرقبة ، من اغتصبه اختص بالغلبة ، ووقف للأعقاب عقبة ، ولو سكت لنطقت العِبر ، وأين العيان وأين الخبر!

⁽۱) جبريل . (۲) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربابنة . (۳) انسجم الدمع: سال . (۶) الضاحية كل أرض بارزة للشمس . (٥) الحمئة: التي فيها الحمئة أي الطين الأسود المنتن ، والقناة الأولى الترعة والقناة الأمح . (۲) عبر النهر شاطئه . (۷) أصحر سار في الصحراء (۸) التنائف جمع تنوفة وهي المفسازة .

انظرا: تريا العبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، جنود قعود وقيام ، جيش غير خداره غير نا ، فرسانه وقُوّاده ، ونحن بُعْرانه (١) وعلينا أزواده (٢) ، ديك على غير جداره خكل له الجو فصاح ، وكلبٌ في غير داره انفرد وراء الدار بالنُّبَاح .

القَنَاة وما أدراكما ما القناة ، حظّ البلاد الأغبر من التِقاء الأبيض والأحمر بَيْدَ أَنها أحلام الأول ، وأمانى الممالك والدّول: الفراعنة حاولوها ، والبطالسة زاولوها(٣) ، والقياصرة تناولوها ، والعرب لأمر ما تجاهلوها(٤) ، إلى أن جرى القَدَر لغابته ، وأتى «إسماعيل» بآيته ، فانفتح البرزخ بعنايته ، والتقى البحران تحت رايته فى جمع من التيجان لم يشهده إكليله(٥) ، قد كان يُتَوّج فيه ؛ لو شهدته جيوشه وأساطيله ، وما إسماعيل إلا قَيْصَرُ لو أنه وفق والإسكندر لو لم يُخفق . ترك لكم عزّ الغد وكنز الأبد ، والمَنْجم الأحد ، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يَفوت الولد .

ماذا على الرِّمَال من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعا القَهْقَرى بالْخيال ، إلى العَصر الخال واعرضا في حداثتها الأَجيال ، تريا على هذا المكان وُجُوها تتمثل وركابا تتنقل ، وتريا النُّبُوّة تتهلل ، والآيات تتنزل ، وتريا الملك يترجَّل ، حتى كأَنكما بالزمان الأول فهاهنا وضع المنبوّة المهد ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل صاحب المقام ، ومحطم الأصنام ، وبنَّاء البيت الحرام ، خليل ذى الجلال والإكرام (٦) .

هاجر إلى مصر أكرم من هاجر ، ثم انقلب منها بأم العرب هَاجِرْ (٧) ، ومِن هذه الثنيَّات طلع يوسف في القيد ، وهو للسيارة صيد ، بسير من كَيْلَا إِلَّ كَيْدٍ ، قَلْبُ جرحته الإخوة ، وجنْبُ قَرَّحته النسوة ، فيالك «يوسف» من

⁽۱) البعران جمع بعير كأبعر . (۲) الأزواد جمع زاد وهو الطعام . (۳) زاول الشيء : حاوله . (٤) يروى ان هارون الرشيد فكر في أن يصل البحرين بقناة وأنه استشاد يحيى بن خالد البرمكي في ذلك فقال له : يأمير المؤمنين « أن خرق السيويس خرق في الاسلام » فعدل عن رأيه! يأمير التاج (٦) هو خليل الله ابراهيم (٧) هي جارية مصرية أهداها فرعون الى السيدة سارة زوج سيدنا ابراهيم فوهبتها لهفاستولدها اسماعيل جد العرب المستعربة .

أُسُوة (١) ؛ عِزُّ بعد هَوْن ، وذلة بعد المنزِل الدّون ، وشئون أَقدار وشُجُون ، وسُهول حياةً وحُزون ، وسجوف القصُور بعد السجون إلى سجود الشمس لك والقمر والكواكب الآخر .

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زَويلُهُ (٢) ، وطلبه قتيله ، وزيّن له الفرار خليله (٣) ، فحوته هذه الرمال ، فإذا الأمن سبيله ، واليّمْن دليله ، والسلامة زاملته (٤) والسّلم زميله ، ولو أطلعه الله على غيبه ، للمسَ النبوّة بين يديه وجَيبه إلى أن رُفِع له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من الذار ، وقيل له : كُنْ من الأحرار الأحبار ، وارْجع فسلّط الحق على فرعون الجبار ، فكان عليه السلام أول من اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على المستبد طاغوته (٥) ، وخطم (٦) المتأله (٧) وحطم عظمُوته ، ماء الحق على لُطفه ، ظفر بنار الباطل على عُنْفِه ، ظهر العدل على الحيف ، وكسرت العَصَا السيف .

وعلى هذه الأرض مَشت السهاءُ (^) الطاهرة ، والنّيرة الزّاهرة ، والآية المتظاهرة أم الكلمة (٩) وطريدة الظلمة ، سرحوا في عرضها فأخرجوها من أرضها فضربت في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريل هاديها ، والقدس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة وجناح الرحمة والإصباح من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم (١٠) فنشأ بين الحكيم والعليم

⁽۱) الأسوة: القدوة ، وما يتأسى الحزين أى يتعزى (٢) زال زويله: فزع وحدر (٣) يشير الى ما كان من امر موسى حين وجد قبطيا واسرائيليا يقتتلان فاستنصره الاسرائيالى على القبطى فوكزهوكزة كانت القاضية ، فاما أصبح وجد الاسرائيلى نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستفائه فقال موسى الك لغوى مبين . ثم هم بنصرته على القبطى فظن أنه يريده بالأذى فصلع الاسرائيلي ياموسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فذاع أمره ولم يابث أن جاءه رجل وقال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الى لك يابث أن جاءه رجل وقال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الى لك من الناصحين فخرج منها الى بلاد مدين (٤) الزاملة ما يحمل عليه من الابل وغيرها . (٥) الطاغوت : الشيطان وكل رأس ضلال (٦) خطمه: قهره أو ضرب أنفه (٧) أراد المتكبر غير أن معناها اللغوى المتنسك المتعبد . (٨) يريد السيدة مريم (٩) الكلمة سيدنا عيسى (١٠) الأديم: وجه الأرض

وترعرع حيث ترعرع بالأمس الكليم . فيالك من دار لعبت على عُرَاصاتها الأَقدار ، ناوئت(١) موسى القريب ، وآويت عيسى الغريب ، نبوت(٢) بالنبى وحَبَوْت الأَمنَ عيسى وهو صبى ، عُذرك لا تنضى (٣) إليه المطى ، فإنما أغضبت القبطى لابنك القبطى .

ثم انظرا تريا إبلاصِعَاباً، وخَيْلا عراباً (٤). وتريا الرُّعاة (٥) انقضوا على الوادى ذئاباً، فأخافوا القرى الآمنة ، وأخرجوا من مصر الفراعنة ، واستبدوا بالملك فيها آونة . وتريا الوحوش الضاربة والجوارح الكاسرة ، يقودها شر الأكاسرة (٦) ، مَلاَّت هذه الفجاج (٧) ، وكأنها حرجات (٨) السَّاج ، أو حركات الأَمواج ، ثم تدفقت تكتسح الدِّيار ، الله السيف طاغية النار ، تدك الهياكل والمعاقل ، وتهتك العقائد والعقائل .

وتريا الإسكندر الكريم ، قد لمَع كالصارم من هذا الضريم(٩) ، يحمل الحملات النَّجائب ويفتح بالكتب والكتائب .

وتريا ابن العاص والصَّحابة ، مروا من هذه الأَرجاءِ مرّ السحابة ، يفتحون للحقِّ ويفتكون بالرّق ، حتى أُخلوا القُصُور من القياصرة ، وأَراحوا مصر الصابرة من صلف الجبابرة .

وتریا صلاح الدین یَختنی کالبدر ویبدو ، ویرو ح کالغیث وَیَغْدُو ، بعوثٌ بلا عَدَد ، ومددٌ إِثْر مدد ، وذخائر وعُدد ، وبشری کل یوم بفتوح جدد .

وتريا نابليون قدركب طيشه ، وأركب الغررجيشه . وتريا إبراهيم بن على مشهور الجراز ، موفور الجهاز ، ملك سورية وضبط. الحجاز . وتريا إسماعيل

⁽۱) ناوأه ونواه: عاداه (۲) نبأ به المكان: لم يوافقه (۳) انضى المطية: هزلها (٤) العراب من الخيل والابل العربية (٥) العمالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر (٦) قمبيز (٧) الفجاج: الطرق الواسمعة (٨) الحرجة: الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضا له ورق عريض جدا . (٩) الضريم: الرمل

بعث الحشرين ، وحشد الحافرين ، وقرّب المسافة للمسافرين ، غيّر وجه . السفر ، فقيل : بلغ غاية الظفر ، وقيل : وقع الحافر فيما حفر ، ثمّ انظرا اليوم تريا القناة في يدالقوم إنْ أمنوا ركزوها ، وإن خافوا هزوها

وصف فرس

قال محمد بن الحسين يصف فرساً:

هو حَسَنُ القميص ، جيد الفُصُوص ، وثيق القصب ، نقى العصب ، يُبصر بأذُنيه ، ويتبوع بيديه ، ويُداخل برجليه ، كأنه موج فى لُجَّة أو سيل فى حدُور بناهب المشى قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب فى الصعُوداة ، ويجاوز جوارئ الظّباء فى الاستواء ، ويسبق فى الحدود جرى الماء ، إن عُطِفَ جار ، وإن أرسل طار ، وإن كُلِّف السير أمعن وسار ، وإن حبس صفن ، وإن استوقف قطن ، وإن رعى أنن ، فهو كما قال تأبط شراً :

ويسبق وفد الريح مِنْ حيث تُنْحَى بمنخَرَق من شدَّة المتدارك وسبق وفد الربع مِنْ حيث العصا

لقى الحجَّاج أعرابياً، فقال: مِنْ أَين أقبلت؟ قال من البادية قال: ما بيدك؟ قال: عصاً أَركزها لصلاتى، وأعدّها لعُداتى، وأسوق بها دابتى وأقوى بها على سفرى، وأعتمد عليها في مشيى، ليتسع بها خطوى، وأعبر بها النهر فتؤمنى وألقى عليها كساء فيسترنى من الحرّ، ويقينى من القرّ، وتدنى ما بعد منى، وهى محمل سُفرتى وعلاقة إداوتى(١) ومِشجب ثيابى، أعتمد بها عند الضراب وأقرع بها الأبواب، وأتتى بها عقور الكلاب، تنوب عن الرُّمْح فى الطعان، وعن الحرْبة عند مُنازلة الأقران ورثتها عن أبى، وأورثها بعدى ابنى، وأهش بها على عُنمى، ولى فيها مآرب أخرى، كثيرة لا تحصى.

⁽١) الاداوة: وعاء ماء يتطهر به .

وصف كرة القدم لمولف الكتاب

قاتل الله الكرة: ما أعجب أمرها ، وما أدق سرها ، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء والأوغاد ، فهى كبيرة الحجم ، مُفوَّقة الجسم ، لكنها خفيفة الوزن ، سريعة الوثب ، وهى ناعمة اللمس ، مليحة الرقص ، لكنها تأبى الوغز ولا تطيق اللكز ، وهى تفرُّ من المداعبة والملاعبة ، ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة ، وهى محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدى والأحضان ، ولا تكل من دحرجة ، وهى محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدى والأحضان ، لكنها تطرد بالأرجل والعصى منهى عزيزة ذليلة ، حقيرة جليلة ، تُشبه القنابل في صورها ، والدُّفوف في أصواتها ، والطير في امتطاء الهواء ، واختراق الفضاء .

وصف جيوش لابن الرومي المتوفي سنة ٢٨٢ هـ

وصار فلان في جيوش ، عليهم أردية السيوف ، وأقمصة المحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول(١) ، وكأن أدراعهم زبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع سُرادِقها ، قد نُشرت في وجوهها غرر(٢) كأنها صحائف الرق(٣) وأمسكها تحجيل(٤) كأنها أسورة اللجين وقرطت عذرا(٥) كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها ، ولم تنهض أواخرها ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر .

وصف الحسد للجاحظ. المتوفي سنة ٢٥٥ هـ

الحسد – أبقاك الله – داء ينهك الجسد ، علاجه عسيرٌ وصاحبه ضجر ، وهو باب غامض (٦) وماظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « دَب (٧) إليكم داءُ الأُمم من قبلكم الحسد والبَغْضاء » الحسد عقيد (^) الكفر ، وحليف الباطل (٩) وضدّ الحق ، منه تتولد

⁽۱) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة. (۲) جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس (۳) الرق جلد رقيق أبيض كتب فيه (۶) التحجيل بياض قوائم الفرس (٥) أي السبت عدرا وهو ما على خد الفرس من اللجام (٦) أي مساك خفي يعسر الخروج منه (٧) سرى فيكم (٨) أي معاهدة ومحالفة (٩) ملازمة

العداوةُ ، وهو سبب كل قطيعة (١) ومُفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم مِنَ الأَقرباء(٢) ، ومُحدثُ للتفرق بين القُرناء(٣) ، ومُلقح الشرِّ بين الحلفاء(٤) ووصف أَيضًا أَفضل الكلام – وقال :

أفضل الكلام ما كان قليله يُغنى عن كثيره ، ومعناهُ ظاهرا في لفظه ، وكأن الله قد ألبَسه من ثياب الجلالة ، وغشاه (٥) من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله في فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه (٦) مُنزها عن الاختلال ، مَصُوناً عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث (٧) في التربة الكريمة ، ومتى فُصّلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عُقول الجهلة .

وصف الشعراء المحدثين

قال ابن دُريد: سألت أبا حاتم عن « أبى نواس » فقال: إن جد أحسن وإن هزل ظرف، وإن وصف بالغ ، يُلقى الكلام على عواهنه لا يُبالى مِنْ أَينَ أَخَذَ ، قلت: « فبشار بن بُرْد » قال: نظار غوّاص مطيلٌ مجيد يصف مالم يره كأنه رآه على أن في شعره خللا كثيراً ، قلت: « فمروانُ بن أبى حفصة » قال: شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه معجبٌ به ، لا يرى أنَّ من سبقه يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس لشعره صنعة قلت: « فمسلم بن الوليد » ؟ قال: خليج صافي ينزع من بحر كدر ، كالزند يورى تارةً ويصلد أخرى ، قلت: « فأبو العتاهية » قال: غناء جَمُّ ، واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقُوت والزبرجد ، قلت: « فعباس بن وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقُوت والزبرجد ، قلت: « فعباس بن

⁽۱) انفصال (۲) كل قرابة واتصال (۳) المناظر (۶) مولد الشر بين المتحالفين (۵) كساء (۲) أى من احبار الفكر (۷) المطر

ألأحنف » قال: يُلقى دلوه فى الدلاء فيغترف الصفو أحياناً والحمأة أحياناً ، على أن كدره أكثر من صفوه ، قلت « فسلم الخاسر » قال: مُقِلُّ مداح ، شعره دِيباج وعهن ، يُموّه الردىء حتى يشبه الجيد ، قلت « فأبو الشيص » قال : جده كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التى نفضت ففيها المستعذب والمستبشع قلت « فعلى بن جبلة » قال : بحّاث عن الكلام الفَخْم ، والمعنى الرائع ، لا ينال مرتبة القُدماء ، ويجل عن منزله النظراء . قلت « فأبو تمام » قال : سيل كثير الغثاء ، غزير الغَمار ، جم النطاف ، فإذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال ، قلت : وفعبد الصمد بن المعذل » قال : خرَّاج وَلاَّج ، يعتسف تارة ويهتدى أخرى ، قلت « فعلى بن الْجهم » قال كلام رصين ومسلك وعر ، عقله أغلب على شعره من طبعه ، قلت « فبكر بن النطاح » قال : تشبه بالأعراب فأفرط وتجاوز من طبعه ، قلت « فبكر بن النطاح » قال : تشبه بالأعراب فأفرط وتجاوز حد المولدين فأسهب ، فهو الساقط بين القريتين .

وصف ابن الأُثير المتوفى سنة ٨٥٩ ه أبا تمام والبُحْترى والمتنبي

قال: لقدوقفت من الشعر في كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحرًا لا يوقف على ساحله ، و كيف يُحصى قول لم تُحص أساء قائليه ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصدُه ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف ، في اللفظ المجزل اللطيف فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمام ، والبحترى والمتنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم (لآت الشعر وعُزَّاهُ ومناتُه) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حَوَت أشعارُهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء . أما أبو تمام : فإنه رب معان وصيقل أذهان ، وقد شهد له بكل معنى مُبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مُدَافع عن مقام الإعراب ، الذي برز فيه

على الأضراب. ولقد مارست من الشعركل أول وأخير، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير، فمن حفظ شعر الرَّجل وكث ف عن غامضه، وراض فكره برائضه أطاعته أعِنَّة الكلام، وكان قوله في البلاغة ما قالت «حَذَام» فخذ منِّى في ذلك قول حكيم وتعلم (ففوْق كلِّ ذي عِلْم عَليم).

وأَما البُحْترى : فإِنه أَحسنُ في سبك اللفظ. على المعنى ، ولقد حاز طرفى الرِّقةُ والجزالة على الإطلاق، فبينا يكون في شظف نجد، إذ يتشبَّث بريف العِراق، وسُئِلِ المُتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكمان ، والشاعر البُحترى. ولعمرى إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن البُحْتري أَتى في شعره بالمعنى المقدود من الصَّخرة الصماء ، في اللفظ. المصُوغ من سُلافة الماءِ ، فأدرك بذلك بُعْدَ المرام ، مع قُرْبه إلى الأَفهام ، وما أَقول إلا أَنه أَتى في معانيه بالنوادر الغالية، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدَّرجة العالية. وأما المُتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصُرَت عنه خطاه ، ولم يعطه الشُّعر من قياده ما أعطاهُ ولكنهُ حُظِيَ في شعره بالحكم والأمثال . واختص بالإبداع في وصف مواقِفِ القتال وأنا أقول قولًا لستُ فيه مُتأثماً ، ولامنه مُتَلَثّما ، وذاكأنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضي من نصالها ، وأشجعَ من أبطالها . وقامت أَقواله للسامع مقام أَفعالها ، حتى يظن أَن الفريقين قد تقابلا ؟ والسِّلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك تضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أداه إليه عِيانه ، ومع هذا فإنى رأيت الناس عادلين عن سُنن التوسُّط فإما مفرُّط. في وصفِهِ وإِما مُفْرط. . على أنه إِذا كان انفرد بطريق صار أبا عذره ، ولقد صدق في قوله من أبيات عدح بها سيف الدولة :

لا تطلبن كريماً بعد رُويته إن الكرام بأسخاهم يدًا خُتموا ولا تبال بشعر بعد شاعِره قدأُفْسِدَ القول حتى أَحْمَد الصمم

وصف المنمضل الضبي المتوفى سنة ٤٣٠ ه مروره ببعض أحياء العرب

رَوَى المفضل الضبي قال: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنتُ مشغوفًا بسماع أخبار العرَب وجمعها ، فأُخذت أجولَ بين خيامهم ، وأُتحسسُ من أحوالهم وإِذا أَنا بامرأَة واقفة في فِناءِ خبائها آخذة بيد غلام قلَّما رأيتُ مثله في ال حسنه وجماله وهي تعاتبُهُ بلسان رطب، وكلام عَذْب ، يسترقهُ السمع ويترشفه القلب، فكان أكثر ما أسمعه منها (بنيِّ _ وأى بنيٍّ) وهو يتبسم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحِجَال فلا يَحِيرُ جواباً ، ولا يبدى خطاباً ، فاستحسنتُ ما رأيتُ ، واستحليت ما سمعتُ ، فدنوتُ فسلمت فردعَكَى السلام ووقفتُ أَنظر إلى المرأة والغلام ، فقالت لى : يا حضري ماحاجتك؟ قلت: الاستكثار مما أسمع ، والاستمتاع عا أرى ، فابتسمت وقالت: يا هذا إِن شئت سقَّتُ إليك ما هو أحسنُ مما رأيت ، فقلت هات حفظك الله ، قالت : ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فَرُبِّيَ بيننا كانه شبلٌ ، وكنتُ أَقِيه برد الشتاء وحرّ الهجير ، حتى إذا ماتمت له خمس سنين ، أسلمتُه إلى المؤدِّب فحفظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مُفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما اشتد عظمه وكمُل خلقه ، حملتُه على عِتَاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى لخيلاء بين بيوتات الحي ، وأصغى إلى أصوات ذوى الحاجات، فأُخذفي قِرَى الضيف وإطعام الطعام، وأنا عليه وجلة أحرسه من العيون أَن تصيبه ، ومن الألسن أن تعيبه ، إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت لغلام وعكة شغلتُهُ عن الخروج ، ﴿ حتى إِذَا أَمْعَنَ القُّومُ وَلَمْ يَبِقَ فِي الْحَيْ غَيْرُهُ . ونحن آمنون وادعون ، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثوارًا لا زوارًا أن فما كان

إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال، وهو يسألني ما الخبر؟ وأنا أستره عنه إشفاقًا عليه وضنًا به ، حتى إِذا علت الأصوات وَبُرِّزَت المخدرات ، رمى دِثاره وثار كما يثور الضرغام إذا أغضِبَ ، فأمر بإسراج فرسه ، ولبس دِرجَ حربه ، وأخذ رمحه بيده ، وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظِر إليه فطعن أدناهم منه فرمي به ، ولحق أبعدهم فقتله ، فانصرفت إليه وُجوه الفرسان ، فرأوه غلاماً صغيرًا لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأسرع يُومُّ البيوت ، حتى إذا خلفهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزَّق ، وَمَرَق كما بمرق السهم من الرمية ، وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به ، أو لأَهلكن دونه ، فتداعت إليه الأَفران، وتمايلت نحوه الفرسان، وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة، ومالوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يزأَّر كالأسد ، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها ، ولا كتيبة إلا هزمها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه ، ففاز بالأُموال وأُقبل بها ، فكبرت القوم عند رويته ، وفرحوا فرحاً عظيما بسلامته ، فوالله ما رأينا قطُّ. يوماً كان أصبح صباحاً وأحسن روا**حاً** من ذلك اليوم ، ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحي هذه الأُبيات :

من الخوف مسلوب العزعة والقلب من السمهري اللدن والصارم العضب سليل المعالى والمكارم والسيب وَطرفٌ قوى الظهر والجوف وَالْجنْبِ شهاريخ رضوى لانحططن إلى الترب وَبَيت شريف في ذُرًا ثعلب الغلب لكن وأحميكن بالطعن والضرب

تأملنَ فعلى هل رأيتن مثله إذا حشرجَت نفس الكمي عن الكرب وضاقت عليه الأرض حتى كأنه أَلِم أعطِ. كلاً حقه ونصيبه أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد أَبِّي لِي أَن أُعطى الظلامة مُرْهفٌ وعزم صحيحٌ لو ضربت بحده وعرضٌ نقيٌ أتقِي أن أعيبَه فإِن لم أُقاتل دُونكن وأَحتمى

وَقد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها ، وَأَخذت

⁽۱) العرامة: الشراسة (۲) الدعارة: سوء الخلق (۳) الصفيح: السيف والأبلج: اللامع البياض (٤) الرمل الأملج: الاسمر (٥) تمتلج: تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الأهواء، وباطل الآراء، وأحياناً كنت أشهدأن عقلا نُورانيًا لايشبه خلقاً جسدانياً فُصِل عن الموكب الإلهيّ، واتصل بالرُّوح الإنسانيّ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسها به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأَجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس، وآنات كأنى أسمع خطيب الْحِكمة، يُنادى بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأُمة، يُعرِّفهم مواقع الصواب، ويبصرهم بمواضع الارتياب ويُحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طريق الكياسة، ويرتفع إلى منصات الرياسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويُشرف بهم على حسن المصير.

وصف حفلة للمرحوم المُويِلْحي المتوفى سنة ١٩٣٠ م

لو كان لليالى لسانٌ ينطق بالفَخَار ، وجنانٌ يجرى بنظم الأَشعار ، لأَنشدت ليلة الحفلة (الخديوية) قصيدةً تسجل لها في ديوان العصور والدهور ، مالم تبلُغه ليلة قبلها في تكامل الفرح والسرور ، ولو كان الدهر يُفْصحُ لنا يوماً عن انشراحه وابتهاجه ، لأَنبأنا بأَنه ادّخرها غُرَّة لجبينه ، ودُرَّة لتاجِه .

لا زالت أيام الجناب العالى ولياليه مُشرقةً بالسعد والهناء ، مُتألقة تألق البدُور في أُفق السماء .

ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له

قال عيسى بن هشام: زايلنا الأهرام وخليناها، تندُبُ من شادها وتنعى مَنْ بناها، وملنا إلى دار التُّحَف ومستودع الآثار، لمشاهدة ما حفظتُه لنا من صنوف الطرف وعُيون الأُخبار، وما أُخْرَجته الأيام من عالم الخفاء إلى عالم الظهور، بعدأن كان سرَّا مكتوماً في خواطر العصور والدهور، وما صانتهُ بطون القُبور من الفناء والدثور، وحمته أحشاء الرُّمُوس من العفاء والدُّرُوس وما أُخْبَتُه

أرحام المعابد والهياكل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل ، وما انكشفت عنه سُجُوف الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب ، من مكننون الدفائن ومكنوز الخزائن وعجائب الفن الدقيق ، وبدائع البِدْع الأنيق ، وغرائب الصنع العتيق ، بليت في اصطحابها بطون الأيام والليالي ، وانحنت في احتضانها ظهور العصور الخوالي ، وانقلبت البحار وهادًا ، وأصبحت الوهاد أطوادًا ، وغدت الأغوار أنجادًا ، وأضحى العمار خرابا والحراب عمارًا ، والغمار سرابا ، والسراب غمارًا ، ومضت وتمدينت بواد ، وتبدّت مدائن (۱) ، وبادت مواطن وقامت مواطن (۲) ، ومضت دول ، وذهبت أول إثر أول ، وبدت أحوال وحالت ، وظهرت أعمال وزالت ، وهي كما تركها أهلها ، مَصُون وضعها ، محفوظ شكلها ، خبر صادق ، ولسان ناطق تخبر بالعبر ، وتحدث عمن غبر :

مضت غبراتُ العيش وهي غوابر على الدهر مكتوبٌ عليها حبائس وصف الفونغراف «الحاكي » للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٦٠ ه مثالُ القوة الناطقة ، من غير إرادة سابقة ، يقتطف الألفاظ. اقتطافاً ، ويختطف الصوت اختطافاً ، مطبعة الأصوات ، ومِرْ آة الكلمات ، ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية ، نقل كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية (٣) أشدُّ من الصدى في إعادة الصوت على أصله ، كأنه الحروف على يد الطابع ، والوتر عن يد الضارب والقصبُ على فم القاصِب ، يحفظ الكلام ولا يُبيدُه ، ومتى استعدته منه يعيده ، من غير أن يُبتى لفظاً في صدره ، أو يكتُم شيئاً من أمره ، كأنما حِفظُ. الوَديعة في نفسه طبيعة ، فلو تقدَّم له الوجودُ في مرتبه الزمن لما احتجنا في الإخبار إلى عنعنة (٤) ، ولا في الدعاوى إلى بيّنة ، بل كان يُسْمِعنا كلام السيد المسيح في المهد ،

⁽۱) البادية: الصحراء (۲) مواطن الأولى – جمع موطن – اى مكان الانسان ومقره ، ومواطن الثانية: مشاهد الحرب (۳) ابن زيد الذى ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر (٤) مراده الأخبار عن النبى ساى الله عليه وسلم التى تروى عن فلان عن فلان .

وصوت عاذر (١) من اللحد، وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم، وأنشدُوه كلمتهم، فرأينا غرائب اليونان وبدائع الرومان؛ وربما سمعنا خطب سحبان وشعر سيدنا حسّان بذلك اللسان، وأصبح وجود الإنسان غير محدود بزمن من الزمان. لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم، ويستخلصه في لحظة مُعيدا لقوله، ناقلا لصوته ونفظه:

لقد وجدت مكان القول ذا سَعة فإن وجدت لساناً قائلا فَقُلِ نديم ليس فيه هفوة النديم ، وسمير لاينسب إليك تقصير ، تشكته وتستعيده تذُمه وتستجيده ، تنقصه وتستزيده ، وهو في كل هذه الأحوال راضٍ بما يقال ، لا يكل من تحديث ، ولا عل من حديث ، نمامٌ ينم لك كما ينم عليك ، وينقل لغيرك كما ينقل إليك ، فهو المصور لكل فن ، المتكلم بكل لغة ، المتحدّث عن كل إنسان ، المؤرّخ لكل زمان ، الشاعر الناثر ، المغنى العازف لا تعجزه العبارة ، ولا يُجهده الأداء ، ولا يضره اختلاف شكل ، ولا تباين أصل بل تعهدت شِدَّة حفظه للبشرية من اللغات ، إلى حفظ . أصوات العجماوات الما صطكاك الجمادات

وقال ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها :

ورد الكتابُ المطرَّزُ بحلى الكرم . المُحلى بجميل النَّعم ، واستلمتُ الهدية فسلمت يدُّ أهدتها ، وحُفِظت السجايا التي محاسن الأعمال هدتها ، ودامت رحابٌ لمثل هذه الحسنات فيها مجال ، وللمُحسنات بهاء وجمال ، وللآمال محط رحال ، وللمقاصد كعبة إقبال ، وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نفسُ عصام فإنها نسخت آية الكرِّ والإقدام ، بآية الْجُود والإكرام ، وفعلت في القلوب بالعطاء والنَّوال ، ماقصرت عنه الرِّماحُ الطوال ؛ وتأملتُها فأرتني الاعين رأت والعطاء والنَّوال ، ماقصرت عنه الرِّماحُ الطوال ؛ وتأملتُها فأرتني الاعين رأت

⁽١) هو الذي أحياه عيسى عليه السلام .

وأَظهرتْ من محاسن المناظر ما أمرت وقربت كلِّ منظور بعيد ، وتلت «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» وصفا وقتى بصفائها ، فلم أَشْدَه شيئاً إلا جمعتْ بينه وبيني ، وصحَّ علينا قولُ القائل: «رأيت بعينها ورأت بعيني » ثم سرَّحت نظرى في الأَطلال والرُّسوم ، حتى نظرتُ نظرة في النجوم فلم تُخف عنِّي شجرًا ولا مدرًا ، ولا نجماً ولا قمرًا :

يزيد وجهُها حُسْناً إذا ما زِدْته نَظرا

ببها و يخيَّل لى أنها صيغتْ من ضياء ، فلا عَيْب فيها غير أنى نظرتُ بها في سماء فضلك الباهر ، وأفق شرفك الظاهر ، فلم ينكشف لى بها لجُودك آخر ، لا زال كرمُك بعيدًا حدَّه على كلِّ ناظر وباصر ، وفضلُ مناهلك غاية تقصدها الأوائل والأواخرُ .

وصف سان استفانو بالإسكندرية لمؤلف الكتاب

كتابى والقلمُ فى البنان ، يُسَطِّرُ ما يمليه الجنان ، على محاسن ذلك المكان المشهور به (سان استفانو) . هناك تركى البحر كالمرآة تمثلت فيها السهاء ، فكأَنما الماء سهاء ، والسهاء ماء ، وتخال الشاطئ مَرْتعاً للظبيات الآنسات ، أو سُوق جمال تُباع فيه القلوبُ على الغانيات .

هُذاك الشبيبة واللعب ، والزَّهْرُ والطرب ، وقد اعتلَّ الصَّبا ، وصحَّ الصِّبا ، وصحَّ الصِّبا ، حُورٌ وولدان بمرحون بنشاط. الشباب ، ويتهادُون بنشوة الدَّلال والإعجاب ، فمن «غادات » روائح وغاديات ، قُدُودُهُن الرِّماح الطاعنات ولحاظهنُّ القاتلات المُحْبِيات .

ومن «ولدان» يلعبون بالكرة والصوْلجان، فالكرة قلبُ المحِبّ المتيم، والصَّوْلجان الذي يدفعُها شوق العاشق المغرم، هُذاك نغمات الأَوتار تدعُو إلى الغَّراح، وتُبْدِل الأَفراح من الأَتراح اغْتِنَام الأَوطار، تهدى الارْتياح إلى الأَرواح، وتُبْدِل الأَفراح من الأَتراح

هُذاك الكؤوسُ على قُطْب الخلاعة تدُور ، فهى برشفَاتها الثغور ، وبنُورها البدُور تَشْرُق من الحنان وتَغرُب فى أفواه الندمان ، فيعلُو الوُجوه الشفق ، فتبارك المبدعُ فيا خلق .

هُذَاكَ فَرِيقٌ مِن أَهِلِ الهُوَى ، خُلفاء الأَسي والجوَى ، يختلسُون النَّظرات وتحتها سهام صائبات، تقصدُ قلوبهم ولا راحمَ لهم، ينادون من يُحبون فلا يُجابون، ويتذللُون لعزِّ الجمال على أنهم لايُحَابُون، يتمنُّون الرّضا بعد الهَجّر وحلرَ اللقا بعد الصبر ، وفريتٌ آخر قدوافاهم السعدفذالوا الأَماني ، تعلو وُجوههم نضرةُ النَّعيم بما نالوه من إشارة أو تسليم ، يتبادلون التحيَّاتِ بالحواجب ، ويُشْفِقُون على القلوب فيضعون الأَيدي فوق الترائب ، حتى إذا الليلُ سجا ، وسترَهم رِداء من الدُّجي ، يَتلاقون إِلَى جانب اليمِّ ، ويَتهامسون والفُّم قريب من الفم ، تراهم على الأرائك جَنْباً بجنب ، وعُنقاً على كتف ، مبتعدين عن العُيون هذا وهذا ، وقد بلغوا الآرابَ والمُني ، يَجْتَنُون الثمرَ من السَّمر ، ويلتَمونه الرّاح بالراح ، ولا يزالون في مسرّة وهذاء وأنس وصفاء ، حتى يُذادِي منادى المُوائد بحَيِّ على شَهْيِّ الطعام ، وهلمُّوا إِلى رَائق الْمَدَام ، فيجلسون مثني وثلاث ورُباع محفوفين بيانع الأَزهار ، مستضيئين بأَزهي الأَنوار ، والغلمان عن بمينهم وشمالهم قائمون بحوَائجهم ، وهم في لباسهم كأَقمار ، وفي خِفَّتهم كلمح الأَبصار فيأكلونَ ويشربون، ويضحكون ويلعبون بين نغمة بالحديث الرَّخيم، ونشوة بالمدام القديم، حتى إذا أُخذت كل حاسة حظَّها، وتلجُّلجت الأَلسنة فلا تفهم لفظها ، هذالك تراهم كسرْب الظباء رائح وغاد ، هذه مائلة وهذا مُتهَادٍ ، إلى أن يتمشّى النوم في الجفون ، فتذبل العيون فينصرفون إلى المنام ، ويحملون بلذيذ الأحلام ، بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة .

وصف الشمس

الشمس كوكب مضيء بذاته ، وهي أعظم الكواكب المرئية لنا منظرا ،

وأسطعُها ضوءًا ، وأغزرها حرارةً ، وأجزلُها نفعًا للأَرض التي نسكنها ، ولكثير من أخواتها ، سيارات الشمس وبناتها .

والشمس كرةُ متأَجِّجة نارًا ، حرارتها أَشد من حرارة أَى ساعور(١) أَرضى ، وبيلغ ثقلها ثلثائة وزن من ثقْلِ الأَرض ، وهي أكبر منه جِرماً بثلثائة أَلف وأَلف مرّةً .

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرة واحدة فى نحو خمسة وعشرين يوماً. وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسائة ألف ميل وهى مع كلِّ هذا العِظَم الهائل لاتعد فى النجوم الكبرى، بل إن فى أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شموسٌ أكبر من الشمس بألوف الألوف، والشمس بسياراتها تابعٌ من توابع أحدها.

وسطح الشمس مهب عواصف وزوابع نيرانية شديدة ، تثير في جوها أشوظة (۲) هائلة تندلع (۳) ألسنتها المتأجّبة عن محيط. كرتها أميالاً ، وقد وصف بعض العلماء لهباً ارتفع من سطحها لأول وهلة نحو أربعين ألف ميل في الفضاء ، ثم ازداد بريقاً (٤) ثم ارتفع بعد نصف ساعة إلى خمسين وثلثائة ألف ميل ، ثم جعل يَضْول ويضعف ، فلم يمض ساعتان حتى اضمحل اضمحلالا ، غير أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النوادر ، ولكن ارتفاع اللهب نحومائة ألف ميل ليس بغيرالعادى وكثيراً ماتبلغ سرعة اللهب مائة ميل في الثانية ، وأكثر مادة الشمس من عنصر المُخْذى (الإيدروجين) المتقد .

وبرصد الشمس مرارًا بالمرقب المغشى بالسواد شوهدَ في صفحة قرصها نكتُ سودٌ ، وكلف يشوِّه محياها ، كأُمَا هي كرةٌ سوداء الباطن غلفت

⁽۱) الساعور: النار نفسها أو موقدها (۲) الشواظ اللهب (۳) الناد السان خرج من الفم . (٤) تلألؤا

بِسَطح أساطع من الصعادات يَتَخَللهُ نَقَبُ يظهرُ تحتها السوادُ ، ولا تزال حقيقة هذه البقع موضوع البحث والتعليل عند الفلكيين ، ومن تنقلِ هذه النكت عرفت دورتها على مِحْورها .

وللشمس سيارات أو أبذاء انفصلت منها منذ أزمان سحيقة ، عُلِم منها إلى الآن نحو ثمانية ، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عطارد ، فالزّهْرَة ، فالأرض ، فالمرّيخ ، فالمشترى ، فزُحل ، فأرانوس ، فنبتُون . ولم تعلم كل شئون هذه السيارات حق العلم ، وإنما ألمّ العلماء بمعرفة موادها وكذافتها وأبعادها .

ولكن أمرَ الحياة فيها لم يَزَل مبهماً مستغلقًا ــ اللهُمَّ إلا في الأرض وقمرها . أَمَا مِقدارُ النعم التي سخَّرها الله لنا بو جود الشمس فمما لا يُحصيه العد؛ فهي مبعثُ حياتنا وحياة الحيوان الذي يعيشُ معنا ، ومصدرُ نورِنَا ونارِنَا وحرِّنَا وبَرْدِنَا ، وهي التي تحيل مياه البحار بخارًا ، وتقلها في الجو غيوماً ، وتنزلها على الأرض أمطارًا ، حيثُ تجرى جداولَ وأنهارًا ، فتروى زَرْعنا ، وتنمى غراسنا وتشيرُ الرياح، وتطلعُ الأَنواءَ ، وتزجى(١) السُّفُنَ والبواخرَ في عباب الماءِ وتدفعُ القطرَاتِ الحديدية ، وتديرُ الآلات البخارية ، وتنيرُ المصابيح الدخانية والزيتية إذ ليس الفحم الحجرى والزيت الأرضى إلاحرارة نارها المدخرة منذ قديم الدهور ، لينتفعَ بها أُحياء هذه العصور ، وما النهار المبصِرُ ، والليلُ المظلم إلا آيتان من آيات اللهِ المسخرة لنا بتسخير هذا المخلوق العجيب، فني النهار نُسعى في مناكب الأرض لابتغاء رزقنا، وتدبير معاشنا ، وتنظيم شئون حياتنا ، ونسبح بحمد ربنا ونعتبر بآثار من سبقنا ، وفي الليل نسكُن لإِراحة أَبْدانـنا ، واستجماع(٢) قوانا ، واستيفاء حظنًا من النوم الذي به نستديم صحتنا ، ونستعيضُ ما فقدناه بأعمالنا ، وننظر في

⁽۱) تسير . (۲) استجماع ٠

ملكوت السموات وما خلق الله من شيءٍ في حركات الكواكب وانتقالها ، ويديع صُورها وألوانها ، فتعنو وجوهنا ، ويتضاءَلُ كبرياؤنا ، أمام قدْرَة خالقنا العظيم ، فسبحانه من إِلَّه حكم .

وما الأَلوان التي نراها في نور الأَزهار ، وريش الأَطيار ، ونفائس المصنوعات إلا أثر وقوع أضوائها على هذه المرنّيّات وانعكاسها(١) على أبصارنا ؟ فَإِنَّ نُورِ الشَّمسِ الأَبيضِ مؤلَّفٌ من سبعة أَلوان أَصلية (٢) تنشأُ منها كلُّ الأَلُوان الفرعية وهي : الأَحمر ، والبُرْتقالي ، والأَصفر ، والأَزرق ، والأَخضر ْ والنّيلجي، والبنفسجيُّ . فمن الأّجسام مالا متص شيئًا من هذه الأّلوان، بل يعكسُهَا كلها على العين ، فيبدو أبيض ناصعًا كزهرة الياسمين ، ومنها مَا مَتَصُّ بعضها ويعكِس باقيها ، فَيَتَلِوَّن بِلَوْن ما يعكس منها ، فإذا أَبصرتُ ورقَةَ الشجر خَضْراءَ عرفت أنها اختزنت من ضَوْءَ الشمس ستة ألوان، وردت إلى عينيك سابعها وهو الأَخضر لأَن فيما ادخرتهُ نفعًا لها ، وليس بها إلى مَا لَفَظَّتُهُ افتقارُ ، ومنها ما يرد لونين أو أكثر ، فيبدو لونه مزيجًا بين هذه الأَلوان السبعة ، وهذه الأَلوانُ من عجائب صنع الله في الأَرض لتمييز بعضها من بعض ، فقد يَمَاثلُ الشيئان شكلاً وحجمًا وصلابةً ولينًا وشمًّا ، عُم لايتباينان إلا من حيثُ اللون فيكُون اللون آيةُ تباينهما ، وأكثر ما يكُون ذلك في الأزهار .

وتنوعُ الأَّلُوان هو السِّرُ في جمال المرئيات من مشاهد الطبيعة وبدائع الصناعة . وإن أعظم المصوِّرينَ وأمهرَ النقاشين لم يُبرزوا على غيرهم ، ويُدلوا على ذكائهم ونبوغهم إلا ببراعتهم محاكاة ألوان الطبيعة المؤتلفة وأشكالها المتجانسة ، وإنما يتم لهم ذلك إذا عَرفوا كيف عزجون من الأصباغ ما مِستخدمون به ألوان النور خير استخدام، وينتفعون به أحسن انتفاع،

 ⁽۱) انعكس مضارع عكس كما في الأساس .
 (۲) أمكن ارجاع هذه الألوان في الصناعة الى ثلاثة .

وقد سخر علماءُ الطب تباين الألوان في كشف النقابِ عن حقائق الجراثيم، فإنَّ منها ما لايتضح للعين في المجهر إلا إذا أُلقى عليه صبغُ خاصٌ يُوثِّرُ فيه فيُصبغُ به .

ولاً مواج الشمس الضوئية سرعة معلومة تسير بها ، فاذا انخفضت هذه السرعة عما هي عليه لم تعد العين قادرة على رؤيتها ، لأنها تستحيل إلى مظهر آحر غير مظهر الضوء والحرارة ، وليس ينكر ما للضوء والحرارة معاً من الأثر الْحَسن في تنقية المساكن مما يَقْطُنها من الجراثيم القتالة ، والعفن المضني ، ولذلك قيل إن الدار التي تدخُلها أشعة الشمس لا يدخلها الطبيب .

وصف القمر

القمرُ أَجملُ الكواكب صُورةً، وأبينها منظراً، وأسهلها رصدًا، وأكبرها في رأى العين بعد الشمس جرّماً، وهو سيارٌ كرويٌ أصغر من الأرض بنحو تسع وأربعين مرّة، انفصل منها زَمن التكوين وصَار تابعاً لها، طائفاً حولها، مُستمدًّا نوره من الشمس مثلها دائراً حول الشمس معها، غير أنَّ طواف الأرض بقمرها حولها يتم في سنة شمسيّة، وطواف القمر حول الأرض يتم في شهر قمري أي أي مُدَّة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً، ومع أنه خاضعٌ لنظام الأرض لا يقل بُعْدُه عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتي ألف ميل.

والذى يسترعى أنظارنا كما استرعى أنظار من قبلنا اختلاف أشكاله وتعدّد مطالعه ، مما جعله مبعث تخيّل القُدَمَاء ، ومثار تفكر الحكماء ، ومقصدًا لعبادة النّجُهلاء ، فتراه يلوحُ ليلة أوّل الشهر إثر غروب الشمس ضئيلا مُقوسًا ، لا يلبث أن يغرُب ويغيب في شفق الشمس ، ثم يهل في الليلة الثالثة أبين صورة وأبقى زمناً لازدياد تأخره في الغروب عن الشمس ، ولا يزال نورُه في تزايد ، ومطالعه في تقدّم نحو المشرق حتى يطلع من المشرق في الليلة الرابعة عشرة عند غروب في تقدّم نحو المشرق حتى يطلع من المشرق في الليلة الرابعة عشرة عند غروب

الشَّمس بدرًا كاملا ، بهي الطلعة باهرَ الأنوار ؛ فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين .

ولكن الكمال لله وحده ، فإن مُنتهى الزِّيادة مُبتدأ النقصِ ، فني الليلة المخامسة عشرة يتأخر طلوعُه من المشرق ، وينقُصُ من حافة نوره التى كانت موضع هلاله الأول زيق لا يُشعرُ به إلا في الليالي التالية ، ولا تزال مطالعه في تقهقر ونوره في تناقُص حتى قرب آخر الشهر فيشرق قبيل الفجر هلالاً صئيلاً يكاد يكون مقلوب الهلال الأول ، في الليلة الأخيرة يكون عند الصباح في يكاد يكون مظلما لا يُرى منه شيء ، وهو ليلة المحاق أو السرار ويظل بعض النهار كذلك ثم يتولد هلاله الجديد ، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن يغيب قرص الشمس فيلوح هلاله ، ثم يختني كما قدمنا .

وعِلةُ ذلك : أن نورَ القمر كنور الأرض مُستفاد من الشمس ، وهو لا يُقابل الأرض إلا بوجه واحد لا يتغيّر ، وهذا الوجه بالنسبة إلى حركته مع الأرض حول الشمس لا يقابل الشمس مقابلة تامة إلا فى وضع واحد ومرة واحدة هى الليلة الرابعة عشرة ، فيغشاه ، نورها ويصير بدرًا ، أما بقية الليالى التى قبلها والتى بعدها فينحرف قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصير كله ظلاماً ليلة المحاق ، فيطوى خبره ويكون الوجه الآخر الذى لا يرى لنا بدراً كاملا ، ثم يتولد هلاله خلقاً جديداً .

وكذلك شأن الأرض في استمداد نورها أو ما نسميه نهارًا، ولو كان في القمر سكان، لكانت الكرة الأرضية في رأى أعينهم أكبر كوكب في السماء، ولشاهدوها أكبر من الجرم الذي نشاهد القمر عليه أضعافاً مضاعفة ولكانت عندهم أروع جمالاً وأبدع من قمرهم في نظرنا تشكلاً، فبدورانها على نفسها يرونها كلّها جزءًا فجزءًا، وتظهر قاراتُها ومحيطاتها واضحة عليها في وقت الصحو، ومُظلّلا بعضها بالغمام في وقت الدجن، وتبدو أهلتُها وبدورها ضخمة باهرة، ولكن لا يراها إلا سكان النّصْف المقابل لنا أو الذين يريدون التفرج برويتها من أهل النصف الثاني.

ولقرب القمر منا وخلوجوه من الهواء سهل رصده علينا ، فترى في صفحته عند الشُّرُوق ليلة التمام كثيراً من المَحُو(١) يجعلُ صورته أشبه بوجه إنسان ذى أنف وفم وحاجبين وعينين إحداهما مُغضية ، ولا يزالُ كذلك حتى يتعدى حطّ زوال مكان الناظر . فإذا مال إلى المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصير عاليها سافلها ، وليس هذا المحو إلا ظلام بطون الأودية والسهول البعيدة الغور وظلال الجبال والهضاب الشاهقة الطول شهوقاً يكاد يمنع استدارته . أما قمم الجبال وسطوحها المقابلة للشمس فَتُرَى لامعة ساطعة فتبين سلاسل الجبال طرائق مضيئة وقممُها نقطاً لامعة وفوهات جبال ناره الشديدة السّعة ، البعيدة الغور التي تعد بعشرات الألوف ، كأنها حلقات وسطها نقط سود .

وقد ظنَّ القدماء في علَّة المحو ظنوناً ، بعضها صادف الحقيقة ، وبعضها جانبها حتى ظهر غالبليُو ، واخترع سنة ١٦٠٦ ، مرْقباً يقرِّب الأشباح ثلاثين مسافة فأثبت وجود الجبال والأودية فيه ، وزاد عليه غيره في تحسين المراقب المكبِّرة حتى أصبح القمريري كأنه على بعد أربعين ميلاً منّا ، على أن هذا القرب لا يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان لنتحقق أن للقمر سكانا كما للأرض أو لا ؟ ولكن قد أصبح من المرجح إن لم يكن من المحقق أنه خال من الماء ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات ، إذ لو كان به شيء منها لتغيّر شكله من حال إلى حال ، ويُشكُّ أن له هواء ، وإن كان له هواء فلعله لا يزيد على قمم جباله ، ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة ، وتجرّده منهما ، وخمود جبال ناره ، ويُبْس جرمه يجعل برده شديدًا جدًّا في الليل ، وحرّه عظيا جدًّا في النهار على فر طولهما البالغ فيه خمسة عشريوماً مما يجعل الحياة فيه متعسَّرة بل مستحيلة ، اللهم إلا أن تكون حياة غير حياتنا .

⁽١) المحو: السواد في القمر.

ويُرجِّحون أَنَّ القمرُ كان فى أَزمان سَحيقة على طبيعةٍ تقرُب من طبيعة أُمَّةِ الأَرض، فكان آهِلاً بالحيوان والنباتِ ، إلا أَن صِغرَ جسمه جعله يسبق الأَرض فى البُبْس والبرُودة فَتَقَبَّض وبرد وانتهت دُنياه ، وأصبح كإسفنجة مشعثة ذاتِ شعبٍ ونخاريب(١) تكوينها من جنسِ تكوين الأَرض.

ولقد خلق الله القمر مسخراً لأهل الأرض خاصة ، فهو يعكس دور الشمس عليهم هداية لهم فى ظلمات البر والبحر ، ولقد قضى الإنسان عُصُوراً ودُهوراً وليس له مصباحٌ فى جُنح الظلام غيره ، ولا يزالُ كذلك لأهل البدو وقبائل الهمج . وهو باختلاف أشكاله تقويم فطرى لهم فبإهلاله يُعْرَفُ أولُ الشهر وبالتربيع الأول يعرفُ ربعه ، وببدره (٢) يعرف نصفه ، وبالتربيع الأخير ثلاثة أرباعه ، ومحاقه تعرف نهايته .

وإذا مَرَن الإنسانُ على النظر في تقدير ضَوْئِهِ ، وأوقات مطالعه ، عرَف الشهر يوماً يوماً ، والليل ساعةً ساعةً ، قال تعالى : «يَسأَلونك عن الأَهلَّةِ قُلْ هي مواقيت للناس والْحجِّ » .

وباتحاد جذبِه مع جذب الشمس للأَرض ينشأُ المَدُّ والجزْرُ ، وفائدتهما في تسهيل الملاحة لاتنكر ، فكم موارْق ومرافىء لولاهما لَسُدت برَواسبِ الأَنهارُ والسيول .

ولضوء القمر فى إنضاج الثمار والبقول أثر أيما أثر حتى إن بعضها لا يذمو ويزهُو لونه إلا فى لياليه البيض.

الفن الخامس: في المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف، تتضمن نكتة

⁽۱) جمع نخروب ، وهى الثقوب التى تكون فى مثل خلايا النحل .. (٢) مصدر بدر البدر يبدر بدرا . وبالصدر سمى هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق فى ليلة التمام عند غروبها .

أدبية ، ومدارُها على رواية لطيفة مختلفة تُسندُ إلى بعض الرُّواة ، ووقائع شي تُعْزَى إلى أحد الأُدباء ؛ والمقصود منها غالباً جمع دُرَر وغُرَر البيان ، وشوارد اللغة ونوادر الكلام ، منظوم ومنثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعية ، والرَّقائق الأَدبية ، كالرَّسائل المُبتكرة ، والخُطب المُحَبرة ، والمواعظ المبكية والأَضاحيك الملهية (١) ولنذكر منتخبات من مقامات مختلفة فنقول :

قال الحريرى(٢) المتوفى سنة ٦١٥ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية: أخبر الحارثبن همّام قال: طحابى(٣) مَرَحُ(٤) الشباب وهوى الاكتساب (٥) إلى أن جُبْتُ (٦) ما بين فرغانة (٧) وغابة (٨) أخوضُ الغمار (٩) لأَجنى المار وأقتحم الأخطار (١٠) لكى أُدركَ الأوطار (١١) ، وكنتُ لقفتُ من أفواه العلماء وثقفت (١٢) من وصايا الحكماء ، أنه يلزمُ الأديب الأريب (١٣) إذا دخل البلد الغريب ، أن يستميل قاضيَه (٤١) ويَستخلص مَرَاضيه ليشد ظهره عند الخصام ، ويأمن في الغُرْبة جوْر الحكام ؛ فاتَّخذتُ هذا الأدب إمامًا وجعلته لمصالحي زماماً ، فما دخلت مدينة ، ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت

⁽۱) اعام أن المقامات تعرف بالمكان الذى تجرى فيه فيقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل ، وربما نسبت الى المروى عنه ، وستحب فى راوى المقامة أن يمشل رجلا ظريف النفس كثيس الأسفار حسن الرواية متفرغا لفنون الأدب جادا فى طلب غرره كادا ذهنه فى تحصيل درره كالحارث بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ، ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذانى وبعده الحريري ، واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يباغوا سأوهما .

⁽۲) تقدم أنه توفى سنة ٦١٥ هـ (٣) ذهب بى . (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أى محبة اكتساب المال (٦) قطعت (٧) بلد بأقصى المشرق (٨) مدينة بالمغرب (٩) بالكسر جمع غمرة: الماء الكثير ، وهنا الأمور الصعبة (١٠) أى أدخل فى القحمة بالضم وهى الشدة ، والأخطار: الأمور العظمة . (١١) الحجاب (١٢) أدركت (١٣) العاقبل (١٤) برغمه ويترضاه .

بحاكمها امتزاج الماء بالراح، وتقويّت بعنايته تقويّ الأجساد بالأرواح؛ فبينا أنا عند حاكم الإسكندرية، في عشية عريّة (۱) وقد أحضر مال الصدقات، ليفُضه (۲) على ذوى الفاقات (۳) إذ دخل شيخٌ عِفْرية (٤) تعتِلُه (٥) امرأة مُصبية (٢) فقالت: أيّد (٧) الله القاضى، وأدام به التراضى (٨)، إنى امرأةٌ من أكرم جُرثومة (٩)، وأطهر أرومة (١٠)، وأشرف خؤولة وعمومة، ميسمي (١١) الصّوْن (١٢)، وشيمتى (١١) الهون (١٤)، وخُلق نعم العون (١٥)، وبيني وبين جارتى بَوْن (١٦) وكان أبي إذا خطبني بُناةُ (١٧) المجدوأرباب الجدّ، سكّتهم (٨١) وبكتهم (١٩) وعاف وصلتهم (٢٠) وصلتهم (٢١) واحتج بأنه عاهدالله تعالى بحلفه، وبكّتهم (١٩) وعاف وصلتهم (٢٠) وصلتهم (٢١) واحتج بأنه عاهدالله تعالى بحلفه، أن لا يُصاهر (٢٢) غير ذي حرفة (٣٣)، فقيض القدر (٢٤) لنصبي ووصبي (٥٠) أن حضر هذا الْخُدعة (٢٦) نادِي أبي (٧٢) فأقسم بين رهطه (٢٨) أنه وفقُ شرطه، وادّعي أنه طالما نظم دُرّة، فباعها ببدرة (٢٩) فاغتر أبي بزخرفة محاله، وزوجنيه قبل اختبار حاله، فلما استخرجني من كناسي (٣٠) ورحلني عن أناسي، ونقلني إلى كسره (٢١) وحصّلني تحتأسره، وجدته قُعدة جُثمة (٣٣) وأفيته ضُجعة نُومة (٣٣)

⁽۱) أى شديدة البرد (۲) يفرقه (۳) أى الفقراء المحتاجين . (٤) أى شديد الدهاء (٥) تجره بعنف (٦) أى ذات صبيان (٧) قواه ونصره (٨) أراد رضاء الخصوم بحكمه الغالب والمغلوب (٩) أى أصل (١٠) الأرومة: أصل الشجرة ثم استعير الأصل الحسب (١١) علامتى ، والميسم : الآلة التي يكوى بها (١٢) الحفظ والعفاف (١٣) خلقى وعلاتى (١٤) الرفق (١٥) أى الرفيق الظهير (١٦) أى تفاوت فى الفضل (١٤) الرفق (١٥) أى الرفيق الظهير (١٦) أى تفاوت فى الفضل (١٧) جمع بان (١٨) قال لهم كلاما الا جواب له (١٩) الزمهم الحجة (٢٠) كره قربها (١١) أعطاهم (٢١) يزوج أبنته (٢٣) صناعته (٢٤) يعنى قدر الله تعالى (٢٥) لتعبى (٢٦) المخادع (٢٧) مجلس أبى (٢٨) قومه وعشيرته (٢٩) البدرة عشرة آلاف درهم (٣٠) أى منزلى ، وأصاله بيت وعشيرته (٢٩) البدرة عشرة آلاف درهم (٣٠) أى منزلى ، وأصاله بيت الظبى (١٣) بفتح الكاف وكسرها جانب بيته (٣٣) الضجعة والنومة أصاله العاجز الذي لا يتصرف ، والمعنى انه عاطل عن العمل .

صحبته برياش وزى وأثاث (۱) ورى (۲) فما برحيبيعه في سوق الهضم (۳) ، ويتلف ثمنه في المخضم والقضم (٤) إلى أن مزق مالى بأسره (٥) ، وأنفق مالى في عسره ، فلما أنساني طعم الراحة ، وغادر بيتى أنق من الراحة (٦) قات له : يا هذا إنه لا مخبأ بعد بوس (٧) ولا عطر بعد عروس (٨) فانهض للاكتساب بصناعتك ، واجتن (٩) ثمرة براعتك (١٠) فزعم أن صناعته قد رُميت بالكساد (١١) لما ظهر في الأرض من الفساد ولى منه شلالة (١٢) كأنه خلالة (١٣) وكلانا ما ينال منه شبعة (١٤) ولا ترقأ (١٠) له من الطوى (١٦) دمعة ، وقدقدته (١٧) إليك وأحضرته لديك ، لتعجم (١٨) عود دعواه وتحكم بيننا عما أراك الله فأقبل القاضي عليه ، وقال له : قد وعيت (١٩) قصص عرسك ، فبرهن الآن عن نفسك ، وإلا كشفت عن لبسك (٢٠) وأمرت بحبسك .

اسمع حدیثی فإنه عجب یضحك من شرحه وینتحب (۳۳) أنا امرو لیس فی خصائصه (۲۶) عَیْبٌ ولا فی فخاره ریب شروج داری التی ولدت بها والأصل غَسَّان (۲۰) حین أنتسب

⁽۱) رياش: مال ولباس فاخر ، زى : هيئة حسنة ، أثاث : متاع ألبيت ، (٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر السراء وفى الأصلل اسم من روى (٣) المراد ببيعه بأقل من القيمة (٤) الأكل بأطراف الأسنان وقيل الخضم أكل الرطب والقضم اكل اليابس: تريد أنه يصرف ثمنه فى اع الأكل واللذات (٥) أى فرق الذي اكل اليابس: تريد أنه يصرف ثمنه فى اع الأكل واللذات (٥) أى فرق الذي لى بأجمعه (٦) بطن الكف لقائه من الشعر (٧) أى فقر (٨) مثل قالت أمرأة من العرب مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها أن تتعطر فقالته (٩) أى الجنى : جمع الثمار (١٠) أى فضلك على أقرائك (١١) هو خمود السوق وقلة البيسع ضد النفاق بالفتح على أقرائك (١١) هو خمود السوق وقلة البيسع ضد النفاق بالفتح (١٢) يعنى ولدا (١٣) ما يتخلل به (١٤) قدر ما يشبع به مرة (١٥) أى لا تسكن (١٦) الجوع (١٧) أتيت به (٨١) لتقضى وتختبر (١٩) فهمت وحفظت ما قصته زوجك (٠٢) أظهر أشكالك وتعمية أمرك (٢١) فكمت وحفظت ما قصته زوجك (٠٢) ألحرب التي قبلها وهي تكون اشد من الأولى وتألى عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه منهم أبو جفنة ورهط الموك وقيسل غسان قيلة .

وشغلي الدرسُ والتبحرُ في الع ورأس مالى سحر الكلام(١) الذي أُغوص في لُجَّة البيان فاخ وأجتنى (٤) اليانع (٥) الجنبيُّ (٦) وآخذ اللفظ. فضة فإذا وكنت من قبل أمترى نشباً (^) وممتطي(٩) أخمصي(١٠) لحرمته وطالمًا زُفَّتِ الصِّلاتِ إلى فاليوم من يعلقُ الرجاءُ به لا عرض أبنائه يُصان ولا كأنهم في عراصهم(١٦) جِيَف فحار لُبِّی(۱۷) لما منیت به(۱۸) وضاق ذرعی (۲۰) لضیق ذاتیدی وقادنی دهری الملیم(۲۲) إلی

لم طلابی وحبذا الطلبُ منه يصاغ القريضُ (٢) والخطبُ تار اللآلئ منها (٣) وأنتخبُ من القول وغيرى للعُود يحتطبُ ما صغته(٧) قيل إنه ذهب بالأدب المقتنى وأحتلب مراتباً ليس فوقها رُتبُ ربعي (١١) فلم أَرضَ من يَهِبُ (١٢) أَكسدُ شيءٍ في سوقه الأَدب (١٣) يرقب (١٤) فيهم إِلَّ (١٠) ولانسب سعد من نتنها ويُجْتنتُ من الليالي وصرفها (١٩) عجبُ وساورتني (٢١) الهموم والكربُ سلوك ما يستشينه (٢٣) الحسب (٢٤)

⁽۱) هو ما لطف مأخذه وراق (۲) الشعر (۳) أي اتعمق في بليغ المعاني وانتقى منه المآح (٤) أقتطف (٥) الزاهى (٦) الطرى من التمر الذي جنى حديثا (٧) سبكته (٨) أي اكتسب مالا (٩) أي يركب (١٠) ما أرتفع من باطن القدم عن الأرض (١١) أي حملت الجواثز والهدايا الي منزلي (١٢) أي لم أكن تحت منة كل حد بل لم أئل الا من العظماء (١٣) أي أن ما يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صاد ذلك كالسلعة الكاسدة عنده (١٤) يحفظ (١٥) بخفض الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابة والجوار (١٦) جمع عرصة وهي فناء الدار أي كأنهم في مواضعهم (١١) تحير عقلي (٨١) بليت به (١٩) تقلبها (٢٠) القبض في مواضعهم (١١) اتحير عقلي (١٨) بليت به (١٩) تقلبها (٢٠) القبض قلبي ر١٢) النابتني وغلبتني (٢١) الذي يأتي بما يلام عليه (٢٣) يستبشعه قلبي من مفاخر الاباء أو الدين وقيل الكرم .

ولا بتات (۲) إليه أنقلب بحمل دَيْنِ من دونِهِ العطب بحمل دَيْنِ من دونِهِ العطب خمساً (۱) فلما أمضًني (۷) السَّغَبُ أجولُ في بيعه وأضطرب والعين عبرى (۹) والقلب مكتئب (۱۰) حَد التَّراضي (۱۳) فيحدث الغضب أن بناني بالنظم تكتسب زخرفت قولي لينجَح الأرب (۱۶) زخرفت قولي لينجَح الأرب (۱۶) كعبته تَسْتَحِثها (۱۱) النُّجُب (۱۷) ولاشعاري (۱۹) التمويه (۲۰) والكذب إلا مواضي اليراع (۲۲) والكذب كني وشعري المنظوم لاالسُّخُب (۲۶)

فبعت حتى لم يبق لى لَبدُ (١) وَادَّنْتُ (٣) حتى أَثقلْت سالفتى (٤) ثم طويت الحشا على سَغبِ (٥) لم أَرَ إِلا جهازها عرضاً (٨) فَجُلتُ فيه والنفس كارهةُ وما تجاوزت (١١) إِذْ عَبَثْتُ (١٢) به فإن يكن غاظها توهمها فإن يكن غاظها توهمها أو أَننى إِذْ عزمت خطبتها فوالذى سارت الرفاقُ (١٠) إلى ما المكر بالمحصنات (١٨) من خُلقى ولايدى مُذْ نشأتُ نِيطَ. بها (١٢) بل فكرتى تنظم القلَائِدَ (٣٣) لا

⁽۱) يقال ماله سبد ولا لبد أى لاشعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى ، وأراد الحريرى أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (۲) الزاد ومتاع البيت (۳) تداينت (٤) صحفحة العنق وقيل مقدمه (٥) جوع (٦) خمس ليال (٧) أحرقنى (٨) حطام الدنيا ، وهو المال قل أو كثر (٩) دامعة باكية (١٠) حزين (١١) تعديت (١١) فعلت به ما لايليق فعله (١٣) أى حسد الرضا (١٤) الحاجة (١٥) جمع رفقة ، وهو جمع رفيق (١٦) تستعجاها (١٧) جمع نجيبة ، (١٥) تخلقى (٢٠) تربين الكلام وأصله أن يطلى المعدن غيسر الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب (٢١) علق بها (٢٢) جمع يراعة وهي القصبة الجوفاء والمراد بها الأقلام (٢١) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء تجعيل في اعناق القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء تجعيل في اعناق

فهذه الحرفة المشارُ إلى ما كنت أَحوى بها وَأَجْتَلِبُ فأذن لشرحى كما أَذنْتَ لها وَلَا تُرَاقب(١) واحكم بما يجبُ

قال: فلما أحكم ما شاده (٢) ، وأكمل إنشاده ، عطف القاضى إلى الفتاة ، بعد أن شغف (٣) بالأبيات ، وقال: أما أنه قد ثبت عند جميع الحكام ، وولاة الأحكام انقراض (٤) جيل الكرام (٥) وميل الأيام إلى اللثام ؛ وإنى لإخال (٢) بعلك إلى صدوقاً في الكلام بريًا من الملام ، وها هو قد اعترف لك بالقرض ، بعلك (٧) صدوقاً في الكلام بريًا من الملام ، وها هو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المخض (٨) ، وبيّنَ مِصداق النظم ، وتبين أنه معروق العظم (٩) ، وإعناتُ المعذر ملأمة (١١) ، وحبس المعسر (١١) مألة (١١) ، وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصّبر عبادة ، فارْجعى إلى خدرك (٣) ، واعذرى أبا عُذرك (٤١) ونهنهي من غَرْبك (٥٠) ، وسلمى بقضاء ربك مد ثم إنه فرض لهما في الصّدقات حصّة ، وناولهما من دارهمها قبضة (١٦) . وقال لهما : تعللا (١٧) بهذه العُلالة (١٨) ، وتنديا بهذه البلالة (١٩) وصبراً على كيد الزمان وكده ، فعسى الله أن يأتي بالفتح

⁽۱) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (۲) أى أتقن ما بناه والانشاد من أشاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجص . (۳) ويروى بالعين المهملة من شغف الحب فؤاده أى علاه وشمله _ وبالعين المعجمة أى فتن وباغ حبها شغافه ، وهو غلاف القلب . (٤) انقطاع وفناء (٥) أى جماعة الكرم ، والجيل أهل زمان واحد (٦) بكسر الهمزة _ أى لا أظن (٧) زوجك (٨) الخالص (٩) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذ أخلاً ماعليه من اللحم (١٠) الاعتات : الحمل على المشقة الشيديدة والمعذر البالغ في العذر أو هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق على المحقق العيد ، وعلى الذي بان عذره والملأمة اللؤم . (١١) العاجز عن قضاء الدين . (١٦) ايلام (١٣) بيتك وسترك (١٤) أبو عذر المرأة أول زوج لهيا . (١١) أي كفي وازجري نفسك عن الحدة (١٦) هي ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (١٧) تشاغلا وتلاهيا (١٨) ما يتعلل به واصلها بقية الأبين المراه أبيل بيه الشيء واسم البقية أيضا

أو أَمْرٍ من عنده ؛ فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإِسار(١). وهِزَّة الموسر بعد الإعسار .

قال الراوى: وكنت عرفت أنه أبو زيد، ساعة بزَغَت شمسه، ونزعت (٢) عرسه وكدت أفصح عن افتنانه (٣) ، وأثمار أفنانه (٤) ثم أشفقت (٩) من عُثور (٦) القاضى على بهتانه (٧) ، وتزويق (٨) لسانه ، فلا يرى عند عرفانه (٩) أن يُرشحه (١٠) لإحسانه ، فأحْجَمْت (١١) عن القول إحجام المرتاب (١٢) ، وطويت ذكره كطى السّجل للكتاب (١٣) ، إلا أنى قلت بعد ما فصل (١٤) ووصل إلى ما وصل ، لو أن لنا مَنْ يَنْطلق في أثره لأَتانا بفصّ خبره (١٥) ، وما يُنشر من حَبره (١٥) ، فأن لنا مَنْ عَنْطلق في أحد أُمَنَائه ، وأَمره بالتَّجَسُس (١٦) عن أنبائه (١٥) ، فما لَبثَ أن رجع مُتدهدها (٢٠) ، وقَهْقَر مُقَهقها (٢١) ، فقال له أنبائه (١٩) ، فما لَبثَ أن رجع مُتدهدها (٢٠) ، وقَهْقَر مُقَهقها (٢١) ، فقال له

⁽۱) القيد الذي يشد به الأسير (۲) خبثت والنزع الذكر بالقبيسح والا فساد بين الناس ومعناه خاصمته عرسه (۳) يقال افتن الرجل في حديثه اذا جاء بالافانين وهي الأساليب والمرادهنا تصرفه في الفنون والمعسارف (۶) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٥) خفت (٦) اطسلاع (٧) كذبه (٨) التزويق التحسين ، والتزويق مأخوذ من الزاووق ، وهسو الزئبق (٩) معرفته (١٠) الترشيح والتربية ، والتأهيل من ترشسيح الظبية ولدها ، لأنها اذا بلغ ولدها السمى سعت به حتى عرق فتقوى ، ويأتى بمعنى التقوية أيضا (١١) تأخرت (١٢) الشاك (١٣) السسجل الصحيفة فيها الكتابة اى كما تطوى الصسحيفة الكتابة (١٤) المسبحل السحيفة فيها الكتابة ال ١٦) الحبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة وهي : ما تلسمه المرأة المصرية ، والمراد ما يذكره من الكلام السجع الشبيه بالحبسر في الحسن (١٧) أي أرسل وراءه من يتبعه (١٨) أي بالبحث سرا بحيث لا يشعر (١٩) أخباره (٢٠) التدهده : الاسراع من دهدهت الحجسر اذا محرجته وتبدل الهاء الأخيرة ياء فيقال تدهدى تدهديا . (٢١) القهقرى المشي الى الوراء ، والقهقهة الضحك بصوت مرتفع .

القاضى: مَهيمَ (١) يا أبا مريم (٢) ؟ فقالله: لقدعاينت عجباً ، وسمعت ما أنشأ لى طَرَباً. فقال له: ماذا رأيت ؟ وما الذى وعيْتَ ؟ قال: لم يزل الشيخ مُذخرج يُصفِّق بيديه ، ويخالف بين رجليه (٣) ، ويُغَرِّد عِلْءِ شدقيه . ويقول:

كَدْتُ أُصْلَى(٤) بِبِليّه من وقاح(٥) شَمّريه(٦) وأَزورُ السِّجن لولا حاكم الإسكندريه

فَضَحك القاضى حتى هوت(٧) لدنيّته (٨). ودوت(٩) سكينته (١٠). فلما فاء (١١) إلى الوقار. وَعَقّبَ الاستغفار بالاستغفار ، قال : اللهم بحُرْمَة عبادك المقربين حَرِّم حبسى على المتأدبين ، ثم قال لذلك الأمين : على به (١٦). فانطلق مُجدًّا في مطلبه ، ثم عاد بعد لأيه (١٣) مخبراً بنأيه (١٤) ، فقال له القاضى : أما إنه لو حضر لكُفِى الحذر (١٥) ، ثم لأوليتُهُ ما هو به أولى ، ولأريته الآخرة خير له من الأولى. قال الحارث بن همام : فلما رأيت صَفْوَ (١٦) القاضى إليه ، وفوت ثمرة التنبيه عليه غَشِيتني (١٧) ندامة الفرزدق (١٨) حبن أبانَ

⁽۱) أي ما الخبر ، وهي كلمة لأهل اليمن معناها : ما خبرك وما شيأنك (۲) يقال لعون القاضى أبو مريم (۳) أي يرقص (٤) احترق (٥) الوقاح : قليلة الحياء بينة القحة والوقاحة ، وحافر وقاح : صلب (٦) الشمرى : الماضى في الأمور الجاد فيما يحاول (٧) وقعت (٨) بتشديد النون والياء جميعا : قلنسوة طويلة يابسها القضاة كأنها منسوبة الى لدن (٩) ذبلت وفترت (١٠) وقاره (١١) رجع (١١) أي أنت به واحضره (١٣) اللأي كالسعى : الإبطاء والاحتباس (١٤) أي يبعده (١٥) ما يحتار منه ويخاف كالسعى : الإبطاء والاحتباس (١٤) أي يبعده (١٥) ما يحتار منه ويخاف (١٦) ميله (١٧) أتتني وحضرتني (١٨) هو همام بن غالبالتميميالشاعر

النُّوار(١) والكُسَعِيِّ(٢) لما استبان النهار .

المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ ه

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : كان بشر بن عوانة العبدى صعلوكا ، فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوج بها ، وقال : ما رأيت كاليوم ، فقالت :

أَعْجَب بِشْرًا حَوَر فى عينى وساعد أبيض كاللَّجين ودونه مَشْرُجُ طُرف العين خَمْصانة ترفل فى حجْلينِ أحسن من يمشى على رجلينِ لو ضَمَّ بِشر بينها وبَينى لأَسفَر الصبَّح لذى عينين

قال بشر : ويْحَك من عنيت ؟ فقالت : بنت عمك فاطمة ، فقال : أهى من الحسن بحيث وصفت ؟ فقالت : وأزيد وأكثر ، فأنشأ يقول :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نسوار وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين اخرجه الضرار ولو أنى ملكت يدى وأمرى لسكن على للقدر الخيار

(٢) الكسعى هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع ، بضم الكاف و فتح السين ، حى من بنى ثعلبة ، كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفذت فى الرمية ووقع السهم فى حجر فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية ، فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الأسهم وكانت خمسا ، وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ، ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كها أصابت فندم ندما شديدا فضربت العرب المثل به فى الندامة .

⁽۱) النوار على وزن سحاب ـ ١سم زوجة الفرزدق . وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ، ومن شعره في ذلك قوله :

ما خلْتُني منك بمُستعيض خلَوْت جوَّا فاصفِرى وبيضى مالم أشلْ عرضى من الحضيض وَيْحِكِ يا ذات الثنايا البيض فالآن إذ لوحت بالتعريض لا ضُمَّ جفْناى على تغميض فقالت :

كم خاطب في أمرها ألحًا وهي إليك ابنة عمّ لحًا شم أرسل إلى عمه يخطب ابنته ، ومنعه العمّ أمنيّته ، فآلى ألا يرعى على أحد منهم إن لم يُزوِّجه ابنته ، ثم كَثُرَت مضراته فيهم واتصلت معراته إليهم ، فاجتمع رجال الحي إلى عمه ، وقالوا : كُفعنًا مجنونك ، فقال : لا تُلبسُوني عارًا وأمهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل ، فقالوا : أنت وذاك . ثم أرسل إليه عمه : إنى آليت أن لا أزوّج ابنتي هذه إلا ممن يَسُوق إليها ألف ناقة مَهْراً ، ولا أرضاها إلا من نُوق خزاعة .

وكان غرض العم أن يَسْلك بِشْر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسُهُ الأَسد، لأَن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق، وكان فيه أَسدُ يُسَمَّى «داذًا» وحيةٌ تُدْعى «شجاعا» يقول فيهما قائلهم:

أفتك من « داذ » ومن « شُجَاع » إِن يكُ داذ سَيِّد السِّباع فإنها سيِّدة الأَفاعي

ثم إِن بِشْرًا سلك ذلك الطريق، فما نصفه حتى لتى الأَسد، وقمص مُهْرُهُ فنزل وَعَقَرَهُ ، ثم اخترط سيفه إلى الأَسدواعترضه وقطعه ، ثم كتب بدم الأَسد على قميصه إلى ابنة عمه :

وقد لاق الهزبرُ أَخاك بِشْرا هزَبراً أَغلباً لاق هزبرا محاذرةً، فقلت: عقرُت مُهْرا أفاطمُ لو شهدت ببطن خَبْت إِذًا لرأَيْتِ ليْثاً أَمَّ ليثاً تبهنسَ حين أَحْجمَ عنه مُهْرى

أَنِلْ قَدَمَى ظهر الأَرض إنى وقلْتُ له وقد أَبْدَى نِصَالاً يُكَفْكِفُ غِيلةً إحدى يديه يُدِلُّ بمِخْلب وبحدٌ ناب وفى يُمْنَاي ماضي الحد أَبغي أَلِم يَبْلغْك ما فعلت ظباه وقلبي مثل قلبك ليس يخشى وأنت ترُومُ للأَشبال قوتاً ففيم تُسُوم مثلي أن يولى نصحتك فالتمش ياليث غيرى فلما ظن أن الغش نُصْحى مَشَى ومشبت من أسدين راما هَزَزْتُ له الحسام فخلْتُ أَنى وجُدْت له بجائشة أرته وأطلقت الْمُهنَّد من عميني فَخر مجنْدُلا بدَم كأنِّي وقلت له: يَعزُّ على أُنِّي ولكن رُمت شيئًا لم يرُمُه تُحَاوِل أَن تَعَلِّمْنِي فرارًا فلا تجزع فقد لا قيت حُرًّا

رأيتُ الأرض أثبت منك ظَهْرا مُحَددة ووَجْهاً مكفهرا وَيَبِسُط للوثوب على أُخرى وباللحظات تحسبهُنَّ جَمْرا مضربه قراع الموت أثرا بكاظمة غداة لَقيتُ عَمْرا مُصاوَلةً ، فكيف يخاف ذُعرا وأَطلُبُ لابنة الأَعمام مهرا ويجعل في يديك النَّفس قسرا طعاماً إن لحمى كان مُرَّا وخالفني كأنى قلت هُجرا مَرَاماً كان إذ طلباه وعرا سللت به لدى الظلماء فجرا بأن كذَبَتْه ما مَذَّتْه عذرا فَقَدَّ له من الأَضلاعُ عشرا هدمت به بناء مُشْمَخِرا قتلت مُنَاسِي جَلدًا وفخْرا سواك فلم أطق يا ليث صبرا لعمر أبيك قد حاولت نكرا يحاذر أن يُعاب فمُتَّ حُرًّا

فلما بلغت الأبيات عمه ندم ، على ما منعه تزويحها ، وخشى أن تغتاله الحبة ، فقام فى أثره وبلغه ، وقد ملكته سورة الحية .

فلما رأى عمه أخذته حمية الجاهلية ، فجعل يده في فم الحية وحكَم ميفه فيها وقال :

بِشْرٌ إِلَى المجد بعيد همه لمَّا رآد بالعراءِ عمّه قد ثكلتْهُ نفسه وأُمه جاشت به جائشةٌ تهمه قام إلى ابن للفكل يؤمه فغاب فيه يده وكُمُّه ونفسه نفسي وسمِّي سمه

فلما قتل الحية قال عمه : إنى عرضتك طمعاً فى أمر قد ثنى الله عنانى عنه ، فارجع لأُزوجك ابنتى .

فلما رجع جعل بشر يملاً فمه فخرًا حتى طلع أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً في سلاحه . فقال بشر : إنى أسمع حس صيد وخرج ، فإذا بغلام على قيد فقال : ثكلتك أمك يابشر أن قتلت دودة وبهيمة تملاً ماضغيك فخرًا ، أنت في أمان إن سلمت عمك ، فقال بشر : مَنْ أنت ؟ لا أم لك . قال : اليوم الأسود والموت الأحمر . فقال بشر : ثكلتك من سلحتك . فقال : يابشر ومن سلحتك . وكر كل واحد منهما على صاحبه ، فلم يتمكن بشر منه ، وأمكن الغلام عشرين طعنة في كُلية بشر ، كلما مسه شبا السنان حماه عن بدنه إبقاء عليه ، عمرين طعنة في كُلية بشر ، كلما مسه شبا السنان حماه عن بدنه إبقاء عليه ، ومحه ، واستل سيفه فضرب بشرًا عشرين ضربة بعرض السيف ، ولم يتمكن بشر من واحدة . ثم قال : يا بشر سلم عمك واذهب في أمان . قال : نعم . ولكن على شريطة أن تقول لى من أنت . فقال : أنا ابن المرأة التي دلّتك على ابنة عمك فقال بشر :

تلك العصا مَن هذه العُصية ﴿ وهل تلد الحيَّةُ إِلَا الحيَّةُ وَاللهِ الحَيَّةُ وَاللهِ الحَيَّةُ وَحَلفُ لاركب حصاناً ، ولا تزوج حصاناً ، ثم زوج ابنة عمه لابنه ﴿

الفن السادس: في الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعل حدثًا، أو أمكن حدوثهما . وخواصها أربعة : الإِيضاح ، والإِيجاز ، والإِمكان ، والتلطُّف .

فالإيضاح: يكون بتقديم فرش للحديث، وتوطئة للخبر، يُقرِّب مأْخذَ الرواية، وبمُراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد ظُرُوف الخبر مالم يكن لِلرَّاوِي غرضُ لتجاوز هذا النظام، وبالعُدُول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث لأن ذلك يصرف العقل عن الرواية ويذهب برونقها.

والإِيجاز : حذفُ فضول حَشُو الكلام مع انتقاء أَخصِّ الظروف وأَنسبها للغاية ، ولا بـأْسَ بالإِطناب إذا ما دعًا إليه مُقتضى الحال .

والإمكان : ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع .

والتلطُّف في الرواية : أَن يَبلغ الكاتبُ كُنْهُ القلوب ، ويأْخذَ بمجامع اللَّبِّ بأَن ينتقل فيها من حال إلى حال لأَن النفس قد جُبلتْ على محبة التحوُّل ، وَطُبعت على إيثار التنقل .

وللرواية ثلاثة أَجزاء :صدرُها ،وعقدتها ، وختامُها . فالصدر : التوطئة للواقع بحيث يقف السامع على أسهاء الأشخاص وطباعِهم ،وعلى مكان الواقع وسوابق العمل .

والعقدةُ: هي الجزء الذي على مِحْوره تدور الرواية ، وهو المجال الأوسع الذي تتقابلُ فيه الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعجُ الشوق للوقوف على عاقبة الأمر ، فتنتقل من الرجاء إلى الخوف ، ومن الفرح إلى الحزن .

والختام: الجزء الأخير من الرواية الذى به تُفُكِّ الإِرْبة وتُحل رِباق الحديث فتنال النفوس بذلك مرامها وتفوزُ بوطرها، وسِمتُه أن يكون فُجَائياً مُرْتبطاً مع ما قبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضى به النفوس، وترتاح إليه القلوب، وشواهدالرواية كثيرة لانطيل بذكرها، أفردها الأدباء بالتآليف العديدة، ولنذكر هنا بعض مُلح لا يستغنى عنها المقام.

ليلى الأُخيلية مع الحجاج

روَى بعضهم : أنه بينها كان الحجَّاج في مجلس، ومعه عُنْبسة بن سعيد، إذ دخل الحاجب فقال: امرأةٌ بالباب، فقال له الحجاج: أَدخِلها ؛ فدخلت فلما رآها الحجاج طأطاً رأسه حتى ظننت أن ذقنَه قد أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قدأسنَّت ، حسنة الْخَلق ، ومعها جاريتان لها وإذاهي ليلي الأُخيليَّة ، فسأَلها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها :ياليلي ما أَتَى بِكَ ؟ فقالت : إِخلافُ النجوم وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدَّة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرِّفد ، فقال لها ، صنى لنا الفجَاجُ ، فقالت : الفجاج مُغبَّرة ، والأَرض مقشعِرَّة ، وَالمُبْرَكُ معتل ، وذى العيال مختلّ ، والهالك للقل والناس مسنتون، رحمةَ الله يرجون، وأصابتنا سنُون مجحفة مُبلطة، لم تدع لنا هُبَعاً ولا ربعاً ، ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ، ومزَّقت الرجال وأهلكت العيال ، ثم قالت : إنى قلت في الأمير قولاً ، قال : هات ؛ فأنشأت تقول :

أُحجًّا ج لا يفلل سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث يراها ولا الله يُعْطى للعُصَاة مُناها تتبع أقصى دائها فشفاها غلام إذا هزَّ القناة سقاها دماء رجَالِ حبث مال حشاها أُعدُّ لها قبل النزول قِرَاها بأيدى رجال يحلبون صراها ببَحر ولا أرضٍ يَجف ثراها

أُحجَّاج لا تعط. العُصَاة مناهم إذا هبط الحجَّاج أرضاً مريضة شفاها من الدَّاءِ العُضالِ الذي مها ستماها فَرَوَّاها بِشرْب سجاله إذا سمع الحجَّاج رز كتيبَةٍ أُعدُّ لها مَصْقولةً فارسيةً فما ولد الأبكار والعون مثله

قال: فلما قالت هذا البيت، قال الحجاج: قاتلها الله، ما أصاب صِفَتى شاعرٌ منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفتِ إِلى عَنْبسة بن سعيد فقال : والله إِنى لأَعد للأَمر عسى أن لا يكون أبدًا ، ثم التفت إليها فقال : حَسْبُك ، قالت : إنى

قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبك ، وَيْحَكَ حسبُك ، ثم قال : ياغَلام اذهب بها إلى فلان ، فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير اقطع لسانها . قال : فأمرَ بإحضار الحجّام ، فالتفتت إليه فقالت : ثُكَلَّتُكُ أُمك أَما سمعت ماقال ؟ إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة ، فبعث إليه يستثبتُهُ ، فاستشاط الحجاج غضباً ، وَهُمَّ بقطع لسانه ، وقال : اردُدها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد (وأمانة الله) يَقطع مِقولى ، ثم أَنشأت تقول :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفة والمستغفر الصمد حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نور في الدجي يَقدُ

ثم أُقبل الحجاج على جُلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأَّمير ، إنا لم نرَ قطُّ. أَفصحَ لساناً ، ولا أحسن مُحَاورة ، ولا أَملحَ وجهاً ، ولا أَرْصَنَ شَعَرًا مِنْهَا . فقال : هذه ليلي الأَّخيلية التي مات توبة الخفاجي من حُبها، ثم التفت إليها فقال: أنشدينا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة، قالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

وهل لَيْلَى تبكِينِي إِذَا مِت قبلها وقام على قبرى النساءُ النوائح كما لو أصاب الموتُ ليلي بكيتُها ﴿ وَجَادَ لَهَا دَمُّ مِنَ الْعَيْنِ سَافَحُ ۗ وَأُغْبَطُ. من ليلي عا لا أناله بلَّي كل ماقرّت به العينُ طائحُ ولو أَن ليلي الأَخيلية سلَّمت عَلَى ودونى جَنْدَلُ وصفائحُ لسلَّمتُ تسليم البشاشة أو زَقا إليها صدَّى من جانب القبر صائحُ

ثم قال : سلى يا ليلى تُعطى ، قالت : أعطِ فمثلُك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زِدْ ، فمثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون، قالت : زِدْ فمثلُك زاد فأكمل ، قال : لكِ ثمانون ، قالت : زِدْ فمثلُك زاد فتمم ، قال : مانة واعلمي أنها غنم، قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنتَ أَجْوَدُ جودًا، وأمجد مجدًا، وأورى زندًا من أن تجعلها غنما ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت :

مائة من الابل برُعاتها ، فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : يدفع إلى النابغة الجعدى . قال : قد فعلت . وقد كانت تهجوه ويهجوها . فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائدًا بعبد الملك ، فأتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مُسلم بخراسان فأتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة بقومَس ويقال بحلوان .

بنات الشاعر المقتول

كان لشاعر عدوً فبينا هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق إذا هوبعَدُوّه ؛ فعلم الشاعر أَن عَدُوّه قاتله لا محالة ؛ فقال له : ياهذا ، أَنا أعلم أَن المنيَّة قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتنى أَن امض إلى دارى ، وقِفْ بالباب وقل : « أَلا أَيها البنتان إن أباكما » فقال : سمعاً وطاعة . ثم إنه قتله . فلما فرغ من قتله أَتى إلى داره ، ووقف بالباب وقال : « أَلا أَيها البنتان إن أباكما » فرغ من قتله أَتى إلى داره ، ووقف بالباب وقال : « أَلا أَيها البنتان إن أباكما » فأجابتاه بفم واحد : « قتيلٌ خُذَا بالثأر ممن أتاكما » ثم تعلقتا بالرجل . ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقرَّ بقتله فقتله .

المرأة المتكلمة بالقرآن الكريم

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبية عليه الصلاة والسلام. فبينا أنا فى بعض الطريق إذ أنا بسواد؛ فتميزت ذاك فإذا هي عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صُوف وخِمَارٌ من صوف. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: «سلام قولاً من رب رحيم » فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت: «ومن يُضلل الله فلا هَادِي لَهُ » فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تُريدين ؟ قالت: «سُبحان الذي فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تُريدين ؟ قالت: «سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » فعلمت أنها قد قضت حَجَّتها وهي تريد بيت المقدس. فقلت لها: أنتِ مُنذ كم في هذا الموضع ؟ قالت: «ثلاث ليال سَويًا » فقلت نها أرى معك طعاماً تأكلين. قالت:

« هو يُطعمُني ويسقين » فقلت : فبأَى شيءٍ تتوضئين ؟ قالت : « فإِن لم تجدوا ماءً فتيمُّمُوا صعيدًا طيِّباً » فقلت لها: إِن معى طعاماً فهل لك في الأُكل ؟ قالت: «ثم أَتمُّوا الصِّيام إلى الليل» فقلت: ليس هذا شهر رمضان. قالت: « ومَنْ تَطَوَّعُ عَ خيرًا فإن الله شاكر عليم » فقلت : قد أبيح لنا الإِفطار في السَّفَر . قالت: «وأَن تصوموا خيرٌ لكم إِن كنتم تعلمون » فقلت: لِمَ لا تكلميني مثل ما أكلمك ؟ قالت: «ما يلفظُ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد » فقلت: فمن أى الناس أنت ؟ قالت : «ولا تَقْف ما ليس لك به علم أإن السَّمع والبصر والفواد كُلُّ أُولئك كان عنه مسئولا » فقلت : قد أُخطأت فاجعليني في حلّ . قالت : « لا تثْرِيبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم » فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدرِكي القافلة ؟ فقالت : « وما تفعلوا من خير يَعْلمه الله » قال : فأَنَخْت ناقتي قالت: « قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم » فغضضت بصرى عنها ، وقلت: آركي . فلما أرادت أن تركب نفرَت الناقة ، فمزقت ثيابها فقالت : « وما أصابكم من مصيبة فَبا كسبت أيديكم» فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها، قالت « ففهُّ مناها سليان » فعقلت الناقة وقلت لها : أركبي فلما ركبت قالت : «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كُنَّا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » قال: فأُخذت بزمام الناقة وجعلت أُسرع وأُصيح ، فقالت : « واقصدْ في مُشيك واغضض من صوتك » فجعلت أمشى رويدًا رويدًا وأَتَرَنم بالشُّعْر ، فقالت : « فاقر عُوا ما تيسر من القرآن » فقلت لها: لقد أُوتيت خيرًا كثيرًا قالت: «وما يذَّكَّر إِلا أُولُو الأَلباب » فلما مشيتُ بها قليلاً قلت : أَلَكِ زَوجٌ ؟ قالت «يَا أَيها الَّذِينِ آمنوا لاتسأَّلوا عن أشياء إِن تُبْدَ لكم تَسُوُّكُم » فسكَتَّ ولم أُكُلمها حتى أُدركت بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت : «المال والبنونَ زينةُ الحياة الدنيا » فعلمتُ أن لها أولادًا ، فقلتُ : وما شأنهم في الحجِّ ؟ قالت: «وعلاماتٍ وبالنَّجْم هم يهتدون » فعلمت أنهم أدلَّاءُ الركب فقصدت بها القِبَاب والعمارات فقلت: هذه القباب فمن لَك فيها ؟ قالت:

«واتّخذ الله إبراهم خليلا» «وكلّم الله موسى تكليا» «يايحي خُذ الكتاب بقُوَّةٍ» فناديت يا إبراهيم ياموسى يا يحيى فإذا أنا بشُبَّان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس، قالت: «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه» فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدى ، وقالت: «كلُوا واشربوا هنيئاً عا أسلفتم فى الأيام الخالية ، فقلت: الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها. فقالوا: هذه أمنا منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ، مخافة أن تَزل فيسخط عليها الرحمن ، فسبحان القادر على ما يشاء ، فقلت: «ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

مروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير

روَى عُقيل بن خالد عن ابن شهاب أنَّ مروان بن الحكم وعبد الله بن الزَّبير اجتمعا ذات يوم فى حُجرة عائشة (والحجابُ بينهما وبينها) يُحدثانها ويسألانها ، فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة ، وعائشة تسمعُ . فقال مروان :

وليس لمن لم يرفع الله رافع

وبالله ، لا بالأَقربينَ ، أُدافعُ

فلا يستوى قلبان قَاسٍ وخاشعُ

عُتَلُّ لأَرحام العَشيرة قاطعُ

يبيتُ يُنَاجِي ربَّه وهو راكعُ

فمن يَشَا الرحمن يَخْفِضْ بقدرِه فقال ابن الزبير:

فَفُوّضْ إِلَى الله الأُمُورِ إِذَا اعْترت فقال مروان :

ودَاوِ ضميرَ القلب بالبرِّ والتُّقى فقال ابن الزبير:

ولا يَسْتَوِى عبدان هذا مُكَذّب فقال مروان :

وعبدٌ يُجَافى جَنْبهُ عن فراشه

فقال ابن الزُّبير:

وللخير أَهْلُ يُعْرَفُون بهديهم إذا اجْتَمَعَتْ عندالْخُطوب المجامعُ

فقال مروان :

وَللشَّرِّ أَهْلُ يُعْرَفُون بشكلهم تُشِيرُ إليهم بالفُجور الأَصابعُ فسكت ابن الزُّبير ولم يُجب، فقالت عائشة: يا عبدالله مالك لم تُجِب صاحبك ؟ فوالله ما سمعت تجاولاً في نحو ما تجاولاتُما فيه أعجب إلى من تجاولكما ، فقال ابن الزُّبير: إنى خِفْت عَوَار القول فكففت .

عُبَيدُ بن الأَبرص ، وامْرُو القيس

قيل : إِنَّ عُبيد بن الأَبرص لتى امرأ القيس يوماً فقال له : كيف معرفتك بالأَوابد ؟ قال : ما أَحببتُ ، فقال :

ما حبَّةٌ قامت عيتتها دَرْدَاء ما أَنبَتتْ نَاباً وأَضراساً

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تُسْتى في سَنَابلها

قد أخرجت بعد طُولِ المكث أكداساً

فقال عُبيد:

مَا السُّودُ والبيضُ والأَسماءُ واحدةٌ لا تسن فقال امرؤ القيس :

تلك السَّحاب إذا الرَّحمٰنُ أنشأها

فقال عُبيد :

ما مُرْتجَاتُ على هَوْلٍ مَرَاكبها فقال امرؤ القيس:

تلك النُّجومُ إِذا حانت مطالعها

لا تستطيعُ لهنَّ النَّاسُ تمساسًا

رَوَّى بِهِنَّ مُحول الأَرض أيباسَا

يقطُنّ بعد المدى سيرًا وأمراسًا

شُبُّهتها في سواد الليل أقباسًا

فقال عُبيد:

ما القاطعاتُ لأَرضُ لا أنيسَ بها

فقال امرؤ القيس:

تلك الرِّياحُ إِذَا هَبَّت عواصِفُهَا فقال عُمد:

ما الفاجعاتُ جهارًا في علانية فقال امرؤ القبس:

تلك المنايا فما يبقينَ من أَحَلِ

ما السَّابقات سِرَاعُ الطير في مهل فقال امرؤ القيس:

تلك الجياد عليها القوم مُذْ نتجت فقال عُبيد:

ما القاطعات لأرض الجو في طلق فقال امرؤ القيس :

تلك الأَماني يتركن الفَتَى ملكاً فقال عُمد :

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمن أرسلها

أَبو تراب ، والشَّرِيف العَبَّاسي

اجتمعَ يوماً أبو تراب هبةُ الله بن السريجي ، والشريف العباسي وكانا شاعرين

تأتى سِرَاعاً وما يرجِعْن أَنكاسا

كفى بأذيالها للترب كُنَّاسَا

أشدٌ من فَيلق ملحُومة باسا

يأْخذن حَمْقي وما يُبقين أكياسًا

لا يشتكين ولو طال المدى باسًا

كانوا لهنَّ غداة الرَّوْعِ أَحلاسًا

قبل الصباح وما يسوين قرطاسا

دون السماء ولم تُرْفَع له راسًا

ولا لسان فصيح يُعجبُ النَّاسَا

ربّ البرية بين الناس مقياسًا

فقال أُبو تراب :

أسلوت حبّ بُدُورَ أَم تتجلّد فأجاب الشريف بديها :

لَا بِل هُمُ أَلِفُوا القَطِيعَةَ مثل ما

فقال أَبُو تراب :

فَإِلَامَّ تصبرُ والفُؤادُ مُتَيَّمُ فَا فَا السَّريف : فَأَجابِ السَّريف :

ما دام لى جلد فلستُ بجازع ٍ فقال أَبو تراب :

أحسنت! كتمان الهوى مُستحسن فأحاب الشريف:

إِنْ كَانَ جَفْنَى فَاضَحَى بِدَمُوعَهُ فَقَالَ أَنِهُ تُوابُ:

فهبِ الدموعَ إِذَا جَرَتَ مُوَّهُمُهُا فأَجابُ الشريفُ:

أَمْشِي وأُسرعُ كي يظنُّوا أَنها فقال أبو تراب :

هذا يجوزُ ومثله مُسْتعملٌ فأَجاب الشريف:

إن كان وجهى شاهدا بهوًى فما فقال أبو تراب:

إخضع وذل لمن تحبّ فليس في

وسهرت ليلك أم جُفُونكَ ترقد

أَلِفُوا نزُولهم بها فَتبَعَّدوا

ولظى اشتياقِكَ في الْحَشَى يتوقد

إذ كان صبرى في العواقب يُحمد

لو كان ماءُ العين مما يجمد

أَظهرت للجُلساءِ أَني أُرمَد

فيقال لِمَ أَنفاسُهُ تتصعد

من ذلك المشي السَّريع تولد

لكنَّ وجهك بالمحبة يشهد

يدرى إلى مَنْ بالمحبَّة أَقْصِد

حُكْم ِ الهوى أَنفُ يَشَالُ ويعقد

فأجاب الشريف:

ذا لا يكُونُ مع الحبيب وإنما مع ساقط. مُتَحَيِّل يتعمّدُ المأمونُ والمرأة المُتَظَلِّمةُ

جلس المأمونُ يوماً للمظالم فكان آخرُ من تقدم إليه ، وقد هَمَّ بالقيام امرأةً عليها هيئة السفر ، وعليها ثيابٌ رثَّةٌ فوقفتْ بين يديه فقالت: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فنظر المأمون إلى يحيى(١) بن أَكْثُمَ ، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله ، تكلُّمي في حاجتك ، فقالت :

ياخيْرَ مُنْتُصِفْيُهُدَى له الرّشد ويا إِمَاماً به قد أَشْرَقَ البِلَدُ تشكُو إليك عَميدَ القوم أَرْمُلَةٌ عدا عليها فلم يترك لها سبد (٢)

وابْتَزُّ مِنِّي ضياعي حتى مُنِعْتُهَا ظُلْماً وفَرَّق مِنِّى الأَهل والولد

فأُطرق المأمون حيناً ثم رفع رأْسَهُ إليها وهو يقول:

في ذُونِ مَا قلت زال الصبر والْجَلَدُ عَنِّي وَأُقرح منى القلب والكَبِدُ هذا أَوَانُ صَلاة العصر فانصرفي وأُحْضِرِي الْخَصْمِ في اليوم الذي أعِدُ

والمجلس السبت إن يُقضَ الجلوس لنا نُنْصفك منه وإلا المجلسُ الأَحَدُ (٣)

فلما كان يومُ الأَّحد جلس فكان أولُ مَنْ تقدم إليه تلك المرأة فقالت: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فقال: وعليك السلام ، أمن الخصم ؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه فقال : يا أحمد بن حالد خُذْ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامُها يعلو كلام العباس. فقال لها أحمد بن خالد: يا أمة الله إنك بين يدى أمير المؤمنين وإنك تكلِّمين الأمير فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعْهَا

⁽١) يحيى بن اكثم قاضى قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكثم ابن صيفى توفى سنة ٢٤٢ (٢) أصل السيد: القليل من الشسعر ، ويقال ما له سبد ولا لبد أي لا قليل ولا كثير (٣) قوله: وآلا المجلس . استقط منه فاء الجواب للضرورة .

يا أحمد ، فإن الحق أنطقها و أخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، و أمر بالكِتاب لها إلى العامل ببلدها أن يُوفِّر لها ضيعتها ، ويُحسن معونتها وأمر لها بنفقة . عمر بن الخطاب ، والهرمزان

لا أتى بالهرمزان أسيرًا إلى عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحبُ رئيسهم، فقال له عمر: أعرضُ عليك الإسلام نصحاً لك في عاجلِك و آجلك، قال: يا أمير المؤمنين إنما أعتقِدُ ما أنا عليه، ولا أرْغَب في الإسلام فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله، قال يا أمير المومنين شربة من ماع في الإسلام فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله، قال يا أمير المومنين شربة من ماع أفضل من قتلى على ظمأ، فأمر له بشربة من ماء، فلما أخذها قال أأنا آمِن حتى أشربها ؟ قال: نعم، فرمى بها وقال: الوفاءُ ياأمير المؤمنين نور أبلج، قال: صَدَقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك، ارْفعُوا عنه السيف، فلما ورسوله وما جاء به حق من عنده، فقال عمر: أسلمت خير إسلام فما أخرك؟ قال: كرِهْت أن تظن أنى أسلمت جزعاً من السيف، فقال عمر: إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك، ثم أمر به أن يُبرّ ويُكْرَم، وكان بعد يشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس.

إِبراهيم بن المَهْدِي ، وابن بختيشوع

قال العُنْبى: تنازع إبراهيم بن المهدى وابن بختيشوع الطبيب بين يدى أحمد بن أبى دُوَّاد فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد ، فأربى (١) عليه إبراهيم وأغلظ له (٢) فأغضب ذلك ابن أبى دوًاد فقال :

يا إبراهيم إذا نازعت في مجلس الحكم امرءاً فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ولا أشرت بيد ، وليكن قصدُك أمماً (٣) وريحك ساكنة ، وكلامك مُعتدلاً ،

⁽١) أربى عليه : زاد · (٢) أحفظه: أغضبه ، والحفيظة : الحميــــة (٣) الأمم : البين من الامر والوسط ·

ووفّ مجالس الخليفة حُقوقها من التعظيم والتوقير والاستكانة والتَّوجُّهِ إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل بمذهبك في مَحتدك (١)، وعظيم خَطرك ولا تعجلن فرُب عجلة تَهبُ ريثاً (٢)، والله يَعْصِمُك من خطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إن ربك حكيم عليم.

فقال إبراهيم: أَصْلَحَك الله ، أمرت بسداد ، وَحَضَضت على رشاد ، ولست عائدًا لما يَثْلِم (٣) مُرُوعَق عندك ، ويُسْقِطني من عينيك ، ويُخْرِجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فهأَنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مُقِرّ بذنبه مُعترف بجرمه ، ولا يزال الغضب يستفزني (٤) ببوادره ، فيردني مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ، وقد جعلت حقى في هذا العقار لابن بختيشوع فليت ذلك يكون وافياً بأرش (٥) الجناية عليه «ولم يتلف مال بختيشوع فليت ذلك يكون وافياً بأرش (٥) الجناية عليه «ولم يتلف مال أفاد مَوْعظة » حَسْبُنَا الله ونعم الوكيل .

الأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم

قيل لِلأَحنف بن قيس: ثمن تعلمت الحلم ؟ قال: من قيس بن عاصم المِنْقرى رأيتُه قاعدًا بفِناء داره مُحْتبياً (٦) بحمائل سيفه يُحَدِّث قومه حتى أتي برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فو الله ما حَل حبوته ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له: يا ابن أخى أَسأت الى رحمك، ورميت نفسك بسهمِك، وقتلت ابن عمّك، ثم قال لابن له آخر: قُمْ يا بُني فحل كتاف ابن عمك ووار أخاك، وسُق إلى أُمّه مائة ناقة دِية ابنها، فإنها غريبة أي ثم أنشأ يقول:

إِنِي امْرُؤٌ لا يطبى حسبى دَنَسٌ يُهَجِّنُه ولا أَفَنُ (٧)

⁽۱) المحتد: الأصل (۲) الريث: الابطاء والمقدار (۳) ثلم الاناء: كسره من حرفه (۶) استخفه وازعجه (۵) الأرش: الدية وما يعطى تعويضا (۲) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أور نحوها ، والاسم من ذلك الحبوة (۷) اطباه: دعاه واستهواه . والأفن: ضعف الراى وفعله كفرح

والغُصْنُ يَنْبت حوله الغُصْن بيضُ الوجوه مصاقعٌ لُسنُ(١) وهم لحِفظ. جواره فطنُ(٢)

من مِنقَر في بيت مَكْرُمة خطباءُ حين يقول قائِلُهم لا يفطِنون لعيب جارهم

معن بن زائدة وجاره بين يدى المهدى

قال سعيد بن مسلم : نذر المهدى دم رجُل من أهل الكوفة ، كان يَسْعى في فساد سُلطانه ، وجعل لن دل عليه أو جاء به مائة ألف درهم ، فأقام الرجل حيناً مُتُوارِياً ثُم إِنه ظهر بمدينة السلام(٣)، فكان ظاهراً كغائب خائفاً مترقباً، فبينما هو بمشي في بعض نواحيها إذ بصُرَ به رجل من أهل الكوفة فعرفهُ ، فأهوى إلى مجامع(٤) ثوبه ، وقال : هذا بُغْية أمير المؤمنين فأمكن الرجُل من قياده ، ونظر إلى الموت أمامه ، فبينما هو على تلك الحال ، إذ سَمِع وقع حوافر الخيل من وراءِ ظهره فالتفت فإذا معن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به : وما شأنك؟ قال : بغية أُمير المؤمنين الذي نذر دمه ، ' وأُعطى لَمْن دلُّ عليه مائة أَلف درهم ، فقال : يا غلام انزل عن دابتك واحْمِل ، أخاذا ، فصاح الرجل يا معشَر الناس يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين! قال معن : اذهب فأخبره أنه عندى ، فانطلق إلى باب أمير المومنين فأخبر الحاجب فدخل إلى المهدى فأخبره فأمر بحبس الرجل ، ووجَّه إلى معْنَ من يحضر به ، فأتته رُسل أمير المومنين وقد لبس ثيابه وقُرِّبت إليه دابته فدعا أهل بيته ومواليه ، وقال : لا يُخلصن إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف(٥)، ثمم ركب ودخل حتى سلم على المهدى ، فلم يَرُد عليه وقال : يا معن أُتجير على ؟ قال : نعم

⁽۱) رجل لسن وألسن فصيح ، ويجمع ألسن على لسن كأحمر وحمسر (۲) فطن : جمع فطن . كجون : جمع جون ، وهذا جمع نادر (۳) مدينة السيلام : هي بغداد ، أو قسم منها (٤) مجامع الثوب : ما أحاط بالجيب ويقال لها تلابيب (٥) طرفت العين : تحركت

يا أمير المؤمنين ، قال : ونعم أيضاً ؟ واشتد غضبه ، فقال معن : يا أمير المؤمنين قتلت في طاعتِكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولى أيام كشيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن غنائي ، فما رأيتموني أهلاً أن تَهَبُوا لى رجلاً واحداً استجار بي ؟ فأطرق المهدى طويلا ثم رفع رأسه وقد سُرِّي(١) عنه فقال : قد أَجَرُنا من أَجَرُت ، قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، فعل ، قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف ، قال : يا أمير المؤمنين إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم المؤمنين إن صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل الصّلة ، قال : قد أمرنا له بمائة ألف ، قال فتعجلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدُّعاء ثم انصرف ولحقه المال ، فدعا الرجل وقال له : خُذْ صلتك والحق بأهلك وإيّاك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

معن بن زائدة والأُسود

روی مروان بن أبی حفصة عن معن بن زائدة أنه قال : لما جد المنصور فی طلبی ، وجعل لمن يحملی إليه مالاً ، اضطررت لشدة الطلب أن تعرضت للشمس حی لوحت (۲) وجهی ، وخففت عارضی (۳) ، وليست جُبَّة صوف ، وركبت جَملاً وضرجت متوجها إلى البادية لأقيم بها ، فلما خرجت من باب حَرْب ، وهو أحد أبواب بغداد ، تبعنی أسود متقلد سيفاً ، حتی إذا غِبت عن الحرس قبض علی خطام الجمل فأناخه وقبض علی يدی ، فقلت له : ما بك ؟ فقال : أنت (٤) طلبة أمير المؤمنين ، فقلت : ومن أنا حتی أطلب ؟ فقال : أنت معن بن زائدة ، فقلت له : يا هذا ، اتّق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا ، فقلت له : يا هذا ، اتّق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال : عقد جوهر ، فإنى والله لأعرف بك منك ، فلما رأيت منه الجد قلت له : هذا عقد جوهر ، في والله لأعرف بك منك ، فلما رأيت منه الجد قلت له : هذا عقد حوهر ، قاد حملته معی بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بی فَخذه ولا تكن سبباً قد حملته معی بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بی فَخذه ولا تكن سبباً

⁽۱) سرى عنه الهم: انكشف وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور (۲) لوحه العطش والسفر: غيره ولوحت وجهه الشمس: غيرت لونه . (٣) العارضان جانبا الوجه ، وما يكون عليهما من اللحيسة (١) الطلبة: الحاحة وما بطاب .

لسَفْك دمى، قال : هاته، فأخرجتُه إليه، فنظر إليه ساعة وقال : صَدقت في قيمته ولست قابله منك حتى أساًلك عن شيء فإن صدقتنى أطلقتك ، فقلت : قل ، قال : إنَّ الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبت مالك كله قطُّ. ؟ قلت : لا ، قال : فَتُلْنَه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العُشْر ، فاستَحْيَيت وقلت : أظن أنى قد فعلت هذا ، قال : ما ذاك بعظيم ؛ أنا والله واجل (١) ، ورزقى من أنى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر ولتعلم أنَّ في هذه الدنيا مَنْ هو أجودُ منك فلا تعجبك نفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم أنَّ في هذه الدنيا مَنْ هو أجودُ منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا ولسَفْك دمى على أهون مما فعلت ، فخذ ما دفعتُه لك فإنى غَنيَّ عنه ، فضحك وقال : أردت أنْ تكذّبنى في مقالى هذا ، والله لا أخذتُه ولا آخذ لعروف ثمنا أبدًا ، ومضى لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ ، وبذلت لمن يجيء به ما يشاء ، فما عرفت له خبرًا ، وكأنَّ الأرض ابتلعته .

معاوية والأعرابية

خرج معاوية مُتَنَزِّها ، فمرَّ بحواء (٢) ضَغْم ، فقصد قصد بيت منه ، فإذا بفنائه امرأة بَرْزَة (٣) ، فقال لها : هل من غداء ؟ قالت : نعم حاضر ، قال : وما غداؤك ؟ قالت : خُبْزُ خمير ، وماء نمير ، وحيْسُ (٤) فطير ، ولبن هَجِير (٥) ، فقنى وَرِكه ونزل ، فلما تغَدَّى قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل الحواء ، قال : هات حاجتك فى خاصة نفسك ، قالت : يا أمير المؤمنين إنى أكره أن تنزل وادياً (٦) فيرَفَّ أولُه ويقف آخرُه (٧) .

⁽١) الراجل: غير الراكب (٢) الحواء ككتاب: جماعة البيوت المتدانية (٣) البرزة من النساء: الكهلة الجليلة تبرز للقوم وتحدثهم مع العفية (٤) الحيس: تمر بخلط بسمن ولبن ممخوض (٥) الهجير: الخائر من اللن (٦) رف النبات: اهتز (٧) قف النبات: يبس

الأَحنف بين يدى معاوية

وَفَدَ الأَّحنف بن قيس على مُعَاوية مع أَهل العراق ، فخرج الآذنُ فقال إِن أَمير المؤمنين يَعْزِم عليكم أَن لايتكلم أَحدٌ إِلالنفسه ، فلما وصلوا إِليه قال الأَّحنف : لولا عَزْمة أمير المؤمنين لأَخْبَرْتُه أَن داقَّة دفت(١) ، ونازلة نزلت ، ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرِّه ، فقال معاوية : حَسْبُك يا أَبا بَحْرِ فقد كفيت الشاهد والغائب .

الأَّحنف بين يدى عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب في أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، فتكلّموا عنده في أنفسهم وما يَنُوب كلّ واحدٍ منهم ، وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق وإخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر (٢) ، فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حُولاءِ السّلى (٣) وحَدَقة (٤) البعير ، تأتيهم ثمارهم عَضَّة (٥) لم تَخصُر وإنا أنزلنا أرضاً طَرَف في فكرة ، وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة (٦) لا ينجف ثراها ، ولا يَنْبُت مرعاها ، يخر ج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة عثل ذلك تُرَنِّق (٧) لولدها ترنيق العَنْز ، تخاف عليه العدة والسّبُع فإلا ترفع خسيستنا ، وتنْعَش (٨) ركيستنا ترنيق العَنْز ، تخاف عليه العدة والسّبُع فإلا ترفع خسيستنا ، وتنْعَش (٨) ركيستنا

⁽۱) يقال: دفت دافة أى أتت فئة مهاجرة (۲) بنو الأصفر عند العرب: هم الروم (۳) السلى غلاف رقيق يكون فيه المولود ، والحولاء: جلدة خضراء مماوءة ماء تخرج مع الولد وهذا يكنون به عن الخصب وكثرة الما ءوالخضرة (٤) قال فى اللسان: وفى حديث الأحنف نزلوا فى مثل حدقة البعير أى نزلوا فى خصب وشبهه بحد قة البعير لأنها ريا من الماء (٥) غضة: طرية (٦) ارض سبخة نشاشة: لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها .

وتَجْبُرُ فاقتنا ، وتزِدْ في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ، وتُصَغِّر درهمنا ، وتكبر قفيزنا(١) ، وتأمرلنا بحفر نهر نستعذب به الماءو إلا هلكنا ، فقال عمر : هذاوالله السيد ؟ هذا والله السيد! ثم كتب إلى أبي موسى الأشعرى أن يحتفر لهم نهرًا . أُسَيِّد بن عنقاء _ وعميلة الفزارى

كان أسيدبن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه ، وأشدهم عارضة ولساناً ، وطال عمره ، ونكبَه دهره ، واحتلت حاله ، فخرج عشية يتبقل (٢) لأهله ، فَمَرّبه عميلة الفزارى ، فسلم عليه وقال : ياعم ما أصارك إلى ما أرى ؟ قال بُخْل مثلك بماله ، وصَوْن وجهي عن أموال الناس ، فقال : لثن بقيتُ إِلى غَلِهِ لأُغَيِّرَن ما أرى من حالك ، فرجع ابن عنقاء إلى أهله ، فأُخبرها بما قال له عُميلة ، فقالت له : لقد غَرك كلام غلام، في جنح ظلام (٣) فكأَنما أَلقمَتْ فاه حجرًا، فبات مُتَمَلْمِلاً بين رجاء ويأس ، فلما كان السحر سمع رُعَاءَ الإبل وثغاء الشاة وصهيل الخيل وَلَجَب الأُموالَ (٤) فقالَ : مأهذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيلة ، ساق إليك مَالهُ ، فخرج ابن عنقاء له ، فقسم عُميلة ماله شطرين ، وساهمه (٥) ، عليه ، فأنشأ ابن عنقاء يقول :

رآني على ما بي عُمَيلة فاشتكى إلى ماله حالى أَسَرٌ كما جَهَرْ على حين لابدوُ يُرَجّى ولا حَضَرْ وأوفاك ما أُبليت من ذم أو شَكَرْ تردّى رِدَاء سابغ الذيل واتزر (٦) له سيمياءُ لا تَشُقُّ على البصر (٧) ذليلٌ بلا ذُل واو شاء لانتصر (^)

دعانی فآسانی ولو ضن لم یُلم فقلت له خيرًا وأَثنيْتُ فعله ، ولما رأى المجد استُعيرتْ ثيابه غلام رَمَاه الله بالخير مُقْبلاً إذا قيلت العَوْرَاء أغضى كأنه

اذا ذكرت في مجلس القوم غائب

يصم عن الفحشاء حتى كأنه

⁽٢) تبقل: خرج يطلب البقل (٣) جنح الليل أو (١) القفيز: مكيال الظلام الطائفة منه (٤) اللجب: الجلبة والصياح واضطراب موج البحر (٥) ساهمه: قارعه أي ضرب القرعة (٦) أتزر من الأزار _ قلبت الهمزة تاء الافتعال (٧) السيما والسيماء ، والسيميا والسيمياء: العسلامة (٨) العوراء: الكلمة القبيحة ، وقرب يقول يفرح به من براه الطف محياه . من هذا البيت قوله:

الفضل وجعفر ابذا يحيى البرمكى

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي (١) : كانت أُمُّ جعفر بن يحيى تزورُ أُمى وكانت لبيبة من النساء، حازمة فصيحة بَرْزَة ، يعجبُني أَن أَجدها عند أُمى فأُستكثر من حديثها، فقلت لها يوماً: يَا أُمْ جعفر، إِنْ بعض الناس يَفضِّل جعفرًا على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر ، فأخبريني ، قالت : ما زلذا نعرف الفضل للفضل فقلت: إِن أَكثر الناس على خلاف هذا، فقالت: هاأنا ذَهْ أحدثك واقض أنت وذلك الذي أردت منها ، فقالت : كانا يوماً يلعبان في دارى ، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم آنسهما بحديثه ، ثم قال لهما : أتلعبان بالشطرنج فقال جعفر وكان أجرأهما : نعم ! قال: فهل لاعبت أخاك بها؟ قال جعفر: لا، قال: فالعبا بها بين يدى لأرى لمن الغلب؟ فقال جعفر: نعم! وكان الفضل أبصر منه بها، فجيء بالشطرنج فصُفَّت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه : مالك لاتلاعبُ أَخاك؟ فقال: لا أُحب ذلك، فقال جعفر: إنه يرى أنه أعلم بها منّى فيأُنف من ملاعبتي ، وأنا ألاعبه مخاطرة ، فقال الفضل لا أفعل ، فقال أبوه : لاعبه وأنا معك، فقال جعفر: رَضِيت، وأبي الفضلُ، واستعني أباه، فأعفاه ـ ثم قالت لى : قد حدثتك فاقض ، فقلت : قد قضيت بالفصل اجعنر على أُخيه ، فقالت : لو عَلِمت أنك لا تحسن القضاء لما حكَّمْتك ، أفلا ترى أن جعفرًا قد سقط. أربع سقطات تنزه الفضل عنهن ؟

فسقط. حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ، وكان أبوه صاحب جِد . وسقط. في التزام مُلاعبة أخيه وإظهار الشهوة لغلبه والتعرض لغضبه .

وسقط. في طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أُخيه .

والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأحيه لاعِبه وأنا معك ، فقال أخوه لا ،

⁽١) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة

وقال هو نعم ؟ فناصب صفًا فيه أبوه وأخوه ؟ فقلت : أحسنت ، والله وإنك لأَفضى من الشعبي ، ثم قلت لها : عزمت عليك أُخبريني هل خُوي مثل هذا على جعفر ؟ وقد فَطِن له أُخوه ، فقالت : لولا العَزْمة لما أُخبرتك ، إِن أَباهما لما خرج قلت للفضل خالية به: ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك ؟ فقال : أمران ؛ أحدهما : لو أني لاعبته لغلبته فأخجلته ، والثاني : قول أبي لاعبة وأنا معك فما يسرني أن يكون أبي معى على أخي ، ثم خلوت بجعفر ، فقلت له : يسأًل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف ، وأبوك صاحب جد ؟ فقال : إنى سمعت أبي يقول : نِعْم لَهْوُ البال المكدود(١) وقد علم ما نلقاه من كدّ التعلم والتأدب ولم آمَنْ أن يكون بلغه أنا نلعبُ بها ، ولا أن يُبادِر فيُنكر فبادرت بالإقرار إشفاقاً على نفسي وعليه . إن كان توبيخٌ فَدَيته من المواجهة به . فقلت له : يا بني . فلم تقول ألاعبه مخاطرة ! كأنك تقامر أخاك وتستكثر ماله . فقال : كلا . ولكنه يستحسنُ الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه فأبى قبولها ، وطمعت أن يُلاعبني فأخاطرهُ عليها . وهو يغلبني فتطيب نفسه بأُخذها . فقلت لها : يا أُمَّاه ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت : إِن جعفرًا دخل على أمير الؤمنين ، فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر، محلاة بالياقوت الأَزرق والأَصفر ، فرآه ينظر إليها فوهبها له . فقلت : إيه . فقالت ثم قلت لجعفر : هبْك اعتذرْتَ بما سمعت . فما عذرُك من الرضا بمناصبة أبيك حين قَالَ لاعبه وأنا معك! فقلت أنت: نعم . وقال هو: لا؟ فقال: عرفت أنه غَالبي. ولو فتر لَعِبُه لتغالبت له ، مع ماله من الشرف والسرور بتحير أبيه إليه. قال محمد ابن عبد الرحمن: فقلت: بَخ يِبَخ يِبَخ إِبَخ إِلَا الله السيادة! ثم قلت لها: يا أُمَّاه، أَكَانَ منهما من بلغ الْحُلُم ؟ فقالت : يا بني ، أين يُذَهب بك ! أُخبرك عن

⁽١) كده: أجهده وأتعبه

⁽٢) يقال: بخ بخ _ وبخ بخ ، اعجابا بالشيء واظهارا للسرور به

صبيين يلعبان، فتقول: «أكان منهما من بلغ الْحُلم» ؟! لقد كنا ننهى الصبي إذا بلغ العشر، وحضر من يُسْتَحَى منه، أن يبتسم.

براعة الرشيد في الأدب

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال: اللهم زُدُهُ من الخيرات ، وابْسُط. له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مُرْبياً على أمْسِه ، مقصِّرًا عن غده .

فقال له الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن المحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحدًا تقدمَنِي إلى هذا المعنى ، قال بل أعْشى همدان حيث يقول :

رأيتُك أمسَ خير بني لُؤَى وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ وأنت غدًا تزيد الخير ضِعفاً كذاك تزيدُ سادةُ عبدشمس

الواثق وابن أبي دؤاد

قال أبو العيناء: دخل ابن أبي دؤاد على الواثق فقال له: ما زال اليوم قوم فى ثلبك ونقصك ، فقال: يا أمير المؤمنين ، لكل امرى منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله ولى جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذَلَّ يا أمير المؤمنين من كنت ناصره ، ولا ضاع من كنت حافظه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال: قلت : آيا أبا عبد الله:

وسعَى إلى بِعيب «عزَّة » معشرٌ جعل الإلهُ خُدُودَهُن نِعَالها

المنصور والربيع بن يونس(١)

قال سعيد بن مُسلم بن قتيبة دعا المنصور بالربيع فقال: سَلْني ما تريد؟ فقد سكت حتى نطقت (٢) وخففْت حتى ثقلت ، وأقللت حتى أكثرت ، فقال: والله يا أمير المؤمنين ، ما أرْهَبُ بخلك ، ولا أستقصِرُ عمرك ، ولا أستصغرُ فضلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن يومى بفضلك على أحسن من أمسى ، وغدك في تأميلي أحسن من يومى ، ولو جاز أن يشكرك مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني في ذلك أحد .

قال : صدقت ، عِلِمى بهذا منك أَحَلك هذا المحل ، فسَلنى ما شئت ؟؟ قال : أَسأَلك أَن تقرُّب عبدك «الفضل» وتُوثره وتُحِبه .

قال : يا ربيع ، إِن الحب ليس بمال يوهب ، ولا رُتبة تُبذل ، وإنما تؤكده الأسباب.

قال : فاجعل لى طريقاً إليه بالتفضل عليه .

قال : صدقت ، وقد وصلتُه بألف ألف درهم ، ولما أَصِلْ بها أَحدًا غير عمومتى لتعلم ماله عندى ، فيكون منه ما يستدعى به محبتى ، وكيف سألت له المحبة يا ربيع ؟

قال : لأَنها مفتاح كل خيرٍ ، ومِغلاقُ كل شر ، تستتر بها عندك عُيوبه وتصير حسناتٍ ذنوبه ، قال : صدقت ، وأتيت بما أردت .

الأعرابي السائل

وقف أعرابي يسأل ، فعيث به فتى ، وقال : مَّنْ أنت ؟ فترال الأعرابي : من بني عامر بن صعْصَعة قال : من أيهم ؟

⁽۱) الربيع بن يونس هو صاحب المنصور توفى سنة ١٧٠ هـ (٢) يقول: انك اطلت السيكوت فنبهت بذلك على نفسك ، فقام السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس ما بعده

قال : إِنْ كَنْت أَردت عاطفة القرابة فليكفك هذا المقدار من المعرفة فليس مقامي بمقام مجادلة ولا مُفاخرة ، وأنا أقول : فإن لم أكن من هاماتهم(١) فلست من أعجازهم .

فقال الفتي : ما رويت عن فضيلتك إلا النقص في حَسَبك.

فامتعض (٢) الأعرابي لذلك ، فجعل الفتى يعتذر ، ويخلط الهزل والدُّعابة (٣) باعتذاره ، وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ! إنك منذ اليوم أدبتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتي بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف من جهلك بكلامك ما كان السكُوت يستره من أمرك ، ويْحَك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدَّث أسقط (٤) ، وإن قدر تسلط وإن عزم على أمر تورَّط (٥) ، وإن جلس مجلس الوقار تبسَّط (٦) ، أعوذ منك ومن حال اضطرتني إلى احتال مثلك .

معاوية والأحنف بن قيس

لما عزم معاوية على البيعة ليزيد ، كتب إلى زياد أن يُوجّه إليه بوفد أهل العراق ، فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلَّمت الخطباء في يزيد والأحنف بن قيس ساكت ، فلما فرغوا ؛ قال : قل يا أبا بحر فإن العيون إليك أشرع(٧) منها إلى غيرك ، فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أمير الؤمنين، إنك أعلَمُنا بيزيد في ليله ونهاره، وإعلانه وإسراره،

⁽۱) الهامات: الرءوس (۲) امتعض: تألم (۳) الدعابة: اللعب والزاح (٤) اسقط: اخطأ (٥) تورط فى الأمسر: وقسع وارتبك. (٦) تبسط: أكثر من القول وجانب الاحتشام (٧) أشرع: ارفع وأكشر نظرا.

غَإِن كنت تعلمُه لله رضاً ، فلا تُشَاوِرْ فيه أحدًا ، ولا تُقِيم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلمُ بُعْدَه من الله ، فلا تُزوِّده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة غإنك تصير إلى يوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأُمِّه وأبيه ، وصاحبَتِه وبنيه ، فكأنه أفرغ على معاوية ذَنوب(١) ماء بارد .

فقال له : أَقعد يا أَبا بحر ، فإن خِيرَة الله تجرى ، وقضاءه يمضى ، وأحكام، تنفُذُ ، لا مُعقِّبَ لُحكمه ، ولا راد لقضائه (٣) ، وإن «يزيلد» فتى بَلَوَذاه ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تَحكى عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب، وإذا أراد الله شيئاً كان .

الحجاج ورسول المهلب

يُروى أن المهلّب (٣) لما فرغ من أمْرِ عبد ربّه الحرُورى (٤) ، دعا بشر بن (٥) مالك ، فأَنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسْمُك؟ قال : بِشْرُ بن مالك ، فقال الحجاج : بشارةٌ ومُلك ، كيف خلفت المهلب ؟ قال : خلفته وقد أمِنَ ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البُداءَة لهم ، والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، فما حال الجند ؟ قال : وسِعَهم الحق وأغناهم النفل (٢) ، وإنهم لمع رجل فما حال الجند ؟ قال : وسِعَهم الحق وأغناهم النفل (٢) ، وإنهم لمع رجل

⁽۱) الذنوب: الدلو الملاى ، جمعه أذنبة وذنائب (۲) أى لا راد لقضائه (۳) هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، كان شجاعا مهيبا وقائدا من أكبر قواد الجيوش فى الدولة الأموية ، وهو الذى شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهاب لأنه حماها من الخصوارج توفى ۸۳ . (٤) الحرورى: نسبة الى حروراء على غير القياس وهى بالمة بقرب الكوفة والحرورية: فرقة من الخوارج كالأزارقة (٥) كذا فى زهر الآداب . وفى تاريخ ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشير . (٦) النفل: الغنيمة وجمعه أنفال

يسوسهم بسياسة الملوك ويقاتل بهم قتال الصَّعلوك ، فلهم منه بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رُعاة البيات حتى يأمنوا ، وحماة السرح(١) حتى يردُوه ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم ، قال : وأنت أيضاً ، فإنى أرى لك لساناً وعبارة ، قال : هم كالحلقة المفرغة (٢) لا يكدرى أين طرفاها ، قال : ويدحك ! ! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال الحجاج لجلسائه : هذا _ والله _ الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

حديث معاوية وليلي(٣) الأُخيلية

قال بعض الرواة: بينا معاوية يسير إذر أى راكباً فقال لبعض شُرَطه ائتنى به وإياك أن تروعه فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: إياه أردت، فلما دنا الراكب حدر لثامه، فإذا ليلى الأخياية، فأنشأت تقول:

مُعاوِى لَم أَكَد آتيك تهوى برخْلى نحو ساحتك الركابُ تجوبُ الأَرض نحوك ما تأبى إذا ما الأكم قنَّعها السَّراب(٤) وكنت المُرتجى وبك استعاذت لتنعشها إذا بَخِلَ السَّحابُ

فقال: ما حاجتُكِ ؟ قالت: ليس مثلى يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخير أنت أعلى عَيْناً ، فأعطاها خمسين من الإبل ، ثم قال: أخبريني عن مُضر ، قالت فاخر بمضر ، وحارب بقيس ، وكاثر بتميم ، وناظر بأسد (ه) .

فقال: ويتحك يا ليلي ؟ أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت: ياأمير

⁽۱)السرح: الماشية في المرعى (۲) الحاقة المفرغة: المصبوبة قطعة واحدة وهذه الجملة مثل: لا امرأة عربية (۳) ليلى الأخيلية: اشعر امرأة عربية بعد الخنساء (٤) الاكم: واحده أكمة _ وسكنت الكاف للوزن _ تقول: ان ركابها تجول في الأرض قاصدة معاوية ، ولا تتأبى عند اشتداد الحر اذ تتغطى الآكام بالسراب (٥) مضر: أصل لقيس وتميم واسد: تقول: ان مضر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة والاقدام وتميم ذوو الكثرة والمدد واسد أهل الحجة واللدد

المؤمنين ليس كل الناس يقول حقا ، الناس شَجَرة بغى يحسدون النعم حيث كانت وعلى من كانت ، كان يا أمير المؤمنين : سبط البنان ، حَدِيد اللسان ، شجى الأقران ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أبعد عن الحق فيه :

بعيد المدى لا يبلُغُ القَرْم غوره أَلدُّ مَلدٌ يغلب الحق باطله(١) فقال معاوية : ويحك يا ليلى ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً : فقالت من ساعتها مرتجلة :

مَعاذ النَّهى قد كان والله توبة جوادًا على العلات جمًّا نوافلُه (۲) أغر خفاجيًّا يرى البخل سُبَّة تحالف كفاه النَّدَى وأَدامِله عفيفاً بعيد الهم صُلباً قناتُه جميلا مُحَيَّاه قليلا غوائله (۳) وكان إذا ما الضيف أرغى بعيرُه لديه أتاه نيله وفواضله وقد علم الحدبُ الذي كان سارياً على الضيف والجيرانِ أنك قاتله وأنك رحب الباع ياتوب بالقرى إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله يبيتُ قرير العين من كان جاره ويُضحى بخير ضيفه ومُنازله يبيتُ قرير العين من كان جاره

فقال لها معاوية : ويحكِيا ليلى ! لقد جُزْتِ بتوبة قدره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، والله لو رأيْتُه وخبرته لعلمت أنى مُقصِّرة فى نعته ، لا أبلغ كُنْهَ ما هو له أهل ، فقال لها معاوية : فى أى سِنْ كان توبة ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

أتته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قِرن يُناضله وصار كلَيْثِ الغاب يحمى عرينَه فترضى به أشبالُه وحلائله

⁽۱) القرم السيد ، والألد: الشديد الخصومة ، والملد مبالغة في الالد ، تقول: لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق (۲) على العلات: أي على كل حال ، والنوافل: العطايا (۳) الغوائل: الدواهي ، وفلان قليل الغوائل: أي ليس فيه ما يعيبه العشير .

عطوفٌ حايمُ حين يُطلب حلمه وسُمُّ زُعافٌ لا تصاب مقاتلهُ فأمر لها بجائزة ، وقال : أي ما قلت فيه أشعر ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذى فيه من خصال الخيرِ أكثر ، ولقد أُجدتُ حيث أقول :

جزَى الله خيراً والجزَاءُ بكفه فتًى من عقيل ساد غير مكلف فتًى كانت الدُّنيا تهون بأسرِها عليه فلم ينفَكَّ جَمَّ التصرف ينال عليَّات الأُمور بهَوْنة إذهى أَعْيت كل خِرْق مُسَوِّف (١)

الحارث(۲) بن عوف المرِّى : قال يوماً لخارجة بن سنان المرِّى ، أترانى يروى أن الحارث بن عوف المُرِّى : قال يوماً لخارجة بن سنان المرِّى ، أترانى أخطب إلى أحد فير دنى ؟ قال : نعم ، قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة بن لأم الطائى ، فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا ، ففعل ، فركباحتى أتيا أوساً . فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحباً بك يا حارث ، قال : وبك ، قال : ماجاء بك ؟ قال : جئتك خاطِباً ، قال : لست (٤) هناك ، فانصرف ولم يكلمه ، ودخل أوسٌ على امْرَأته مُغْضباً _ وكانت من بنى عبس (٥) _ فقالت : مَنْ الرجل الذى وقف عليك فلم يُطِل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث

⁽۱) الهونة: التؤدة . والخرق: الفتى الحسن الكسريم السحايا والمسوف: من يصنع ما شاء لا يرده احد (۲) هو احد عظماء ذبيان . ومرة: بطن من ذبيان . والحارث احد السيدين اللذين سعيا في الصاح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي دامت نحو أربعين سنة وقد احتملا في مالهما خاصة غرامة تلك الحرب (۳) هو سيد طيء في زمانه ، وفيه يقول الشاعر:

الى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها فما وطىء الحصا مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها (٤) أى لست كفؤا (٥) عبس وذيبان أبناء عم

أبن عوف المرّى ، قالت : فمالك لا تستنزله ؟ قال : إنه استَحْمَق (١) ، قالت : وكيف ؟ قال : جاءنى خاطباً ، قالت : أفتريد أن تُزَوِّ جْ بناتك ؟ قال : نيم ، قالت : فإذا لم تُزوِّ جْ سيد العرب ، فمن ؟ قال : قد كان ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، قال : ماذا ؟ قالت : تلحقه فترده ؟ قال : وكيف وقد فرط منى ما فرط إليه ؟ قالت : تقول له : إنك لقيتنى مُقتضباً (٢) بأمر لم يتقدم منى فيه قول ، فلم يكن عندى فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندى كل ما أحببت . فإنه سيفعل ، فركب في أثرهما . قال خارجة بن سنان : فوالله إنى لأسير و إذ حانت متى التفاتة ، فرأيته قأقبلت على الحارث وما يكلمنى غما ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا قال : وما نصنع به ؟ امنض ، فلما وكلمنا بذلك الكلام ، فرجَع مسروراً .

فبلغنی أن أوساً لما دخل منزله قال ازوجته: ادعی لی فلانة بلاً كبر بناته فراته ، فقال: یا بُنیة هذا الحارث بن عوف سید من سادات العرب ، قد جای فراته و فقال: یا بُنیة هذا الحارث بن عوف سید من سادات العرب ، قد جای فرا خاطباً ، وقد أردت أن أزوجك منه ، فما تقولین ؟ قالت: لا تفعل ، قال: وليمة ؟ قالت: لأنى امرأة في وجهی ردّة (٤) وفي خلقي بعض العُهدة (٥) ، ولست بابنة عمه فيرعي رحمي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيكلقني ، فيكون على في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله عليك ادعى لى فلانة - لابنته الوسطى - فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها فأجابته عثل جوابها وقالت: إني خرقاء (٦) وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى

⁽۱) استحمق: فعل فعل الحمقى (۲) الاقتضاب: المفاجأة (۳) ربع عليه: وقف أو مال اليه (۶) يقال في وجهه ردة ، أي قبع مع شيء من الجمال (٥) العهدة ، الضعف (٦) الخرقاء ، التي لا تحسن صنعة

منى ما يكره فيُطَلقنى ، فيكون على فى ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمى فيرعى حقى ولا جارك فى بلدك فيستحيك ، قال : قومى بارك الله عليك ، ادعى لى «بُهَيْسة » _ يعنى الصغرى _ فأتى بها ، فقال لها كما قال لهما ، فقالت : أنت وذاك ، فقال لها : قد عرضت ذلك على أُختَيكِ فأبتاه ، فقالت _ ولم يذكر لها مقالتيهما : لكنى والله الجميلة وجها ، الصناع (١) يدًا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أباً ، فإن طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير ، فقال : بارك الله عليك .

قال خارجة : ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك يا حارث «بهيسة » بنت أوس ، قال : قبلت . ثم أمر أمها أن تهيِّمها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب (٢) له ، وأَنزله إِياه ، فلما هُيِّئت بعث بها إِليه ، فلم يلبث عندها إِلا هُنَيْهَةً (٣) ثم خرج إلى ، فقلت : أَبنيت بأَهلك ؟ قال : لا والله ، فإني لما دَنوْت منها قالت : مَهُ أَعِنْدَ أَبِي و إِخوتِي ؟ هذا والله مالايكون ، قال خارجة : ثم ارتحلنا بها فَسِرْنا ما شاء الله ثم انتحَى بها ناحيةً ، ولم يلبث أن عاد إلى ، فقلت : أبنيت بأهلك؟ قال: لاوالله فقد قالت: أكما يُفعل بالأمة الجليبة (٤)! والسبية الأُخيذة (٥) ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب وتعمل ما يُعمل لمثلى ، قلت : والله إنى لأَرى همة وعقلاً ، وأَرجو أَن تكون المرأة مُنْجبة إِن شَاءَ الله ، فرحلنا حتى قدمنا وأَحْضَرَ الإِبل والغنم ، ثم خلا بـها ، ولم ينشب أَن حرج فقلت : أبنيت بأهلك ! قال : لا _ فقد قلت لها أحضرنا من المال ما قد تريدين ، فقالت : والله لقد ذكرت لى من الشرف مالا أراه فيك ، قلت : وكيف ؟ قالت: أَتفرغ للنساء والعرب يقتلُ بعضها بعضاً - وذلك في أيام حرب عبْس وذبيان ـ قلت : فماذا تريدين ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم

⁽۱) امرأة صناع: حاذقة في الصناعة (۲) ضرب: أقيم ؛ وبني له بيت (۳) الهنيهة: الزمن اليسير (٤) الجليبة: المجاوبة (٥) الأخيسة: المجاوبة المخاودة

فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك ، قال خارجة ، فقلت : والله إنى لأرى همة وعقلاً ، قال : فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيا بينهم بالصُّلح ، فاصطلحوا وحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذكر(١) :

ولو كان النساءُ _ كمثل هَذِي _ لفضَّلت النساءُ على الرجال

سَوْدة بنت عمارة ومعاوية

قال عامر الشعبى : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية ابن أبي سُفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمَّر لفعل أبيك يا ابن عمارة يوم الطِّعَان ومُلتق الأَقران وانصُرْ عليّاً والحسين ورَهْطَه واقصد لهند(٢) وابنها بهوانِ إنَّ الإِمام أَخا النبيِّ محمد عَلمُ الهدى ومنارةُ الإِمانِ فَقُدِ الجيوش وسِرْ أَمام لوائه قُدُماً بأبيض صارم وسنانِ

قالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس وبُتر الذنب، فَدع عنك تذكار ما قد نُسِي، قال : هيهات، ليس مثل مقام أخيك نسى، قالت: صدقت، والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخى خنى المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء :

وإِن صَخرًا لتأتم الهداة به كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

⁽۱) وقد خلد زهير هـ ذا الذكر الجميل في معلقته اذ يقول من أبيات كثيرة:

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم الداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٢) هند: هي أم معاونة

وبالله أَسأَلك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته ، قال : فعلت ، فقولي حاجتك ، قالت :

يا أمير المؤمنين ، إنك للناسسيد ، ولأمورهم مُقلّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصادالسُّنبُل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة (١) ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة ، قدم بلادى وقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة ، لكان فينا عِزَّا ومنعة ، فإما عزلته فشكرناك ، وإمَّالا فعرفناك ، فقال معاوية : أياى تُهددين بقومك ؟ والله لقد هَمَمت أن أردَّك إليه على قَتَب أشرس (٢) فَيُنْفِذ حكمه فيك ، فسكنت ، ثم قالت :

صَلَّى الإله على روح تَضمَّنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا قد حالف الحق لا يبغى به ثمناً فصار بالحق والإيمان مقرونا قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبي طالب ، قال : ما أرى عليك منه أثراً ، قالت : بلى ، أتيته يوماً فى رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يُصلَّى فانفتل (٣) عن الصلاة ثم قال بر أفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه إلى الساء وقال : اللهم إنى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم «قدجاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل فكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم «قدجاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخوسًا الناسَ أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ، بقية الله خيرً لكم إن كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ .» إذا أتاك كتابي هذا فاحتفِظ . كم إن كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ .» إذا أتاك كتابي هذا فاحتفِظ . بخزام ولا ختمه بختام ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها ،

⁽۱) سلمه الأمر: كلفه أياه . تقول : يجشعنا دنايا الأمور (۲) القتب: الرحل الصغير ، والأشرس: الخشن الغليظ (۳) انفتل: انصرف

فقالت : أَلَىٰ خاصة أم لقومي عامة؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاءُ واللؤم، إن كان عدلًا فشاملاً، وإلا يسعني ما يسعُّ قومي ، قال : هيهات ، لمَّظكم (١) ابن أبي طالب الجرأة ، وغرَّكم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنَّة لقلت لهَمْدَان ادخلوا بسلام

وقوله:

ومثل هَمَّدان سني فتحةُ الباب وجْهٌ جميل وقلب غير وجَّاب ناديتُ هَمْدان والأَبُوابِ مُعْلقة كالهنْدُوَاني لم تفلل مضاربه اكتُبُوا لها بحاجتها.

أم سذان بنت جشمة ومعاوية

قال سعيد بن أبي حُذافة: حبس مروان وهو والى المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها ، فأتته جدة الغلام _ وهي أم سنان بنت جُشَمَة المذحَجِيَّة _ فكلمته في الغلام ، فأَغلظ. مروان لها ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال: مرحباً بابنة جشمة ، ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تَشْ تميننا وتحضِّين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرةً ، وأَحْلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علْم ، ولا يَسْفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سَنَّ آباؤه لأنت ، قال : صدقت ، نحن كذلك ، فكيف قواك :

عَزَبَ الرُّقَاد فمقلتي لا ترقد والليل يُصْدر بالهموم ويُوردُ يا آل مَذْحج لا مُقام فَشَمِّرُوا إِن العدوِّ لآل أحمد يقصدُ هذا على كالهلال تَحُفه وسط الساء من الكواكب أَسْعُد

⁽١) لظه الشيء: منحه اياه

خيرُ الخلائف وابن عم محمد إن يهدكُم بالنَّور منه تهتدوا ما زال مُذْ شهد الحروب مُظَفَّراً والنصر دون لوائه ما يعقد قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفاً ، فقال رجل من جُلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهي القائلة :

إِما هلكت أَبا الحسين فلم تزلْ بالحق تُعْرَف هادياً مَهْدِيًا فاذهب عليك صَلاة ربك ما دعت فوق الغُصُون حَمَامَةٌ قَمْرِيًا قد كنت بعد محمد خَلَفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وَفِيًّا واليوم لا خلف يُؤمَّل بعده هيهات نأملُ بعده إنْسِيًا

قالت: يا أمير المؤمنين لسان فطن ، وقول صدق ، ولئن تحقق ما ظننا فحظّك الأوفر ، والله ما ورّثك الشنآن فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدخض مقالتهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قُرْباً ومن المؤمنين حُبًّا ، قال : وإنك لتقولين ذلك ، قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعْتُنر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا .

شكرًا لربى الذى أعانني على طبع الجزء الأول ، ويليه الجزءُ الثاني وأوله: « الفن السابع في التاريخ »